

مطبوعات مجمع علمي العراق

الجامع الكبير

في

صناعة المنظوم من الكلام والنور

تأليف

ضياء الدين بن الأشير البخري

قام بتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور مصطفى بخار والدكتور جميل سعيد

طبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٥٦ م - ١٣٧٥ هـ

مطبوعات مجمع العلمي العراقي

الجامع الكبير

في

صناعة المنظوم من الكلام والمنثور

تأليف

ضياء الدين بن الأشتر الحزري

تأليفه ١٠١٧ هـ قام بتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور جميل سعيد

١٣٤٩ هـ

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٥٦ م - ١٣٧٥ هـ

تصدير

عصر نصر الله بن الأثير

كلُّ أديب هو نتيجة ثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، والاختلاف هذه التأثيرات الاربعة تختلف درجات الأديب وتختلف أحياناً ظروفه وأتواجه ، وعصر نصر الله بن الأثير هو النصف الثاني من القرن السادس من الهجرة ، والنصف الأول من القرن السابع ، وهذا العصر يتميز بالفتاني الحربي بين الدول الاسلامية والامارات الافرنجية بالشام المعروفة بمسمرات الصليبيين ، وابتعاش الدولة العربية العباسية واستعادتها استقلالها منذ عهد الخليفة القتيبي لأمر الله سنة ٥٤٧ هـ ونهوض دولة الأديب في حكم العرب ، والحروب الصليبية منذ نشوبها أخذت تطلب المواطنين ، وتفيض الترامح ، وتحرق القلوب ، وتهبج النفوس ، فأخذ النثر منها سبيلاً سياسياً حماسياً رائعاً ، وأخذ الشعر منها طريقاً حماسية لازمة ، وكثرت المراسلات المنفردة والأدائيد الخافزة وأقبل الناس على القصيدة يلبون داعية ، وحفدوا الى المستنبت بالنصر للوزير .

وانهاض الدولة العربية من كبوتها أفلم للأديب سوقاً دائرة ، واستفاض الترامح ، وبتت جماعات كثيرة من الأدباء على خدمة دولة العرب ، بعد أن كانوا لا يمدقون بانتعاشها ، ويستعجزون القدر في انتياشها ، وألف جماعة من الأدباء كتباً في البلاغة والبيان .

وذكر نصر الله بن الأثير نفسه من المؤلفين في البلاغة من سبق عصره ابن أفلح البغدادي قال : « ووقفت على كتاب يقال له « مقدمة ابن أفلح ^(١) البغدادي » وقد نصرها على

(١) هو جمال الدين أبو القاسم علي بن أفلح الحلي البغدادي الكاتب المبرمج المشهور سنة ٥٣٥ هـ في أشهر الأئوال ، كان ذا فضل وأدب وله شعر مذهب ونثر جيد بلديج إلا أنه كان كثير الجفاء ، لقبه المحدث جمال الدين ثم تلم عليه خصامه توميس بن صدقة لزيدي عليه ، ترجمه ابن الجوزي وذكره في المنظم ٥٢١٣ : ٩ و ٥٠١٠ : ١٠ والبرهان الأسقاني في خريدة القصر ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ =

تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة ، والمراعيين بها عناية وهم واسفون لها ومكبون عليها ولما تأملها وجدتها مشوراً لآلب تحتمسها لأن غاية ما عند الرجل أن يقول : وأما الفصاحة فلها كقول النابغة مثلاً أو كقول الأعشى أو غيرهما . ثم يذكر بيتاً من الشعر أو آياتاً ، وما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى إذا وردت في كلام عرفنا من حيثها للوجود فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة ... »

وذكر منهم الكافي محمد بن الحسن بن حمدون البغدادي مؤلف التذكرة : كافي « ص ١٥٦ ، ٢٢٢ » من التل السائر قال : « ورأيت ابن حمدون البغدادي صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين في كتابه ... » ثم قال : « ووجدت في كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مباشراً إليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيا فن المكتوبة فوجدت في كتابه ذلك باباً متصوفاً على ذكر السكابة والتعريض ... » ، فقدمه ابن أفلح وكتاب التذكرة العظيم من كتب البلاغة والأدب إذ ذاك ، وقد ألف فيها بعد ذلك أبو العالي الخفيري الشوفي سنة ٥٦٨ هـ .

وبعد هذه الطبعة ظهرت براسة نصر الله بن الأمير في الترشل والتأليف في البيان فألف كتاب « الجامع الكبير في صناعة اللغوم والنثور » الذي فقه ما تقدمه في الزمان من التأليف الخاصة بهذا الفن ثم ألف على قراره « التل السائر في أدب الكتاب والشاعر » وسارت بعده الركيان ، وتعكف على درسه طلاب الأدب في مختلف البلدان ، ولما وصل إلى بغداد تصدى له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد ، الداهي فألف تداً له ، واسكنه لم يستطع الخط من قيمته قط فقد سار كالتل السائر ، والبدر الباهر في فلك البلاغة والبيان . وسنشير إلى فلك أيضاً في انتهاء الكلام على سيرة نصر الله الأديبة .

== الورقة ٢١ . « وابن السجار » المشافق الورقة ٥٣ من نسخة دار الكتب المصرية . وابن خلكان ١٥ : ٢٥٩ ، ٣٩٦ ، ٤٥٨ . من طبعة بلاد المعجم ، وله ترجمة وذكر في الكامل في حياته سنة ٥١٧ وسنة ٥٣٥ ومراثة الوان . ٨ : ١٩٩ - ٢٩٢ . وصيد الطائر لأبي الفرج بن الجوزي « ص ٣٠٥ » وعبود الأبناء في طبقات الأنبياء . ١٥ : ٢٥٤ - ٥٥ . وفتصر الدول « ص ٣٦٥ » وتجارب السلف « ص ١٩٧ » والنجوم الزاهرة « ص ٢٦١ » ونصرة الفتنة لعلاء السكاتب « نسخة دار الكتب بباريس ٢١٤٥ الورقة ٩٧ ، ١١١ » والنجم الأول من الجزء الأول من خريدة العراق « ص ١٤٢ .

ترجمة مؤلف الكتاب

هو ضياء الدين أبو النجاشي نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بأبي الأثير .

والجزري نسبة إلى « جزيرة ابن عمر » قال ياقوت الحموي : « جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الوصول بينها ثلاثة أيام ولها رستاق ^(١) غصب واسع الطيرات ، وأحصب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب السهلي وكانت له بصرة بالجزيرة وذكر في ترجمة سنة (٢٥٠) ^(٢) . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء ، ونسبت عليه رحى ، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهماً الخندق . وينسب إليها جماعة كثيرة منهم ... وبنو الأثير العلماء الأدياء وهم محمد الدين المبارك ^(٣) وضياء الدين نصر الله وعمر الدين أبو الحسن علي بنو محمد بن عبد الكرم الجزري ، كل منهم إمام . مات محمد الدين والآخرون حبان سنة ٦٢٦ هـ .

وقال ابن خلكان : « والجزيرة المذكورة أكثر الناس بقولوت : جزيرة ابن عمر . ولا أندري من ابن عمر ؟ وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ، وسبباني ذكره إن شاء الله . تعال . ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابن عمر أوس وكأني ، ولا أندري أيضاً من هنا ؟ ثم رأيت تاريخ ابن السنوني في ترجمة أبي السعادت المبارك بن محمد ...

(١) الرستاق والرزدان : القرى ود يحيط بها من الأضدين .

(٢) في النسخة الأوربية والنسخة المصرية يسدها من معجم البلدان « وكانت له بصرة بالجزيرة وذكر في ترجمة سنة ٢٥٠ هـ وهو تصحيف صحيح لما قولناه .

(٣) ترجمته ياقوت في معجم الأدياء ، ج ٦ ص ٢٣٥ - ٢٤٦ هـ طبعة ميفلوت ، ولم يترجم أسماء علماء آتية لم يجه من الأدياء ، ولا تشك في أنه ترجم أعلمها نصر الله وضاعت ترجمته من الجزء السابع .

أنها جزيرة أوس وكامل أبي هرير بن أوس التظلي والله أعلم ، ثم إنني طفرت بالصواب في ذلك ، وهو أن رجلاً من أهل برقيعد من أعمال الوصل بناها وهو عبيد العزيز بن عمر ، فأضيفت إليه ^(١) « الجزيرة اليوم من بلاد تركية .

وقال جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن الصابوني في كتابه « نكتة إكمال السكّال » في مشابهة النسب : « وذكر في باب الأثير : يفتح الهمة وكسر الاء للثقة وبسدها ياء معجمة باثنين من تحتها وآخره راء مهملة جماعة ، منهم الأخوان الفاضلان أبو السادات المبارك وأبو الحسن علي ابنا محمد بن عبيد السكريم الجزري وأغفل ذكر أخيهما الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله ^(٢) ... »

وقال زكي الدين عبد العظيم المنفري : « الأثير : يفتح الهمة وكسر الاء للثقة وسكون الياء آخر الحروف وبسدها راء مهملة ^(٣) » .

قال بقوت الحوي : « والأثير هو أبوه محمد بن محمد بن عبيد السكريم ^(٤) » .

والأثير في اللغة : الخليص والسكريم ، وقد جاء في الأخبار أن روح بن زيناغ الجذامي كان يهري الأضياف وكان مسامحاً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده ^(٥) . ومؤلفه « الأثيرية » قال أبو الفرج الاصفهاني في أخبار « فريدة » صاحبة الواثق بالله « وكانت فريدة أثيرة عند الواثق وحفلية لديه جداً ^(٦) » .

وإذ كان كل من الإخوة الثلاثة ابناً للأثير لزم أن يكون « الأثير » لقب أبيهم « محمد بن

(١) وفيات الأعيان في « ترجمة » علي بن محمد بن الأثير ، ج ٦ ، ص ٣٧٩ ، من طبعة بلاد العجم .

(٢) نسخة لمجمع العتيق العراقي للصورة في « الأثير » .

(٣) « النكتة لوحيات الثقة » نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ، تحت الأرقام ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٤) معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ ، من الطبعة المذكورة .

(٥) السكّال لعبد ، ج ٥ ، ص ٩٥ ، طبعة المطبوع الأزهرى وقد صحفت الجملة في شرح ابن أبي الحديد ١ : ٥٦ ، ل : « كان مسامحاً ... أثيراً » .

(٦) الأعيان ، ج ٤ ، ص ١١٤ ، طبعة دار الكتب المصرية .

محمد * وقد قاله بانوت ، فمتد من كان أنيراً ؟ يظهر لنا أنه كان أنيراً عند الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاسفهانى القلق بالجلود وزير عماد الدين زنكي بن آسنقر ملك الموصل في آخر عهده ، ووزير أبيه سيف الدين غازي الأول ابن زنكي وقلب الدين مودود ابن زنكي ، وقد توفي الجلود سنة ٥٥٩ هـ^(٦١) . استدلفنا على ذلك بما ذكره ابن الأثير عز الدين في سيرة الجلود قال : « حكى لي والدي قصة قال : كثيراً ما كنت أرى جمال الدين إذا قدم اليه الطعام يأخذ منه ومن الخلوي ويتركه في خبز بين يديه فكانت أنا ومن يراه ظاناً أنه يحمله إلى أم ولده علي فاتفق أنه في بعض السنين جاء إلى الجزيرة مع قطب الدين وسكنت أوتى ديوانها وحمل جارية أم ولده إلى داري فتدخل الطعام فبقيت في المار أليماً قبيلاً أنا عنده في الخيام وقد أكل الطعام فعمل كالكلاب ففعل ثم تفرق الناس ، فقلت فقال : أهد - فقلت فلما خلا للسكان قال لي : قد آثرتك اليوم على نفسي فاني في الخيام ما يتكفي أن أفعل ما كنت أفعله ، خذ هذا الخبز واحمله أنت في كوك في هذا التبديل ، وارك الحاقة من رأسك ، وعد إلى بيتك فإذا رأيت في طريقك فقيراً يقع في عنقك أنه مستحق فاقدم أنت بنسك وأطعمه هذا الطعام . قال : فعلت ذلك ، وكان ممي جمع كثير ففرغتهم في الطريق لئلا يروني أفضل ذلك ، وبقيت في الخيام ، فرأيت في موضع إنساناً أعمى وعنده أولاده وزوجته وهم من الفقر في حال شديد ، فنزلت عن دابتي اليوم وأخرجت الطعام وأطعمتهم آياه وقلت للرجل : تعجب ، غداً بكرة إلى دار فلان - أعمى داري ولم أفرقه نفسي - فاني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئاً . ثم ركبت اليه العصر فلما رأني قال : ما الذي فعلت في الذي قلت لك ؟ فأخذت أذكر شيئاً بعماني بدولتهم . فقال : ليس عن هذا أسألك ، إنما أسألك عن الطعام الذي سلته اليك . فذكرت له الحال . ففرح ثم قال : بني أنك لو قلت للرجل يحيى - إليك هو وأهله فتكسومهم وتعلمهم دنائير وتجري لهم كل شهر دنائير . قال : فقلت له قد قلت للرجل حتى يحيى - ليلى - فزاد فرحاً . وقلت بالرجل ما قال . ولم يزل يصل اليه رسماً حتى قبض^(٦٢) .

(٦١) الروايات ج ٢ ص ١٤٦ من الطبعة المذكورة - والسكان في حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

(٦٢) السكان في حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

وهذه الحكاية تدل على أن الرجل كان أثيراً جداً عند جمال الدين الوزير الجواد وأنه تولى له ديوان جزيرة ابن عمر ، ويؤكد هذه الولاية ما قاله ابن الأثير أيضاً في حوادث سنة ٥٦٥ هـ : « حدثني والدي - رحمه الله - قال : كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمت فلما كان قبل ^(١) موته يسير أنا كتاب من الديوان بالموصل يأمرهم بمساحة جميع بساتين القبيعة ، وهذه القبيعة هي قرية تحاذي الجزيرة بينها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يسمح فيؤخذ منه على كل جريب شيء ، معلوم وبعضها مطلق عن الجميع . قال : وكان لي فيها ملك كثير فكنت أقول : إن السلحة أن لا يثير على الناس شيء ، وما أقول هذا لأجل ملكي فاني أسمع ملكي ، وإنما أريد أن يدوم الدعاء من الناس للدولة . فجاءني كتاب القاتب يقول : لا بد من المساحة . فظهرت الأمر وكان بالقبيعة قوم صالحون لي بهم أنس وبيننا مودة ، فجاءني الناس كلام وأولئك معهم يطلبون الرضاة فأعلمتهم أنني راجعت وما أحببت إلى ذلك . فجاءني منهم رجلان أحرف سلاحهما وطلباني بالعودة والمطالبة ثانية . فقلت . فأصرروا على المساحة ، فمررتهم الحلال . فامضى إلا عدة أيام وإذا قد جاءني الرجلان فلما رأيتهما قلت أنها جاء يطلبان العودة ، فعجبت منها وأخذت أعتذر إليهما ، فقالا : ما جئنا إليك في هذا وإنما جئنا نعرفك لأن حاجتنا قضيت . فقلت أنها قد أرسلنا إلى الموصل من يشفع لها . فقلت : من الذي خاطب في هذا بالموصل ؟ فقالا : إن حاجتنا قد قضيت من السماء والكتابة أهل القبيعة . فقلت أن هذا مما قد حدثنا به نفوسهما . ثم قالوا هي . فلم يضر عشرة أيام وإذا قد جاءنا كتاب من الموصل يأمرهم بإطلاق الساجين والمحبوسين والكوس وأمرهم بالصدقة ويقال : إن السلطان - يعني قطب الدين - مريض على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوقاته ، فعجبت من قولها وأعتقدت كرامة لها .

قال ابن الأثير : فصار والدي بعد ذلك بكثير إكرامها واحترامها ويزورها ^(٢) .

وبهذه القصة تعلم أن الأثير والدي بن الأثير كان حسن السيرة ندياً وأنه بقي إلى ما بعد

(١) توفي سنة ٥٦٥ هـ . (٢) الكامل في حوادث سنة ٥٦٥ هـ .

سنة ٥٦٥ هـ وهي سنة وفاة قلب الدين مودود بن زنكي ، ولم يذكر ابن الأثير للورخ وفاة والده ،
 واسكنه ذكر وفاة أخيه عبد الدين المبارك في حوادث سنة « ٦٠٦ هـ » قال : « وفيها في سلخ
 ذي الحجة توفي أخي عبد الدين أبو السماعات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب - مولد في
 أحد الزبيعين سنة أربع وأربعين [وخمسة] وكان عالماً في مدّة علوم منها الفقه والأصولان
 والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغرب
 الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتباً مقلداً يضرب به المثل ، ذا دين عيين ولزوم طريق مستقيم
 - رحمه الله ورغبني عنه - فلقد كان من محاسن الإمارات . ولعل من يقف على ما ذكرته
 يتعجب في قولي ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنني مقتصر ^(١) » .

ويضم من خير أوردته بقوت الجوري أن « الأثير » كاتب حياً في بعض عهد نور الدين
 أرسلان شاه الأول ابن مسعود بن مودود بن زنكي بن أفسقر « ٥٨٩ - ٦٠٧ هـ » ^(٢) .
 وثبت ذلك إن لم يكن في الخبر ضعيف .

وكانت ولادة ابنه نصر الله مؤلف هذا الكتاب في العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ ^(٣)
 بالجزيرة وبها نشأ ثم انتقل إلى الموصل مع والده في رجب سنة « ٥٧٩ هـ » ودرس بها الأدب والنحو
 واللغة وعلم البيان ، وحفظ القرآن وكثيراً من الأحاديث النبوية ، واشتغل بالعلوم ، وتزوج قبل
 سنة « ٥٨٥ هـ » وقد عرفنا في التاريخ له من الولد شرف الدين أبو عبد الله محمد بن نصر الله ،
 وكانت ولادته في شهر رمضان سنة « ٥٨٥ هـ » ووفاته في سنة « ٦٢٢ هـ » قبل وفاة أبيه . والظاهر
 أنه درس على أبيه وأتقن علم الأدب . وألف كتباً منها « غرّة الصباغ في أوصاف الاصطباح »
 وكتاب « الأنوار في نعت القواكة والثمار » ^(٤) وكتاب « روضة النسيم » قال الصلبي :

(١) السكالي في حوادث سنة « ٦٠٦ هـ » . (٢) معجم الأدباء ، ٦ : ٢٢٩ هـ .

(٣) يضم من السكالي أن أشاه علياً كان بجزيرة ابن عمر سنة « ٥٧٩ هـ » ثم كان بالموصل سنة

« ٥٧٦ هـ » قبل كان مدونه بإمها خليفة .

(٤) قال الصلاح الصلبي : هو عدي بنظه .

« له اليد الطولى في الزسل والشمر ومن نعلمه وصف الظر... »^(١) وقال ابن خلكان : رأيت له مجموعاً جمه الملك الأشرف أحسن فيه وذكر فيه جملة من نعلمه وثمة ورسائل أبيه^(٢) .
 والظاهر لنا أن نصر الله بن الأثير درس علوم الأدب على أساتذة أخويه ثم عليها ولا سيما المبارك الكاتب الأدب الحديث الاسولي ، ولما كتبت له آلات الكتابة وأدوات الخطعة قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب في شهر ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ وتوسل الى ذلك بالقاضي الفاضل عبد الرحيم اللبباني ، فوصله الفاضل بخدمة الملك في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وهو شهر تكثر فيه الحوادث الجسام ، وقتلوا يخلو أمر ابتدئ به فيه من سوء خاتمة . وجعل صلاح الدين له معلوماً أي جراءة مالية ، فأقام عنده الى شوال من السنة فطلبه منه ابنه نور الدين علي لللقب بالأفضل ، فظيّر صلاح الدين بين الأقامة في خدمته والانتقال الى ابنه المذكور ، وتكون الجراءة للابنة التي قررها له ببقية على سلاح الدين ، فاختار نصر الله نور الدين ومضى إليه فاستوزره وحسنت حاله عنده .

ولما توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ واستقل ابنه الملك الأفضل نور الدين بملكوته دمشق استقل نصر الله بن الأثير بالوزارة ورددت الأمور اليه ، وصار الاعتماد عليه في الأحوال^(٣) ، وكان نصر الله جاهلاً بالسياسة ، قليل الحظ من الكياسة ، فحسن الملك الأفضل إبعاد أمراء أبيه عنه وأكابر أصحابه ، وأن يستخدم أمراء غيرهم ، ففارقته جماعة منهم الأمير ظفر الدين جباركس وفرس الدين ميمون القصري وشمس الدين سقز الكبير وسيف الدين سقز للشلوب وكانوا عناء ، النبوة وأهل القول للسمع فيها ، وصاروا الى أخيه الملك الوزير عثمان ابن صلاح الدين بالقاهرة وهو ملك مصر فأحسن لقدامه وأكرمهم وجاه عليهم بثلاث دنانير ، وولى ظفر الدين أستاذية داره وفوض إليه أموره وجعل فرس الدين وشمس الدين علي ميسرهما

(١) تاريخ الصغدي على السنين نسخة مكتبة الأوقاف بخط برام ١٢١٦ هـ .

(٢) الوفيات ٥ ج ٢ ص ٢٩٠ هـ من طبعة بلاغ العمير .

(٣) الوفيات ٥ ج ٢ ص ٢٨٨ هـ من الطبعة المذكورة والسلوك لمعرفة دول الملوك ٥ ج ١ ص ١٦٥ هـ .

وأعمالها وكان ذلك لها وزادها نابلس وأعمالها ، ولم يقابل ضياء الدين بن الأثير إحسان القاضي
الفاضل بالأحسان ، فإن الفاضل ترك دمشق أيضاً ، وعان مملوكة نور الدين الأفضل ولحق
بالباهرة فخرج الملك العزيز إلى قناته وأجلّ قدومه بإسلاماً ، وأكرمه إكراماً .

وكانت مدينة القدس مضاعفة للملك الأفضل ، فعمله ضياء الدين بن الأثير على أن يتخلل
عنها لأخيه العزيز ملك مصر ، تتسللاً من النهوض بأعباء ولائها ، لأنها كانت تحتاج حينئذ
إلى أموال ورجال لمداومة الفرنج فيها ، فكتب الأفضل إلى أخيه العزيز بذلك أخفاً برأي
الضياء ابن الأثير ، فسّر العزيز بذلك وجهه عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جريدك التتوري
مولى القدس لينفذها في مسكر القدس ، فغلب جريدك بها للملك العزيز وقطع اسم الملك
الأفضل . وخشي العزيز من أن يقض الفرنج الهدنة التي عقدها معهم أبوه صلاح الدين ،
فأرسل جنوداً إلى القدس احترازاً من الفرنج ، ثم بدأ للأفضل أن يسترد ما وهب لأخيه وهو
القدس ، ورجع عن ذلك التخلي ، فتغير العزيز من هذا ، وأخذ الأمراء في التحريض والتضريب
بينها وحسنوا للعزيز الاستعداد بالملك ، والقيام مقام أبيه ودفع أخيه الأكبر وهو الملك الأفضل
من الملك ، فبلغ ذلك أعلاه فساد .

وكانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان صلاح الدين ثلثها على مصالح القدس وإقامتها على
ابن الأمير علي بن أحمد الشطوب فشاركه فيه أحد الأمراء الأكراد فسدوا أيديهم إلى الوقف
وسامسيريهم وتخوفوا من إنكار الملك العزيز عليهم فلهجوا إلى الملك الأفضل ، فأفضل عليهم
وسكن إليهم ، فتأثر الملك العزيز بذلك ، وكان من جملة الأسباب الداعية إلى الاضطراب أن
الفرنج تسلموا ثغر جبيل من مستحفظيه يوماً ، وضمف للملك الأفضل عن استخلاصه ، فقبل
للعزيز ، إن توافقت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بصكره من صلاحية والاستبدية
والأكراد ، وبلغ خيره أعلاه الأفضل فضائق صدره واجتمع مع من في خدمته من الأمراء
بموضع يعرف برأس الماء وأراد أن يستعطف أميراً اسمه صارم الدين قائماز النجفي أحد أبناء
الأمراء عند صلاح الدين وكان متبعاً في إتمامه وكان بينه وبين الأفضل شقاق وحناء ، فوسل

إليه الأفضل في ذلك فلم يجب واستوحش من الأفضل وأخرج من إقطاعه ورجل إلى مصكر
 العزيز وأظهر العزيز أنه يريد قتال الفرنج وفي الباطن كان يريد الاستيلاء على دمشق وأثرها
 من أخيه . ورأى الأفضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يجب من إغلاء كئسه والاجتماع عليه ،
 ويكون هو من الفائزين بين يديه ، طلباً منه لتسكين الفتى ورغبة في ذهاب الإحن ، فأشير عليه
 بغير الصواب قال القرظي : « منعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه وحسنوا له
 مهارة أخيه فإلى إليهم » . وقيل له : أنت المسكين ، وإليك التدبير ، فخذ وأجهد ولا يعلم
 أصحابك بهذا الخوراني داخلك ، وأجبن الذي غارك ، ونحن بين يديك ، وكلنا نقتدون بالخناصر
 عليك . فبعث الأفضل يستجد مع العادل بالبلاد الجزرية وأعاد الظاهر بحلب والملك التصور
 بحياة والأجد صاحب بعلبك والمجاهد شيركوه بمحمس .

ووصل في جمادى الآخرة من سنة (٥٩٠) هـ رسول الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين
 إلى الملك الأفضل ، ووصلت كتب جماعة من الملوك الأكابر بالأنجاد للتظاهر للأفضل . وسير
 الأفضل إلى مع العادل وهو بخرناب والرها من الجزيرة رسلاً يستجده ، فلما أيضاً عليه سير
 إليه أميراً اسمه عز الدين عثمان الرنجيني على نجيب ليمرغ ويأتي به من قريب ، وكانت كتب
 الملك العادل قد وصلت تحمل بأمره على تجمدة الأفضل ونصرته .

ووصل العزيز في جيشه إلى ظاهر دمشق وجاء العادل في مساكمة تجمدة للأفضل فقتل
 بمرج حضراء^(١) من القوطة وأرسل إليه العزيز يريد الاجتماع معه ، فاجتمعا على ظهور الفراسخ
 وتفاوضا فقتل له العادل فيها قل :

« لا تحرب البيت - يعني البيت الأيوبي - ولا تدخل عليه الآفة ، والعبدوا ورائنا - يعني
 الأفرنج - من كل جانب وقد أخذوا جبيلاً فأرجع إلى مصر واحفظ عهد أهلك ، وأهناً فلا

(١) جاء في اليوم الزاهر ، ١٦٩١٦ هـ - طبعه دار الكتب - حرج عدوا ، وقال الصنعون
 الصريون في المشقة « كذا في الأصل وفي ابن الأثير (بمرج الرمان) وقد بحثنا عن كتابها في الكتب التي
 تحت أيدينا فلم نوفق إليها » . غصنا : عدوا هو نصيب . حضراء : قال ياقوت في معجم البلدان ،
 « حضراء ... وهي قرية بقوطة دمشق من إقليم خولان معروفة واليا ينسب مرج ... » .

تكسر حرمة دمشق ونطمع فيها كل أحد^(١) . وتحدث معه في السلاح ، وأن يفسر الخناق عن دمشق
وكان قد اشتد الحصار وقطعت الأسيار ونسبت النار ، فوافق العزيز مع العادل على فسخ التراجع
وتراجع إلى قرية تاريا من قرى غوطة دمشق ونزل على الأوج ، وأرسل الأمير نضر الدين
جباركس أسفاد النار ، وهو يومئذ أجل الأعمى ، الصلاحية - إلى العادل فقرروا الصلح على
شروط ، وعاد إلى العزيز فرحل العزيز ونزل معج الشفر ، فحدث له مرض شديد وأرجف بموته منه
وأيس منه ثم أفاق وأبل منها وأفاق ، وقيل إن العادل بعث إليه يقول : ارحل إلى مرجع الشفر ،
فرحل وهو مريض ، وكان قصد العادل أن يُبعده عن دمشق . ووصل الملك النعمان ذكرهم في
جنودهم نجدة للأفضل ، فقال لهم العادل : قد تقرر أن العزيز يرحل إلى مصر ، قال ابن تيمري
يرى : واشتد مرض العزيز فاحتاج إلى المساعدة ولم يلا المرض ما صالح . وأمر العزيز بعمل
نسخة الجين أي للعاهدة وهي جامعة لقرحات جميع الملوك وحسن مواد الخلاف ، وأن الملك
الأجد بهرامشاه بن عز الدين فرخشاه الأيوبي صاحب بعلبك والملك الجهاد شيركوه الصغير
صاحب حمص يسكرون مؤذنين للملك الأفضل وتابيهن له ، وأن الملك المنصور صاحب حماة
يكون في حية الملك الظاهر غازي صاحب حلب ومؤذراً له . وبث كل من الملوك أميراً من
أمرائه ليحضر الخلف والتعاضد ، فحدثه ما يوم السبت الثاني عشر من رجب من السنة
٥٩٠ هـ المذكورة ، وجرت أمور آلت إلى الخلف على دخن ، وطلب العزيز إلى عمه أوف
يزوجه إحدى بناته فزوجها إياها ، وكتب للماد الأسفهاساني كتاب العقد في ثوب أبيض ،
وقرى بين يدي الملك الظاهر وأُقيد العقد عنده .

وخرج الملك المنصور إلى العزيز واحداً واحداً ، وأول من خرج إليه أخوه الملك الظاهر
غازي والقبلى في أول شعبان بمرج الدفر وبثت عنده لبة وعاد بعد أن أهدى كل إلى أخيه هدية ،
وخرج بعده مع العادل في خواصه ثم أخوه الملك الأفضل ، ففلقا واعتنقا وبكيا ، وكان قد
فارقته منذ تسع سنين ثم إن الأفضل نظم أبياناً في استعطاف أخيه وأسأله منه وبث بها إليه ،

(١) قابل علينا السلام الذي نقله ابن تيمري يرمى في النجوم الزاهرة ٦ : ١٦٩ هـ . ياتهم به ابن
الأمير الملك العادل من سعيه في فساد البيت الأيوبي .

ورحل العزيز من صراج الصفر في ثالث شعبان بُريد مصر ، فلما كان ثالث عشره حمل الأفضل
لعمه وسائر الملوك دعوة عظيمة وودعهم ، ثم رحلوا من الهند الى بلادهم إلا العادل فإنه أقام الى
تاسع شهر رمضان ثم رحل الى بلاده بالجزيرة .

وهو الأفضل بكتابة العزيز بما يؤكد أسباب السلب فأماه عن ذلك خواسته وأغروه بأخيه
ورموا جماعته من أممائه بأنهم يسكتون العزيز ، فأستوحش منهم وفعلوا ذلك ففرقوا عنه ،
فالأمر عز الدين سامه صاحب كوكب ومجلون ترك الأفضل والتحق بالعزيز بمصر فأكرمه
غاية الأكرام ، وأخذ يحرضه على الأفضل ويحثه على السير الى دمشق وانضمامها منه ويقول له :
« إن الأفضل قد غلب على اختياره وحكم عليه وزيره ضياء الدين نصر الله بن الأثير
الجزري وقد أفسد أحوال دولته برأيه الفاسد وهو يعمل أحلك على مفاصلك ويحسن له تقض
اليمين ، فإن من شرطها سفو الوداد وصحة التوبة — ولم يوجد ذلك ، فعنهم في اليمين قد تحقق
وبرئت أنت من العهدة ، فقصد البلاد فأنها في يدك قبل أن يحصل في الدولة من الفساد
حالاً يمكن تلابيه ، إن الله يسألك عن الرعية وهذا الرجل — يعني الأفضل — قد غرق في
الاهو وشربه واستولى عليه الجزري وابن المسجى » .

وكان الأفضل لما انفصلت المسائر عن دمشق شرع ، على عادة ، يلهو ويلعب وتظاهر
بذلته واحتجب عن الرعية فسوء « الملك التمام » وفوض الأمر الى وزيره ضياء الدين
نصر الله ابن الأثير وحاجبه جمال الدين عباس بن العجمي فأفسدا الأحوال وكانا السبب في
زوال دولته .

وبما كان الأمر على ذلك فلو أن الأفضل محسب الدين أيمن بن المسعود أحد أمراءه ووصل
الى العزيز فساعد الأثير سامة على قصده ، ثم وصل الى العزيز أيضاً القاضي عبيد الدين أبو
حامد محمد بن عبد الله بن أبي منصور فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية وضم إليه النظر في
الأوقاف ، وحرره القاضي^(١) أيضاً وقال له : أنت لا تسلم يوم القيامة — يعني من الحساب

(١) طبعه مصححو النجوم الرابعة ٦ : ٦٢٢ ، شرف الدين عبد الله بن أبي منصور ، بدلالة إدخاله

في فهرست عم مولد سنة ١١١٠ ، والتصحيح أنه ابنه لأن شرف الدين كان قد تولى سنة ١١٠٥ .

والغضب - وبلغ الأفضل ما قال سامية وعبي الدين ابن أبي عمرون للعزير فأقنع مما كان عليه
وتاب ونعم على تفریطه وعاش العلاء والصلحاء ونزع يكتب مصحفاً بخله وليس الخشن من
التياب واتخذ لنفسه مسجداً يخلفه ببداوة رتبة وواطىء على السيام وبالغ في التقشف حتى
صار يصوم النهار ويقوم الليل .

وأما العزير فإنه قطع خبز الفقيه الكلال الكردى من موعر ، فأفسده الكلال عليه جماعته
وخرج الى العرب فجمع ونهب الاسكندرية ، فسار اليه العسكر فلم يظفروا به ، وقطع العزير أيضاً
خبز جماعة من الأمراء والفقهاء ، فتركوه الى دمشق والتجؤوا الى الأفضل فأقطعهم إقطاعات ،
وتجدد الخلاف بين العزير والأفضل ، وفي سنة ٥٩٦ هـ عزم العزير على السير الى دمشق
والاستيلاء عليها ، فاستشار الأفضل أصحابه فيما يجب أن يفعله ، فتمم من أشار عليه بمكاتبة أخيه
العزير واسترضائه . وأشار الوزير ضياء الدين نصر الله الأثير عليه بأن يقتصر بعهه المسائل
ويقتصر بقوته ويستتجده على أخيه . فأصلى اليه الأفضل وخرج من دمشق في ربيع عشر
جمادى الأولى وسار جريئة الى عمه العادل فقبه بصفتين ، فلما نزل أطف الأفضل في السؤال
له أن يترك عنده بدمشق الجيوش من أخيه العزير ، فأجابته وأزله بقلمة جبر ثم سار الى دمشق
أول جمادى الآخرة فوصل إليها في ناسه . وكان قد دخل الأفضل حلب على البرية مستصرخاً
أعد الملك الظاهر غازياً ، فلقاه وحلف له على المساعدة . وقيل إنه لما اجتاز بحلب انفق مع أخيه
الظاهر غازي وتحالفاً ، ثم رحل عنها الى حماة فلقاه ابن عمه الملك النصور محمد بن الظفر وحلف
له على المساعدة ، ثم سار عنه الى دمشق فدخلها في ثالث عشر جمادى الآخرة وبها العادل ،
فأفضى اليه بأمراره وعلم العادل اختلال احوال الأفضل وسوء تديره وفتح سيرته فأخبر عنه
ونهاه فلم يسمع ، وأشار عليه بزل ضياء الدين ابن الأثير عن الوزارة وقال له : هذا يخرّب بيتك ،
فسار لا يلتفت إليه ، فشق عليه ، ثم إن العادل - بل الظاهر غازياً في شيء ، فلم يجبه اليه ، فغضب
لكذلك العادل وانفرد عنهم .

وكان الملك الأفضل مع اختلافه في الرأي مع عمه العادل يبلغ في إكرامه وإزاحة علته

حتى ترك له سنجقه و صار ركب في خدمته . و ضاق صدر أخيه الظاهر فآزى بهذه الحبال ،
و كان الظاهر قد تفر منه جماعة من اللوك و الأعمراء و من هم في طاعته ، منهم صاحب حاة تلك
النصور ، و صاحب دارين عز الدين بن القدم ، فراسلوا الملك العادل في الاعتصام به ، و كان من
جماعتهم بدر الدين خلجوم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب « تل بشر » فاعتقله الظاهر هو و بني
عنه و طلب منه تسليم حصنه ، فشفع العادل فيهم و كفل بأن يكفل أذانهم و استصحبهم الى دمشق
فطلب منه الظاهر الوفاء بكفالاته فتمسك عليه ردهم ، و تيسر له و ردهم ، فغضب الظاهر لذلك
و راسل العزيز يحثه على الإسراع في القدوم ، فأقبل العزيز و ضم بالفرار .

و شرع العادل في تدير أمور الأفضل و كاتب الأعمراء الأسيديّة من أصحاب العزيز مراً
بخدمته على تركه و الانقطاع الى حزب الأفضل و استألفهم و وعدهم الأموال و الاقطاعات الصلاحية ،
و كان الأعمراء الصلاحيون قد وقع بينهم و بين الأعمراء الأسيديين تناقض الصلاحية على
الاسديّة ، و كان الملك العزيز قد قدم الصلاحية محالباك أبيه على الاسديّة محالباك معه أسد الدين
شيركوه و حواشي الأكراد ثم دس العادل الأموال الى الاسديّة و كان مقدم الاسديّة و أمير
أسماء الأكراد حسان الدين أبو الهيثماء السعدي ، و كان العزيز قد عزله عن ولاية القدس ، فاجتمعت
الأكراد اليه و راسل العادل الملك العزيز يخوفه من الاسديّة ، و يعرفه ما انطلت عليه قلوبهم
من الخلل إتماماً للحيلة ، فكانوا إذا اتهم هم فورا في وجهه التبرير عليهم ، فرغبوا عنه و احتسبوا
للاكراد موافقتهم في الانصراف عنه . و دارت الأكراد حول أبي الهيثماء السعدي كما قدما
ذكره و قالوا له : لا نأمن عليك من الناصرية . فأرموا أمرهم و هجروا رحيلهم ، فرحل أبو الهيثماء
و الهراية و الاسديّة عشية الاثنين رابع شوال من السنة ، و معه « أركش » و قصدوا دمشق
و حلقتوا بالملك العادل و هم في أمة الحرب ، ففسر بهم لانهم معظم الجيش ، فأصبح العزيز فلم ير
في الخيام من الاسديّة أحداً ، و قيل : بل علم العزيز برحيلهم فأبلى بانصرافهم و قال « صفونا نحن
أكبادهم » و لم يضر أصحابه و أتباعهم و ردهم ، و بقي في خواصه مقبلاً في تلك الليلة ثم رحل عائداً
الى مصر ، فجاء رسول أبي الهيثماء السعدي الى العادل يعلمه برحيل العزيز خائفاً و يسدعوه الى

التقدم ليأخذوا العزيز ويأخذوه ويتسلموا ملك النصار المصرية ، وكان الأسدية يكرهون العادل وإنما دعيتهم الضرورة إلى اتباعه . واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل على انتزاع مصر من العزيز ، على أن يكون للعادل الثلث والأفضل الثلثان ، ورجلا من دمشق في جنودهما وخرج معها الملك المنصور صاحب حماة وعز الدين بن القدم وسابق الدين عثمان بن القاية صاحب شبرذ وأنضم إليهم عز الدين جريدك التوري نائب القدس ، وأعيد أبوالمجداء السمين إلى النيابة القدس . وأما الملك العزيز فإنه سار على طريق الحجون والزفة وغاب عن الأسدية الذين بقوا بالقاهرة أن يفعلوا فعل إخوانهم فبعثوه من دخول القاهرة ، وكان مقدمهم الأمير بهاء الدين قراقوش ثانياً منه في المياد المصرية فلم يتخير ، وأقام على الطاعة والصفا والمودة ، ودخل العزيز القاهرة واستقر في سلطنة مصر ، وثا وصل العادل والأفضل ومن معها إلى تل العجول خلع الأفضل على جميع الأسدية ، وعلى الأكراد الأفضلية وأعطاهم الصنوج المعروفة باسم السكوسات وساروا حتى نزلوا بلبس ، وجها جموع من الصلاحية والعزيزية ومقدم الصلاحية نخر الدين جهاركس ، والأمير هكندري بن علي الحبيدي على طائفة الأكراد ، فنازلهم جيش العادل وجيش الأفضل ، واشتد الحصار على بلبس حتى كادت تزحف وضاق العزيز بالقاهرة وقتل الأموال عنده . وكان هيباً إلى الزعية لما فيه من حسن السيرة وكثرة الكرم والرفق ، واحتاج إلى استخدام الرجال فلم يجد مالا فيفضل له الاقتناء جملة أموال فلم يقبلها .

وتوقف الملك العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز صواباً ، وظهرت منه قرأتين تدل على أنه لا يباشر سلطة الأفضل على سلطنة العزيز فأرسل إلى العزيز يطلب منه أمث بيعت القاضي الفاضل ، وكان الفاضل قد نزع عن ملازمة الدولة ومخالطة أهلها وانحرف في داره لما رأى من اختلال الأحوال ، فأرسل إليه العزيز يسأله السعي في الأمر فأبى وامتنع ، فاضرع إليه العزيز وأقسم عليه ، فخرج حينئذ إلى العادل ، فاحترمه العادل وأكرمه وتحدثت منه في الأمر وعاد إلى العزيز وتحدثت معه فيه . فأرسل العزيز ابنه الصغيرين مع مملوك له رسالة ظاهرة إلى العادل مضمونها « البلاد بلادك وأنت السلطان ونحن رعيتك ، لا نقابلوا المسلمين ولا تسفكوا

وعدم وقد أغضت ولدي يكونان تحت كنفلة من العادل ، وأنا أنزل لكم عن البلاد وأدعي
الى القرب . وكان ذلك بمشهد من الأحرار ، فرق العادل له وبسكى المانصر وبى وقال العادل
متأثراً « معاذ الله ، وصل الأمر الى هذا الحد ! » .

وكان العادل قد قرّر مع الثاني الناضل رد غزير^(١) الأسديّة والأكراد وبقطاعهم
وأملأهم وأن ينج العادل بمصر عند العزيز ليقرّر قواعد ملكة وأن يعطى الأفضل والعزير ،
وأن يبقى أبو الهيجاء على ولاية القدس ، ثم قال العادل للأفضل . « الصلحة أن تعضي الى
أخيك العزيز وتصلحه ، ما عذرنا عند الله وعند الناس إذا فعلنا ما لا يلبق ؟ » فظهم
الأفضل أن العادل قدم على بيته ورجع عنها ، وأنه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه لكنه لم
يمكنه إذ ذلك الكلام ومعضى الى أخيه العزيز فاسطحا ، وخرج العزيز من القاهرة الى بليس
فالتقاء مع العادل وأخوه الأفضل ووقع الصلح .

ثم دخل العزيز والعادل والأسديّة الى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة من السنة وأرسل
العزيز مع العادل في القصر وأخذ العادل في اسلاح أمور مصر والنظر في شياها وديانها وأظهر
من محبة العزيز شيئاً زائداً ، وصار اليه الأحرار والنهي والحكم والتصرف في سائر أمور الدولة
جليلاً وحقيقياً .

وسلطن العادل ابن أخيه العزيز ومشي بين يديه بالناشية وهي سرج من أديم حرور الذهب
بخالها المناظر مصنوعة كلها من الذهب تحمل بين يدي السلطان في الاحتفالات . ولو أراد العادل
مصر هذه المرة لأخذها وأمسك كان قصده الإصلاح بين الإخوة . ونبط العادل أمور محكمة
مصر وغير الاقطاعات ودفع الارتفاعات أي الواردات ونظم الأموال وقرب الى العزيز عز الدين
سامة فصار صاحب سره وحاجبه .

ورحل الأفضل يريد الشام ومعه أبو الهيجاء الصدين فوصل إليها في أول سنة ٥٩٤ هـ وصار

(١) في النجوم الزاهرة : ٦٠ : ٦٣٤ هـ طيبة القاهرة ، رد غير الأسديّة . . والصلح العادل
والزهاب إذ ذلك « المبرز » والجم « الألباز » .

الساحل جميعه مع الأفضل وفي حكمه ، وزم هو العبادة وأقبل على الزهد ، وسارت أمور الدولة بأمرها مفضولة الى وزيره ضياء الدين بن الأثير فاختلست به الأحوال فإيه الاختلال وقبعت أفعاله وكثر شاكره . ولم ينتفع بالتجارب .

ثم حدث اختلاف ثالث بين العزيز والأفضل وهو أنه لما عاد الأفضل الى دمشق لزياد وزيره ضياء الدين الجزيري من الأفعال القبيحة كما ذكرنا وأذى الأكارم من الدولة ويلي الناس منه بلايا والأفضل في غفلة عن تلك القضايا ، ونفر منه الهاد الأصفهاني فرآه في مصر ، وكان الأفضل يقبل منه ولا يخالفه ولا يعدي أحداً عليه فكتب قبيز النجفي وأعيان الدولة الى العادل يشكونه ، فواصل العادل الى الأفضل يقول له : « ارفع يد هذا الأحمق السيئ التدبير ، القليل التوفيق » فلم يلتفت الى قول عمه ، فاتفق العادل وابن أخيه العزيز على السير الى الشام لازالة الوزير ضياء الدين بن الأثير من الوزارة وتدبير حكم الشام ووقع الرحيل من بركة الحب كان شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٢ بعد أن لم يسكن العزيز يريد السفر ، ولكن عمه أشار عليه بأن يوافقه على السير ويرافقه فيه ، فرآه عين التدبير وكان معها جميع الاسدية والمالكيك .

ووصل العادل والعزيز الى الماروم^(١) وأمر العادل بإخراجه حصنها قسم بين الجاندارية والأحرار ، فسق على الناس إخراجه لما كان به من الرفق لتساقيرين وانتهى الملكان الى دمشق . وكان الملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين قدم رسولاً من حلب الى أخيه العزيز من قبل أخيه الظاهر غازي لتسكين هذا الزهج الحائر ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي بهاء الدين يوسف ابن شهاب ثم انصرفوا من مصر بما طلبوا فمروا بدمشق فأعلموا الملك الأفضل بما أبرم من الأمر ، فضايق صدره وعال فكره واستشار أصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بأن يستقبل عمه وأخاه ويسلم لها حكمها وأشار عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير وأصحابه بالتصميم على المخالفة ، وترك الجملة والملاطفة ، ثم دخل عليه أخوه الملك الظاهر خضرم ، فشججه وصبره وتولى أسباب الدفاع ،

(١) في معجم البلدان أن الماروم قلعة بعد غزة المقام الى مصر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة

٥٨١ . والجريل على أنها عمرة ثم أحرق حصنها .

ثم حلقوا الأعراء والقديسين ، وأعدوا مواضع الدفاع ورتبوا رجالاً حولي دمشق يتناوبون حراستها
بكرة وأسيلا ، وتفريق الأعراء على الأسوار والأبراج وجاءت رسل الملك الظاهر لاطهار مظاهرة
الأفضل ، ونذب الأفضل فلك الدين أخا العادل إليه منه رسولا فوصل فلك الدين إلى العسكر
العززي بالداروم وحرزة فلم يلق عند العزيز غير الآباء والامتناع ، بقي فلك الدين هناك ألبما
لإصلاح ذات البين ، ولأنك أنهم اشتروا على الأفضل شروعا وأعدوا الرسول إلى صاحبه ،
وأقلوا ينظرون الجواب ، فجاء من أنبأهم بانتعج الأفضل من الإجابة إلى ما اشتروا .

ولما رأى الأكاكير وشيوخ الدولة أن الأفضل لا يسمع من رأيهم وأنه عزم على المحاربة ولا
يعدل عن رأي وزيره ضياء الدين بن الأثير مع ما قد عرفه وأثقه من شؤم تدييره شرعوا في
إصلاح أمورهم في الباطن ، فراسلوا العادل والعزيز ، واستظهر كل لنفسه ، وانفق العادل مع
عز الدين بن الحمصي على فتح الباب الشرقي من دمشق وكان مسلما إليه ، فلما كان يوم الأربعاء
السادس والعشرين من رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب الشرقي ففتحه ابن الحمصي
فدخلوا دمشق من غير قتال وقال العماد الأسفهانى الكاتب : « فكتب الأولياء من البلد إلى العزيز
والعادل بالتهاز الفرصة فركبوا وأنهبوا يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فاصدمهم من
قصد البلد أحد ، وما كان في طريقهم إلا ذلك الظاهر ومعه عسكر حلب فقاتل على طن قتل
الجماعة ، وما عنده فلم يبق ديروه من الخامرة ، فعدوا ولم يسكتوا ، ووصل العزيز إلى اليبان
الأخضر ووصل العادل إلى باب توما وكان الأمير الأمين به قد استنهض إليه بكتبه ، ففتحه به
فدخل العادل وأصحابه من باب توما والباب الشرقي ، وبات العادل في الدار الأسدية ، ودخل
العزيز من باب الفرج وبات في دار عمه الحسبية » وقال ابن تترى يردى : « فزّل العزيز دار
عمه ست الشام وزّل العادل دار العقيقي ، وزّل الأفضل إليها وهما بدار العقيقي فدخل عليها
ويكى يكاه شديدا ، فأمره العزيز بالانتقال من دمشق إلى آمدخند ، فأخرج وزيره ضياء الدين
ابن الأثير واليسل في حملة الصناديق خوفا عليه من القتل ، فأخذ ضياء الدين أموالا عظيمة
ومهرب إلى بلاده » . وقال العماد الأسفهانى « وخرج الأفضل إلى العزيز واقعه ، ونجرح من

هم زوال ملكة مأسفته ، فلما ملك العزيز دمشق أقام بالبيسان الأخضر الكبير إلى أن انتقل
الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه ، وأخرج وزيره الجزري غنياً في سنادقة ، وإشفاقاً عليه من
قتله وتحرقه ، وتحوّل الأفضل تلك الأيام إلى مسجد خاتون ومايجاوره ، ومنه وزيره يهرب
ليلاً إلى بلاده وقد أثار فيها أموالاً دمشق وأعمالها ثلاث سنين .

وقال القرزي : « فلما أخذ العادل والعزيز دمشق نزل الأفضل من القلعة إليها فاستحبها
العادل منه . لأنه (هو) الذي حمل العزيز على ذلك ليوطي . نفسه ، كما يأتي ، وأمره أن يعود إلى
القلعة فلم يزل بها أربعة أيام حتى بعث إليه العزيز أريك أنطوس أمير جاندار وصارم الدين
خطيب أستاذ الدار ، فأخرجاه وأخرجاه عيانه وقيام آية وأنزل في مكان ، وأوفى ما كان عليه من
دين وما للحوائثي من الجراميك ، فبلغ ذلك نيفاً وعشرين ألف دينار ، فبيع بركة ^(١) وجهه
ورفاه وكفيه ومعالجته وسائر ماله ، فلم توف بما عليه ، وقسم عليه أخوه ومنه لسوء حظه ، ثم
بعث إليه مع العادل بأمره أن يسير إلى صرخند فلم يجد عنده من يسيره بأهله حتى بعث إليه
جمال الدين محاسن عشرة أوصوله إلى صرخند ، وأخذت من الملك الظافر مظفر الدين خضر
« بُصرى » وأعطيت للملك العادل ، وأمر الظافر أن يسير إلى حلب فلحق بأخيه الظاهر . وفي
هذه الحادثة يقول ابن خلدون في ترجمة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين « وللأفضل شعر في
التسويد أنه كتب إلى الامام الناصر يشكو من مع العادل وأخيه العزيز لما أخذاه من دمشق :
مولاي إن أبا بكر وصاحبه ^(٢) ...

وهي آيات وأدلت عليه ووثق جوابها على الخليفة الناصر لدين الله ، قال أبو الظفر سبط ابن
الجزري : « وما يرمى إليه من الشعر أنه كتب إلى الخليفة لما أخرج من دمشق وانفق عليه
العادل والعزيز : مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... ويظني أنه كان ينكر هذا الشعر أنه له ^(٣) .

(١) البراك : الفلاح الناصر من تيبب وطاق .

(٢) تراجم الآيات في الوقاية ١ : ٨ - ٤ من طبعة بلاد المجر .

(٣) المرأة : المصراع ٨ من ٦٣٨ من طبعة سير أجداد الكنى .

قال القرظي : ويقال إن العادل كان قد قرّر مع الملك العزيز وهو بالقاهرة أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل إلى مصر نائباً عن العزيز ، فلما ملك العزيز دمشق وأخرج أخاه الأفضل منها انكشفت مستورات مكابده معه فندم على ما قرّره معه وبث إلى أخيه الأفضل سراً يستذره إليه ويقول له : لا تنزل عن ملك دمشق ، فظنّ الأفضل هذا من أخيه خديعة وأعلم العادل به فقامت قياسته وهرب العزيز وأتبه ، فأبكر أن يكون صدر منه هماً وحقق على أخيه الأفضل وأخرجه إلى مصر خذ على أجمع صورة . واختفى الوزير ضياء الدين الجزري خوفاً من القتل ثم لحق بالوصل^(١) .

وبما قسمنا من أخبار مفصلة يظهر أن نصر الله بن الأثير كان عظيم السياسة ، متنبهاً خالياً من الحكمة ، وأنه أفسد على حدوده الملك الأفضل ملكه واحتجج أسوأها وهرب بها إلى الوصل ، ومن هنا يظهر نوع من نفسية الكتاب الذين إذا تولوا أمراً من أمور الدولة وشأناً من شؤونها ، فعلوا الأفاعيل السكرة ، هماً وإن أعظم أسباب انحراف العادل عن ابن أخيه الأفضل هو إفراره لابن الأثير على الوزارة مع شدة رغبة العادل وأكثر الأسماء في مزاجها ، وإنما كان العادل يفضى نصر الله بن الأثير لفساد رأيه وشدة قلعه في أمرائه ، فمن ذلك كتاب كتبه عن الأفضل إلى عمه العادل وفيه يظهر أسلوبه الجليل ، ونصه :

« ندمت على أمر مضي لم يُبصر به ، نصبح ولم يجمع قواه نظمتم

ربه وثوق بقود إلى التدم ، وتودد يدهو إلى التهم ، وقد بدل العلم على صاحبه ، ويطلع في جانبه ، ولولا ذلك لما استلين عودي فُصِّح ، واستصنفت ركبي فهدم ، ولا اشكو ما اشكوه إلا إلى عمي ، وصنو أبي الذي نفره ، وهو الذي قلب فؤادي على وزي ، وعلني التظلم من الأيام ، وأرأني ضوء النهار بين الاضلام ، ولقد أضع في إحسانه ، وخالف في قطع رحى

(١) راجع في جميع هذه الأخبار « الروضتين » ٢ : ٢٢٥ — ٢٣١ ، « السلوك » ١ : ١١٦ —

١٣٥ ، « النجوم الزاهرة » ١ : ١٦٠ — ١٦٥ ، « الركا » ١ : ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، « ولم تقل من السكالك لغز الدين بن الأثير لأنه ملوى » ذكر أخيه نصر الله نصيباً له مع أنه رأس الفتنة .

سنة الله وكتابه ، وجعل أبي منه كيوم البعث انني يتذكر الناس في انسابه واسمايه . هذا
وقد علم اني اخذته ابا ارجو برء ، ومولى اطلع امره ، وكنت له كفتاة لا يطبخ لها منهم ،
ولا يؤسي منها كلام ، ولم ازل سامعياً في تقديم اوده ، وإعلاء كلمته ، وابتغى بي الجدة في
ذلك الى اني شاققت بي ابي لمواسلته ، ولا يحتمهم لمساملته ، وشققت في توحني لإشاره عصام ،
وجعلت اذناهم الى انقسام ، حتى أصبحت من إغاثهم عمرياً ، وكنت نعيمياً فصرت بكرياً ، هذا
ولم يزل يحسنني منه النصح ذوق المرائر ، وأولو الأوبار والبصائر ، ويقولون : هذا
يخضعك بكريه ، ويحملك حباً لشبكة سيده ، فاخصت لا قولهم سمعاً ، ولا وجدت لها مني موقفاً
ولا وقفاً ، بل مضيت على ما أنا عليه من شدّ يدي بهالاته ، وعقد قلبي على والائيه ، وقلت :
هذا الضد وهما الساعد ، وهذا العم الذي إذا مضى الرائد فهو الرائد ، وقد بدأت بالأحسان
الذي أظن أنه أهله ، وليس جزاؤه عند الأحرار مثله ، ولم أعلم أنه خير بواديه ، ونصب لي
أشراك عواديه ، فليشد ما يبدؤة الرحم خلفه ظهرياً ، واتخذ العهد الذي في عنقه شيئاً قريباً ،
واقرب ما كان يظهره من طيب الأحوال ، الى ما كان يضمره من خبيث الأفعال ، فقلت منه
ما لقي جبر أم حامر ، وكافاني مكافأة النجاج للماثر ، وأنا راج أن يقانه إحساني الذي كفره
وما شكره ، ونسبه متمسداً وما ذكره ، فإن الاحسان جنوداً ترمي في قبر سهام ،
وتقاتل في كل معترك بحسام ، وتؤيد بالنصر في كل مقام ، ومن شأنها أنها تناضل ولا يشعر
بضالها ، وتسري فتحول بين الغلظة وآملها ، فكيف كنت من يد قبضت على سيفها ، ودعت الى
حقيها ، وما أمسكت يد جود ، وثمان جحود ، إلا غدا صاحبها صريعاً ، ولم يجد له من دون
الله نبيماً ، فيبينني له أن تراجع نظره فيما أتله ، وأن يحضن قول موسى لفضاه ، ولا يكن ممن اطمان
الى مسألة زمانه ، وأمراد أمر سلطانه ، قلبها الأيام التي ما سالت الأعراب ، ولا وصلت
إلا جانب ، ولا تأتي هومها إلا من جهة أفراسها ، كما لا تأتي ظلمة ليلها إلا من مطلع صباحها ،
واعلاناً أمجرت قدراً ، وزعمت سريراً ، وأذهبت نعيها وملسكاً كبيراً ، وعاداً وثمود وأصحاب
الرس وقرونناً بين ذلك كثيراً ، فإن كان يُعبد العهد بهيولاً ، أنشاء الاعتبار ، وأوجب له

الافتقار فليظن اني ما رآه عياناً ، وكان له سلطاناً ، وهو أخوه الذي حفتت في الأفق ذؤابة
 عليه ، واحتياجات الدول لا امر سبقه وقته ، وكان أثبت منه ملكاً ، وأوسع بلاداً ، وأكثر
 أموالاً وأولاداً ، قشت الأيام على دولته منعت آثارها ، واحتفت أخبارها . هذا ولم يزل يجول
 قلوب الناس على الحسى ، ويفرس فيها ما يرجو منه طيب الجنى ، وقد رأيت ما فعلوه بشيه
 وما بالهد من قدم ، وما بالقوم عن ذلك الاحسان عنى ولا سمع ، فكيف ترجو أنت مع الاسائة
 أن يستسكوا بسبك ، أو يحسنوا الخلافة عنك في عليك ، هيئات تلك أما في النفس اللائنة ،
 ودواعي الهوى اللائنة ، وأنا أضلُّك أن تكون من تولى فقطع رحمة ، وخقر ذممة ، قل كل
 دنيا ستصرم ، وكل من حكم عليه ظمناً سيحتج . « والذين أصابهم البئس هم يتسرون » .
 وقد بلغني أنه يتوعدني بشكره ، ويقود على أحناء صدره ، وأنه تال على الله ليأخذني على يدي ،
 وليبسن بيدي ، ويوشك أنه أخذ من الله مؤثماً بالظلود ، وتابته الافتقار على اقتسار
 الحدود ، ومع اليوم وقد ، وما من يد إلا والله فوقها يد ، وكتم بنى في هذه الارض من باغ
 ففوجي ، بالتدفيع والتدمير ، وحالت الأيام بينه وبين ما يندره من اللذات « وكان من قرية
 أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها واليها الصغير » ولئن هزمتي منه هذه النبوة التي طاشت لها
 الاحلام ، وزلزلت فيها الاقدام ، قاخف لها الآن جولي ، ولا تصرفت فيها بحولي ولا بحيل ،
 لسكني قدم مدت الجول معه الى آخره ، وارثيت ما تصير اليه عنى مصاره ، وأنا أذعوه الى
 كافة سواء بيني وبينه أن بيني أهدنا على صاحبه ، ولا ينهب غير مناخبه .

فان تدعي للشر أسرع وإن تُهب يصلحي فقد أثبتت للمصلح موضعاً

ويص على أن أهدد شجرة أنا من أصلها ، أو أقفر دلاً أنا من أهلها ، فأكون في ذلك
 كمن قدى بهجته الدامية عن يده الزامية ، ولولا ذلك لا لثربها فتنة تخشى مراكبها ، وتحمز
 غواربها ، وتقيح عواقبها ، وتكون دغاناً ينشى الناس منه عذاب أليم ، ولا يتجو منه بر ولا أئيم
 ولا يرى ، ولا سقيم ، والسكني وضعت له جنتي ، وكففت عنه حربى ، وفارقت الاحداث وطلقتها
 ورثت الدعة وتعلقتها ، فلا يبعثني على مراجعة الحال المطلقة ، ولا يحلمني بعد سبيل العظامه

على السبل المتفرقة ، فقد أبيض المسطر أن يركب كل محذور محذور ، ويستخلص حقه بالحق والزور ، ويدفع علامته بما وجد من السبل وهو معذور ، وإذا أخرج الخليم خرج من شبهه ، وانقضت النار من وارق تسليحه ، فلا يظن أن قد حي لباريه ، ولا ليلي لباريه ، وقد طالبا نبي عزيم فوجد نفاذاً في الأسماء ، طلائعاً للأبطال ، فما قدح إلا أسرج ، ولا كوى^(١) إلا أنضح ، ولا جهز بشئاً من بيوته إلا غنيت آراؤه عن جنود شهته ، أو عصفت سيوف من رؤوس ركده ، وفكك العزم باق لم بين ولم بين ، ومن استطارت ناره دلائل الاخطار ، وسبقت الحذار ، وقلت القلوب والأبصار ، والتجربة تنصحك^(٢) أن توفظ شراً قد استفاد مكانه ومناحه ، وكره الله والناس أن اعتماد أيمه . فإن ذلك السيف في يد القاتل ، وربما زاد الأجل على ما تقدم من العاجل والسلام^(٣) .

وبمثل هذا الكتاب اللآلئ من السباب ، المشهور بزخرف القول آتب نصر الله بن الأثير الناس على ذلك الأفضل وخصوصاً منه ، فإن مثل هذا الكلام لا يخاطب به رجل كان العبد الأيمن للدولة الأيوبية والسيف الحسام اصلاح الدين الأيوبي ، الذي خاض الحروب وكابده الكروب في المارك الإسلامية والوقائع الصليبية ، حتى شاب فيها ، ولست الأعمال تسطيع السطور ، ولا تهوبلاً بأعاني الزور كافي هذا الكتاب .

أجل هرب نصر الله بن الأثير بالأموال التي احتجتها من مملكة الأفضل الى الموصل ، ولا توصل الأفضل الى الاناكية أي الرضاية التبروية على ذلك التصور محمد ابن العزيز عثمان بمصر بعد وفاة العزيز سنة ٥٩٥ بتليل التتحي به نصر الله بن الأثير وقيل : بل صار اليه قبل ذلك وصحبه الى مصر . وينقض هذا القول ما ذكره هو في المثل السائر ٥ ص ١٠٧ من أنه كتب الى الأفضل سنة ٥٩٥ كتاباً يهينه فيه بملك مصر ، ولفقه شؤمه أيضاً فإن الملك العادل الذي ناله من

(١) ليه قال ٥ وما شوى لا أنضح ٥ فلما السكي يستعمل معه ٥ الاحراق ٥ .

(٢) أي تنصحه .

(٣) الجزء الثاني من رسائل حياة الدين بن الأثير ٥ نسخة الجامعة الأمريكية بيروت P ٩٢ T. A .

W. S. ٨٩٢ . ٧٦ ص ٣٩ — ٤٧ .

قوارص ابن الأثير ما ناله انترج مصر من الملك الأفضل لاستحكام العداوة بينها ، وعرضها
بلاداً من بلدان الجزيرة ، ولم يبق بيده منها إلا صيماط^(١٦) . وكيف جرد على كتب هذا الكتاب
من كل يشتر إلى عمه بمثل قوله في كتاب آخر يستعطفه وينصل إليه : « من شعبة الأندلس أن
تذهب بصفات ذوي الأثباب ، وبمثل لحم الخيط في مثال الصواب ، ولولا ذلك لما زال الحكيم ،
واعوج السقيم . والفوك تهل اليد الكريمة التولية الملكية العارضية لا زال عمرها مأمولاً ،
واحسانها عند الله مقبولاً ، وفعلها في السمك متبهدماً ، إذا كان فعل الأيدي مقبولاً ،
وتستغث إلى صفوها ، التي يكفي فيه لفظة الاعتذار ، ولا ينفد عواطف الأخصار ، ولو عرف حذبه
يأبى لقرح له سن الندامة ، وعاد على نفسه باللامعة ، ولما كان عجيباً أن يكون مليحاً ، وأن يكون
مولانا كريماً ، ولكنه حل بسرة الذهب وهو يرى من حلها ، وخاف أن تكون هذه كأخواتها
التي سلفت من قبلها ، والأموال للتشابهة بقاس البعض منها على البعض ، والتسرع لا يستطيع
أن يرى بحر جبل على الأرض ، ولم يجزم للملك الآن جريمة مسدوى أن فر إلى الاعتصام ،
وأثنى بيده إلى أرقام لم يكونوا له بأرقام ، وإذا شاق على المرء أقربه كان الأبعد له من ذوي
الأرقام ، وليس بأول من ذهب هذا للذهب ، ولا بأول من حل نفسه على ركوب هذا الركب ،
وإن قال بعض الناس إنه جهل في اعتصامه وفراره وأنه لو صبر لحده منية اصطباره فهذا قول من
لم يعرف حال للملك فيقيم له عدواً ، ولا ابني بما ابطل به من قوارص مولانا مرة بعد أخرى ،
وانت تكلمت عليه هذه الأقوال المؤنية حتى ملأت طرفه كحل السماء ، وجنبه شوك الفتاد ،
وأصبح وهو يرى أنه زلق في خطيئته زلقاً ، ونصرت جنومه من أجلها شرفاً ، وبنت له سوانه
حتى طلق يخلص عليها ورفاء ، ومع هذا فانه واثق أن حلم مولانا لا يؤتى من الزلل ، وأن حصاة
الذنوب لا تلغ يوزن ذلك الجبل ، وما هو قصد جاء نازحاً وللتنازع العتي ، وعاد مستشفعاً
ولا شليح أكرم من القربى^(١٧) ... »

(١٦) مدينة كانت على شاطئ القرات في طرف بلاد الروم التي تركية المدينة غربي القرات ولما قصة في
شي منها يسكنها الأرمن قال بلوت : « والسكنيا في هذا الزمن الملك الأفضل علي ابن الملك الناصر يوسف
ابن أيوب صلاح الدين » .

(١٧) الكحل السائر ، ص ٥٧ = دبعة العظيمة الجبهة بمصر سنة ١٢١٢ .

وخرج الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين من مصر ولم يخرج نصر الله بن
 الأثير في خدمته لأنه غاب على نفسه من جماعة كانوا يريدون القدح به ، فخرج منها مستتراً ،
 وله في كيفية خروجه مستتراً رسالة طوية شرح فيها حاله وهي في ديوان رسالته ، وغاب عن
 خدمته الأفضل رهة قصيرة ولما استقر الأفضل في ميساط عاد نصر الله إلى خدمته وأقام عنده
 مدة ثم طرده في ذي القعدة سنة ٦١٧ هـ واتصل بخدمته أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فلم
 يطل مقامه عنده ولا انتقام أمره ، وخرج من حلب مقاصداً وعاد إلى بلد الوصل فلم يستقم حاله
 فيها ، فذهب إلى إربل فدخلها في شهر ربيع الأول سنة ٦١١ هـ فلم يجد فيها منى ، فصارف
 إلى سنجار فلم يجد بها قراراً ثم عاد إلى الوصل وسعم الأقامة فيها وسار كاتب الانشاء ، ملكها القاهر
 عز الدين مسعود الثاني وابنه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني بن
 نور الدين أرسلان شاه وأتابكته يومئذ بدر الدين لؤلؤ التوردي وذلك في سنة ٦١٨ هـ قال ابن
 خلكان : « وقد ترددت من إربل إلى الوصل أكثر من عشر مرات ونصر الله بن الأثير
 مقیم بها وكنت أود الاجتماع به ، فأخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد - رحمه الله تعالى - من
 الودة فلم يفتق لي ذلك ، ثم طرقت بلاد الشرق وانتقلت إلى الشام وأقت به مقدار عشر سنين ثم
 انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة ...
 وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وسبائة ببغداد وقد توجه إليها رسولاً من جهة
 صاحب الوصل ، وكسلي عليه من القدر بجامع القصر^(١) ودفن بمقابر قریش^(٢) في مشهد موسى
 ابن جعفر - سلام الله عليها - قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد :
 توفي نصر الله بن الأثير يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة . وهو
 أخير لأنه صاحب هذا الفن وصحاحهم » . وقيل القول الثاني جلال الدين محمد بن علي

(١) من بناء جامع سوق القزل الجديد القيد أهم المسجدين المباني بالعراق وكان جامع القصر يسمى أيضاً
 « جامع الخليفة » ثم سمر في العهد العثماني « جامع الخلفاء » وكان يصل فيه على جنازة كل كبير من أرباب
 الدولة والخلفاء والقضاة والفقهاء ، وهو تسمى بـ « مسجد موسى » ويصدر الأمر أو الأجازة من ديوان الخلفاء .
 (٢) أي السكاطية الحالية .

المعروف بابن الصابوني في كتابه المؤلف في الانساب المعروف بتكلمة إكمال السكال وقد قدمنا تقيماً عنه .

وقال مؤرخ آخر « دُفن في صحن مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام (١) - » . وجاء في ذيل الروضتين لأبي شامة أنه « توفي بالورقة من بغداد وهو مرسل إليها » هكذا جاء الاسم في نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٢ ورقة ١٨٦ والنسخة المطبوعة على يد هزرت المطابع الحسيني وهي مشوهة « ص ١٦٩ » ولعل الأصل « الورقة » وكانت على دجلة فوق بغداد . وقد جاء في المثل السائر كتب مؤلفه كتبها عن الملك الأفضل تغيد في تعيين مواضع من سيرته السياسية ففي « ص ٤٦ » يقول : « ومن ذلك ما كتبه عن الملك الأفضل علي بن يوسف آل الديوان العزيز التتوي ببغداد ... »

وفي « ص ٤٧ » منه يقول : « ومن ذلك ما كتبه عنه الـ مع الملك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استنطاقه والتوصل إليه . » وقد قلناه من قبل ، وقال « ص ٢٦٦ » : « وأما ما أُثبت فيه بالحسن من العاني ولكنه غير متفرغ فمن ذلك مطلع كتاب كتبه عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الوصل إلى الملك الأفضل علي بن يوسف يتضمن ترجمته ونهشته ، أما الترجمة فبوقعة أخيه الملك العزيز علي صاحب مصر ، وأما النهضة فبوقعة الملك من بعده ... »

أوصاف المؤرخين ومؤرديهم

قال جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المعروف بابن الصابوني في الاستدراك على مؤلف إكمال السكال : « وذكر في باب الأئمة جماعة منهم الأخوان القائلان أبو السماعات المبارك وأبو الحسن علي ابنا محمد بن عبد الكريم الجزري وأعفل ذكر أخيها الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله فإنه كان فريداً دهره ، ووجه مصره ، في صناعة الكتابة والانشاء وله التصانيف البديعة

(١) التاريخ الذي حمله « الموائد الجليلة ص ١٣٦ » .

والرسائل الصنيعة ، ختم به هذا الشأن ، وسار ذكره في جميع الاقطار والبلدان ... وأجاز لي
سموعه ومشوره ومنظومه ^(١) .

وقال باقوت الحلوي في « جزيرة ابن عمر » وقد نقلنا قوله آنفاً من معجم البلدان :
« ويرو الأثير العشاء والأدباء وهم مجسد الدين البرك وضياء الدين نصر الله وعز الدين
أبو الحسن علي ... كل منهم إمام ، مات مجد الدين والآخرون حيان في سنة ٦٣٦ » .
وقال زكي الدين النذري : « وفي إحدى الجاهدين توفي القاضي ^(٢) الاجل الفاضل أبو
الفتح نصر الله بن محمد ... اشتهر بالضياء المعروف بابن الأثير ببغداد وله تصانيف مشهورة في
النظم والنثر منها التل السائر في أدب السكاك والشاعر وغير ذلك ^(٣) ... » .

وقال ابن خلكان : « والضياء الدين من التصانيف الفالة على غزارة فضله وتحقيق نيته
كتصانيفه الذي سماه (التل السائر في أدب السكاك الشاعر » وهو في مجلدين جمع فيه قلوبى
ولم يترك شيئاً يتعلق بفن السكك إلا ذكره ... وله كل معنى ملبح في التردى وكان يعارض
القاضي الفاضل في رسائله فاذا أنشأ رسالة أنشأ مثله ، وكان يبتها مكاتبات ومحاورات ولم يكن
له في النظم شيء حسن ^(٤) ... » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث الذي وسماه بالحوادث الجارية « ص ١٣٦ » : « كان كاتباً علماً
فاشلاً مدقناً في علم السكك » مقتضراً على الانشاء ، ورد الي ببغداد مراراً في رسائل من يهدو
الدين الولو صاحب التوصل ... » .

(١) « تكملة اكلال السكاك ، نسخة الأوقاف ببغداد ٨٥٢ الورقة ٧٧ » .

(٢) اتقاد المصريون أن ينادوا اب « القاضي » على غير العادة من السكاك والفضلاء كالقاضي الفاضل
ومن ذلك تقيب النذري نصر الله بن الأثير بهذا لقب .

(٣) التكملة لوزيات الفقه « نسخة مكتبة البحرية بالاسكندرية ١٩٨٢ ج ٢ » ص ٢٥٥ .

(٤) لوزيات ٢ : ٢٨٧ - ٢٩١ « طبعة بلاد الشام ونقل أكثرها في لوزيات طبعة لبنان
اليوناني من قبل هيئة الزمان ج ١ ص ٦٤ » طبعة هيئة أباد الكمين .

وقال جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن الطبريزي في تاريخه «المسجد النبوي» :
« كان بارعاً في فنون الأدب ، كاتباً بليغاً وسدراً نبيلاً ، عالماً معتقداً في «علم الكتابة» ، مصدراً
على الالتقاء وكتابة الرسائل [رأساً] في العاني المحترمة واليه انتهى علم الكتابة في زمانه وبه حتم
فن البلاغة وله عدة تصانيف حسنة مفيدة وله رسائل مدونه ^(١) . »

(١) المسجد النبوي ، الورقة ١٤٣ ، من نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

سيرته الأدبية

ويبدو ، فقد مرَّ بك ابن الأثير ، عاش في عصر الحروب الصليبية ، عصر الفتن والحروب والفتائل وعصر التنازع بين الدولات الإسلامية ، ولم يكن الرجل يمزج من الحياة الصاخبة ، كان وزيراً مباشراً للسياسة والملك ، منتقلاً من بلد إلى بلد ومن أمير إلى أمير ، كسب لصالح الدين بعصر والشام ، ووزر لاجته الأفضل بالشام ، والتحق بصاحب حلب غازي ابن صلاح الدين ، والتحق بصاحب الموصل واتصل بأولي الأمر وأعدوا رسولاً في بغداد . وحياة قبل أن يتصل بصالح الدين ليست بذات خطر ، ولذلك لا تنكاد تجد المؤرخين يتحدثون عنها حيث يتحدثون عنه ، وليكنها تبدأ بعقله بصالح الدين ، وقد اتصل به بعد أن كتلت أدائه ونضج ؛ يقول ابن خلكان ^(١) وقد ذكرنا قوله من قبل « ولا كتلت لضيء الدين الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ... في شهر ربيع الأول سنة سبع ثمانين وخمسائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة ... » وإذا ما علمت أنه توفي سنة ٦٣٧ وأنه توفي وأعداً إلى بغداد ، وكان قد توجه إليها رسولاً من صاحب ^(٢) الموصل ، إذا ما علمت هذا رأيت أن ابن الأثير قضى خمسين عاماً ، بعد إكمال أدواته كما يقول ابن خلكان ، وكان حركة لانهياً في السياسة والعلم ؛ كان ينتقل في البلدان وأعداً على اللوك والأمراء ، وكان على معرفة بلغات عصره على ما يبدو لنا يقول : « وكنت سافرت إلى بلاد الروم في سنة ستائة ، فلما دخلت مدينة سلطية اخبرت عن خطيبها أن عنده أدباً ، وأنه يقول الشعر ، فقصت إقامه وألقيته كما

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥ طبعة مطبعة السعادة بصر سنة ١٩٤٩ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٩ .

(٣) الوصي للروم ص ٣٦ — ٣٤ ، طبعة تراث القرون سنة ١٩٦٤ .

أخبرت عنه ، وعرض عليّ فصيلاً من شعره ، وهي مائة بيت ؛ كل عشر من منها على لغة ، فكان متضمناً خمس لغات : العربية والفارسية والتركية والرومية والأدمنية ، فالجميع على وزن واحد ، وقافية واحدة ، إلا أنه كان في غير اللغة العربية أربع منه في اللغة العربية ، وهذا من أقرب ما شاهدته ... » وترى من هذا أن ابن الأثير كان — لايفناً يقصد أهل العلم ، ويتحدث إليهم ، وترى أنه عارف بهذه اللغات معرفة يستطيع أن يفرق فيها بين الجيد والردىء من الشعر ، حتى يرى شعر خطيب مطوية في غير العربية أحسن منه بالعربية ، وزراه في غير ما يمكن من كتبه يشير إلى معرفته باللغات وقراءته فيها ، يقول وهو يتحدث من الكتابة والتعريض : « في كتابه المثل السائر » وادم^(١) أن هذين القسمين من الكتابة والتعريض ، قد وردا في غير اللغة العربية ، ووجدتها كثيراً في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد آتى منها بالكثير . وما وجدت من الكتابة في لغة الفرس أنه كان رجس من أساورة كسرى وخواسه ، فتبيل له : إن اللغات يختلف إلى أمر أنك فبهرها لذلك ... » .

ويقول في موضع آخر من كتابه : وهذا الكتاب على لغة البولان^(٢) وأول كتاب الفصول لأبقراط في الطب قوله : المعمر قصير ، والصناعة طويلة . وربما لا تعجب أن ترى الرجل يعرف هذه اللغات ، لأن عصره عصر اختلقت فيه الأمم المختلفة والحضارات المختلفة ، وكان يحسن به وهو الوزير ، أن يعرف هذه اللغات التي قد يحتاج إلى أن يقرأها وأن يكتب بها في بعض الأحيان .

ولم يكن ابن الأثير بالرجل الجاهل الذي يحسن الكتابة ، ولا يشهد الحروب ؛ كمن يراعى صلاح الدين ، ويشهد الحرب معه ويذوق حلاوة النصر وخيبة الهزيمة ، يمرض للحدث من هذا في رسالته يقول : « وكنت^(٣) في سنة ثمان وثمانين وخمسة يأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج ، عليهم الله ، وتقابل الفرسان على مدينة بآ ، وكان لي

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٨٦ .

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢١٠ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٤٥٥ .

جاني ثلاثة فرسان من المسلمين ، فماتوا على الحلة الى نهر العدو ، فلما حلوا صدق منهم اثنان
وتلصقاً واحد ...» وتراه في غير ما عوضع من كتبه ورسائله يقبض في وصف الحرب وآلاتها ،
ويحدث عن القتال فيقول ^(١) :

« وسبق ألم الوت ألم الجراح ، وغنفت غير غفية لسرعتها أسنة الرياح ، وحصل القوم في
القبضة ، ودعوا عقب الهزيمة ، وجي ، والأسرى مترنين بالأسفاد ، موثقين أن رؤوسهم عوارى
عن تلك الأجساد ، ولو استقطع رأس أحدم أن ينكر عقبه لأنكره ، ولا يودُّ - وهو العظم -
أن يقال ما أعظمه بل يقال : ما أحقره ، وانصرفت أيدي المسلمين في القتل والنهب ، وكان
لصيف رقاب والسبي رقاب ... » .

وقد يعود الى وصف بعض آلات الحرب ويقول في النجيق ^(٢) ... ونصب للنجيق ،
لجتم بين يدي السور مناسباً ، وبسط كفه اليه مواتياً ، ثم تولى عقوبته بمساء التي تنكث
بأحجاره ، وانا عصي عليها بلذ أعذت في تأديب أسواره ، فاكان الا أن استمرت عقوبتها
عليه ، حتى صار قائمة صعيداً ، وغاصبه مستقيماً ... » .

هذه الحياة الصاخبة التي تقلب فيها ابن الاثير هيأت له مادة الوصف ، ومادة الكتابة
الإشائية ، ويبدو لنا أن رسائله السكيرة التي لم تنشر بعد ستكون سجلاً حافلاً بحياة الحرب
وحياة العلم والسياسة في عصره ، ولعلك ترى أن هذه المواقف ، أعني مواقف الحروب أول أن
يقال فيها الشعر لأنه أضمن في التعبير عن المواقف من النثر ، وابن الاثير ينظم الشعر ويسكن
الرجل كائناً أحسن منه شاعراً ...

ولم يقتصر الرجل على الحياة الصاخبة وحدها يستمد منها مادة حديثة بل تراه يدقق النظر
في كل ما حوله ، وقد يستخلص الحكمة من أغفه الامور وأيسرها وهو يوصي الأديب أن يقبته
الى هنا ، ويشتفت اليه ويقول : « اعلم أن الكاتب يحتاج الى التثبت بكل فن والنظر في كل
علم ودراسة الصبح لمخاورات الناس ، فانه لا يقدم من ذلك قائمة فإن كفة الحكمة خالصة المؤمن ،

(١) المثل السائر ج ١ ص ٨٩ . (٢) المثل السائر ج ١ ص ١٣٩ .

ظيقت وجددها فهو أحق بياء ، وقد ثبتت أقوال الناس في هذا الباب ، فاستفدت بذلك فوائد كثيرة ، حتى من أكثر وصلاح ، وأعجم من الاعجام الأعلام ، ومن يجري مجراهم ، وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بكلمها ، وربية ربية من غير رام ... » .

وزاد على هذا حتى رأى لزاماً على الكتاب «^(٤١) ... أن يعلم ما تولوه النادرة في الأتم ، وما تقولوه الأناشطة عند جلوة العروس ، وما تقولوه للنادي في السوق على السلعة ... » .

ومعد إلى الكتب يترؤها ويتدبرها ، وقد صرنا بك حديثه عن الأنجيل ، أسما القرآن فقد أولع به ، وابتدع الكثير من موضوعات البيان وتدبره وإتمام النظر فيه حتى عده آية من آيات التأليف ، «^(٤٢) وأوصى بحفظه ، وللإحسان لقرائه والخلوص في محور عقائده .

وقال في مقدمة كتابه الجامع الكبير في الحديث عن علم البيان «^(٤٣) : « لفت في أنساب القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريقة ، ووجدت في مطالعته من هذا النوع نكحاً دقيقة لطيفة ، فمرستها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء ، وشرحوها ، والاسانيف التي يندوها في تصانيفهم وأوصروها ، فألفيتهم قد غفلوا عنها ، ولم ينهروا على شيء منها ، وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره الكنون ، فأستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من العلماء الأعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن ومدته ، وخلاصة هذا العلم وزيدته . ظيقت أحرزت هذه القضية ، وحصلت عندي هذه العقيلة أحييت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ... » وهكذا نراه يتعلق بالقرآن الكريم ، ويشرح بسده ذلك بقصد باباً في تفصيل النشر على الشعر ويوصل أول أسبابه في هذا التفصيل أن القرآن الكريم ورد قرأ «^(٤٤) .

وكذلك فعل في حيث الرسول الكريم وجعله أحد الأدوات التي نازم الترشح لصناعة الكتابة ، وحصلت منه أن جعل كتاب الوشي الرقوم مبنياً على مقدمة «^(٤٥) وثلاثة فصول جميل

(١) الوشي الرقوم من ٤-٥ . (٢) انظر من ٧ من هذا الكتاب .

(٣) انظر من ٧ من هذا الكتاب . (٤) انظر من ٧٣ من هذا الكتاب .

(٥) انظر من ٤ من الوشي الرقوم مطبعة تراث الفنون سنة ١٩٦٩ هـ .

الفصل الأول في حل الشعر ، وجعل الثاني في حل آيات القرآن ، والثالث في حل الأخبار النبوية .

ولم تقتصر ملاحظته على هذا بل عمد إلى الشعر حتى قال في كتابه الوحي الرقوم ^(١) « وكنت حفظت من الأشعار القديمة والحديثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائين حبيب بن أوس وأبي عبادة البحرني ، وشعر أبي العلي بن النضي ، حفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالفرس مدة سنين حتى تمسكت من صوغ المعاني ، وصار الإحسان لي خانقاً وطبعاً ، فلا تمنع أيها الخائف في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تفعل ما فعلته ، وتسلط ما تسلطته » .

ونظرة واحدة إلى مؤلفات ابن الأثير تريك سبعة باعة وحده في شتى صنوف المعرفة الشائعة في عصره . كتب الوحي الرقوم في حل الآيات القرآنية السكرية وحل حديث الرسول الكريم وحل الشعر . وكتب كتاب ^(٢) المفتاح للنشا في حديقة الإنشا « وقد تحدث به عن صناعة الكتابة ، وله « مؤنس الوحدة » وقد جمع به مختارات من الشعر ونسخة منه محفوظة بكتبة كوبرلو بالإستانة ، و « كتاب الأخبار النبوية » ، يقول عنه ^(٣) « وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، وما زالت أوأطب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أهبى مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخطاري ما يزيد على خمسين مرة وصار محفوظاً لا يشذ عني منه شيء . » وله كتاب أدعية يقول فيه ^(٤) « وكنت ألفت كتاباً في ذكر أدعية مخصوصة ضمنته مائة دعا ، مما يوضع في الكتب السلطانية والأخوانيات ... » وله كتاب في « السرقات الشعرية »

(١) الفرس ٩ - ١٠ من طبعة دار الفنون سنة ١٩٩٨ هـ .

(٢) مصور بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠ - ٥ أدب) والملياد الأدبية في عصر المروية السليبية الدكتور أحمد أحمد بدوي ، طبعة النهضة مصر س ٢٢٢ .

(٣) في عصر المروية السليبية الدكتور أحمد أحمد بدوي س ٣٨ . ولكل الشعر ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) الوحي الرقوم ص ٢٠ .

يشير إليه في كتابه للثلث السائر إذ يقول «... واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في المرافقات الشعرية فأكثروا، وكنت ألفت فيه كتاباً، وقسمته ثلاثة أقسام: نسيخاً، وساملاً، ومصحفاً^(١)». وله «مجموع» اختار^(٢) فيه شعر أبي تمام والبحري وديك الجني والثنبي وهو في مجلد واحد كبير. وله كتاب «الرسع في الأدبيات» وقد طبع في التسطنظية سنة ١٣٠٤ هـ وطبع في الأنا سنة ١٨٩٦ وله «العاني المحترمة في صناعة الإنشاء» يقول فيه ابن خلسكان^(٣) إنه نهاية في بابه. وله «البرهان في علم البيان» وجاء في تاريخ آداب اللغة العربية لبرجي^(٤) زيدان أنه مخزون في برلين، وذكره أيضاً «رسالة في الأزهار»، وقال إنها محفوظلة في^(٥) باريس. وفي كتاب هداية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي طبعه استانبول سنة ١٩٥٥ المجلد الثاني ص ٤٩٣ أنه صنف من الكتب «الاستدراكات»، و«رسالة في الضاد والفاء»، و«رسالة في أوصاف مصر»، وله ديوان «زجل» في عدة مجلدات.

ولعل أشهر هذه الكتب كتابه للثلث السائر، وهو كتاب شعر به ابن الأثير وأحدث ضجة في حياة الرجل وبعد مماته وألفت الكتب في التعصب له والتعصب عليه، قال صاحب كشف^(٦) الظنون: «وصف بعضهم كتاباً سماه «الروض الزاهر في محاسن لثلث السائر» وصنف عز الدين بن أبي الحديد كتاباً سماه الفلك السائر على لثلث السائر»، وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري التوفي في عام ٩٦٠ هـ كتاباً رد فيه عليه وسماه: «نشر لثلث السائر وطى فلك الدائر» وصنف صلاح الدين خليل بن أبيات الصفدي التوفي في عام ٧٦٤ كتاباً سماه: «نصرة السائر على لثلث السائر» وصنف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه: «قطع الدائر عن فلك الدائر...» والملك ترى منا أن متعاون هذه الكتب وحددها كافية في أن

(١) لثلث السائر ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) وديات الأيمان ج ٥ ص ٢٨ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩١٩.

(٣) وديات الأيمان ج ٤ ص ٢٧. (٤) هداية الظنون ج ٢ ص ١٩٣.

(٥) تاريخ كتاب اللغة العربية ج ٣ ص ٥٦. (٦) كشف الظنون ج ٢ ص ٨٢٦. وانظر

(٧) — ٢٢٢ (بولان بمصر) وانظر ص (بط) من مقدمة لثلث السائر.

لعلم معركة حامية بين مؤلفيها .

وهكذا ترى هذه الحركة الكبيرة التي أحدثتها هذا الكتاب في علم البيان العربي ، وترى الناس يتصحبون له ويتصحبون عليه فهم لفناب السياسية والدينية .

قلنا : ألفت عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحميد هبة الله الدائري الكاتب الشاعر كثيراً في الرد على نصر الله في المثل السائر سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » ، ولما وقف عليه أخوه موفق الدين أبو العالي القاسم بن أبي الحميد كتب إلى أخيه المؤلف :

المثل السائر يا سيدي سئمت فيه الفلك الدائرا
لكن عسفا فلك دائر نصير فيه المثل الدائرا^(١)

ومن اليسير أن يطراء الكتاب لشي قرأته على أثر له أدبي كما فعل القاسم بن أبي الحميد لا يقام له وزن إلا إذا حققه النظر والاعتبار وبمت استحقاق الأثر لذلك الأجراء .

واتفق أن عز الدين بن أبي الحميد تزوج بعد تأليفه « الفلك الدائر على المثل السائر » امرأة أرملة ، وكان زوجها الأول جديداً وله ابن منها اسمه غازي ويقبب بفلك الدين فقال فيه الشيخ موفق الدين عبد القاهر بن الفوطي البغدادي الأديب الشاعر :

قد آتانا مثل سائر ألفت فيه فلكاً دائرا
لكن عسفا فلك دائر أصبحت فيه مثلاً سائرا^(٢)

وكان عامل القيمة مثلاً في تأليف « الفلك الدائر » لأن نصر الله بن الأثير استهزأ بالكتاب العراقيين ، واعتقد عليهم أقوالاً ، قال ابن أبي الحميد في مقدمته بعد الحمد لله والأشادة إلى رضي الإنسان عن نفسه ودم مجبه بها والصلاة على نبيه وآله وأصحابه .

« وبعد فقد وقتت على كتاب نصر الله^(٣) بن محمد اللوسلي المعروف بابن الأثير الجزري

(١) الوفيات ٢ : ٢٨٨ - ٩ . وفيات الوفيات ١ : ١٩٠ . طبعة مطبعة الجامعة وبها أصبحت . مكان . نصير .

(٢) تلخيص مجموع الآداب لابن الفوطي ج ٦ ص ٢٩٢ . من نسخة مصطفى جواد المطبوعة الأولى .

(٣) في المطبوع « نصير الدين » وذلك خطأ وكان المصنف سنة ٦٣٠٩ هـ بمناحة محمد الشيرازي وهو ردي جداً ، يصعب علينا التنبية على مواطن رداً منه لعلوله وكثرته .

لسمى كتاب «مثل السائر في أدب الكتاب والشاعر» فوجدت في نسخة المخطوط والقبول ،
 والمردود والمرفول ، أما المخطوط منه فانشأه وصناعته ، فإنه لا بأس بذلك إلا في الأقل النادر ،
 وأما المردود فيه فخطره وجدله واحتجاجه وانتمائه ، فإنه لم يأت في ذلك في الأكثر الأخطب ،
 بما يلتفت إليه ، ولا بما يعتمد عليه ، فحذاني على تنبيهه ومناقضته ، في هذه الزاوية النظرية
 أمور منها إزرائله على الفضلاء ، وفضته منهم ، وعيبه لهم وطعته عليهم ، فإن في ذلك ما يدعو إلى
 الغيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفرانه في الإيجاب بنفسه والتبجح برأيه والتفريط بعرضه
 وصناعته ، وهذا عيب فيبجح يهبط عمل الإنسان والاجتهاد ، ويوجب الآث من الله والعباد ،
 ومنها أنه قد أوصى مراراً في كتابه إلى عتاب دهره إذ لم يعطه على قدر استحقاقه ، فأردنا أن
 نعرفه أن الرزق مقسوم ، لا يخلجه الفضل ولا يردده النقص ، ومنها أن جماعة من أكابر الموصلي^(١)
 قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جداً ، وتمسكوا به حتى فضلوه على أكثر الكتب السنية في
 هذا الفن وأوصلوا منه نسخاً معدودة إلى مدينة السلام وأشاعوه وتداوله كثير من أهلها ،
 فاعتزنت عليه بهذا الكتاب وتقربت به إلى الخزانة الثرية للندسة النبوية الامامية المنتهية
 — حرر الله تعالى بعزائها أندية الفضل ورباه ، وأطال بطول بقاء مالكها يد العلم وإياه .

ولم يسكتف ابن أبي الحديد بالتمسب على نصر الله بن الأثير في «الذوق الدائر على مثل السائر»
 بل زاد عليه بقده إليه في شرح نوح البلاغة وقد ابتداء به مرة رجب من سنة ٦٤٤هـ وأتمه
 صلح صفر من سنة ٦٤٩هـ^(٢) ، ومن ذلك ما ذكره في الكلام على «التأني» قال : «وقال
 ابن الأثير في كتابه لسمى «مثل السائر» : إن هذا النوع من التأني غير مختص بلغة العرب
 فإنه لما مات قيساذ أحد ملوك الفرس قل وزيره : حركتنا بسكونه . وفي أول كتاب الفصول
 لبقراط : العمر قصير والصناعة طويلة ، وهذا الكتاب على لغة اليونان ، قلت : وأي خاصة به
 إلى هذا الكتاب وهل هذه الدعوى من الأمور التي يجوز أن يعتري الشك والشبهة فيها لیساني

(١) كانت الوصل بمشقة خاصة لدولة الأناطكية خارجة من المسك الفيل لبياسين .

(٢) شرح نوح البلاغة ، مج ٤ من ٥٧١ ، طبعة مطبعتي الباني بدمشق .

بِحكاية من غير كلام العرب يفتح بها « ١٩ » .

وربما كان كتاب « الفوائد الدائر على الليل السائر » أشهر هذه الكتب ولعلك ترى أن ابن الأثير قد اشتمر بكتابه هذا شهرةً طلت على شهرته السياسية ، وقد وزر للفولك وبانثر الأمور حسين سنة ، ومع ذلك فشهرته مؤلفاً بعلوم البلاغة أكثر من شهرته وذبراً أو كاتباً ، ولا يجب فقد صرف همه لهذا العلم ، وقرأ ما كتبه السابقون فيه ، يقول في فاتحة الليل^(١٩) السائر : « وقد ألف الناس قبسه — في علم البيان — كتباً ، وجلبوا ذهباً وفضةً ، وما من تأليف إلا قد تصفحت شئنه وسينته ، وعلقت فنته ومحبته ... » ثم عمل رأيه فيما قرأ مما كتبه الناس واجتمع مسائل في علم البيان لم يسبقه إليها أحد ، حتى قال من نفسه : « ... وهديني الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أعمالها تاهية ، وإنما هي مبيحة ... » ومع كثرة ما كتب لا نراه يفخر بشئ ، فخره باطلاعه على علم البيان وإحرازه نصب السبق فيه .

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ^٥ كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور قد ألقه ابن الأثير على ما يبدو لما قبل كتاب الليل السائر ، وربما كان أول كتاب يؤلفه في علم البيان ، يقول في مقدمته وقد ذكرنا أكثر ذلك «^(٢٠) ... طعت في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو ، أي من موضوعات علم البيان — أشياء طريفة ، ووجدت في مطالعته من هذا النوع نكتاً دقيقة لطيفة .. لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما خلفت به أصل هذا الفن ، ومحدثه ، وخلاصة هذا العلم وزيدته ، بحيث أحريزت هذه الفضية ، وحضات عندي هذه العقبلة ، أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليكون مقصوداً على شولرد هذا العلم وغرائبه ، ورموزة الحفية وهجائه ، وليجعل مؤلف الكلام رأس يشاعته ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ... » .

واسلوب ابن الأثير هادي في هذا الكتاب ، ينقل عن تلمذه من علماء البيان ويشير

(١٩) ج ١ ص ٤٣ . (٢٠) اعلم ص ٥ من هذا الكتاب .

الى مواطن النقل في أكثر الأحيان ، وقد يجادل في الرأي جيداً هادئاً ، وهذا ما لا تراه له في كتاب التل السائر ؛ إذ قلما تراه يشير الى رأي وهو لا يحاول تفنيد والتقل من صاحبه ، وهذا ما ألب عليه الذين تصدوا لنقد كتابه وتفنيد آرائه كمن الذين أبى الطهيد المار ذكره .

وقد تفضل الجمع العلمي العراقي ، فنور هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ ، نسخت بنفقة الكنيشة وأضيفت في ٢٤ مارس سنة ١٩٩٧ برقم : ٢٧٠ بلانة و ٣٠٠٦٤ مرمية ، وكتب في صدرها « كتاب الجادع الكبير في صناعة النجوم عن الكلام والنور ، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة ، لسان الأدب ، وترجمان العرب ، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزائري ، الشهير بابن الأثير رحمه الله تعالى وعفا عنه » وكان عدد أوراقها ١٦٥ ورقة . وتفضل الجمع العلمي العراقي فهدى إلينا بتحقيقه ، وكان خطها واضحاً لم تنسب في قراءته ، ولكنها كانت - مع وضوحها في الكتابة - كثيرة التصحيف ، وقد أجهدنا أنفسنا في الرجوع الى كتب البلانة وكان أجدادها تقصراً وأكثرها مموته لنا ، كتاب التل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، للؤائف نفسه ، وقد رأينا في غير ما موطن يذكر هناك ما ذكره هنا ، وقد يفيض في أحد الكتابين على حين يختصر ويجعل في الكتاب الآخر ، حتى يبدو للتقاريء في كثير من الأحيان أن أحد الكتابين كان بمثابة مسودة للكتاب الآخر ، وكنا نوازن بين ما ورد هنا وورد في التل السائر ، وقد رأينا كثيراً من الأخطاء جاءت في التل السائر وكان من الممكن أن نصلح بالرجوع الى هذا المخطوط ، وقد نهينا الى بعض ذلك في حواشي هذا الكتاب .

وقد أحببنا شخصية ابن الأثير الأدبية بعد إتفاقنا هذه اللغة الطويلة في كتابه هذا ، ورأينا أن نوالي تحقيق آثاره ، فطلبنا الى الجمع العلمي العراقي أن يصور رسائل ابن الأثير للؤائف في جزءين من معهد إحياء المخطوطات العربية في الادارة الثقافية في الجامعة العربية ، ومن مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت ، ومن غيرها ورجونا أن يهد إلينا باسم رسائلك هذه ، وعسانا نوفق لهذا ، والله للوفيق للخير .

سيرة الإمام الخميني

الحمد لله مهدي النعم ، أولاً وآخراً ، مُسدي الزمان ، باطنياً وظاهراً ، الذي قطر الانساق بحكمته ولفظه ، وركب فيه آية النطق فبلغ به كمال وسفه ، فكان ذلك عليه من أتم الاحسان ، الذي تميز به عن جميع أستاذ الخيوان ، ولولا فضل ما ورد في القرآن المجيد ، مقدوناً بالأخراج من العدم الى الوجود ، قال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » نعمه على تراث آياته وتهاديها ، والتحاق رانعها بتأديها ، حتماً يصكون بإزادة ضعيفاً ، وبإيلاء الخيرات قيناً ، ونصلي على رسوله محمد الصادق بأمره ، القائم بيده في سره وجهده ، وعلى آله مصايح الايمان وزُهوره ، وأصحابه ملائذ الاسلام وذُخره .

أما بسبباً فلما كان تأليف الكوكب ، مما لا يوقف على كونه ، ولا يُعرف كنه أمره ، إلا بالأطلاع على علم البيان ، الذي هو هذه السعادة بمنزلة النيران ، احتجت حين شدت^(١) كُنفه . من الكوكب الثور ، الى معرفة هذا المذكور ، فشرعت عند ذلك في تطلبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في تحصيله سبيلاً إلا سيجته ، ولا غادرت في إدراكه باباً إلا ولجته ،

(١) كما ورد في الأصل . وعند النزال بدون عدوناً : إذا قوي وطغ قرناء واستغنى عن أمه وربها فلما عند النهج « الصحاح » قال ذو الرمة :

ذكرتك أن مرت بنا أم حادن أتم الغشاها تسرب وتنج

قال البرد في السكال : ج ٢ ص ٢٣٦ ، من طيبة اللطيفة الأخرية « القاموس : التي قد شددت أي تحرك .

وقال بعض الشعراء القويين :

بدأ أبلج غزلاً شددت لينا من مؤياتصن الضلال والسر

قاله « شددت » لازم ولا يوافق البيان ولعل الأصل « شددت يند » قال الجوهري في الصحاح « القاموس : التي يندو من الأعب شيئاً أي يأخذ مرفقاً منه كأنه ساقه وجهه .

حتى اتضح عندي بديه وخافية ، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه ، كآبي الحسن علي بن عيسى الرماني^(١) ، وآبي القاسم الحسن^(٢) بن بشر الأدي ، وآبي عثمان الجاسط ، وقدامة^(٣) بن جعفر الكاتب ، وآبي هلال^(٤) السكري ، وآبي الملا محمد^(٥) بن غانم المروفي بالذاني ، وآبي

(١) في الأصل « الرمي » والروايات ما انتسبها في ذلك ، وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ، وكان يعرف أيضاً بالاختبدي وبالورقي ، وهو بالرماني أشهر ، ٢٧٦-٣٨٤ هـ . كان إماماً في العربية ، علامة في الأدب ، وكان يزوج النحو بالعلم ، وله عدة تأليف منها كتاب « إيجاز القرآن » و « معاني المروف » و « نسخة في مخطوطات خزائن اللغة الفارسية برقم ٧٢٨ (مجموع الأدباء ج ١٤ ص ٢٣) من طبعة دار الأيون ، و « نوات الزينات ج ٢ ص ٦٦ » والنية « ص ٢١٤ » .
 (٢) كان أبو القاسم الأدي أدياً أصلاً ، ولقباً بزمناً ، وروياً ساعراً ، وساعراً جيداً له تأليف حسنة ذكرها ياقوت منها « فرق ما بين الحسن والعمرك من سائر الشعر » و « التوزنة بين الصائين أبي تمام والبحتري » وهو لقبى أراهه المؤلف « أنظر كتاب التل السائر ج ١ ص ٤ طبعة مطبعة البازي المدني عام ١٠٠٠ » و « ما في عيار الشعر من المخطأ » و « عيار الشعر لابن مبالغة » و « تغليل شعر أممي القيس على شعر الجاهليين » و « تبين غلط قلادة بن جعفر في نقد الشعر » توفي سنة ٣٢٠ هـ (مجموع الأدباء ج ٨ ص ٧٥) ونية الرطة « ص ٢١٨ » .

(٣) كان قدامة أحد العلماء الفلاسفة الفضلاء ، ومن يشار إليه في علم اللغتين ، أهم كتاباً في « المراج و صناعة الكتابة » و « كتاب » عند الشعر » و « كتاب » لرد على ابن المعتز » فيها باب به أبا تمام و « كتاب » صناعة الجدل » و « ولد أمرك أواسط القرن الرابع للهجرة . (مجموع الأدباء ج ١٨ ص ١٣) .

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد السكري بن كنية كتاب « الصائين » و « ديوان الغاني » و « جيرة الأفعال » و « المعجم في بقية الأشياء » و « كتابا مطبوع مشهور » و ذكر له السيوطي مؤلفات أخرى ، كان حياً سنة ٣٩٥ هـ (نية الرطة ص ٢٢١) (مجموع الأدباء ج ٨ ص ٢٥٨) .

(٥) قال السعدي في الأنساب :

« الغاني ... هذه النسبة إلى غانم وهو اسم جد التنب إلى وهو الأديب محمد بن ... غانم الغاني ، من أفضل شعراء عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من سماعي نظام الملك ، وروي له من شعره ما صحبه أبو بكر الأسفرازي . وإبنة أبو الحسن مسعود بن محمد بن غانم ابن أبي الحسن بن أحمد بن علي بن إبراهيم الغاني المروفي ... » .

وذكره عز الدين بن الأثير في الجساب « مختصر الأنساب » بما يقرب من ذلك « ج ٢ ص ١٦٦ » وأورد ذكره البلقري في النية - ص ١٧٦ - قال : الغاني المروفي صاحب خليل ، اختلف إلى بنيسابور وحصل ديوان شعري وانسخه من أبيه وأمره على حسن ، وله شعر حسن ووراءه الزيادة مؤلف ، وله في سائل الآداب يد موارد ، وارتبط نسبة الأديب في قرار العاقبة الشمالية لأنساب روي الأقبال في مصنفات أموالي ، ولاجت آثار السامنة على صفحات جاعه و « فإ أهدني لنفسه لوله في خدمة نظامية من قصيدة :

تيساب الشمس جزء من جيبك	وإحصية الكيال في يمينك
إذا هبت يدك الوزراء يوماً	أستسلم كتاب في حركتك

وأورد له مخطوعين آخرين .

محمد عبد^(١) الله بن سستان الحفاجي ، وغيرهم من له كتاب يشار إليه ، وقول تعقد المطامير عليه^(٢) ، ثم لما مضى على ذلك مائة^(٣) من الدهر ، وانقضى دونه بُرهة من العمر ، لحث في أثناء القرآن الكريم ، من هذا النحو أشباه طريقة^(٤) ، ووجدت في مطاويه من هذا النوع كتكاً دقيقة لطيفة ، فمرستها عند ذلك ، على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء ، وشرحوها ، والأسنان التي يدورها في تصانيفهم وأوتسحوها ، فأقبلتهم قد غفلوا عنها ، ولم ينهوا على شيء منها ، وكان ذلك بمثابة لي على تصحيح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره المكتون ، فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن ومُهمته ، وخلاصة هذا العلم وزيدته ، لحث أحزمت هذه القضية ، وحصلت عندي هذه القيمة ، أحببت أن أورد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليكون مقصوراً على شوارذ هذا العلم وغرائبه ، ورموزه الحقة وبجائبه ، وليجمله مؤلف الكلام رأس بضاعته ، ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ، فلما شرعت في تلقيه ، وبدأت بإيضاح القول فيه وتحقيقه ، طردت النظر في تصانيف العلماء المذكورين ، والتبصر في أقوال أئمة هذه الصناعة المشهورين ، فصح لي منذ ذلك لطائفُ رائعة ، ونواذر حسنة فائقة ، هي كالشاهدة لا ينوبه ، والشبيبة لما نسوا عليه وعينوه ، وإنما تركت قولاً من أقوالهم بحاله ، من غير زيادة أو دمجاً^(٥) في خلاله . فصار هذا الكتاب لتواضع علم البيان مبيّناً ، ولما ذكره أرباب هذه الصناعة ، وما لم

(١) قال المؤلف في كتابه « التل السار » وهو يتحدث عن علم البيان « وقد ألب الناس فيه حكماً وجلبوا دعياً وحسباً ... فلم أجد ما ينفع به في ذلك إلا كتاب التواضع لأبي القاسم الحسن بن بشر الأندلسي وكتاب سر الحياصة لأبي محمد عبد الله بن سنان المغربي » ج ١ ص ٤ « من الطبعة السار البها في ص ٤ من هذا الكتاب » قال ابن شاكر الكوفي بعد ذكر اسمه ونسبه « الحفاجي » : « خاتم أدب » وأورد شيئاً من شعره ، وكانت وفاته سنة ٥٩٦ هـ « (فوات الوفيات ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٣) .

(٢) كناية عن قوة الأثر عليه والوقوف به .

(٣) مائة من الدهر (مائة) : برهة منه (القاموس) . والبرهة قطعة من الزمان طويلة ، أو الزمان محمداً .

(٤) في الأصل « طريقة » .

(٥) التصحيح بعدية « أودع » إلى مفعوله بلغة نيزال « أودعها خلاله » .

بذكروه متتصفاً ، فلوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام عليه ، وينتهي له معرفته وقمعه .
ثم شغفت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة ، وسفت الكلام فيها أحسن الصبغة ، فأوشحت ما
أشكل من طريقها ، وبينت أقوال العلماء في حقيقتها ، مع ما أضفت له إلى ذلك من زيادات
مناسبة ، واحترازات وإيحية .

ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان ، وشغيت القول فيها بحسب الامكان ، وسميته
بكتاب : « الجامع الكبير » ، في صناعة النظم من الكلام والمنثور . - وجدت مدار
الكتاب على قطبين : (القطب الأول) في الأشياء العامة . (القطب الثاني) في الأشياء الخاصة .
وينقسم القطب الأول إلى اثنين : الفن الأول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، وهو
أربعة أبواب : (الباب الأول) في آلات التأليف (الباب الثاني) في أدواته (الباب الثالث)
في الطريق إلى صناعة النثر والنظم (الباب الرابع) في الحفيظة والنجاز .

الفن الثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني ، وتفصيل الكلام المنثور على النظم ، وهو
ثلاثة أبواب : (الباب الأول) في الألفاظ المفردة والركبة وهو قسبان (الباب الثاني) في الكلام
على المعاني . (الباب الثالث) في تفصيل الكلام المنثور على النظم .

(القطب الثاني) وفيه فنان : (الفن الأول) في الفصاحة والبلاغة . (الفن الثاني) في
ذكر أصناف البيان وانقساماتها ، وهو بيان : (الباب الأول) في الصناعة العنوية . (الباب
الثاني) في الصناعة العقلية .

وينقسم الباب الأول إلى تسعة وعشرين نوعاً : « الأول » في الاستمارة . « الثاني » في
التشبيه . « الثالث » في شجاعة التريسة ، وهو أربعة أقسام . « الرابع » في الإيجاز وهو
قسبان . « الخامس » في الأشتاب . « السادس » في توكيد الضمير التصل بالانفصال . « السابع »
في السكناية والتعريض « الثامن » في استعمال العام في الضمير ، والخاص في الأبيات . « التاسع »
في التفسير بعد الإبهام . « العاشر » في التعقيب للصدري . « الحادي عشر » في التقديم
والتأخير . « الثاني عشر » في عطف الظاهر على ضميره . « الثالث عشر » في التخصيص

والانتصاب . « الرابع عشر » في الياضي والافتتاحات . « الخامس عشر » في قوة اللفظ لقوة
 المعنى « السادس عشر » في خذلان الخطاب . « السابع عشر » [في الاستعارة] . النوع
 « الثامن عشر » في الحروف العاطفة والجارزة . النوع « التاسع عشر » [في التكرير ^(١٥)] .
 « العشرون » في تناسب المعاني من القابلة والتفسير والتفسير . « الحادي والعشرون » في
 الخطاب بالجهة الفعلية والخطاب بالجهة الاسمية . « الثاني والعشرون » في لام التأكيد . « الثالث
 والعشرون » في الانتساب والاقتران والتفريط . « الرابع والعشرون » في العاطفة . « الخامس
 والعشرون » في التضمين . « السادس والعشرون » في الاستدراج . « السابع والعشرون » في
 الارصاد . « الثامن والعشرون » في التوشيح . « التاسع والعشرون » في الأعضد والمرتفة .
 وينضم الباب الثاني الى سبعة أنواع : « الأول » في المعج والازدواج . « الثاني » في
 التجنيس « الثالث » في الترتيب . « الرابع » في لزوم ما لا يلزم . « الخامس » في التوازنة .
 « السادس » في اختلاف صيغ الألقاظ . « السابع » في تكرير الحروف . وسنذكر ترجمة
 الأبواب والأنواع عند ذكرها إن شاء الله تعالى .

(١٥) ما بين الضامتين نقصان في الأصل وقد أكتناه بالرجوع الى صاحب الكتاب .

ابواب الأول

من الفن الأول من الطب الأول

آبوت التأليف

اعلم أن صناعة تأليف الكلام ، من النثور والنظوم ، نحتاج الى أسباب كثيرة ، وآلات همة ، وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الانسان الطبع القابل لذلك ، المحيى اليه ، فانه متى لم يمكن تمّ طبع لم تعد تلك الآلات شيئاً البتة . كتمثيل الطبع كمثل النار المكتمة في الزناد ، وتمثل الآلات كمثل أطراق^(١) والمعدبة التي يقدح بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا يقيد ذلك الطراق ولا تلك المعدبة شيئاً ، إلا أن الطباع القابلة للعلوم مختلفة الأعمار ، فبها ما يكون قابلاً لعلوم الأدب كالنحو والتعريف وغيرها ، ومنها ما يكون قابلاً للعلوم الميتية كأصول الفقه وأصول الدين وما جرى مسبقاً الجري ، ومنها ما يكون قابلاً لتغير ذلك كالعلم الرياضي ؛ كاللحساب والهندسة ، ومنها ما يكون قابلاً لتغير ذلك ، كالسنانع والحرف . وقد يوجد في الطباع ما يكون قابلاً لجميع العلوم . ومن أدلّ دليل على اختلاف الطباع وتباينها أنا ترى مؤلف الكلام يكون تارة مؤلفاً مطلقاً ، وتعني بالمطلق أن يكون عارفاً بصناعة النظوم من الكلام والنثور ؛ ويكون مؤلفاً غير مطلق ، وتعني بتغير المطلق أنه يكون عارفاً بأحد هذين القسمين دون الآخر ، وهو مع ذلك عالم بجميع آلات التأليف نظماً ونثراً ، كما هو المؤلف المطلق ولا فرق . فلذا يركب الله في الانسان الطبع القابل لمعرفة تأليف الكلام على الاطلاق فيحتاج حينئذ الى تحصيل الآلات التي يخرج بها ما في القوة إلى الفعل . وتتمحصر آلات التأليف في قسمين :

(١) الحراق والمرارة ما يقع فيه النار عند القدح ، والقلة تقوله بالتشديد ، بخلاف الصراح .

« الأول » يشترك فيه النظم والنثر . وهو سبعة أنواع : « الأول » معرفة علم العربية من النحو والتصريف والادغام . « الثاني » معرفة ما يحتاج إليه من اللفظة . « الثالث » معرفة أمثال العرب وأيامهم . « الرابع » الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أبواب هذه الصناعات ، النظم منها والنثر ، والتحفظ للكثير^(١) من ذلك . « الخامس » معرفة الأحكام السلطانية في الاملة والامارة والقضاء وغير ذلك . « السادس » حفظ القرآن الكريم والمهارة لقراءته ، والخوض في بحور مجانيه . « السابع » حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وأما القسم الثاني فإنه يخص النظم دون النثر ، وذلك علم العروض والقوافي ، الذي يقام به ميزان الشعر . وهذا كمر بعد ذلك فاللغة كل نوع من هذه الأنواع فنقول :

أما (علم النحو) فهو الذي يستقيم به معاني الكلام ، وأصلان أحمرى تأليفه من الانضمام^(٢) والانقسام ، ولولا ذلك لقددت معانيه واختلت مبانيه . ولقد عُسر لنا مثلاً يرضه فنقول : لو قلنا قائل : « ما أحسن زيد » . ولم يبين الاعراب لما فهمنا غرضه من هذا القول ، إذ يحتسب أن يريد به التعجب من حسنه ، ويحتمل أن يريد به الاستفهام عن أي شيء فيه أحسن ، ويحتمل أن يريد الأخبار بنفي الاحسان عنه . ولو بين الاعراب في ذلك فقال : ما أحسن زيدا ! وما أحسن زيد ؟ وما أحسن زيد ، علمنا غرضه وفهمنا معنى كلامه . لا أفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب ، فوجب حينئذ على المؤلف ، بهتدافاً لتدليل ، معرفة النحو إذ^(٣) كان ضابطاً لمعاني كلامه ، حافظاً لها من الاختلالات . فان قيل :

(١) في الأصل « والتحفظ للكثير » ونقصنا الكتاب : نظيره خطأ بعد نرى . فاستعمل المؤلف التحفظ بمعنى اللفظ هو استعمال مولد ، واللام في « الكثير » لام التثنية .
 (٢) في الأصل « الحلال » وهو غير مستقيم .
 (٣) في الأصل « إذا » . قال هنا بما ورد في اللسان « ج ١ ص ١٦ » من القافية لئلا يها في ص ٤ من هذا الكتاب .

لا حاجة به إليها ، لأن التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة وزادتها . وهذا لا يتصرف مؤلف الكلام جهلته ، ولا يتفهمه معرفته . ولتصريف ذلك مثلاً كيف اتفق ، فنقول : إذا قال القائل : رأيت مرداحاً^(٦٥) ، لا يلزمه أن يعرف أن الألف في هذه اللفظة زائدة هي أم أصل ، لأن العرب لم تنطق بها إلا كذلك ، ولو قالت « مرداح » بغير ألف ، لما جاز لأحد أن يزيد الألف من عنده ، فيقول « مرداح » فسلم بهذا أن مؤلف الكلام إنما ينطق بالألف كما سمعها من العرب ، من غير زيادة فيها ، ولا نقصان ، وليس عليه بعد ذلك أن يعرف أصلها . ولا زيادتها ، لأن ذلك أمر خارج عما تقتضيه سياسته . وكذلك الألف ، فإنه إذا قال القائل « مررت برجل شنف^(٦٦) الخال » لا يلزمه أن يعلم أن الأصل في « شنف » شفت وأز^(٦٧) هذه الكلمة إنما أدغمت لسكونها مثلين عيناً ولانها ، أو لأجل أنها على وزن المضارع ، لأن ذلك لا يجب عليه عليه ، ولا يتطرق إلى معرفته اليقينية ، وذلك أنه إذا بدلت هذا وأنتأته عن العرب .

فانني يسمع أنهم قد تكلموا به بخذو مفهوم فيه ، من غير أن يتصرف بشيء من عنده ، فإن [كان] مؤلف الكلام لم يسمع أن العرب قالوا « رجل شنف الخال » فقال هو « شنف الخال » ولاصح أنهم قالوا : « شنف الخال » فقال هو « شنف^(٦٨) الخال » وإنما تكلم بما سمعه عن العرب من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . الجواب عن ذلك إنما يقول : أصل الخال لم يجعل معرفة التصريف والألف ، ضرورة على مؤلف الكلام ، كعرفة النحو . لأن المؤلف إذا كان عارفاً بالعاني ، غتاباً لها ، قادراً على الألفاظ ، مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو فإنه يفسد ما يصونه من الكلام ، ويختل عليه ما يقصده من العاني ، كما أوردناك^(٦٩) في ذلك القول المتقدم . وأما التصريف والألف فإن المؤلف إذا لم يكن عارفاً بها لم يقصد عليه مداني كلامه ، وإنما قصد على^(٧٠) الألف ، وإن كانت العاني صحيحة ، مفهومة . وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب . فنقول :

(٦٥) مرداح : اللغة القوية أو السكرية أو العظيمة أو السيئة أو القوية الشديدة التامة كالسردانة العالوس .

(٦٦) رجل شنف الخال : وهيها العالوس .

(٦٧) في الأصل « شفت » بكسر الشاء الأول واليهاء ينضم ما أثبتناه مع الألفاظ المتأخر في عبارة المؤلف .

(٦٨) في الأصل « رأيتك » . (٦٩) في الأصل « عليه » .

أما قولك أيها المترجم^(١) إن التصريف هو اللاحق لا حاجة لتأليف الكلام إليها ، واستقلالك على هذا بما ذكرته من هذين المثالين الذين ضربتهما ، فإن ذلك لا يستمر لك الكلام فيه أبداً . أما التصريف وتثنيك إياه بلفظة « سرداج » وقولك إن المؤلف لا يحتاج إلى معرفة أن الألف التي فيها زائدة هي أم أصل : لأنه ينقلها من العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقصان ، فإن ذلك لا يطرده إلا فيما هسنا سببه من نقل اللفاظ على هيئتها ، من غير تصرف فيها ، بحال من الأحوال ، فأما إذا أراد المؤلف تغييرها ، أو جمعها ، أو النسبة إليها ، فإنه إذا لم يعرف الأصل في حروف الكلمة^(٢) وزادتها وحذفها وإبدالها ، يضل عن الصواب ويصير عليه مجال للطعن والماتب^(٣) ألا ترى أنه إذا قيل لتصوي ، وكان جاهلاً بعلم التصريف : فكيف أصغر « اضطراب » ؟ فإنه يقول « اضطريب » لا يلام على جهل بذلك لأن الذي تقتضيه صناعة النحو قد أتى به ، وذلك أن النحاة يقولون في كتبهم « انا كانت الكلمة على خمسة أحرف ، وفيها حرف زائد ، ولم تكن حذفته [حذفت]^(٤) نحو قولهم في « منطلق » مطلق « وفي جحشمرش « جحشمر »^(٥) فلفظه منطلق على خمسة أحرف ، وفيها حرفان زائدان ، هما اللج والثون ، إلا أن اللج زيدت فيها المن ، ولذلك لم تحذف ، وحذفت الثون .

وأما لفظة « جحشمرش » فخاصية لا زيادة فيها ، وحذف منها حرف أيضاً ، ولم يعلم التصوي أن علماء النحو إنما قالوا ذلك بهملاً ، اتكلاً منهم على تحقيقه من علم التصريف ، لأنه لا يلزمهم أن يقولوا ، في كتب النحو ، أكثر مما قالوا ، وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيئاً من التصريف ، لأن تلامذ من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ، غير أن أحدهما مرتبط بالأخر ، ويحتاج إليه . وإنما قلت : إن التصوي ، إذا سئل عن تصغير « اضطراب » يقول « اضطريب » لأنه لا يحذف من لفظة « اضطراب » الألف ، أو الصاد ، أو

(١) المترجم : السائل . (٢) كان أعربى إن يقول « في أحرفها » بجمع اللفظ .

(٣) في الأصل « الماتب » وهو من تحريف التثاق . (٤) زيادة يقتضيتها التثاق .

(٥) في الأصل « جحشمرش » وهو غير صحيح لوجوب حذف حرف الأخير . قال ابن المظرب في

التثاقية ١ : ٣٠٢ . وإنما صدر المجلس على حذفه فأولى حذف المجلس وقيل : ما أشبه الزائد .

الطاء ، أو الواو ، أو الباء ، هذه الحروف المذكورة غير الألف ليست من حروف الزيادة ، فلا تحذف ، بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ، ويترك الحرف الذي ليس بزائد ، فلا يحل ذلك قلنا : إن النحوي يصغر لفظة « اضطراب » على « شطيرب » فيحذف الألف ، التي هي حرف زائد دون غيرها ، مما ليس من حروف الزيادة . وأما أن يعلم النحوي أن الطاء في « اضطراب » مبدلة من تاء ، وأنه إذا أريد تصغيرها يبدل إلى الأصل الذي كانت عليه ، وهو التاء ، فيقول « شُطِيرِب » فإن حسنا لا يعلمه إلا التصريفي . ونكيف النحوي الجاهل يعلم التصريف معرفة ذلك كشكايته معرفة علم اللبيب ، ثبت بهذا الدليل ، التي ذكرناه ، أن مؤلف الكلام يحتاج إلى علم التصريف ، فلا ينطق في مثل هذه الاماكن ، فيستوجب عند ذلك الذممة والغيب .

ومن العجب أن يقال إن مؤلف الكلام لا يحتاج إلى التصريف . ألم تعلم أنه نافع بن أبي نُعيم ، وهو أكبر القراء السبعة قديراً ، وأخفهم شأناً ، قال في « معاني » « معاني » بالهمز ، ولم يعلم بالأصل في ذلك ، فأخذ عليه وعيب من أجله . ومن جهة من عابه على ذلك أبو عثمان ^(١) اللزني ، فقال في كتابه في التصريف « إن نافعاً لم يدر ما العربية » . وكثيراً ما يقع أولو العلم في مثل هذه اللواضع ، فكيف الجاهل الامتار ، الذين لا خبرة لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها ؟

وأما كاتب المؤلف عارفاً بحقيقة الامر في ذلك لا يقع في ورطة تؤخذ عليه ، وهذه لفظة معاني لا يجوز همزها ألينة بإجماع من علماء العربية ^(٢) ، لأن الباء فيها ليست مبدلة من

(١) هو بكر بن محمد البصري روى عن الأصمعي ومثقه وكان ائماً في العربية والتصريف ، فوي للخطابة ، قال اللزني : لم يكن بعد سيويه أعلم بالنحو من أبي عثمان . توفي سنة ٢١٥ هـ على إحدى الروايات .

(٢) جاء في لسان العرب .. وجمع الفتحة معاني على التماس ومعاني على غير قياس ، والله قري . بها قوله تعالى « ويعتاد لسك فيها معاني » وأكثر القراء على ترك الهمز في معاني ، إلا ما روي من أنه قاله همزاً . وجمع المعنويين البصريين بزحون أن همزها خطأ ، وذكروا أن الفتح إنما تكون في « آية » إنما كانت زائدة على معنوية وصحاحه . فأما معاني فن الهمز الباء أصلية « وعلى من الصحاح قول الجوهري « وإن جئت مبدلة على الفتح لا على الأصل همزت وعيبت معنوة بفتحة » كما همزت الصالح لأن الباء =

وأهلها وكان ذلك لها وزادها نابلس وأهلها ، ولم يقابل شياء الدين بن الأثير إحسان القاضي
الفاضل بالإحسان ، قال الفاضل ترك دمشق أيضاً وعان مملكة نور الدين الأفضل ولحق
بالمهارة فخرج للوك العزيز الى القاهرة وأجلى قدومه إجلالاً ، وأكرمه إكراماً .

وكانت مدينة القدس مضافة للملك الأفضل ، فهدى ضياء الدين بن الأثير على أن يدخل
عنها لأخيه العزيز ملك مصر ، فغضباً من النهوض بأعباء ولايتها ، لأنها كانت تحتاج حينئذ
الى أموال ورجال لمداومة الفرنج عنها ، فكتب الأفضل الى أخيه العزيز بذلك أخشفاً برأي
الضياء ابن الأثير ، فسُر العزيز بذلك وجهز عشرة آلاف دينار الى عز الدين جريدك التتوي
مغولي القدس لينقذها في مسكر القدس ، فغضب جريدك بها للملك العزيز وقطع اسم الملك
الأفضل . وخشي العزيز من أن يفضى الفرنج الهدية التي عندها معهم أبوه صلاح الدين ،
فأرسل حينئذ الى القدس احترازاً من الفرنج ، ثم بدا للأفضل أن يسترد ما ذهب لأخيه وهو
القدس ، ورجع عن ذلك التخلي ، فهدى العزيز من هدايا وأخذ الأمراء في التحريض والتضريب
بينها وحسبوا للعزيز الاستيلاء بذلك ، والقيام مقام أبيه ودفع أخيه الأكبر وهو الملك الأفضل
من الملك ، فبلغ ذلك أذاه فساء .

وكانت نابلس وأهلها قد وقف السلطان صلاح الدين عليها على مصالح القدس وبقيها على
ابن الأمير هي بن أحمد للشطوب فشاركه فيه أحد الأمراء الأكراد فسبوا أيديهم الى الوقت
وساءت سيرتهم وتخوفوا من إنكار الملك العزيز عليهم فلجؤوا الى الملك الأفضل ، فأفضل عليهم
وسكن إليهم ، فغادر الملك العزيز بذلك ، وكان من جملة الأسباب الداعية الى الاضطراب أن
الفرنج تسلطوا نهر جبيل من مستنظليه بيماً ، وضعف الملك الأفضل عن استخلاصه ، فقبل
العزيز : إن توافيت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بعسكره من الصلاحية والأسيدي
والاكراد ، وبلغ خبره أخاه الأفضل فضاق صدره واجتمع مع من في خدمته من الأمراء
بموضع يعرف برأس اللا ، وأراد أن يستعطف أميراً اسمه صارم الدين فإجاز التجمي أحد أبناء
الأمراء عند صلاح الدين وكان مقبلاً في إقطاعه وكان بينه وبين الأفضل شقاق وعناد ، فُرسل

يكن المؤلف عارفاً بعم التصريف . مثال ذلك إذا أراد المؤلف أن يبيّن من وزن « قتل »
 للتل قوّه بالواو مستقبلاً . فإن كان جاهلاً بذلك قال في وتمدّ « يؤمّد » قياساً على الصحيح
 في ضرب « يضرب » وإن كان عالماً به حذف الواو ، لوقوعها بين ياء وكسرة ، فقال
 وعدّ « يعدّ » . وكذلك إذا أراد أن يبيّن من وزن « قبيل » أو وزن « قعل » التعلّي
 الفاء بالواو مستقبلاً . فإنه إن كان جاهلاً بذلك ، وكان قد سمع بعض العلماء ، يقول في وتمدّ
 « يمدّ » حمل « قبيل » وقعل » على ذلك الأسلوب فقال « ورجل يرحل » وفي « وضوء
 بطيوس » . وإذا كان عارفاً بمعنى الأمر في ذلك لم يحدف الفاء في مستقبل « قتل » وقعل » بل
 يقول « ورجل يؤمّل » و « وضوء يؤضؤ » . وأكثر ما يقع الخطأ في تعريف الكلام
 التعلّي ، من اللغوي إلى المستقبل ، وهو موضوع من البرية وعر السلك ، فينبغي لمؤلف الكلام
 مراعاة والاعتناء به ، وأمثال هذا كثير فاعرفها .

وأما الادغام وقولك : إن المؤلف لا يحتاج إلى معرفته ، واستدلالك عليه بما ذكرته من المثال ،
 وهو قولك : « مررت برجل ضفّ الخال » . فإن ذلك لا يسلم إلا في هذه الصورة ، وما
 يجري مجراها ، في نقل الألفاظ على هيئتها ، ومن شرط الأمانة أن تكون شائعة في جنسها .
 وانضرب لذلك مثلاً ، كيف اتفق ، فنقول : إذا قال النحوي في تعريف الخال « إنها هيئة الفاعل
 أو الفعول وهي تنكوة منسوبة مشتقة ، أو في تقدير المشتقة : تأتي بعد معرفة ، وبمعنى تقدير
 » في « معها وسؤال « كيف » ثم قيل ذلك بقوله : « جاء زيد ركباً » . فلا يجوز أن يكون
 هذا المثال غير مطرد في جنسه ، لأنه لو لم يكن مطرداً في جنسه لا جاز أن يعمل مثلاً لا تقدمه
 من هذه الصائغ ، وكذلك هذا المثال الذي مثلت به ما ادعيت في الادغام فإنه ليس بشائع في
 جنسه . ويان ذلك أنا نقول : قد ورد من بعضهم هذا البطلان وهما :

إنهم في كناية^(١) الرحمن أنت مني في ضمير وأمان
 ترهبني والجسدك ملك لليل والحشا والبشام والعيان

(١) في الأصل « كناية » بتسوية النون ، وعليها بدأ ولا تامة به .

فإذا يقول هذا الشاعر إذا سئل عن قوله « ترهيني » وقيل : إن الأصل في ذلك « ترهيني »
 يخفف إحدى التوين ؟ فلا أجدهُ يستطيع الجواب عن ذلك ، إلا أن يسكون مرفاً بالأدغام ،
 وهو : إذا كان اللتان في كلمتين وقبلها ساكني ، وهو حرف مدلولين ، يجوز إدغام إحداهما في
 الآخر ، ولما وجد هذا السبب في « ترهيني » أدغمت إحدى التوين في الأخرى ، ثم خفف
 الأدغام فصارت « ترهيني^(١) » فيجب حينئذ على مؤلف الكلام ، بهذا الدليل ، معرفة الأدغام ،
 ليس من اعتراض متعرض أو تعذرت متعذت .

وأما الترتيب الثاني : وهو قولنا إن المؤلف يحتاج إلى معرفة اللغة فلسنا نعي بذلك إلا
 ما كان مأثوراً^(٢) ، متداولاً بين أرباب هذه الصناعة . وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا هذا .

ويختار المؤلف أيضاً إلى معرفة عدة أسماء ، لما يقع استعماله في النظم والشعر ، ليجد إذا ضاق به
 موضع في كلامه ، بإيراد بعض الألفاظ فيه ، المدلول عنه إلى غيره ، مما هو في معناه .

وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه ،
 وأخذُ أن هذا الوضع ينبغي أن يذكر فيه الأسماء ألبتة^(٣) ، وانقسام دلالتها على المعاني ، فإن
 المؤلف إذا كان عالماً بذلك ، فهو مما لا يستغنى عنه فنقول :

الألفاظ تنقسم دلالتها على المعاني ستة أقسام : مترادفة ، ومشتركة ، ومتباينة ، ومتواضعة ،
 ومشككة ، ومتشابهة ، فأما الثلاثة الأولى التي هي : المترادفة والمشتركة والمتباينة
 فيحتاج مؤلف العكلام إلى معرفتها . وإنما أوجبت عليه معرفة الأسماء المتباينة ، لأن منها
 ما يرمح أنه من المترادفة ، وليس كذلك . وأما الثلاثة الأخر التي هي : المتواضعة والمشككة

(١) تخفيف الإدغام هنا لا يخرج من كونه ضرورة شعرية في معادل حذف التوين غير باسم ولا
 لازم إذ صبح التأويل إليه أثر في الأدغام ، والغروف في مثل هذا أن يكون كقولته تعالى « ذلك لا بأس »
 وقوله « أفتر الله بأسوي أن أوبد » .

(٢) في الأصل « مولوداً » والصحيح ما أوردناه .

(٣) البنية في الأصل مصدر للزمن من الفعل « بت » بمعنى قضى وجزم . وقد استعملت في كلام العرب
 بمعنى واليات جاء في حديث « أبي عبد الله محمد بن الحسن اللخمي » : « فلما نزل من رؤيته البنية فهكته
 لغة (مصارع الحلال ص ٩١ - مطبعة السعادة) .

والشابهة فإنه لا يحتاج مؤلف المحكلام إلى معرفتها ، لأن ورودها في التأليف لا يستلج
قائمة تذكر ، كالترادفة والمشاركة ، وما عابه الترادفة من التباينة ، وإنما ذكرنا هذه الثلاثة
الأخر ههنا ، لتكون قد استوفينا جميع أنواع الأسماء في كتابنا هذا ، فأعرفه .

أما الأسماء المترادفة : فهي المختلفة الدلالة على معنى يتفرج تحت حقيقة واحدة ، كالظفر
والراح ، والعقار ، فإن للمعنى بهذه الأسماء شيء واحد ، وهو الشراب السكر للتصريح من
الغيب^(١٦) . وأما الأسماء المشتركة : فهي اللفظ الواحد للطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة .
إطلاقاً متساوياً ، كالعين ، فإنها تطلق على العين الباصرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى للطر . وكل
من هذه الثلاثة يختلف بالحد والحقيقة ، أما التباينة : فهي الأسماء المختلفة الدلالة على معاني مختلفة ،
كالفرس ، والحمار ، والجدار . وغير ذلك . وقد يوجد من التباينة ما يوهم أنه من الترادفة ، وليس
كذلك ، وهو أن يصعد الموضوع ، ويعدد الاسم ، بحسب تباين اعتبارات ، فمن ذلك أن يكون
أحد الاسمين له من حيث هو موضوعه ، والآخر من حيث هو صفة له ، كقولنا السيف ،
والصارم . فإن الصارم دل على موضوع بصفة الجودة ، وذلك بخلاف ما دل عليه السيف ، لأنه
موضوع بإزاء هذه الآلة ، كيف كانت . ومن ذلك أن يكون أحد الاسمين له بسبب وصف ،
والآخر بسبب وصف للوصف ، كقولنا الناطق ، والتصريح . فإن التصريح وصف للناطق ، الذي
هو وصف الانسان .

وأما الأسماء المتواضعة : فهي الدالة على أمسيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينهما ، كدلالة
اسم الحيوان على الانسان ، والفرس ، والحمار ، لأنها مشتركة في الحيوانية ، والاسم موضوع
إزاء ذلك للمعنى المشترك المتماثل .

(١٦) قال عن ابن عبد الحميد بن أبي المنيد للمصنف في « القاموس المحرر على النثر » ص ١٠٤ :
في تعد ما يشبه هذا من كلام المؤلف « هذا الموضوع من أمثال التعانبات التي له عليها للمعتقون قالوا : قد يظن
في كثير من الأسماء أنها مترادفة وهي في الحقيقة تباينة كالسيف والصارم والهندس ... وذكر واحد من هذه
الغاي يباين للآخر بالأسماء الرذوية لما تباينة في المنفعة وإن ظن في الظاهر أنها مترادفة وكذلك ما مثل به
المصنف من آخر اسم موضوع لهذا التصريح القصص وإن كان مشتقاً غير مرادف والراح اسم لما تراجح الضم
إيه والقدم اسم لما يدام استعماله كأنه أديم يدام فهو مدام ، فالعاني تباينة لا محالة وإن يوهم في الظاهر أنها
مترادفة .

وأما التشكيك فهي كل اسم كُلماً على شيئين فصاعداً ، بمعنى هو واحد في نفسه ، لكن يختلف ذلك للمعنى فيها من جهة أخرى ، كالقديم ، والتأخر ، والأشد والأضعف . أما التضمين والتأخر فكالوجود للجوهر قبل العرض وأما الأشد والأضعف فكالرياض الواقع على الثلج والعلاج ، فإن الثلج أشد رياحاً من العلاج .

وأما التشابه فهي الأسماء التي لا يجمعها معنى واحد ، لكن بينها تشابه ما ، من حيث ذاتها ، كالتأخر في الصور على صورة الإنسان ، إذ يطلق لفظ الإنسان عليه ، وعلى الإنسان الحقيقي ، بطريق التشابه لا بطريق التوابع ، لأنها مختلفان في الحد والحقيقة . هذا ما يبينه ذكره في الأسماء وانقسامها في الدلالة على المعاني ، فحرفه .

وأما النوع الثالث : فهو معرفة أمثال العرب وأبليسهم فإن^(١) مؤلف الكلام شديد الحاجة إلى ذلك ، وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب^(٢) أوجبتها ، وحوادث اقتضتها ، فصار لكل القروب لأمر من الأمور عندهم كالملازمة ، التي يعرف بها الشيء^(٣) . وليس في كلامهم أوجز منها ، ولا أشد اختصاراً . وسبب ذلك ما ذكره لك ، لتكون من معرفته على يقين . فأقول : قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم « إن يَسُخَّ عليك قومك لا يَسُخَّ عليك القمر » . وهو مثل يضرب للآمر^(٤) الظاهر المشهور ، والأصل فيه :

قال الفضل^(٥) بن محمد : إنه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على

(١) في الأصل « كان » وهو غير مستقيم ، (٢) في الأصل « الأسباب » ولا يوافق القوم .

(٣) قال عز الدين بن أبي الحديد « في اللغة الأثر على لسان السائر » - ص ١٤ - « الصحيح أن يقال : مثل على نوعين أحدهما ما بعد به البانة بلفظة (العمل) كقولهم : أشغل من ذات العين . والثاني (كذا قال والصواب الأثر) كل كذاه وجيز منقوله أو منقول ، قول في اللغة منصوبة كقوله مني وحكمة وقد تبارك ، وبذلك ذلك ، لأن يشاهد به في الآثار تلك الراجحة » بعد .

(٤) في الأصل « قام » ولا معنى له هنا .

(٥) هو الفضل الذي أبو العباس وعلي أبو عبد الرحمن . من رحمة القرن الثاني للهجرة . كان خالاً بالصوم والشعر والفريب وأيام الناس . وله كتاب الأمثال وكتاب المضائق من مختار شعر العرب ، وقد طبع كتاب الأمثال مطبوعة الخواريب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .

الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر ، فقالت طائفة : نطلع الشمس والقمر يرى . وقالت طائفة : يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس . فتراضوا رجل جعلهم بينهم حكماً ، فقال واحد منهم : إن قومي يتنون عليّ ، فقال له الحكم : « إن يبيح عليك قومك لا يبيح عليك القمر » فذهبت مثلاً . ومن المعلوم أن قول القائل « إن يبيح عليك قومك لا يبيح عليك القمر » إذا أخذ على حقيقته من غير نظر إلى القرائن المنوطة به ، والأسباب التي قيل لأجلها ، لا يعطى من التي ما قد أعطاه النحل ؛ وذلك لأن النحل له مقدمات وأساليب ، قد عرفت ، وصلوات مشهورة بين الناس معلومة عندهم ، وحيث كان الأمر كذلك جاز اليراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد . ولولا تلك المقدمات المعروفة ، والأسباب المعروفة لما فهم من قول القائل « إن يبيح عليك قومك لا يبيح عليك القمر » ما ذكرناه في المعنى المقصود ، بل ما كان يفهم من هنا القول بمعنى مفيد البينة ، لأن البني هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحداً ، فكان يصير معنى النحل « إن كان يظلمك ^(١) قومك لا يظلمك القمر » وهذا كلام مختل ليس بمستقيم .

فما كانت الأمثال كالرموز والاشارات ، التي يلوّح بها على الداعي تلوّحاً ، صار من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً وحيث ^(٢) هي بهذه المثابة فلا ينبغي لمؤلف الكلام أن يخل بها .

وأما أيام العرب فإنها تنوع وتشتعب ، فمنها أيام نهار ، ومنها أيام محاربية ، ومنها أيام مدعة وعار ، ومنها غير ذلك . ولا يخلو المؤلف من الانتصاب لوصف يوم بمر به ، في بعض الاوقات ، مشبهاً بذلك مماثلاً له ، فإذا جاء بذكر بعض تلك الأيام المناسبة لمراده ، والواقعة له ، وقام عليه يومه ، قال : « أشهر من يوم كذا » أو « أسير » : أو ما جرى هذا المجرى ،

(١) هنا التركيب يدل على أن الفعلين أجريا جري الفعل الواحد كقوله تعالى « من عدنا كاذباً يزيح ظلوب فريق منهم » (التوبة : ٩ - ١١٢) ولولا ذلك لوجب أن يقول « إن كان يظلموك قومك ... » .
 يميل على « يظلموك » شيراً لسكان مضمناً .

(٢) الراجح ظاهرة على عبارة المؤلف هذه وهي من التبدلات الباردة في أيدي ، المراد « وإن كانت بهذه المثابة ... » وكانت

فانه يكون في غاية الحسن والرويق ، وهذا لا يخفاء ^(١) به .

وأما النوع الرابع وهو الاعتلاج على كلام المتقدمين من المتفهوم والمتشور ، فان فيه المؤلفات فوائد ^(٢) جمة : وذلك أن يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ، ويصرف مناسد كل فريق منهم ، والى أين زلزلت به سمعته في ذلك ، فان ههنا الأشياء مما تشهده القرينة ، وتؤدي الفسلة ^(٣) . وإذا كان المؤلف عارفاً بها تصير المأني ، التي ذكرها أرباب هذه الصناعة ، وتعبوا في استخراجها كالشيء الذي بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ، ويترك ما أراد . وأيضاً فإنه ^(٤) إذا كان مطلقاً على المأني السبوق إليها ، فقد يفتتح له من بينها معنى غريب ، لم يسبق [إليه] ^(٥) . ومن العلوم أن خواطر المؤلفين وإن كانت متفاوتة في الجودة والزيادة ، فان بعضها قد يكون ^(٦) هائلاً على بعض ، أو منقطعاً عنه بشيء يسير . وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار ، في الإتيان بالمأني ، حتى إن بعض المؤلفين قد يأتي بمعنى من المأني مصوغاً بلغته ، ثم يأتي الآخر بعده ، بذلك المعنى واللفظ ، بعينها ^(٧) ، من غير علم منه بما جاء به المؤلف الأول ، وهذا هو الذي تسميه أرباب هذه الصناعة « وقع الخاطر على الخاطر » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبحي على مطبخهم يقولون لا تهليلك أسيّ وأنجسك
وقول طرفه من العبد البكري بعده ؛
وقوفاً بها صبحي على مطبخهم يقولون لا تهليلك أسيّ وأنجسك
وسياق ذلك باب مفرد في كتابنا هذا .

وأما النوع الخامس ، وهو معرفة الأحكام السلطانية من الأمانة والأمانة ، وغير ذلك ،

(١) في الأصل « الاعتلاج » . (٢) في الأصل « فوائد » .

(٣) للتعبير عند التصديق « إمامة الضمير ال » ما « مفرداً متذكراً فان كانت « ما » دروية وميزت بإثبات جزأ الوجهان . كقوله تعالى في الذكر ٣ : ٢ « ما يخرج الله الناس من رحمة فلا يحسبها وما يحسب فلا مرحل له من بعده وهو العزيز الحكيم » .

(٤) هنا من تعبير المتكلمين لأن « إن » تعطف ما بعدها عما قبلها . أراد « وهو أيضاً إذا كان .. » .

(٥) زيادة بتعريفها السابق . (٦) في الأصل « لا يكون » وهو غير مستقيم .

(٧) في الأصل « بعضها » وهو تصحيح وتعل الصواب بأعنيها .

فإننا أوجبتنا⁽¹⁾ على مؤلف الكتاب معرفتها ، والاطاعة بها : لأنه قد يحدث في الإمامة حدث ، في بعض الاوقات ، أو يجري فيها أمر من الأمور : بأن يكون الامام القائم من السابقين ، ثم يتولى من بعده من لم تتكامل فيه شرائط الإمامة ؛ أو يكون كامل للشرائط ، غير أن الامام الذي كان قبله مهيئاً بها الى آخر غيره ، وهو ناقص للشرائط ، أو يكون قد تنازع الإمامة شخصان⁽²⁾ ، أو يكون أرباب الحل والمقد قد اختاروا إماماً ، وهم غير كامل للشرائط ، التي يجب أن توجد فيهم ، أو يكون أمر غير ما ذكرنا : فتختلف الاطراف في ذلك ، وينتصب ملك من ملوك الأرض له حماية والإمام الذي قام لسابقين ، فيتقدم⁽³⁾ الى كتابه يكتبه كتاباً في معناه الى الاطراف المختلفة له . وإذ لم يكن الكتاب عند ذلك عارفاً بالحكم ، في هذه الحوادث ، واختلاف أقوال العلماء فيها ، وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، فإنه لا يكتب كتاباً يتفجع به البتة . ولست اضفي بهذا القول أن يكون الكتاب مقصوداً على فتح محض فقط ؛ لأننا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتابه كتاباً ، بل كنا نقتصر على اقتاد مصنف من مصنفات الفقه ، عوضاً عن الكتاب ، الذي يريد أن نكتبه ، وإفنا قصدنا بذلك أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتقاً على الترغيب والترهيب : والتنازع في موضع ، والمخافة⁽⁴⁾ في موضع ، وشجراً كذلك بالنكت الشرعية ، التي تليق به ونعاسيه ، كأفضل الصافي⁽⁵⁾ في الكتاب⁽⁶⁾ الذي كتبه من عز الدولة بن أيوب في الطائفة ، الامارات للطبع ،

(1) في الأصل : أوجبتنا ، وهو غير مطبق .

(2) قال في الصياح النور : التخص : سواد الأركان تزلزل من بعدهم استعمل في ذاته .

(3) يقال : تقدم بكذا الى فلان : أمره به .

(4) في الأصل : المخافة ، تلك الأذنام وهو غير جائز ، لأنه مصدر ، قال : الرديعي بتسديد القلم .

(5) أبو اسحاق ابراهيم بن ملال بن زهر بن المرثبان الأميل ، قال فيه باقوت : أوسع الدنيا في إنشاء

الرسائل ، نقل ديوان الرسائل والشأن والمعادن تليقاً بآدابها العلم في يومه بغداد . وله كتاب الأمير حكيم

أرسلاان الجزء الأول من رسالته ، وله وصيد - الزكوي مع صفى جواد ، أحد اطفالين طيسفاً للكتابة -

فيها نسخة يدو السكب الرومية يوريس فلان من اسمه ، ولها : ٦١٩٥٠ - عربيات . وله كتاب الثامن في أخبار

بي يوبه وأخبار أهله ، وديوان طبر - تولى طبعة : ٣٨٤٠ - معجم الأديبة ج ٢ من ٢٠ - ٢٤٠ .

والرويات ج ١ ص ٦٤ من نسخة مكتبة النهضة بالجامعة .

(6) وهذا أن تشير الى موضع هذا الكتاب من رسائل الصافي التي ذهبها الأمير حكيم ارسلاان والظاهر ،

قائه من محاسن السكتب ، التي يكتب بها في هذا الفن .

وأما النوع السادس وهو حفظ القرآن الكريم ، والاطلاع على غرائبه ومعانيه ، فالت مؤلف السكتب ينفي له أن يكون عارفاً بذلك ، لأن فيه فوائد كثيرة ، ومنافع زائلة . منها أن يُدسِّن كلامه الآيات في أما كتبها الثلاثة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، ولا تشبهة فيما يصير للكلام بذلك ، من المخاطة والجزالة والروقي ، كما فعل الشيخ عبد الرحيم^(١) بن نباتة في خطبه^(٢) فإنه أبدع في تضمين الآيات فيها ؛ وسيأتي بيان ذلك في باب التضمنين .

ومنها أن المؤلف إذا عرفت مواقع البلاغة وأسرار صناعة الكلام ، في تأليف القرآن الكريم ، اتخذها بمرآة ؛ يستخرج منه الدرر والجواهر ، ويرودها^(٣) في مطاوي كلامه . وكفى بالقرآن الكريم وحده آية لؤايف^(٤) السكتب . فطيلك أيبا الترشح لهذه الصناعة بمفئله ، والفحص من سره الخفي ، ونادى عليه المستور ، فأنها تجارة اللؤايف لا تجور ، وينبع لا تجور ، وأكثر يرجع إليه ، وذخر يُعورك في جميع كلامه عليه .

وأما النوع السابع ، وهو تحفظ أخبار الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما يحتاج مؤلف السكتب إلى استنباطه ، فإن الأمر يجري في ذلك بغيري القرآن الكريم ، وقد تقدم القول فيه ، فأحرقه .

== لا أنا لم أعر عليه قبرا ، قلنا منه في رسائل الصابرة المضمونة المخطوطة بدار السكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٦٦٩٥ في المجلد به فيها ، وذلك يدل على نقصان ما جمع منها .

(١) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة المذابي القلبي ، صاحب الخطب المسيوية للمضونة للعدالة ، كان يبادأ في علوم الأدب ، وكان خطيب طلب وبها اجتمع مع أبي العزيب القلبي في خدمة الأمير سيف الدولة بن حمدان ، دارا ؛ وكان سيف الدولة كثير الغزو فلهذا أكثر هذا الخطيب من خطب الجهاد لبعض الناس عليه وانضم إلى عصارة سيف الدولة . ولد سنة ٣٣٥ هـ وبولسنة ٤٢٧١ هـ ببالأرجن . (الولايات ج ٢ ص ٥٢١ - ٢٢٤) من طبعة المطبعة السعادية سنة ١٩٤٨ هـ .

(٢) في الأصل : خطبة هـ .

(٣) راجع هـ ص ٤ هـ من هذا السكتاب .

(٤) في الأصل : اللؤايف هـ .

القسم الثاني

وهو ما يخص الشاظم دون اللامر

وذلك معرفة العروض ، وما يجوز فيه من الراحف ، وما لا يجوز ، فن الشاعر محتاج اليه . ولما
توجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعه ، فن النظم مبني على التوق ، ولو نظم بتقطيع التقاعيل^(١)
لجاء شعره متكلفاً غير مرضي ، وإنما أريد للشاعر معرفة العروض لأن التوق قد يبدو عن بعض
الراحفات ، ويسكون ذلك جائزاً في العروض . وقد ورد للعرب مثله . فإذا كان الشاعر غير عالم
به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وبين ما لا يجوز .

وكذلك أيضاً يحتاج الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات ، ليعلم الروي^(٢) والرادف^(٣) وما
لا يصح من ذلك ، فإنا أكل مؤلف الكلام معرفة هذه الآلات ، وكان ذا طبع مجيب وقريحة
مؤانسة ، فليبه بالنظر في كتابنا هذا ، والتدبر لمشكيلته ، والتصريح لما أودعناه من حقائق علم
البيان ، ونهنا عليه من أصول ذلك وفروعه .

(١) في الأصل : الأوامر .

(٢) الروي : هو الطرف الذي يوجهه الصيغة فتنسب اليه يقال : الصيغة لامية ، إذا كان الروي لامية
و : ميمية ، إذا كان الروي ميمياً ، وهكذا .

(٣) الراحف : هو حرف غير ساكن (أو يا ، بعد حركة ثم تناسخها) أو حرف مد (ألف أو واو
أو ياء بعد حركة ماضية) يضاف قبل الروي ، ويصلان به مثل حرف اللين (الهاء) في كلمة (عين) من قول
أبي العتاهية : دار أهلك فيها قرعة اللين ، و مثل حرف الله (الهاء) في (سبيل) من قوله :

لا تهرع تهرعاً فلو ... من إلى القيساء يوماً سبيل

أبواب التائي

من الفن الأول من القطب الأول

في أبواب التأليف

أهم أيها التصيب لهذه الصناعة ، أنه يجب عليك إذا أردت أن تواف شيئاً من الكلام ، مشوراً كان أو معقولاً ، أن تأخذ من نفسك ، ساعة نشاطك وقراخ بالك ، وإجابتها لك ، فإن قليل تلك الساعة أجسدي عليك بما يعطيك يومك بالسكدة والطلاوة ، وإليك والتوسر فإنه يسلك لك التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين أفعالك ، وسببها لك فيما يأتي من هذا الكتاب ما تتولى به ذلك ؛ فلما حاولت أمراً بعيداً فأنس له لفظاً يناسبه ، فانه جدير بالمعنى الشريف أن يكون لفظه شريفاً ، وإذا وجدت ذلك فهو الدرجة التي لا أمد وراءها ، والنزلة التي لا مطلع فوقها ، عليك بتفحيط^(١) الألفاظ وتحسينها ، فإن الخطب الراتبة والأشعار البارعة ، لم تعمل لأفهام المعاني فقط ، لأنه لو قصد بها الأفهام فقط لكان الردي ، من الألفاظ يقوم مقام الجيد في الأفهام ، وإنما عملت الخطب والأشعار لأجل الألفاظ بداعة اللفظ ، وإحكام صنعة ، ولستأ تعني بذلك أن يحمل المؤلف صمته مقصورة على تجويد الألفاظ ، وبهيجل المعاني للنوطة تحتها ، وإنما المعنى^٢ به أن تكون المعاني المقصودة ذات ألفاظ حسنة رائحة ، وسند ذكر معرفة اللفظ الجيد من الردي ، والفرق بينها ، فيما يأتي من كتابنا هذا .

واعلم أن المعنى هو عماد اللفظ ، واللفظ هو زينة المعنى ، والمعاني تنزلة الأرواح ، والألفاظ تنزلة الأجساد ، فأول ما يجب على المتكلم أن لا يوافق كلامه من ألفاظ رديئة ، ثم إن ألفه من

(١) في الأصل « بتفحيط » .

ألفاظ جيدة حسنة + فانه لا يكون لها منزلة + وروني إلا بإدعائها معنى شريفاً واحضاً + لأن الألفاظ لا تراد لنفسها + وإنما تجعل أداة على المعاني + فانما تعدت من التي يراد منها لم يستعد لها بالأوساف التي تكون لها . ألا ترى أن قولك « فمولان مغايرين ... » ليس له من الخلاوة والروني ما لقولك :

تَشْوَحَ إِسْكَاطِيْنُ تَعْبَانٌ^(١) بِذَهَبٍ بِه زَيْبِ فِي رِنْسُوْقِ خَفِيْرَاتِ

وذلك غير أن من المعنى المفهوم ؟ وهذا مما لا يحتاج فيه إلى زيادة في القول + لبيانه ووضوحه . ومن المعلوم أن جملة العقلاء من الخفاصة والعاملة يعرفون المعاني + ويستويون فيفسا + إلا أنهم لا يتدرون على إرازها في لباس أتيق مناسب لها + لعدم الطبع الجيب إلى ذلك . ألا ترى أنه حكى عن الخيزد^(٢) + وهو من أكبر علماء العربية وأنضمهم شأناً + صاحب قول ومنعجب + أنه قال : لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم الناس بي + إنه ليس أعمد ينتلج في قلبه مسألة مشكلة إلا يقبلي بها + وأتعدني لها + فانما عالم ومعلم + وحافظ ودارس + لا يخفى عليّ مثابه^(٣) من الشعر والنحو + والسكلام النثور + من الخطب والرسائل + ولما احتججت إلى امتحان من قال أن بعض الأصدقاء + أو الناس لحاجة + فاجعل للمعنى الذي أقصدُهُ تعسباً هبني + ثم لا أجده سويلاً إلى التعبير عنه بما أرغضه . ولقد بلغني أن عبدة الله^(٤) بن سليمان ذكرني بمجمل + فحاولت أن

(١) تيران كنجيان : اسم واحد وهذا البيت لحمد بن عبد الله التبري : كامل البرد ج ٣ ص ١٠٠ + الألفاني ج ٦ ص ٢٢ + عطية التقدم بصر .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد الأرقط الثاني البصري ولد سنة ٢١٠ هـ ونولي سنة ٢٨٦ هـ وكان إماماً في العربية والنحو وأوجد زمانه فيها وله تأليف مشهورة كالمكمل في الألف والمعاني والمرآة والمهراب والمرآة والسبب عثمان والحضانة والرد على سبويه وغير ذلك . + معجم الأندلس لياقوت الحموي ج ١٩ ص ١١١ وما يليها + ونية الوفا ص ١١٦ + عطية السعادة ، وقد بدأ في الأعلام للزركلي ص ١٠٠٩ + أن + مولد ووفاته ببغداد + والصحیح أنه ولد بالبصرة . انظر الترجيح المذكورة اعلاه في ذلك .

(٣) في الأصل : منبه + ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٤) في الأصل : عبدة الله + وهو تعديف وهو أبو القاسم عبدة الله بن سليمان بن وهب الكاتب الوزير ولد سنة ٢٢٦ هـ ووزر لعمدة ثم لعمدة عشر سنين + وكان من المدحجين + مدحه ابن الفخر الخفيفة الشاعر ونولي سنة ٢٨٨ هـ (راجع نواته الزيات ج ١ ص ٥٨) من طبعة طبعة السعادة بصرى والحضري ص ٢٠١ من طبعة أوروبا - وابن كثير + في البداية والنهاية) ج ١١ ص ٨٥ .

أ كتب إليه رقعة أشكره فيها * وأعرضُ بعضُ أموري ، فأبعت نفسي يوماً في ذلك ، فلم أقدر على ما أرتديه ، فكنت أحاول الأفضاح مما في ضميري فيتعرفُ لساني إلى غيره .
 فإذا كان هذا قول البرء - مع علو منزله ، وارتفاع قدره - ، فما تلك بمن لم يستشق رائحة هذه الصناعة ؛ ولذلك قيل : زيادة التعلق على الأدب خير و^(١) زيادة الأدب على اللطيف هينة . فحرف ذلك وقس عليه .

ولأجل تجويد الألفاظ وتهذيبها كلن الكاتب في الرسالة ، والطبيب في الخطبة ، والشاعر في النسيبة ، بعد الفراغ من معانيها يشتمل بتلخيص ألفاظها ، والشأن في تجويدها ، أيدل بذلك على براعته والتقدم في صناعته . ولو كان قصد هؤلاء التروم لفهام اللغوي فقط اطرحوها ، وريحوا كعماً كبيراً ، وأسقطوا عن أنفسهم لعباً زائلاً . فينبغي لمؤلف الكلام حينئذ أن تكون ألفاظه رشيقةً لائقة ، ومصفاة بالمعاني التي يرد ذكرها في هذا الكتاب . ويكون معناه مساوياً فيما قصده . وإذا كان حُسنُ التأليف لا يواتيك ، ولا تصل قدرتك إليه وتجد العقلة لا تقع موقعها ، ولا تغير إلى مركزها ، ولا تتصل بسلكها ، وكانت قلقة في مكانها ، فافرة عن موضعها ، فلا تكرها على اقتصاب الأماكن ، والتزول في غير مواضعها ، فانك إن لم تتعاط صناعة التأليف من اللغزوم والشور لم يبتك^(٢) على ذلك أحد . ولو تكلفت ذلك ولم تكن حاذقاً به ، ولا محكماً له استعجلت عند ذلك العيب ، واستفوجت الدم وجعلت نفسك قرماً^(٣) لسهام اللام . وإن كانت فريحتك لا تسمح لك ، وتعصي عليك ، بعد إجابة القصص ، وإطالة النثر فلا تعجل وأترك نفسك في تلك الحالة ، ثم عاود أمرك عند نشاطك وبراءة بالك : فانك لا تستدِمُّ حالة الأجابة من خاطرک ، واللواتاة : إن كان لك قلب^(٤) حبيب .

وأعلم أنه ينبغي أن تستعمل في كتابك ، إن كتبت كتاباً ، مخالفة كل فريق من الناس ، على قدر طيقتهم ، وقوتهم في الفهم . والدليل على ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) في الأصل : في * وقد أتينا ما يقتضيه السياق .

(٢) في الأصل : لم يبتك ، وهو تعريف السلك .

(٣) في الأصل : قرماً .

(٤) اظر العدة لابن رشيقي : ج ٩ ص ١٤٧ * مطبعة جيلاني .

لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب إليهم ما يذكركم ترجمته ، وهو ^(١) من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبركوز عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ^(٢) أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأني رسول الله إلى الناس كافة ، لينفرد من كان حياً ويحيى القول على الكافرين ، فأسلم تسليماً . وإن آيت قائم الجوس عليك . ألا ترى كيف سهل الألفاظ غاية السهول ، بحيث إنها لا تعجز على من له أدنى تشبث باللغة ^(٣) العربية ؛ ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب خاطبهم على قدر قوتهم وعادتهم السماع مثله ، فكتب لوائل ^(٤) بن حبيش « من محمد رسول الله إلى الأقبال ^(٥) الصباية ^(٦) أهل ^(٧) حضر موت بآفاق الصلاة وإيلاء الزكاة على الشيعة ^(٨) شاء ^(٩)

(١) جاء نصه في تاريخ الطبري كما يأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلى الناس كافة » . لينفرد من كان حياً « أسلم تسليماً فإن آيت عليك إثم الجوس » . وفي رواية أخرى « ... من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنعموك بدماء الله ، وني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لينفرد من كان حياً ، ويحيى القول على الكافرين . فأسلم تسليماً » . فإن آيت قائم الجوس عليك » (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٤-٦ من طبعة مطبعة الاستقامة بمصر) .

(٢) في الأصل « أشير » . (٣) في الأصل « بينة » .

(٤) هو والي بن حجر بن ربيعة وثاني بن سعد الحضرمي ، كان أبوه من قبائل اليمن ووفد هو على النبي - صلى الله عليه وسلم - واتصله أرملة لاهضه لإيها . قال ابن سعد : نزل السكوفة وروى عن النبي - ص - ومات في خلافة معاوية . (الاصحاح ٣ ص ٥٩٢) . أما الكتاب الذي كتبه النبي - ص - فقد ذكره الرهخسري في « الفائق » ج ١ ص ١ « نسخة حسن النابي المغربي سنة ١٣٦٥ هـ » = ١٩٤٥ م في طبع رواية وصوره .

(٥) الأقبال جمع قبل وأصله قبل فعمل من القول ، فقلت عنه واشتقاقه من القول ، كأنه الذي له قول أي يفتق قوله ... وأما قبائل الجوس على لغة قبل كما قيل أرباج في جمع ربح والشافع أرواح = الفائق . ويراد لذلك الصغير من بلك أمين .

(٦) الصباية : الذين أروا على ملكهم لا يزالون منه من « عبيده » يمر « أهله » إذا أمجد . العين بدل من القدره ... (الفائق) .

(٧) في الفائق « من أهل » .

(٨) في الأصل « الربعة » والتي أهداه من الفائق ، والشيعة : الأبرهون من الفيم ، وويل من اسم لأدنى ما يجب فيه الزكاة ، كالخمس من المال وغير ذلك ، وهي مشتقة من قاله إليه يبيع بلا ذهب إليه ، وقيل غير ذلك (الفائق) . (٩) في الأصل « الشان » بالضم ولا يحمل له .

والتَّيْبَةُ^(١١) لِمَسَاحِبِهَا ، وَفِي السُّيُوبِ^(١٢) الْخُمْسُ لَا^(١٣) خِلَاطٌ وَلَا وَرِاطٌ^(١٤) وَلَا رِشَاقٌ^(١٥) وَلَا شِذَارٌ^(١٦) وَمِنْ أَجْبِي^(١٧) قَدَّ أَرَبِي^(١٨) وَكَلُّ مَسْكِرٍ حَرَامٌ .
 فَانظُرْ أَيُّهَا التَّمَامِلُ لِحُدُودِ السِّكَاكِمِ ، كَيْفَ خَاطَبَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِالْفَتْحِ مِمَّا خَاطَبَ أَهْلُ^(١٩)
 فَرَسٍ . وَإِلَيْهِ سَبَبُ ذَلِكَ أَلَا مَا ذَكَرْنَا . مِنْ تَخَاطُبَةِ كُلِّ فَرَسٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ .
 فَاعْرِفْ ذَلِكَ وَقَسِّ عَلَيْهِ .

(١١) فِي الْأَصْلِ : التَّيْبَةُ ، وَالتَّيْبَةُ : التَّاتَةُ الرَّائِسَةُ عَلَى الْبُرْجَةِ مِنْ بَلْعِ الْعَرِيضَةِ الْأُخْرَى وَقِيلَ مِنْ أَلِي تَرْتَجِلُهَا فِي بَيْتِكَ لِإِعْتَابِهَا وَلَا تَسْمِعُهَا وَأَيْجَاهَا كَانَتْ ، فَمِنْ الْخَبْرِ وَسَبَّحَ إِذَا عَمِلَ الشُّومَ وَإِذَا عَمِلَ الصَّدَقَةَ ، مِنْ التَّزْيِيمِ ، وَهُوَ التَّعْيِيدُ وَالْمُؤَسَّسُ مِنَ التَّصَرُّفِ الَّذِي لِأَخْرَاجِ (الْفَاتِحِ) .

(١٢) فِي الْأَصْلِ : فِي الدُّنُونِ ، وَلَا مَعْرُوفٌ . وَالسُّيُوبُ : الرِّكَازُ وَهُوَ لِكُلِّ الدُّنُونِ فِي الْبَحْرِ أَوْ الْعَدَنِ ، عَمَّ سَبَبٌ وَهُوَ الْعَبَاءُ (الْفَاتِحِ) .

(١٣) وَالْمَعْلُومُ أَنَّ خِلَاطَ مَسَاحِبِ الْبَحْرَيْنِ صَاحِبِ الْأُرْبَعِينَ فِي الشَّمْرِ وَغَيْرِهَا شَائِلٌ فَتُؤَخَذُ وَاحِدَةً (الْفَاتِحِ) .
 (١٤) الرَّيَاطُ : خِدَاحُ الصَّدَقِ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُونَ عَدَاً فَيُعْطَى مَسَاحِبَهُ نِصْفَهُ أَلَا بِأَخْذِ الصَّدَقِ شَيْئاً .
 أَخُوذُ مِنَ الْبُرْجَةِ ، وَمِنْ فِي الْأَصْلِ الْهُجُومُ الْفَاطِسَةُ بِعِلَّتِهَا مِثْلُ الشُّكْلِ خَفِيفَةٌ (مَا كَرِهَتْ) وَأَيْضاً مَطْبُوعَةٌ ، وَقِيلَ هُوَ تَمِيمٌ فِي هَوَاؤِهِ أَوْ مَرَّ كَلِمَةً عَلَيْهِ الصَّدَقُ . وَقِيلَ هُوَ أُمْتُ بَرْمِذٍ رَجُلٌ صَدَقَهُ وَإِلَيْهِ عِنْدَهُ فَيُؤَمِّنُهُ (الْفَاتِحِ) .

(١٥) الرِّشَاقُ أَخُوذٌ شَيْءٌ مِنَ الشِّقَاقِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَرَبَيْنِ مِنَ شَيْءٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِرَبِيعَةٍ نَاصِيَةٍ فَكَلَّمَهُ مَطْبُوعٌ ، مِنْ عِلَّتِهَا التَّاتَةُ بِرِجَالِهَا ؛ لِذَا كَفَّفَهَا وَهُوَ لَمَّا بَدَأَ بِرِجَالِهِ وَنَاصِيَةٍ . لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَمُتْ فَرِيضَةٌ فَكَلَّمَهُ مَسْكُورٌ (الْفَاتِحِ) .

(١٦) الشِّذَارُ : أَنْ يَطْلُقَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَهُوَ أَنْ يَزْوِجَهُ أُنْتَسَبَ عَلَى أَنْ يَزْوِجَهُ هُوَ أُنْتَسَبَ وَلَا مَعْرُوفٌ وَلَا عَدَا (الْفَاتِحِ) .

(١٧) فِي الْأَصْلِ : أَسْبِي . وَأَسْبِي : دَخَلَ الْفَرَسَ عَلَى بَدَنِ صِلَاحِهِ وَأَصْلُهُ الْفَرَسُ مِنْ جِبَا عَنْ الشَّيْءِ إِذَا كَفَّتْ عَنْهُ (الْفَاتِحِ) .

(١٨) أَرَبِيٌّ بَرِيٌّ لِرِوَادَةِ : أَيُّ دَخَلَ فِي الرِّيَا وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَنْ يَدْعُو كَذَا فَرَساً وَذَلِكَ فَرَسٌ مَعْرُوفٌ لَمَّا تَمَّ عَمَّا وَجَّهَ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ أَوْ زَادَ فَدَخَلَ الرِّيَا فِي أَحَدِ الْبَحْرَيْنِ (الْفَاتِحِ) .

(١٩) فِي الْأَصْلِ : الْأَمَلُ ، وَهُوَ فَرَسٌ مَسْتَلِيمٌ .

الباب الثالث

من الفن الأول من النظم الأول في الطريق

إلى معاني النظم والشعر

إنتم أيها التامل لكتابنا هذا ، أنا مارستنا ^(١) هذه الصناعة : وبتناها من طريق كثيرة ، وأبواب متعددة ، وخبرنا ^(٢) ما يقع للتدرب من ذلك ، وما يكون أعمق له ، وأجدي عليه وأقرب إلى تعليمه وإقائه ، فلم نجد ما هو أسهل وأخف : وأقرب متتالياً ، سوى طريق واحد نحن ذاكروه في هذا الكتاب ، فنقول :

يجب على البتدي في هذا الفن والترشح له إذا آتاه الله عز وجل طبعاً عجيباً ، وقريحة مواتية ، وكان مستكلاً للمعرفة ما يجب على المؤلف معرفته ، مما أشرنا إليه في صدر هذا الكتاب ، أن يأخذ رسالة من الرسائل ، أو قصيدة من الشعر ، يقف على معانيها ، ويشعر أوتاليها وأواخرها ، ويقرر ذلك في قلبه . ثم يكلف نفسه عمل مثلها ، مما ^(٣) هو في معناها ، ويأخذ تلك الألفاظ التي فيها ، وفيهم موضع كل لفظة لفظة من عنده ، تسديدها ، وتؤدي المعنى الذي تخرج تحنها ، ولا يزال كذلك ، حتى يأتي على آخرها . ثم بعد فراغه منها يشغل بتفسيح ألفاظها ونحويها ، وارتباط ^(٤) بعضها ببعض ، فإذا استتم عمله انتقل منه إلى غيره ، وفعل فيه فعله أولاً ، ولا يزال

(١) في الأصل « مارستها » . (٢) في الأصل « ما يتفق » .

(٣) في الأصل « من » .

(٤) استعمال اللوازم « ارتباط » لازماً وهو التيقن قال الجوهري في الصحاح « ولاق يرتبط كقفا رأساً من الدواب » وقال ابن فارس في معاني اللغة « ويقال : ارتبعت الفرس لرباط » . وفي أصل اللغة « والارتباط لاقن فرساً » وفي مثل : استكرمت فرسيت » . وفي القاموس « والارتباط فرساً : انقلبه لرباط » . ولا أن لبان العرب ذكر قولهم « ارتبط في الليل : لبس » . مع ذكره للتبدي . وقال ابن كمال بلشافي كتابه « الشبيه على غلط الجاهل والثبوت » ص ٢٣ « . ومنها في فصل القراء (الارتباط) قول الناس (لاقن =

على هذه القدم ، بُدِئَ مِنْ^(١٤) في معارضة الرسائل ، ان كان كائناً ، أو في معارضة التصاليد ، ان كان شاعراً ، حتى يحصلَ له بذلك الذُّورِيَّةُ الواضحة ، وتتضمن قريحته عليه أو يعتاد خاطره هذا الأمر اعتباراً زائلاً ، ولا ينبغي له ان يكون قائماً من ذلك بالقليل ، ولا راضياً بمعرفة الطريق ، دون سلوكه لِيُؤدِّه ، سمراراً كثيرة ، وخبيراً يجر بسهله وكجزئه ، وقريبه وبعبده ، فإنا نُؤدِّبُ واعتماد ، وسار ذلك له خالقه وطبعاً ، ففرغت عنده المعاني واقدمت في خاطره ، فتنسج على حينئذ سياستها ، وبارازها فيما يليق بها من القياس . وهذا أضع الطريق وأكثرها قائمة ، لمن يروم الدخول في زمرة الكتاب والشعراء ، فلا تجد أياً انتصب لهذه الصناعة طريقاً يجدي عليك من النفع ما يجديه هذا الطريق ، فاعرفه .

(١٤) من قولنا بكنا ، على الإزاء يقال : خأ ، والصحیح (من بيت بكنا) على ذلك القول لأن (الوصل) مصدر كرسد ، كما جرت عليه لغة العرب . فإنا وقد سألنا ليد :

ترك لكنا لما لم أرضها أو يرتبط بين النفوس عليها

وقد استعمله أيضاً أبو حنبل التوحیدی قال في الأديع والمؤانسة - ج ٢ ص ٨ - ٥ . وكيف ارتباط بعضها

بعض ، وجاء في عمدة ابن رجبين ٥ كل بيتا الروح بالهمس ٥ ج ١ ص ٥٠ من العمدة الأولى .

(١٥) لعل الصواب ٥ يعنى معارضة ٥ .

الباب الرابع

من النون الأول من التطب الأول

في الحفظة والجواز

اعلم أن الحقيقة : هي (المنطق)^(١) الدال على موضوعه الأصلي . وقيل : هي اسم مشترك ، يراد به ذات الشيء ، و«حفظاً» ، ويراد به ما يستعمل بآراء موضوعه النحوي . وأما الجواز : فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللفظة ، انشاعاً ، وقيل : هو^(٢) ما نقل عن موضوعه الأصلي إلى غيره ، بسبب مشابهة بين أصل الحقيقة وعمله ، في أمر مشهور .
واعلم أن الجواز ينقسم إلى أقسام ، وقد أودعنا كتابنا هذا منها ما سنجع لنا ، وهو أربعة عشر فصلاً :
« الأول » ما جعل لشيء ، بسبب الشاركة في خاصة ، كما يقال للبليد حمار ، وللشجاع أسد . « الثاني » الزيادة في الكلام لغير فائدة كقولته تعالى « فبأرحمة من الله أنشئت^(٣) لهم » فإعهاها زائدة لا معنى لها أي « فبرحمة^(٤) من الله أنشئ لهم » (الثالث) التخصيص الذي لا يربط به معنى الكلام ، لحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، كقوله تعالى « ومن يسكب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به^(٥) ريثاً » يريد شخصاً ريثاً . وكذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه^(٦) مقامه كقوله تعالى « واستل القرية^(٧) » أي أهل القرية . وللحفاة في ذلك اختلاف ، قال سيدييه^(٨) : إن القياس يمنع في حذف

(١) من لسان السائر ص ٥٨/١ . (٢) في الأصل « من » .

(٣) آية : ٥٩ ، سورة آل عمران . (٤) في الأصل « لها » .

(٥) آية : ١١٢ ، سورة النساء . (٦) زيادة انضمام النون . (٧) آية ١٨٢ ، سورة يوسف .

(٨) سيدييه : عمرو بن حنبله امام البصريين في النحو . أصله من البيضاء من أرض فارس ، قدم البصرة وأخذ عن الخليل ، وورد على يحيى البربركي طبع منه وبين السكتاني المناظرة . انقطع سيدييه . ولم نقل مدته بعدد نولي سنة ١٤٥٠ شماتاً ، وأهل قريهنا « انظر نهاية النوراة » للسيوطي ص ٢٦٦ وما بعدها ملهبة مطبعة المطبعة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .

الموصوف وإقامة الصفة مقابلة ، فلا يجوز في جائي رجل طويل « جائي طويل » وقال الفارسي^(١٦) وغيره من علماء العربية : القياس جائز في حذف الصنف وإقامة الصنف إليه مقابلة . وسيبويه لم ينص في ذلك بشئ . وقال أبو الحسن الأنطقي^(١٧) نكرة إنه منقطع ، ونكرة إنه جائز . والقوي عند أن لا يقاس ، وغيره لا يمنع القياس ، « الرابع » تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه كقوله تعالى « يا أيُّ أراني أعصر خيراً »^(١٨) . وإنما كان يعصر ذهباً . « الخامس » تسمية الشيء باسم مجاوره كقوله للزائدة « راوية » وإنما الراوية الجمل الذي يعملها . « السادس » تسمية الشيء بشكاه كقوله في جواب « ما فعل زيد » : القيام . والقيام إنما هو جنس يتناول جميع أنواعه . « السابع » تسمية الشيء بجزئه كقوله لن بنبته : « أهدى الله وجهه مني » تريد بذلك عامة جسده . « الثامن » تسمية الشيء بدواميه كتسميتهم الاحتماد قولاً نحو قولك « هذا يقول بقول الشافعي » أي يعتقد اعتقاده . « التاسع » تسمية الشيء باسم أصله كقوله للآدمي « مضغة » . « العاشر » تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر :

وما العيشش إلا نومةٌ وتشرق
وتر على رأس النخيل وما

فمن الرطب « قرأ » . « الحادي عشر » : تسمية الشيء باسم ضمه كقولهم للأسود والأبيض « جون » . « الثاني عشر » تسمية الشيء بشكاه كقولهم للمطر « سماء » لأنه ينزل منها . « الثالث عشر » تسمية الشيء بفعله كتسمية الحجر مسكراً . « الرابع عشر » : تسمية الشيء بشكاه كقوله تعالى « وامرأت مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي ... » الآية .

(١٦) الفارسي : أبو علي الفارسي ولد بخراس وقد بغداد وتقول في البلدان وأقام مدة عند سيف الدولة الحمداني في حلب ، ثم عاد إلى فارس وحسب عمه الدولة بن بويه وصف له مصنفات « الأيضاح » في قواعد العربية ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٣٧٧ هـ أثناء من الزواج وابن السراج ، وربما كان أشهر تلاميذه ابن جني أشهر بنية الولاة من ٢١٦ مئة مطوية للعادة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ والأعلام للزركلي ، و « وقفات الأعيان » و « نزهة الألباء » .

(١٧) أبو الحسن الأنطقي ، قرأ على عمه ولده ، وتوفي بغداد سنة ٣٦٥ هـ وكان طوف في مصر . وخرج إلى حلب ، يقول بالوقت : له مصنفات ذكرها ابن النديم « في فهرست » وهي : « شرح سيبويه » و « الألوام » و « تظهير والمجمع » و « التهذيب » و « شرح رسالة كتاب سيبويه » . « أشهر بنية الولاة من ٢٢٨ » .

لحسم التكلح عبة . فهذه غروب الهاز التي وقعت . فارقيها .

وأما الفرق بينه وبين الحقيقة ، فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائره ، ألا ترى أنا إذا قلنا « فلان عالم » لنا صدق على كل ذي علم واحد صدق على شكل ذي علم ، بخلاف « واسئل القرية » لأنه لا يصح إلا في بعض الجوانات دون بعض ، لأن المراد أهل القرية ، لأنهم ممن يصح السؤال لهم ، ولا يجوز أن يقال « واسئل الحاجر أو الزاب » . وقد يحسن أن يقال « واسئل الريح أو الظل » .

واعلم أن كل عجاز فيه حقيقة ، وليس من غرور كل حقيقة أن يكون لها عجاز ، وذلك أن من الأسماء قسمين لا عجاز فيها :

« الأول » أسماء الأعلام ، كأنها وضعت للفرق بين الثوات لا للفرق بين الصفات .

« الثاني » الأسماء التي لا أهم منها ، كالعلوم والمجربول والندول ، وغير ذلك ، مما أشبهه .

واعلم أنه قد صار العجاز في تعارف الناس بمنزلة الحقيقة ، بل هو أقرب إلى التعريف من الحقيقة ، وأولى بالاستعمال منها ، وأحق بالافهام ، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة ، التي هي الأصل ، أولى منه حيث هو فرع عليها . ألا ترى أن قوله تعالى « واصبح اذا كذبتس » أبلغ من أن يقال « اذا انشتر » لأن التنفس يعطي من الدلالة ما لا يعطيه الانتشار ؛ وذلك لما فيه من بيان الروح على النفس ، عند إنباط الصبح ، جعل ظهور الصبح وانتشاره من خلال الليل ، شيئاً غشيقاً ، كالنفس ؛ لأن أول ما يبدو الصبح ثم يضي في انتشاره بالانفراج ، كإفراج الانسان نفسه .

واعلم أنه إنما ^(١) يعقل عن الحقيقة إلى العجاز لماز ثلاث وهي : الانتصاع والتشبيه والتوكيد ، فإن عدت عنده الأسماء فكانت آية البقرة فمن ذلك قوله تعالى « وآراء » في « وحده » الآية ، فهذا عجاز ، وفيه الأسماء الثلاثة المذكورة . وأما الانتصاع فهو أنه زاد في أسماء الجبال والحقاق ^(٢) أسماء هو الرمة ، وأما التشبيه فانه كشيبة الرمة ، وإن لم يصح دونه ولما ، بما يجوز

(١) معاني العبارات الواردة في الصحاح « إنما » مصدر به « أنه » .

(٢) لفظ مع الفعل ويجوز أن يكون جمع « شعبة » في غير هذه الجبل .

دخوله . وأما التأكيد فإنه أخير مما لا يدرك بالحاسة ، وذلك تنال بالخير عنه ، وتقدير له ، إذ
 ستر إلى خبرة ما يشاهد . **يد** . **إن** . ألا ترى إلى قول بعضهم في الزئبق في الأبل : « لو رأيت
 العروم لأينمونه حساً حياً » . وإنما زئبق لأن فيه طية ، ويهلم من قدره ، فيصور في
 القوس ، على أشرف أحواله وأعلى صفاته ، وذلك أن يخل متجسماً ، لا عرساً عوهماً .

وأسم لأن الهمز إذا كثرت لحن بالحقيقة ، وذلك أن أكثر اللفظ مجاز لا حقيقة فيه ، فمن ذلك
 عامة ^(١) الأفعال نحو « قام زيد ، وقعد عمرو » و « جاء السيف وانصرف الشتاء » . ألا ترى أن
 الفعل يُفاد منه معنى الجنسية ، فقولك « قام زيد » معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من
 الفعل . مسلم أنه لم يكن منه جميع القيام ، وكيف يكون ذلك وهو جنس مطبق جميع أنواعه
 من الماضي والحاضر والمستقبل ^(٢) ، السكائات من كل (من) ^(٣) وجد منه القيام ؟ . فإذا كان
 الحال هكذا ذلك عدت أن قيام زيد مجاز لا حقيقة ، وإنما هو على وضع السكك موضع البعض ،
 للاتساع والتوكيد ، ونشبه القليل بالكثير . وبدل على انتظام ذلك في جميع جنسه أنك تعمل في
 جميع أجزاء ذلك الفعل ، فتقول : قت قومة ، وقومتين ، وعائلة قومة ، وقيساما حسناً ، وقياماً
 قبيحاً ، فإمكان إيراد في جميع أجزاءه يدل على أنه موضوع عده على صلاحيته ، لتناول جميعها ،
 ألا ترى إلى قول بعضهم :

وقد يجمعُ الله الشَّيْءَ شَيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَفْتَنُ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلْقَا

فقوله « كل الظن » يدل على صحة ما أشرفنا إليه .

وكذلك قولك « ضربتُ زيداً » مجاز أيضاً ، لأنك إنما فعلت بعض الضرب لا كله ،
 وإنما ضربت بعضه لا جميعه ، لأنك قد ضربت يده ، أو رجله ، أو ناحية من نواحي جسمه ،
 ولهذا إذا احتاط الانسان واستظهر جاء ، يدل البعض ، فقال « ضربتُ زيداً رأسه » ثم هو مع
 ذلك متجاوز ، لأنه إنما يضرب ناحية من رأسه ، لا رأسه كله . ولهذا يحتاط بعضهم في نحو

(١) عامة الأفعال أكثرها وعادة الناس أكثرهم . (٢) زيادة بعضها النيات .

(٣) يرد على قول المؤلف أن الفعل الماضي الزمن يولد القيام بالضم فلا مستقبل فيه ولا حاضر .

هنا فيقول « ضربت زجلاً جانب وجهه الأيمن » . فإننا عرف التوكيد ثم وقع (في)^(١) الكلام نحو « نفسه وجهه وكفه وأجمع » وما جرى هذا الجرى تحقق^(٢) منه حال سعة الجواز في هذا الباب . ألا تراءى تقول : قطع الأمير القص . ارتفع الجواز من جهة الفعل وصرت فيه إلى الحقيقة ، لكن يبقى عليك التجوز من جهة أخرى وهو قولك « القص » وانما لعله^(٣) قطع يده أو رجليه ، فإذا احتضت في ذلك قلت « قطع الأمير نفسه يد القص أو رجليه » . وكذلك جاء جميع الجنس . فتوقع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شيوع^(٤) الجواز فيها واشتغالها عليها ، حتى إن علماء العربية جعلوا له باباً مفرداً ، لعلايتهم به ، وكونه مما عس الحاجة إليه ، وأنه لا ينبغي أن يضاع مثله ولا يسهل ، كما أنهم جعلوا الشكل معنى أهمهم^(٥) باباً مفرداً ، كالصفة : والمعطف ، والأشافة ، وغير ذلك قاصره .

(١) زيادة التضاعف السابق ألا تراءى قد قال بعد ذلك « توقع التوكيد ... » .

(٢) في الأصل « تحقق » . ولعل الأصل ما ذكرناه .

(٣) في الأصل « لعله » .

(٤) في الأصل « شياع » . والشياح مصدر « شياحه » أي تبعه ورافقه . يقال في الشيوخ « شياع يشبه شياً ومثلاً وهو مأخوذ من شياحاً وشيوعاً . وشياعاً (الأناوس) . وقد وهم « الشياح » بمن الشيوخ فيما عسلى من كلام الشريف الرضي في كتابه « المعانيات المخرّاة » ص ١٢٤ .

(٥) هو ابن سنان المعاصر ، وقد تقدم ذكره .

الفن الثاني

في القلب الأول

في الألفاظ والمعاني وتفضل الكلام المشور على المنظوم^(١) وهو بمنزلة أبواب :

الأول : في الألفاظ المفردة وهو فصحى :

« الأول » : في الكلام على الألفاظ المفردة ، والفرق بين الجبر منوها والمراد ،
واعلم أن صاحب كتاب « سر الفصاحة » وغيره من أبواب هذه الصناعة قد أوردوا في كتبهم
من ذلك أشياء حسنة ، ونهوا على تسكت مستعمله ، غير أن لما أتممت النظر فيها فإني قد
مطاوي ما ذكره ، وقع لنا فيه زيادة مبتكرة ، وقول مستغرب ، ولورد هاهنا ، ما وصل إلينا
من علماء هذه الصناعة ، وما أبتكرناه نحن فنقول :

الأوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة ، والمستحق بها منزلة الحسن والجملة ، سبعة أنواع ،
فأما التي وصل إلينا منها فستة أنواع :

« الأول » تبادل مخارج الحروف .

« الثاني » أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعدة .

« الثالث » أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة .

« الرابع » أن لا تكون عبرتها عن معنى يكره ذكره ، فإذا أوردت ، وهي غير مقصود

(١) في بعض النسخ على الشعر ، راجع شرح القاموس المحرر ج ٦ ص ١٤٠ من طبعة مطبعة لجنة

التأليف والترجمة بصر .

بها ذلك المعنى قبحت .

« الخامس » أن تكون مصدرة في موضع يُعبر بها عن شيء لطيف ، أو حفي ، أو نحو ذلك .

« السادس » أن تكون مؤلفة من أول الأوزان تركيباً . وقد ذكر أبو محمد بن سنان الخنجاوي قسماً آخر قال : « يعني أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح ، غير شاذة »^(١٦) . وليس هذا معتبراً في جودة اللفظة ولا في رداءتها ، لأن شذوذ اللفظة لا يوجب لها حساً ولا قبحاً ، وإنما المعنى يتوهم : إن هذه الكلمة شاذة أي أنها لم تُنقل إلا عن واحد فقط ، فلا يوثق بها ولا يركن إليها ، سواء كانت حسنة أو قبيحة . فاعرف ذلك .

وأما الذي ابتكرناه نحن فنوع واحد وهو أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة . ولنرجع إلى ذكر الستة الأنواع ، التي وصلت إلينا من علماء هذه الصناعة ، وتحقيق القول فيها ، فنقول :

إدلم أنه ليس لهم فيها إلا السبق يذكرها فقط ، وأما عن شكل نوع منها ، والسبب الذي ذكر لأجله فإننا لم نأخذهم^(١٧) ، وإنما استنبطناه نحن دونهم . وذلك أننا لم نلف لهم في ذلك على قول شاف ، ولا كلام ضرر . بل جل أمرهم أن ذكروا هذه الأنواع الستة ثم تناولوا كل نوع منها بمثال ، كما فعل أبو محمد بن سنان^(١٨) الخنجاوي ، وهو من الأئمة الشاهير في هذا العلم ، وكذلك فعل غيره ممن تقدمه كقراءة^(١٩) بن جعفر الكاتب ، والآمدي^(٢٠) ، والجاحظ وغيرهم . وكتبهم التي استفوها في هذا الفن شاهدة بما ذكرناه عنهم من إجمال القول ، والافتناع بالأئمة .

أما النوع الأول من الأنواع الستة فهو يتأخر خارج الحروف ، ولستأني بذلك أن

(١٦) راجع سير القلمانية ص ٧٥ وما بعدها من حجة للعلامة الزمخاري بحصر سنة ١٣٥٠ هـ .

١٩٥٥ م .

(١٧) زيانا بتفضيها البيان . (١٧) راجع مختصر ترجمته في حاشية ص ٣ : من هذا الكتاب .

(١٨) انظر مختصر ترجمته في حاشية ص ٢ : من هذا الكتاب .

(١٩) انظر مختصر ترجمته في حاشية ص ٢ : من هذا الكتاب .

للتقارب الخارج لا يكون حسناً ولا جيداً ، بل يعني بذلك أن التائب على التبعاد الخارج من الألفاظ الجيدة والحسن ، والتائب عن التقارب الخارج الزيادة والتقيح . ألا ترى ^(٤٩) أن « الجيم والشين والياء » لها مخارج متقاربة ، وهي من وسط اللسان ، بينه وبين الحنك ، وتسمى ثلاثها الشجرية ^(٥٠) ، فإذا ركبتا منها شيئاً من الألفاظ يعني « حسناً وأثماً فإن قلنا : « جيش » ، كانت لفظة مخودة ، وإن قبلنا الشين على الجيم قلنا : « شجي » كانت أيضاً لفظة مخودة . فهذه مخارج متقاربة ، وقد ركبتا منها هاتين اللفظتين ، وجاءتا في غاية الحسن والرواق . وهذا يكون نادراً في التقارب الخارج وإنما الأكثر والتائب يعني ، في التبعاد الخارج ، فأعرف ذلك .

وحيث انتهى بنا القول إلى هاهنا قليلاً وسننه ، في هذا الوضع ، بذكر الأصوات والحروف ، وذكر المخارج وأقسامها ، قبل ذكر السبب في حسن التباينة ، وتقيح التقاربة ، فنقول : اعلم أن الصوت ^(٥١) عرض يخرج مستطيلاً متصلاً ، حتى يمرض له ، في المطلق والقم والشفتين ، مقاطع ، تشبه من امتداده واستطالته ، فيسمى للتقطع إن عرض له حرفاً . وتختلف أجراس ^(٥٢) الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . ألا ترى أنك تبتدىء من أقصى الحلق ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، وتجد له أجراً ما ، فإن انضلت منه راجعاً عنه ، أو مجازاً له ، ثم قطعت أحسست عند ذلك جرساً غير الجرس الأول ، نحو « الكاف » فإنه إذا نطقت بها سمعت هناك صدىً ، فإذا رجعت إلى « القاف » سمعت غير ذلك الصدى فإن جزت [إلى] الجيم سمعت غير ذلك الأولين . وشبهة بعضهم الحلق والقم بالزمار ^(٥٣) وما أقربه شها به . والسبيل إلى

(٤٩) راجع لكل السائر ج ٦ ص ١٥٣ . هذه ذكر المؤلف هنا هناك .

(٥٠) في مقدمة اللسان « الشجرية » : الجيم والين والقاف ، والشين : مخرج القم .

(٥١) يعني « صوت القم » أما الصوت المطلق فقد كان في تعريفه العلامة ابن سدينا « أنظر أن الصوت سببه القرب تخرج الهواء ودفعه بسرعة وثقوة من أي سبب كان » (أسباب حدوث الحروف ص ٥٠٠ طبع طهران) .

(٥٢) أجراس سبع جرس (يكسر أقيم ونظما) ، وهو الصوت .

(٥٣) في الأصل « بالزمر » أنظر الحديث عن هذا في ص ١٨ من « سر القصاص » لأن سكان الطابقي ،

من ٦ وما بعدها ، طبعة الطبعات الرعالية بمر سنة ١٩٣٢ . وأنظر : « فصل في الأصوات » في كتاب

« سر القصاص » أيضاً .

معرفة ذلك أنك إذا أردت اعتبار هنا : تأتي بالحرف ساكنًا لا متحركًا ، لأن الحركة تعلقه عن موضعه ومستقره ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة^(١) من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فتقول : « إك » « إي » وكذلك سائرها .

واعلم أن « الحروف » تطلق باعتبارها : فالأول : اسم لهذه الحروف المتحركة : وذلك مأخوذ من تسمية المد والناحية حرفًا ، لأن الحروف هي جهات الكتابة وتوابعها . الثاني : تطلق على أدوات الكلام نحو « من وعن ، وغيرهما » . الثالث : كقول النبي (ص) « أزل القرآن على سبعة أحرف » أي سبع لغات لا تختلف ولا تضاد ، كما يقال : « هذا في حرف أبي »^(٢) و « هذا في حرف ابن مسعود »^(٣) . الرابع : يقال نافذة حرف : أي ضامرة . وقال أبو العباس^(٤) البرد : إن الهمزة ليست من جهة الحروف . وجعل مددها ثمانية وعشرين حرفًا ، واستدل على ذلك بأن قال : إن الهمزة لا صورة لها في الخط . وهذا قاسد ؛ إذ الاعتبار باللفظة لا بالخط ، فإن الخط لو لم يكن لما كان ذلك مآتمًا من كون الهمزة من جهة الحروف .

فأما ترتيب الحروف على نسق الخارج فهي « همزة ، ألف ، ع ، [هـ] ح ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج »

- (١) كتبنا قال ابن جني قبله في « سر صناعة الأعراب » ج ١ ص ٧ . وجاء في مقدمة « لسان العرب » ص ١٣ من طبعة دار الفكر : « ونظر الخليل بن أحمد إلى الحروف كلها وذلكما يوجد يخرج الكلام كله من الخلق ، فليس أولها في الابتداء أهمل في الخلق . وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح يده بألف ثم يطير الحرف ثم يقول : أب . أنت . أنت . أيج . أيج . » وهذا يدل على أن كسر الألف غير ضروري .
- (٢) أي : على صيغة تصغير « أبي » وهو أبي بن كعب . من صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان أقرأ العرب للقرآن الكريم ، راجع ترجمته في طبقات القراء للحروف . خاتمة الهداية . للجزوي ج ١ ص ٣١ . وكتب تراجم الصحابة ، « تكلم القابلة » و « الأصابة » .
- (٣) هو عبد الله بن مسعود الصحابي للفقير ، وكان في إرادته اختلاف من حيث عدم من الألفاظ الهمزة ، راجع ترجمته في : « طبقات الجزوي » وكتب تراجم الصحابة .
- (٤) راجع مختصر ترجمته في عشية ص ٢٤ من هذا الكتاب . وقد سبق ابن جني للألف إلى رد ذلك القول ، قال في « باب أسماء الحروف » ص ٥ من « سر صناعة الأعراب » ج ١ ص ٤٦ : « اعلم أن أصول حروف الفهم عند الكتابة ستة وعشرون حرفًا ، فوفا الألف وأكثرها الياء ، على التشوير في ترتيب حروف الفهم إلا أبو العباس فإنه كان يدها ثمانية وعشرين ، وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي عندنا ، كما يوضح القول فيه ابن شاه الله » .

ش، ي، ض، ذ، ز، س، ش، ط، ظ، ث، ق، ك، م، ن، و، ب (١٩) هـ .
 وستة أحرف فروع مستحصنة ، وهي همزة بين بين ، والنون والحقيفة ، والألف الالهة ، وألف
 التفضيم ، والشين كالجيم ، والصاد كالزاي . وثمانية أحرف غير مستحصنة وهي : الكاف بين
 الجيم والكاف ، والجيم كالسكاف ، والجيم كالشين ، والقاف كالياء ، والصاد الضعيفة ، والصاد
 كالسين ، والطاء كالطاء ، والقاف كالطاء . وذكر قوم أربعة أحرف هي : السين كالزاي ، والجيم
 كالزاي ، واللام الفخمة ، والقاف كالسكاف : فصار الجميع سبعة وأربعين حرفاً .

فأما انقسام الخارج فإنها ستة عشر هرجاً : ثلاثة حَظْفِيَّةٌ (٢٠) وهي الممطرة والألف والهاء .
 هذا على ترتيب سيويه ، وأما على ترتيب أبي الحسن (٢١) الأخطش فإن الهاء مع الألف لا قبلها
 ولا بعدها ، ومخرجان ببيان هذه الثلاثة المذكورة وهما العين والحاء ، ومخرجان آخران فوق
 ذلك من أول الفم وهما التين والطاء ، وحرف من أقصى اللسان ، وهو القاف . وأسفل من
 موضع القاف قليلاً مخرج الكاف ، وهذان الحرفان - أعني القاف والكاف - يديهان كسويين :
 من الهباء . وثلاثة أحرف من وسط اللسان : وهي الجيم والشين والياء ، وتسمى الشجرية .
 ومن أول حافة اللسان وما يتبعها من الأضراس مخرج الضاد ، ويسمى التقويد المستطيل . ومن
 حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه مما بينها وبين ما يليها من الخنك ، فوق القاضية
 والجاب والنية والرابعة مخرج اللام ، ويسمى المنصرف . ومن طرف اللسان ، بينه وبين ما فوق
 الثعلبية السفلى ، مخرج النون . ومن مخرج النون ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً ، لأخراجه
 إلى اللام مخرج الزاء . وهذه الأحرف الثلاثة : اللام والراء والنون تسمى القليقة . وقال سيويه

(١٩) بين هجاء الترتيب وترتيب ابن جني في « سر صناعة الأعراب » ج - ٩ - ص ٥٠ - في « من
 الاختلاف ، غلط .

(٢٠) في الأصل « حليقة » وهو من الصحيح المنح .

(٢١) هو أبو الحسن علي بن سليمان اللقب بالأخفش الأصغر ، أحد الأماثل الثلاثة المشهورين ، قرأ على
 ثعلب والبره وغيرهما ، وشرح كتاب سيويه في النحو . وله كتاب الأنواء ، والنشئة والجمع ، وكتاب الينب .
 دخل مصر والقاه ، وعاد إلى العراق ، وكان طريح السبع ، توفي جماد سنة ٣١٥ هـ عن ثمانين سنة .
 راجع « معجم الأدباء » و « بنية الزعنة » ص ٣٣٦ .

إنَّ الأصول الخفائية لا تغلو من أحدها البتة . ومما بين طرف اللسان وأصول اللهايا ثلاثة أحرف وهي الطاء ، والمدال والهاء ، وتسمى النخمية . وثلاثة أحرف مما بين طرفي اللسان وفوق اللهايا وهي : الصاد والسين والزاي وتسمى الأصلية . وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وأطراف اللهايا وهي : الظاء والذال والهاء ، وتسمى المشؤبة . وحرف واحد مما بين باطن الشفة السفلى وأطراف اللهايا المُثل وهو الفاء . وثلاثة أحرف مما بين الشفتين وهي الياء ، والميم والواو ، وتسمى الشكفية . وحرف واحد من الطيشوم وهو التون ، ويسمى الخيشومي . فهذه جميع مخارج الحروف .

وحيث انتهى القول بنا إلى هذا المقام وأنبأ على ذكر الأصول والحروف وانقسام المخارج فنبين حينئذ أن نذكر السبب في حسن ما تبعه من المخارج ، وقبح ما تقارب منها ، فنقول : قال أبو محمد بن سنان الخفائي في كتابه^(١) : « إن الحروف التي هي أصوات^(٢) تجري من السمع بحرى الألوان من البصر ، ولا شك في أن الألوان الثبانية إذا اجتمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتغيرة ؛ ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ؛ انرب ما بينه وبين الأصفر ، وبد ما بينه وبين الأسود . هنا حكاية كلامه بيته . ولنا عليه اعتراض ، وهو أنما نقول : إذا ثبت لك أن الألوان الثبانية في النظر أحسن من الألوان المتغيرة فكيف يلزم على هذا أن تقيس عليه السمع وتجربه مجرله ؟ فان قال في الجواب عن ذلك : « إني إنما قسمت السمع في أصوات الحروف المتباعدة على البصر في الألوان المتباعدة ، لأن السمع حاسة والبصر أيضاً حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب . قلنا له : إنما يستقيم لك ما ذكرته من هذا القياس أن لو توقف في عرفان جودة النطق على سماع أصوات مخارجها ، كما يتوقف في عرفان حسن الألوان على إبصارها ورؤيتها ، وإنما قد يعلم جودة النطق ، ويعرف حسن تركيبها ، من غير أن يسمع لها صوت ؛ وذلك أن اللسان يستكلم

(١) يريد « مرئط الصلابة » وقد مر ذكره غير مرة . راجع ص ٦ ، و ص ٩٠ وما بعدها من الكتاب للذكور ، طبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٢ .

(٢) في الأصل « أصول » والتصحيح من كتاب « مرئط الصلابة » .

مكتوباً من غير نسوبت به ، ولا نطق ، اذا عرضه على طبعه السليم ، وفكره المستقيم ، عرف جودة أفعاله ، وعلم حسن تركيبها من قبضه . ولا خلطة للسمع في ذلك ولا مشاركة . فقد ثبت بهذا الدليل فساد ما ذكرته من قياس السمع على البصر ، واختلال ما أشرت إليه من ذلك^(١) . وإنما القول الشديد في حسن اللفظ يتبادر الخارج ، وفتح اللفظ للتقارب الخارج ، ما سنورد هنا : وهو أن القاعدة في الأشياء المركبة ، إنما هي اختلاف أجزائها وتباين مفرداتها ، لئلا يؤثر التركيب عند ذلك شيئاً لم يكن ؛ إما حسناً وإما قبحاً . فلما اذا كانت أجزاؤها مشابهة لبعضها البعض ، فإنه لا يكون لتركيبها عيب كبير فائدة ، وهذا مما لا نزاع فيه - توضحه وبيانه .

وحيث كانت الحال في الأشياء المركبة كذلك ، فمنها عليه تركيب مخارج الحروف . وذلك أن من المخارج ما هو مختلف ونسي واختلفت هنا : التقارب كالإاء ، واللام ، والفاء ، والسين وغير ذلك ، مما يجري هذا الجرى . فلي كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة المخارج ، أثر التركيب فيها أثراً ؛ وهو الحسن والجودة في الغالب . ومثي كانت الكلمة مركبة من حروف متقاربة المخارج ، جاءت بخلاف ذلك في الغالب أيضاً .

فإن قيل : أما قولك : إن الكلمة ، اذا ركبت من حروف متباعدة المخارج ، أثر التركيب فيها أثراً مسلماً اليك ذلك . وأما تخصيبك ذلك التأثير بالحسن والجودة ، فهذا تحكم محض أنت مطالب بإثباته .

(١) قال ابن أبي العدي في « الفقه الشرعي على الفقه السائر » - ص ٨٣ - « وان اللفظ - يعني تعريفه من الأثر - وقد ذكر ابن سنان المتأخر ، إن أحداً بشرط في حسن اللفظ ، أن تكون مخارج حروفها متباعدة ، قال : وهذا باطل ، لأنه لو كان اللفظ يحسن اللفظ ويجعلها متباعدة مخارجها أو تقاربها لوجب أن لا يمحكم على الفور يتبع لفظه أو حسنها من تعبير مخارج الحروف ... الخوال : ليس بانكر أن يعلم اللغوي قبل العلم ، والشروط قبل الشرط ، ألا ترى أنك لما رأيت الجزية المتناهية فقلت : فذلك تمنعها على الفور ولا يتوقف استعصامك بها على أن تتعذر في ذمك على الحسن : من دنة شذفتها وأنها ، وامتداد ساقيتها . والقائمة الأخيرة تهبس في بكرة وجبها . وغير ذلك من أسباب الحسن ؟ ولا يلزم بتحليلك على الفور تغليب الحسن بهذه الأمور . »

وكذلك قوله في السكامة : « إذا تركت من عدة حروف متقاربة الخارج » ، ألا ترى أن مخارج الحروف جميعها ، إذا اعتبر كل واحد منها على الأفراد ، لا يوجد له حسن ولا قبح ؟ وهذا لا نزاع فيه . فمن تروم شكاً في ذلك أو لحنه أدنى لارتباب ، فليعرضه ويستهجره ، منصفاً من نفسه ، فإنه يعلم صحة ما ذكرناه ، ويعرف حقيقة ما أشرنا إليه .

وإنما كانت الحال كذلك ، فمن أي وجه تكسب اللفظة الجودة والحسن إذا تركت من حروف متباعدة الخارج ؟ ومن أي وجه تكسب الرداء والقبح ، إذا تركت من حروف متقاربة الخارج ؟

الجواب عن ذلك ، أنا أقول : إنها اكتسبت حسناً عند تركيبها من حروف متباعدة الخارج ، واكتسبت قبحاً عند تركيبها من حروف متقاربة الخارج ؛ لأن النطق إذا أتى على مخارج حروف اللفظة ، وهي متباعدة ، ليجمعها ويؤلفها ، كان له في ذلك مهلة وأناة ؛ لأن بين المخرج إلى المخرج فسحة وبسماً ، فتجىء الحروف عند ذلك متمكنة في مواضعها ؛ غير قلقة ولا مكدودة . وإذا أتى النطق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ، ليجمعها ويركبها ، لم يخلص من مخرج إلا وقد وقع في المخرج الذي يليه ؛ لقرب ما بينها فيكاد عند ذلك يشبه أحدهما بالآخر ، فتجىء مخارج حروف اللفظة قلقة مكدودة ، غير مستقرة في أماكنها . ولهذا لم ترد العين مع الحاء ، ولا النين مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، ولا القاف مع الكاف ، ولا القام مع التاء ، ولا مع الطاء ؛ وذلك لقرب مخارج هذه الحروف بعضها من بعض^(١٩) .

ومن أدل الدليل على أن المخارج المتباعدة أحسن تأليفاً من المخارج المتقاربة ، أن العرب من

(١٩) قال ابن أبي عمير في الفقه الخالص ص ٨٣ - « ومن ذلك أنه قد اعترف ، أن كل ما نستجبه من ألفاظ تجدهم متقارب الحروف . وما نستجبه تجدهم متباعد الحروف ، ولكنه زعم ، أنه لا بد من الاستباحت والاستعانة بها ، يقال له : إذا كان تآثر المخارج والاستباحت متآثرين لا يتعدون ، فلا بد من أمر أوجب للآثرهما ، فيسلك أن يقول : إن الاستباحت التي ، أوجب تآثر المخارج ، لها عو متقارب المخارج ، أمر ذاتي له ، لا يتوقف إلا على الاستباحت ، فلا يمكن الاستباحت أوجب تآثر المخارج ، ولا بد للآثر منه من سبب ، فلا سبب إلا أن يقال : إن المخارج علة الاستباحت » .

شأنهم وادّعتهم ، أن يعدلوا في كلامهم عن الأختل إلى الأختف ؛ طلباً للاستحسان ، وهذا شائع عنهم ، وكثير في لغتهم ، لا يحتاج إلى إثبات دال عليه . وترجم قد خالفوا عندهم وعدلوا عن الأختف إلى الأختل ، طلباً لبد الخارج ؛ حيث هو أسهل على اللسان ، وهدياً من تقاربها ؛ حيث هو أشق وأصعب على اللسان . وذلك نحو « الميوارت » ألا ترى أن أصل هذه الكلمة ، باجماع من علماء العربية : « كَيْسِيَان » لأنها من مضاعف الياء ، إلا أنه لما نقل عليهم عدلوا به عن الياء إلى الواو ، مع علمهم بأن الواو أقل من الياء ، لكنه لا يتاعد المترقان سماع ذلك ؛ لأجل الاستخفاف . فإذ رأينا أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد قضوا مادتهم ، ورفضوا سكتهم ، في العدول من الأقل إلى الأختف ؛ طلباً لتباعد الخارج الحروف ، طلباً أن ذلك أمّ عنهم ، وأكثر تقدماً في تلوينهم . وكفى بهسفاً دليلاً على أن تباعد الخارج أحسن تأليفاً من تقاربها ، فأعترف بذلك .

وأعلم أن تباعد الخارج ليس يكافئ في حسن اللفظة ، ولا مدح في جودتها ؛ فإنه قد تأتي لفظة مؤلفة من حروف متباعدة الخارج ، ولكنها تكون مبنية من حركات تبتلية ، أو تكون وحشية ، أو غير ذلك من الصفات التبتلية ، فيعارض ذلك توصف الحمود هذا الوصف للقدم فيزيد^(١) ويذهب به .

الترج الثاني من النسم الأول من الباب الأول

وهو أنه يزكوى الكلمة وحشية وير منوعرفة

وضي والوحشي ؛ قوة الاستعمال ؛ وذلك ميب في الكلام فاحش ؛ فيجب على المؤلف اجتنابه والبد منه ، لأن أحسن الالفاظ ما كان مأثوراً بين أرباب هذه السانمة ، دائراً في تأليفاتهم ، قد

(١) في مختار الصحاح ؛ اللفظة ؛ الامانة ؛ بكاء ؛ أول ترسه وفلاحة . وفي الحديث ؛ ليس من الالفة الخيل ؛ وهو انتهالها بأصل والحمل عليها .

سفته الأكنس ، وأرضشهُ الاسماع والقلب . ولذلك كان جميع ألفاظ القرآن الكريم منظرمة في هذا البيت ، وجارية في هذا النهج .

واعلم أن العرب ، وإن استعملوا الوحشي من الكلام ، فأنهم غير ملابسين على ذلك ، ولا يكون هيباً في كلامهم ؛ لأنه لغة القوم ، وبه كانت مفاوضاتهم في أحاديثهم وأشعارهم ، وكان كلادي كان لهم طبعاً وخليفة . والدليل على أن العرب لا يلامون في استعمال الوحشي من الكلام ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علق به كثيراً في كلامه ، وأنت به الأخبار المنقولة عنه ، كحديث طَهْفَةَ بن أبي زهير النهدي^(٤١) وغيره . فأما حديث طَهْفَةَ فهو^(٤٢) أنه لما قدمت وفود العرب على النبي - صلى الله عليه وسلم - قام طهفة بن أبي زهير فقال : « أبتك يا رسول الله من نخوذى رحمة ، على أكوار^(٤٣) ليس^(٤٤) ، زئي بن العيس^(٤٥) تستحلب^(٤٦) الصبير^(٤٧) وتستحلب^(٤٨) الخبير^(٤٩) ، وتستعيب^(٥٠) البربر^(٥١) وتستحلب^(٥٢) الزعام^(٥٣) ،

(٤١) في الأصل « الفندي » وهو تحريف ، ومثله : مذكور في كتب تراجم الصحابة مثل « الإصابة » ج ٢ ص ٢٢٢ ، ومنه من سماه « منية » .

(٤٢) راجع هذا الخبر في « الغالي » ج ٢ ص ٤ من طبعة البابي الحلبي بالقاهرة - وفقد أورد المؤلف هذا الخبر في كتابه « اللؤلؤ » ج ١ ص ١٥٤ وما بعدها من طبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

(٤٣) الأكوار : جمع « كور » وهو الرمال بأدناه ، ويجمع أيضاً على « كوران » ، « حنار الصجاج » .

(٤٤) ليس : شجر يتخذ منه الرجال « حنار الصجاج » .

(٤٥) العيس : الأبل الرض التي يتخذها بعضا نساء من الظلمة . ويقال من كرامه لابل ، وامنعها عرس ، والأخرى عرساء « حنار الصجاج » .

(٤٦) في الأصل « استحلب » وانصحح من الغالي « ج ٢ ص ٤ » .

(٤٧) الصبير : الصنابة السكرية لثراكب « الغالي » .

(٤٨) تستحلب : من الشيب . وهو الصنوبر واللوز ، يقال « حلب الصنوبر الحريرة » يحلبها - يكثر اللحم وضربها - لها شفايا ومضغيا ، ومنه لقب « الغالي » .

(٤٩) الخبير : النبات « (الغالي) .

(٥٠) تستعيبه : أمر أشد من خبير ، فأشبهه لاجدب ، وهو من العبد . وهو الصنوبر (الغالي) .

(٥١) البربر : ثمر الأراك بلا السود وبلغ ، والأراك : نوع من الصنوبر .

(٥٢) تستحلبه : نقشه خالفاً بالأصنار (الغالي) .

(٥٣) الزعام : تصانف الأمطار ، وهي جمع رحمة (الغالي) .

وَأَسْتَحِيلُ ^(١٧) الْجِهَامَ ^(١٨) مِنْ ^(١٩) أَرْضِ مَالِكِ النَّطَاءِ ^(٢٠) ، غَلِيظَةَ الْعَطَاءِ ^(٢١) ، فَدَأَسَفَ الْمُدْهِنَ ^(٢٢) ،
 وَيَسْنَ الْجَمْعَيْنِ ^(٢٣) وَسَقَطَ الْأَبْرُجَ ^(٢٤) ، وَمَاتَ الْمَسْلُوجَ ^(٢٥) ، وَهَلَكَ الْمُجْدِي ^(٢٦) ، وَمَاتَ
 الْيُودِي ^(٢٧) . بَرْنَا بِإِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ لَوْثٍ وَالسَّنَنِ ^(٢٨) ، وَمَا يَجْعَلُ الزَّمَنُ ، لَنَا دَعْوَةَ
 السَّلَامِ ، وَشَرِيعةَ الْإِسْلَامِ ، مَا عَلِمَا ^(٢٩) الْبَعْرَ وَثَامَ تَعَارَ ^(٣٠) ، وَلَنَا نَعَمَ تَحْمَلُ ^(٣١) أَعْقَالَ ^(٣٢)

(١) تَسْتَحِيلُ : تَنْظُرُ إِلَى حَالِ الشَّيْءِ .

(٢) الْجِهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا تَأْمَنُ فِيهِ ، عِنْدَ الصَّحَابِ .

(٣) فِي الْأَسْلِ : فِي « وَالصَّحِيحُ مِنَ الْقَائِلِ » .

(٤) الْأَبْرُجُ : مِنَ الْعَطَى ، وَهُوَ الْبَيْدُ . وَالنَّطَاءُ : هِيَ الْبُحْرُ ، أَيْ تَأْخُذُ سَاكِنِيهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَبْعُرْ .

(٥) الْمَسْلُوجُ : الْقَطْرُ .

(٦) الْمُدْهِنُ : قَرْنٌ فِي سَفَرَةٍ يَسْتَلْقِي فِيهَا النَّارَ ، وَهُوَ مِنَ الْوَلْمِ ، دَعْوَةُ الْعَرَبِ الْأَرْضِ : إِذَا يَلِيهَا بِلَاءٌ يَسِيرٌ ،

وَبِلَاءَةٌ دَمِيئَةٌ : قَلِيَّةٌ الْبَيْنُ .

(٧) الْجَمْعَيْنِ : أُسْلُوبُ تَبَاهُتِهِ .

(٨) الْأَبْرُجُ وَجَمْعُ الْأَبْرُجِ : وَهُوَ وَرْدٌ كَثُفٌ عَذِيانٌ ، يَكُونُ الْغُرْبُ مِنَ الشَّجَرِ ، وَوَلِيُّ الْأَبْرُجِ : نُورِي

الْقَلْبِ ، وَالْقَلْبُ : نَجْمٌ شَبِيهُ يَقَالُ لَهُ « نُجُومٌ » .

(٩) فِي الْأَسْلِ « الْعِلُوجُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَتَصْحِيحٌ مِنَ الْقَائِلِ « ج » س « » وَالْمَسْلُوجُ : هُوَ

الْفَعْلُ الْمُنْعَمُ .

(١٠) الْيُودِي : الْقَدِيمِي ، هُوَ مَا يَهْدِي إِلَى الْمَرْمِ مِنَ الْعَبْرِ ، وَأُرَادَ بِهِ الْأَيْلُ ، فَسَلَعَهَا عَذِيانٌ لِأَنَّهَا تَسْكُونُ فِيهَا ، أَوْ

أُرَادَ « عَذِيانُ فِيهَا مَا أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ عَذِيانٌ » وَهُوَ الرَّابِيعُ هُنَا .

(١١) الْمُجْدِي : التَّحْمِيلُ : وَهُوَ سَقَطُ الْعَطَى .

(١٢) فِي الْأَسْلِ « الْغَلِي » وَالْمُسَوِّجَيْنِ الْقَائِلِي « ج » س « » وَالْمَنْ : الْاجْتِرَاسُ وَالْمُخْلَافُ ، أَيْ بَرْنَا

مِنْ أَنْ نَخْلُفَ وَنَعْتَدُ .

(١٣) عَلِمَا الْبَعْرَ يَحْمَلُوهُ وَثَامًا يَحْمَلِي : إِذَا لَزِمَهُمْ .

(١٤) تَعَارَ بِيُوزُنِ كِتَابِي : جَبَلٌ يَدْعَى بِيُوزُنِ (الْمَدَامُوسُ) وَفِي مَعْرِفَةِ بَابِوتِ : قَالَ مِرْمَانُ بْنُ الْأَسْبَغِ « فِي

قَبْلِ أَبِيكَ جَبَلٌ يَدْعَى لَهُ « بَرْمُ » وَجَبَلٌ يَدْعَى لَهُ « نَارُ » وَجَبَلَانُ عَذِيانٌ لِأَيْتَانِ شَرِيَّةٍ ، لِيَهِيَ الْفَرْنَانُ

كَثِيرٌ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ « نَارُ » هـ - وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ .

(١٥) الْغَلِي : الْغَلِيَّةُ الَّتِي لَا رِيَاءَ لَهَا ، وَلَا فِرْسَانَ مِنْ يَسْلَعُهَا وَيُودِيهَا ، وَمِنْهُ الْقَلْبُ : « اخْتَلَفَ الرَّحْمَنُ

بِالْمَعْلُومِ » أَيْ لَمْ يَخْتَرْ بَشَرًا ، وَالصَّحِيحُ بِالْفَعْلِ . (الْقَائِلِيُّ) .

(١٦) الْأَعْقَالَ : جَمْعُ عَقْلٍ ، وَهِيَ الْإِنْسَانُ لِأَسْمَةِ عَالِيَا ، قَالَ الْبَلْبَرِيُّ فِي الْأَنْوَارِ فِي الشَّهَادَةِ : وَقَبْلِ الْأَعْقَالَ

هَذَا الَّتِي لَا أَبْهَانَ لَهَا ، وَبِئْسَ : الْعَقْلُ : الَّذِي لَا يَرْضَى خَيْرَهُ وَلَا شَرَّهُ .

ما يمين^(١) يلائل^(٢) ، ووقير^(٣) كثير الرئس^(٤) قليل الرئس^(٥) ، وأصابها حنة حمراء^(٦) مؤذنة^(٧) ، فليس لها نهي^(٨) ولا حل^(٩) ، وقال رسول الله - صلى عليه وسلم - : « اللهم بارك لهم في محضها^(١٠) وحمضها^(١١) ، وندفها^(١٢) وفوقها^(١٣) ، وابتها وأبيها في القر^(١٤) بياض^(١٥) القر ، وأجر^(١٦) له التمسك ، وبارك له في لئال^(١٧) الولد . من أقم العذرة كان مسلماً ، ومن آتى زكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان غنياً ، لكم يا بني نهد ودائع^(١٨) الشرك ، ووضائع^(١٩) اللال . لا تملط^(٢٠) في الزكاة ولا تخلص^(٢١) في الحياة^(٢٢) ، ولا تكل

- (١) يمين : مضارع يمش ، أي أهدت قليلاً قليلاً ، وأبهر البصير : التي يخرج ، وما تلا قليلاً أيضاً .
 (٢) اللال : القر الذي يبي .
 (٣) الوقير : القر السكتية ، قال أبو عبيد : لا يقال للذئب الوقير حتى يكون فيه الخمر والسكر .
 (٤) الرئس : ما يرسل إلى الرعي ، وجه أرساء .
 (٥) الرئس : العين ، يريد أنها كثيرة السمكة تلية العين ، ولين الرئس : الفرق ، والاندادي الرعي لغة التيات وخرقة ، قرحة ، الال الرئس : مكرور في الأصل وهو من سبعين ثم استبان .
 (٦) الحمراء : العذرة ، لأن الأبر تحمر في الجذب .
 (٧) المؤذنة : التي جاءت بأذن ، وهو الضيق .
 (٨) النهي : القرب الأول ، وباب فعد ضرب .
 (٩) الحل : القرب الثاني ، وباب توله ، نصر ، و : شرب ، .
 (١٠) المحض : العين الحامض .
 (١١) الحمض : القرب الثاني ، وهو الطاروق بناء ، (١٢) الندف : مكاب يكال به اللبن .
 (١٣) فوقها : قال السكندر .
 (١٤) القر : البياض : ثوبك الناصع بقا ، : دعت الخمر وأبعت : لود : سبب يافع آخر أو معه .
 (١٥) القر : البياض : ثوبك الناصع بقا ، : دعت الخمر وأبعت : لود : سبب يافع آخر أو معه .
 (١٦) القر : البياض : ثوبك الناصع بقا ، : دعت الخمر وأبعت : لود : سبب يافع آخر أو معه .
 (١٧) اللال : القر الذي يبي .
 (١٨) نهد ودائع : قال ابن الأثير : يعتقد أن يريد بها : كانوا يستعملونها من أموال السكندر الذين لم يسطروا الاسلام ، أراد أصلاً شتم ، لأنها صلت كافر فار عليه من غير عيب ولا شرط ، وقرن الودائع : هم الوديع ، أي العهد .
 (١٩) الودائع : جمع ودعة : وهي - وضع عليهم في ملكهم من التركات .
 (٢٠) المملط : يقال : لم يملط : إذا دلع عن عين يؤنه وسخره ، وفي الأصل المملط : يملط ، لغالب .
 (٢١) التخلص : قيل عن الحق إلى العلى ، وفي الأصل : يخلص ، .
 (٢٢) الحياة : أي ما صنعت حياً .

عن الصلاة ، وكتب معه كتاباً الى بني تميم : « من حمد رسول الله الى بني تميم بن زيد ، السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بني تميم في الوظيفة ^(١) الفريضة ^(٢) ، ولكم العارض ^(٣) والفريضة ^(٤) وذا العنان الركوب ^(٥) ، وانوار النبى ^(٦) لا يفتتح سركم ، ولا يُستند ^(٧) ملاحكم ، ولا يُجسس سرّكم ^(٨) ، عالم قضيروا الاماني ^(٩) ، وانما كانوا الربى ^(١٠) . من اقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله - صل الله عليه وسلم - ثوبة بالعمد والمنة ، ومن ابى فله الربهة ^(١١) » فقال له علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - « يا رسول الله نحو جواب واحد وربيبا في بلد واحد ، ووزك تكلم وفرد العرب بما لم تكلمه » ، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : « اذني ربي فاحسن تأذيي ، ورويت في بي سعد » .

ألا ترى الى هذا الكلام الذي لا يكاد يعرف ولا يفهم ، وهو الذي تقدمت نحن في زماننا وحشياً متواتراً لعدم الاستعمال له ؟ ومع ذلك : فقد تعلق به رسول الله - صل الله عليه وسلم - فريبت من هذا أن كان الوشي من الكلام ليس صحيحاً من حيث ذاته ، وإنما هو من حيث النسبة الى الزمن وأهله ، كما أنه فيه نحن في هذا الزمن ، وانظر به وتكرره ، ولا تستعمله ،

(١) الوظيفة : - يامر من زكاة أو معلوم أو رزق .

(٢) الفريضة : - قال فرست ، أي حرمت علي فارس وفريضة .

(٣) العارض : - أي أمليها كسر أو رمس . (٤) الفريش : - أي رعت حديثاً .

(٥) ذو العنان الركوب : - الفرس القوي . (٦) انبيس : - الضعب .

(٧) يستند : - يفتح . والسنج : - خيبر ، وتبلى خيبر المزد .

(٨) لي الأمل : - فر ، وهو من صميم السنج . وهي الجملة : لا تحصر ذوات الناسم الى الصديق تعبير من الرعي .

(٩) في الأصل : - الأبل ، والأراد : - هو من أمك الربى ، إذا صار في ابرة ، ومن الحية والأفة .

(١٠) في الأصل : - الربى ، والنسوب : - من الحياتي . والربى : - جمع ربي ، وهو الخيل ، وأراد به العهد . شبه ، ترم أكتافه بربي الى أمك الهم ، وشبه مثقه بأجن البهيرة ربها واقعه .

(١١) الربهة : - الربهة على الفريضة ، عقوبة على ذنبه المذن .

وقد كان من قبلنا مأزقاً مستتبلاً بين اليقظة والفسحاء . وهذا مما لا نزاع فيه بحال من الأحوال ، فاحرصه .

وعلى ذلك فأننا يلام على استعمال اللفظي من الكلام الخاطري ؛ لأنه يشكله ويتلفه من الكتب ، ويلفظه من بطون الدفاتر ، مع البناء والشفقة في تحصيله . وقد رأينا جماعة ، ممن يدمي حسنة الصناعة ، يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يُسَّرُ فهمه ، ويعد متداوله ، كالذي نحن بصدده ذكره ههنا . وإذا رأوا كلاماً غامضاً وحشياً يسيبون منه ، ويصدقونه بالصحة وهو بالعكس من ذلك . وقد استعمل هذا القسم من الكلام كثيراً ابن هاني اللخمي^(١) ، فمن ذلك ما جاء في قصيدة من شعره على قافية التاء ، وهو قوله :

وما راعهم إلا سُرايق جَعْفَر^(٢) يحكف^(٣) بها أسدُ الفناء اللاهت^(٤)
وما تستوي الشواء غيرَ حَيْثَم^(٥) قوادسها^(٦) والكاسرات^(٧) الحقائق^(٨)

(١) هو محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأندلسي ، ولد بقرية سكون من قرى إشبيلية سنة ٣٠٠ هـ . وفي رواية سنة ٢٢٦ هـ . وله كتابان له هما أبو القاسم والأطير أبو الحسن ، ويقال له : ابن هاني الأندلسي توفياً له عن ابن هاني الخليلي المعروف بأبي نوح . له ديوان كبير منبرج ، طبع مطبوعة لغراب بصرى ، وقد نشره الدكتور زاهد علي ، في حيدرآباد الهند بناسه . وان : ابن هذا الديوان له طبع ثلاث مرات : مرة بصرى سنة ١٢٧٠ هـ ، ومرة بيروت سنة ١٢٨٦ م . وسنة ١٣٢٦ هـ . توفي ابن هاني اللخمي مقتولاً سنة ٣٦٢ هـ ، وفي رواية ٣٦١ هـ . وله كتاب التاريخ الأول هو الرابع .

(٢) هو أبو علي جعفر بن علي الأندلسي أمير الغراب ، من شمال الأندلس ، كان جواداً ، وابن هاني فيه مدائح ، منها القصيدة التي فيها هذه الأبيات الثلاثة توفي سنة ٣٦١ هـ (الأعلام لزمخشري ج ١ ص ١٥٥) .

(٣) ورد هذا البيت في ج ١ ص ١٢٦ هـ من الديوان ، وفيه : تحف ، مكان : يحف ، ويصه : يعدهم من صيرة الطراد راكب .

ويعد خمسة أبيات بأن البيت الثاني : - - - - - . ويعد أربعة أبيات بأن البيت الثالث : - - - - - .

(٤) الألاهت : واحدها لاهت وهو الأسد .

(٥) في الأصل : - - - - - . وقد تستوي الشواء غير حيثه . والوجه من الديوان : - - - - - : الخباب ، زيادة متارماً الأمل على الأصل .

(٦) القوام : جمع قامة ، وهي عطر ريشات في مقدم أجناح ، وهي كبلو الخرش .

(٧) الكاسرات : جمع كاسرة ، وهي دؤب الكاسر ، بمعنى الخباب ، وكسر الخاطر : فلا الخش أو كسر صيده ، أو كسر جناحيه ، عندما يريد التفرج .

(٨) في الأصل : الحقائق . والصحيح من الديوان التذرية ، وهي جمع الحشقة .

تورعت عن ديساك وهي غريزة^(١١) لها تليخيم برودة^(١٢) وفرغ^(١٣) 'جذاجت'^(١٤) الأثرى إلى هسة السكيات ، كيف يكرها السمع ، وينبو عنها الطبع ، والسكرها القلوب ، وتحافها النور ، وكل الإحلال عند الرقوف عليها لحاظ [حَسْبًا] عشواء^(١٥) ، لا يدري أين يضع رجليه .

ومن هذا النوع أيضاً قول بعضهم وقد اعتلقت أمة فكتب رقاعاً وأقاعها في الجامع^(١٦) بعبقة السلام وهي^(١٧) « صحن أمروء ورومي ، دعا لامراء مقتته^(١٨) » ، قد نسبت بأكل الطرموق ، والمصابيا من أجل الاستعمال ، أن يئن عليها بالآخر عشاش^(١٩) ، والآخر عشاش^(٢٠) وكل من قرأ رقاعه لعنه ، ولعن أمة . وما يجري هذا الجري قول ابن الرومي :

إسقي الأسكركة الميتَ نَبْرَ في جمسلفونه
والترك النيجن^(٢١) في به يا خيلبي بنسونه

قائه لا يوجد^(٢٢) من الألفاظ الوحشية شيء أقبح من قوله « الأسكركة » ، وجمسلفون

- (١) في الأصل « مزيرة » ولا تنطبقها لتمام ، والمزيرة : هي الشاة لا تجر في الماء ، ويدرفها وطراوتها .
(٢) البرد : النار : أي الأثرى الضيق .
(٣) فرغ الرأفة : شعورها ، والفرغ من كل شيء : أعلاه .
(٤) جذاجت : الشعر الكثير .

- (٥) العشواء : القاصبة التي لا تبصر أمها . فخر كعبت يصعبها كل شيء . ويقال : « ركب لثافت العشواء » : إذا طبع أمره ، على غير بصيرة . وقال طابعا خطبا عشواء (مختار الصحاح) .
(٦) أرواء به جامع التصور بالجاب القربى من بقاد البقعة ، وكان فوق الصالبة المثالية يظل .
(٧) أورد أبو حنبل السكري هذا الشعر في كتابه « الضاميين » ص : ٣٣ ، طبعة الاستانة سنة ١٣٢٠ .

- (٨) في الأصل « مقبته » ، والتصحيح عن الضاميين ، وفي خلدية الكتاب « قال الجوهري : أضحى الرجل اشتداداً » ، لكبير .

- (٩) في ذلك كتاب الضاميين « الطرموق : العين الاستعمال : الأسهال . والآخر عش : والآخر عش : لثا بيل وبراً .

- (١٠) في الأصل الألفاظ ، والتصحيح من كتاب « الضاميين » .

- (١١) النيجن كعبير : السذاب . وأبان : دوام على أكسلة « الخالوس » .

- (١٢) في الأصل « لا يجد » وكتب قوله « لا يوجد » .

والصنبر ٥ . وكذلك قوله في صفة الطير :

متنطعلًا ، فغصب الوحوش مكانها ، تبارك فالتب جازُ المتنطعل

فهل تجد أيها التأمّل لسكتابنا هذا أشدّ كراهة عليك من العاقب بلانظة متنطعل ؟ وأشبه
ذلك كثيرة . وفيها ذكرنا من هذه الأمثلة كفاية .

واعلم أن الأنتكار على التام في استعمال الوصفي من الكلام أكثر من الأنتكار على الناطم .
وذلك لأن التام واسع المجال ، مطلق العنان ، متصرف كيف شاء ، قادر على أن يقيم مكان
المتنطعل ، التي ذكرها لفظاً أخرى مما هو في معناها . والناظم قد^(٤٧) لا يتمكن ذلك ، لأن مجال
النائب عليه مخرج ، ونطاقه ضيق . وإذا أراد أن يقيم لفظه مكان لفظه لا يتأتى له ذلك ، في
جميع الحالات ، لانقسام^(٤٨) الوزن عليه . ولتغرب لهذا مثلاً نقول : ألا ترى أن معنى
« متنطعل »^(٤٩) في قول هذا الشاعر أي « متدن »^(٥٠) ولو أراد أن يجعل هذه اللفظة المستنة
مكان تلك اللفظة الصحيحة ، لفسد عليه وزن البيت . ولست أرى لشاعر في هذا دواء ، إلا أنه إذا
أتاه شيء من هذه الألفاظ المستنة ، ويترن له الضرب مع ذلك فهو الزائد ، وإن كان لا يقع له
من الألفاظ مما هو في معناه ، ولا يوسر له ذلك ، فيقيم عوضه من الألفاظ المستنة ما يصحّ به
المعنى الذي قصد به الأنتزان . ألا ترى أن هذا الشاعر لو قال في هذا البيت « متدن »

(٤٧) يأتي النسخاء أيضاً « لا » على « قد » لأنّ قد لتعريف البيت .

(٤٨) قاله القهري في حرة تنويع « ويتلون : انتداب المرء فيه ، واتخذ الأمر عليه . وكذا التلقين
معربة لسكتابه والناظم به فتدفع السجع والرباس ، والوجه : تعريف إليه ولست عليه . فقد تقرر أن « متنطعل »
(فعل) الثلاثي (الفعل) ، والناظم (فعل الزاوي) (فعل) ويشترط في ذلك التعدي . وما
ورد مما يخالف « ذكر » نحو ارفع : متنطعل أرفع ، والناظم : متنطعل أرفع ، والناظم : متنطعل أرفع ،
ونحو التمرغ : متنطعل مبرغ ، وهو لازم هذا ، لأناس عليه « وعلى الثلاثة شباب الذين عمود الأرمي
في كشف العثرة » من هذا . أن أياً من العارض صحيح ليس (الفعل) من (أفعال) الزواوي . وأن ابن
عديفر التنزيه « وأن الشاعر قول ابن بري قيسية (الفعل) من : أفعال (الزواوي) . فلما : والسبب في ذلك
كله انشراط العيون في فهم حقيقة المشاورة .

(٤٩) في القاموس « العطمة : انشراط موج البحر ، وخطبان القدر ، وصوت السيل في الزواوي » وهذا
كله بيند الانشراط والصوت .

(٥٠) في الأصل : « تنبر » وهو من تعريف الضباع ، وإنه أفعال الزواوي إلى أن معنى متنطعل : متدن .

« أو متراكم » أو ما جرى هذا المجرى لسبح له الوزن والمعنى المقصود : وكان قد - لم من استعمال
 الوحشي من الكلام ؟ وإنما يبيهاً للشاعر هنا ، إذا كانت الكلمة في أول البيت أو في أثنائه ،
 فأما إذا كانت آخراً منسبه إليه قلنا يتمر على تغييرها ، وإقامة غيرها مقامها : وذلك لزوم
 [التافية]^(١) التي يبي قصيدته عليها ، فأعرف ذلك وقس عليه .

الفرع الثالث من القسم الأول من الباب الأول

وهو ألا تكون الكلمة مبتدئة بين العامة ، وذلك ينقسم قسمين :

الأول : - ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة ، فتبينة العامة وجعلته
 دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان :

الأول : - يكره ذكره ، كقول أبي العباس الضبي :

أضاني الترواني حسنه ما أذقني ودف جازاهن عني بالصرم^(٢)

فإن لفظة « صرم » في أصل وضع اللغة « التطلع » يقال : ^(٣) صرمة أي قطعته ، فتبونها
 العامة ، وجعلها دالة على المحل المخصوص دون غيره . ثم لم يكفهم ، حتى جعلوا ما هو بالسين
 صاداً ، ولأجل هذا استكره استعمال هذه اللفظة . وكذلك ما جرى هذا المجرى كقول
 أبي الطيب :

(١) زيادة التضاعف السابق .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسمعيل التبرستي ، وعليها :

ما لم التوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل التي بي من الظلم

(انظر الجزء الرابع ص ٤٧ من شرح ديوان الفروغ الى ابن البلاء العسكري ، طبعة بمصطفى الباوي الحلبي

سنة ١٣٥٥ - ١٣٦٤ م ، وفي ديوان « عني على الصرم » - وجاء في شرح ديوان المذكور :

والصرم : الاسم من صرمت الرجل ، أي قطعته كلابه ، وأصل الصرم : الألفاظ .

(٣) في الأصل « يقال له صرمة » ولا حاجة الى زيادة « له » .

على ^(١) البينة أن الجنُّ متى يحكّمونها ^(٢) وعن ذي الهاري ^(٣) أن منها الثاقب ^(٤) ؟
 فإن الثاقب في أصل اللغة : هي جماعة الثمام ، فغيرتها العامة ، وجعلتها دالة على ضرب من
 طعام السوفة ^(٥) ، فسلّمت من أكثر ^(٦) الألفاظ ابتداءً . واعلم أن العامة انحصروا ^(٧) عذا في
 كثير من كلامهم ، حتى أن الشيخ أبا منصور الجواليقي صنف في ذلك كتاباً ووجهه « بإصلاح
 ما يغلط فيه العامة » فته ما هذا سيده ، وهو الذي أنكرنا استعماله على أرباب هذه الصناعة ؟
 لسكراهته ولأنه مما لم ^(٨) يأت في كلام العرب ، ولا جاء عنهم ، فهذان هيبان من الضرب الذي
 ذكرناه .

وأما الضرب الثاني من التسم لأول : ففيه عيب واحد وهو أنه وضع في كلام العرب
 ليعنى بفعله العامة دالاً على غيره ، إلا أنه ليس مشتقاً ولا مستكراً ، وذلك كتسميتهم الإنسان
 طريقاً إذا كان تحت الأملق ، حسن الصورة واللباس ، طيب الريح ، وما هذا سداً . والطريف
 في أصل اللغة بخلاف ذلك : لأن الإنسان إنما يسمى طريقاً إذا كان حسن الثفاق فقط . إذ الطرف
 يتعلق باللسان لا غير . وقد قالت العرب في صفات خلق الأناس : الصباحة في الوجه .
 الوضاعة في البشر . الجلال في الأنف . الحلاوة في العينين . الملاحة في الفم . الطرف في اللسان .

(١) هذا اليت الغني من فصيلة يروح بها الحسن بن اسحاق التنوخي ، مقلداً :

هو البدين من ما تأتي الخرائق ولا قلب حسن أنت من الخرز

« انظر ص ٣٤٦ من الجزء الثاني من ترح ديوان النثر النوب الالعسكري ، طبعة المطبع سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٦ م .

(٢) يجوز كل شيء : ووجهه .

(٣) الهاري : اسم عربي ، ويجوز جمع على الهاري كالهاري ، وهي اهل مشوية الى قبيلة من اليمن وهم
 بنو ميرة بن حيدان .

(٤) الثاقب : جمع ثاقب ، وهو ذكر الثمام .

(٥) السوفة : هي القروفة عند أهل بغداد ، بالسكوبية . وهي قطع من السكروش جميلة على الرز
 والوز والأبزر وما حاكل ذلك ، وهي شوية . « للسكوبية » عند العرب .

(٦) في الأصل « أكثر » وهو غير مستقيم . (٧) في الأصل « انحصروا » ولا أراد ملاماً .

(٨) في الأصل « ما بأن في كلام » .

الرشاقة في القيد - الإباقفة في الثبائل - كمال الحسن في الشعر . وهذا الضرب قد ذكره الشيخ أبو منصور الجواليقي^(١١) في كتابه ، فأعرفه .

القسم الثاني مما ابتدأه العاصم ، وهو الذي لم يتغيره عن أبيه . وإنما أنكرا استعمال هذا القسم من الكلام ، لأنه مبتذل بينهم فقط ، لا لأنه مستباح ، ولا مخالف لما وضع له في أصل اللغة . وذلك كقول أبي الطيب اللثبي^(١٢) :

قتلت^(١٣) بالممّ الذي قتل المشا قلائل^(١٤) عيس كلين قلائل^(١٥)

ألا ترى إلى سخافة هذه اللفظة ، وما عليها من الزكافة التي لا أمد وراءها؟! وما جاء على نحو ذلك قوله أيضاً^(١٦)

وملومة^(١٧) سيقية^(١٨) ربية^(١٩) يسبح الحسا فيها صياح القلائل

(١) هو موهوب بن أحمد بن حمد - أحد علماء اللغة في القرن الخامس والسادس لهجرة ، أنف كتابه العرب ، وكتاب شرح أدب السكائب ، وما دونه - وقد منح الطبري اللقب العربي يستحق الكتاب الذي أشار إليه المؤلف . توفي بغداد سنة ٥٠٩ هـ . انظر الوفيات ج ٤ ص ٤٢٥ هـ طبعة مكتبة النهضة و هـ به الزمان ، ص ٤٠٩ هـ ، طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ .

(٢) هذا البيت من قصيدة منكمها :

فأ تريا وداني لهايا الخليل ولا تخفيا خلقا لنا أنا قائل

ولما لثبي في صباه ، (انظر ص ١٧٤ من الجزء الثالث من شرح البرهان للنسوب ال العسكيري) طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٣) وقليل : حرك . ويريد بالحقا : ما في حائل جوفه .

(٤) قلائل عيس : جمع قلائل : وهي الناقة المقيمة . وثلاثة قلائل ، وخرس قائل : إذا كانا سريعين الحركة .

(٥) قلائل : جمع قلة ، وهي الحركة . (انظر حاشية شرح البرهان المشار إليه ص ١٧٥ ج ٣)

(٦) هذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها :

انحسرت ما بين العذب وبارق بحر عوالينا وبحري السوايق

(٧) اللغوية : السكوبة المقيمة . (٨) سيلية : منسوبة إلى سيف الدولة .

(٩) ربية : منسوبة إلى ربيعة ، وهي ابنة سيف الدولة .

(١٠) القلائل : جمع قليل ، وهو حائل كبير يسكن العمريان في أرض العراق .

ومن هذا التسم قول ابن هاني^(١) للقرني :

من^(٢) ليس يرغل^(٣) إلا في سائر بني^(٤) من بني^(٥) مفاض^(٦) أو سلوي^(٧)
أم من يُغزل^(٨) محاليفاً خذهم أي الأجداد يسبو للسكري^(٩)
فإن كلاً من هاتين الفئتين^(١٠) يشغل بين العامة جداً . وأمثال هذا كثير ، فإرفقه .
وعليك أيها المؤلف اجتنابه ، والبهمة منه .

الدرج الرابع من القسم الأول من الباب الأول

وهو أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره

فلما وردت وهي غير منصودة بهذا المعنى فبحث : وذلك أنا صكنات مهمة بنهر قرينة
تفيم معناها من التبج ، فلما إذا جاءت ومعها قرينة ، مخصصة لا تحتملها من المعنى الخاص ، فإن
ذلك لا يكون مبيهاً في الكلام . فمثال ما ورد من هذا النوع ومنه قرينة ، قوله لعدي في
حق النبي - صلى الله عليه وسلم - « فاما الذين آمنوا به وهاجروا ونصروا وأتبعوا نور الذي
أرسل معه أولئك هم المفلحون »^(١١) . ألا ترى أن لفظة التمزيب مشتركة ، وهي تطلق على

(١) انظر حاشية ص : ٢٦ ، من هذا الكتاب .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا العرج العدياني ، صحتها :

فولا لخشيت ارمج الرمي والمرتمى بالرداء المنسواني

ورابع القويان ص : ٢٩٧ ، طيبة مطبوعة الطول بمصر سنة ١٢٠٢ هـ .

(٣) يرغل : مضارع يرغل في ثياب ، أي أخلها وجرعها متبذراً .

(٤) السرايخ : جمع سارية ، وهي الدرع الواضحة .

(٥) تبجي : منسوب الى تبج ، من طوبى العين .

(٦) المفاض من الدروع : التواضع أيضاً .

(٧) السلوي من الدروع والسكراب : أجردها ، منصوبة الى سادله ، وهي قرية باليمن .

(٨) في الأصل « أم يرغل محاليفاً يدلم » والتصحیح من القويان ص : ٥٠٩ هـ منه .

(٩) في القويان « إن الأجداد تسمو للسكري ؟ » والسكري : جمع كركي : وهو طائر يقرب من

الوز ، يصير الذهب وسادي اللون ، والسكري الأيزال معروف بالقران .

(١٠) أولادها « السلوي » و « السكري » .

(١١) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ ، وانظر الآية التاسعة من سورة الفتح ، « يؤمنوا بالله ورسوله

ونصروه ... الآية » وانظر الآية الثانية عشرة من سورة المائدة في الأخطار عن الرسل « ... وهاجروا

والأرض لله قرصاً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم » .

التعظيم والاحترام ؛ وعلى الضرب الذي هو دون الحد ، وذلك نوع من الالهانة . وهما معنيان متدان ، بحيث وردت هذه الآية جاء معها قرآنين قبلها وبعدها ، تحمدهن منهاها بالحسن ، وتميزه عن التبجح . ولو جاءت بمعية بغير قرينة ، وورد بها المعنى الحسن ، لسبق ال قرآن ما اشتملت عليه من المعنى التبجيج . مثال ذلك لو (قال)^(١) لائل : « ليت اليوم نزلنا ، فأكرمه وقرنه » تزال ذلك الميس وارفع الاشكال .

ومن هذا النوع أيضاً قول بعضهم ، يصف ربيعة ، جاتته من صدين له « فأطارت إنارة الزواجر ، والأذهال منها كالماناة في فلكها الدائر » . فان لفظ^(٢) « المانة » مشترك يدل على معان مختلفة ، فهي اسم لقطعيع من حر الرعي ، وقنع اسماً على صفواكب تحت التوس ، وورد بها الركب من الانسان ، فلما وردت في هذا الكلام ورد معها قرينة ، وهي ذكر الفلك ، تخصسها بأنها السكواكب تحت التوس ، لأن الفلك لا يكون إلا للسكواكب ، ولو وردت حمولة بغير قرينة لظن السامع أمراً آخر بكمرة ذكره . وأمثال هذا كثير ، فيجب على المؤلف أن يراعي فيه ما أشرنا إليه من ذكر القرينة .

واعلم أنه قد جاء من الكلام (ماسمه قرينة^(٣)) ما أوجبت بسببه ، ولو لم تجيء القرينة معه لسكان الأمر في استقياحه سهلاً ، وذلك قول الشريف الرضي :

أعز^(٤) علي^(٥) بأن أراك وقد خلا عن جانبك مقاعد العواد

فإن أبا محمد بن سنان الخفاجي^(٦) قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال : إن إيراد هذه اللفظة أعني « مقاعد » في هذا الوضع صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر ، لاسيما وقد أضافه إلى من يتبدل إنشائه إليه ، وهو « المراد » ولو نظرت لسكان الأمر فيه سهلاً ،

(١) زيادة المتضاعف البيان .

(٢) في الأصل « نقطة » وقد بردت لها من الماء تضاعف لفظ « مشترك » الذي هو غير إن .

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام من مثل السائر « ج ١ ص ١٨٦ » « طبعة المطب سنة ١٣٥٨ هـ » ص ١٠٠

١٩٣٩ م .

(٤) هذا البيت من قصيدة يرثي بها الرضي أبا الصحن ابراهيم بن هلال الصابي السكيتي ، وأوطأ :

أطعت من حلوا على الأعواء^(٥) رأيت كيف خبا خباء القاني^(٦)

(٥) انظر كتابه « سر المسألة » ص ٧٩ ، وانظر حاشية لثقل السائر « ج ١ ص ١٨٦ .

فأما الإضافة إلى من ذكره ففيها قبح لا يخفاء به « هذه حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي ، وهو كلام مرهضي واقع موقعه في هذا الباب . ولقد ذكر نحن ما عتدنا من ذلك فتقول : قد جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : « وإذ أخذت من أهلك تبويءاً للذين آمنوا مقاعداً للقتال ^(١) » . إلا أنها في الآية غير مضافة إلى من يفتح إشارتها إليه ، كما جاءت في شعر الشريف الرضي ، وهو قوله « مقاعد العواد » . فلم يذكر القرينة التي هي لفظة « العواد » : لكان الأمر يسهل في ذلك ، ولو قال عوضاً عن « مقاعد العواد » مقاعد الزبارة « وما جرى هذا الجري لذهب ذلك القبح وزالت تلك المحجة والسكراسة . ولحقا جاءت هذه اللفظة أعني « مقاعد » في الآية على ما ترى من الحسن والجودة ، وجاءت في شعر الشريف الرضي على ما ترى من القبح والزيادة ، فاعرف ذلك وقس عليه .

وأما الذي ورد من هذا النوع مبهلاً بغير قرينة ، فنكتول تأبط شراً :

أقول للحيان وقد سغرت لهم وطاي وبوي ضيق الجحر مُمورد ^(٢)
 وتوَّرد مع ذلك قرينة لم يفسده شيئاً البتة ، ألا ترى أن لفظة « الجحر » تطلق على كل قبح ، كغيب الحياة ، وقبح اليربوع وغير ذلك ، وتطلق أيضاً على الحبل المخصوص من الحيوان ، وإنما استعملت هاهنا ، لأن الوم يسبق إلى ما تدل عليه من الحبل المخصوص ، دون غيره . ومع هذا فأى قرينة وردت مع هذه اللفظة لا تذهب ما عليها من السكراسة ، ولا تزيد ما فيها من القبح . وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفها .

المرع الخامس من القسم هذول من الباب المذكور

وهو أن تكون الكلمة مصفرة ، في موضع يسير بها عن شيء خفي

أو لطيف أو ضئيف أو ما جانس ذلك ^(٣)

ومعاني التصغير خمسة :

- (١) « سورة آل عمران » الآية ١٢٤ .
- (٢) انظر للشاعر « ج ١ ص ١٨٧ » وشرح الحطاب للبرزني « ج ١ ص ٢٥ » .
- وطان : بطن من حديق ، وسغرت لم وطاي : كناية عن خلوقه من وهم . وسورد : باد عورته ، وهي مكان الخانة منه .
- (٣) في الأصل « جنس » ورس بصواب .
- (٤) في الأصل « جنس » وهذا جائز لو أراد المؤلف « القفا » ولكنه قال « الأول » ضميراً للتذكير .

الأول برد لتعظيم للماني لا الصور نحو « رجيل » أي إنه مقبر من حيث معناه ، لا من حيث صورة .

« الثاني » برد لتحقير الصور لا الماني ، وهو ضد الأول نحو « جليل » .

« الثالث » لتقريب وذلك في الظروف الزمانية والمكانية نحو : « وقيت » و « فويق » .

« الرابع » برد للتخيل وذلك في العدد نحو « موبيل » و « أحيال » .

« الخامس » برد للتعظيم كتقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حق عبد الله بن مسعود

« كَتَبْتُ مَلِي ، عَلِيًّا »

فلان قيل : التصغير إذا جعل أسميةً لتعظيم والتعظيم معاً زالت القائمة للتصغير به ، لأنه

لا يصح دليلاً على أحدها .

الجواب عن ذلك أنا نقول : ليس الأمر كما وقع لك : أن التصغير أسارة لتعظيم والتعظيم

على الاطلاق ، من غير تقييد ، بل ههنا فرق بينهما ، من عرف لم يتكر جعلهم التصغير دليلاً على

التعظيم والتعظيم معاً ، وهو أن التصغير الدال على التعظيم لا يحكون الا ومعهم صفة مدح

مقترنة (هـ) . ألا ترى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم له : « كَتَبْتُ مَلِي ، عَلِيًّا » فقوله

« كَتَبْتُ » تصغير محض وقوله : « مَلِي » معاً « صفة مدح » أوجبت له التعظيم ، وذلك أن

الشارح اليه لما كان قصير الشكل ، صغير الجثة ، أطلق عليه لفظة التصغير بأن قال « كَتَبْتُ » ولا

كان عزيز العلم ، وأجيب الله ، أطلق عليه صفة المدح بأن قال « مَلِي » فقصيره أولاً ثم

عظمه ثانياً ، فقيل : « تصغير تعظيم » لا هنا صيد « فاعرفه .

وأما التصغير الدال على التعظيم فليس كذلك ، لأنه لا يحى ، منه صفة مدح اليق .

وأما أبنية التصغير الثلاثة : ثلاثي لا زيادة فيه ، وبحي ، على « فويل » نحو « تويب »

(١) في الأصل « جليل » وهو من ضمناً التاسع .

(٢) الموبل تصغير « مال » و « وراة » في الأصل « الابل » و « احيال » : تصغير أعمال : جمع على .

(٣) جاء في هذا الصحاح السكندر ، كسر الكاف : وانه تكون زه أمانا الفرائص ، ويصغره ، جاء الحديث « كَتَبْتُ مَلِي ، عَلِيًّا » .

(٤) زيادة الضمها الثام .

وربما لا زيادة فيه وبقي على « مُتَمَلِّعٌ » نحو « دُرَّجٌ » فإن كان فيه زيادة من حروف اللد واللين بن ثالثة وراية جاء على « مُتَمَلِّعٌ » نحو « مُتَمَلِّعٌ ». وأما الخامس فيحذف منه الحرف الأخير وهو أولي بالحذف نحو « مُتَمَلِّعٌ » ، وربما حذفوا ما قبل الآخر ، فقلوا في فرزدق : « فرزدق » .

وقد جاءت أوزان غير هذه وهي « أَمِيلٌ » نحو « أَمِيلٌ ^(١) » و « مُمِيلٌ » نحو « مُكِيرٌ » و « مُمِيلٌ » نحو « حَبِيلٌ » و « مُمِيلٌ » نحو « حُمَيْرٌ » والأصل ما أوردناه أولاً ، وذلك شيء مستعصي في كتب النحو ، وليس هنا موضعه .
وأعلم أنه قد وردت ألفاظ لم يستعمل لها مكثراً نحو : الثريا ، والأشجيين والكسيت ، وسبيل وغير ذلك . وليس هذا من غرضنا في هذا الكتاب الذي نحن بصدد ذكره ، بخلاف من معنى التصغير ، فما جاء من التصغير قول الرضي :

وهل تُخْشِفُ بِالتَّسْفِيحِ كَمَلَفَةِ بَقِي أَمْ دَانِيَتْ غَيْرَ مُدْعَانِ

فإنه لا كان هذا النزول صغيراً ، قرب العهد بالولادة ، كان دوده مستعراً أليق وأحسن وأدخل في الصفة . وكذلك قوله أيضاً :

هل ناسد لي يتفق المسمى فربلاً صرّاً على الركب ؟

وأشكال هنا كثير عارفة . فلا ينبغي لك أيها المؤلف أن تكثر من استعمال هذا النوع من الكلام في تأليفك ، وإن كان حسناً رائداً . بل الأليق بك أن تقتصر منه على الشيء اليسير ، يكون كلامك به ملبساً ، فإن مثل التصغير وما جرى مجراه في التأسيف ، كمثل الوشي في الثوب الدجاج ، فإنه إذا كان ملبساً أحسن منه إذا كان من لون واحد . وكذلك الكلام ، فإنه إذا كان مشتقاً على هذه الأنواع المذكورة من التصغير وغيره ، كما سبق ذكره ، وبأنه شرحة في هذا الكتاب ، كان أولى من أشكله على نوع واحد عارف ذلك .

(١) في الأصل « أَمِيلٌ » وهو خطأ من النسخ .

الترجيع السادس من القسم الأول من الباب الأول :

وهو أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً

وسبب ذلك أنها إذا ركبت من حروف قليلة حقت على النطق لتعصرها ، وسهل التعبير بها على اللسان لسرعة فترافه منها ، وإذا ركبت من حروف كثيرة كالتي التعلق بها كثرة على الناطق ، وذلك لتطاولها وامتداد الصوت بها . ولتضرب طبعاً مثلاً كيف اتقني ، ليكون أسرع فعلاً للتأني ، فقول : إذا تلفظ الناطق بالتلافي ، فقال الماء العليب « علب » أو تلفظ بالرياضي ، فقال للذهب « عسجد » كان ذلك أسهل عليه من التلفظ بالحاسي إذا قال القراءة الشديدة الصوت « سهسعين » ولا يجوز « تجعمرش » وذلك مما لا يمكن النزاع فيه ، لأن شاهدته من نفسه ودليله من فاته . ولهذا كانت أكثر ألفاظ القرآن الكريم ثلاثية ، وكان القليل رباعياً . وأما الحاسي فليس في القرآن منه شيء ، البتة ، إلا ما كان اسم نبي فقط نحو إبراهيم ، وإسماعيل^(١) . وغيرها .

وأهم أن الأسماء الثلاثية في الأصل ، إذا كان فيها زيادة فأكثر ما تبلغ سبعة أعرف ، وكذلك الرباعية أيضاً . وأما الخماسية ، فإن زيادتها لا تكون إلا حرفاً واحداً ، وذلك لأن الحاسي عندهم غاية الأصول ، فلا يحتمل غاية الزيادة . وأما الأفعال فلا تكون خماسية في الأصل بل ذبها أن تكون رباعية قطعاً . وذلك أن الأسماء أقوى من الأفعال ، وحيث كانت أقوى منها جعلوا لها ميزة عليها ، وفضيلة فوقها . وسبب قوة الأسماء على الأفعال استثناء الأسماء عنها ، وراحة الأفعال اليها . ألا ترى الاسم مع الاسم نحو « زيد مطلق » كلام مفيد ؟ والفعل مع الفعل نحو « ضرب قام » ليس بكلام مفيد ؟ ولكن إذا اقترن الاسم بالفعل نحو « قام زيد » صار ذلك كلاماً مفيداً . فالأسماء إذن مستغنية عن الأفعال ، والأفعال ليست مستغنية عن الأسماء ، بل هي مقترنة اليها . وحيث تكلمنا على الأصول الثلاثة ؛ ثلاثياً ورباعياً وخماسياً

(١) قال المؤلف في لؤلؤ السائر « ج ٦ ص ١٤٩ » : « لا يوجد في القرآن من الحاسي الأصول شيء » ، إلا ما كان من اسم نبي عرب اسمه ، ولم يكن في الأصل عربياً نحو إبراهيم وإسماعيل . -

وبلغ منا القول إلى هنا التمام فلنزدف ذلك بذكر الأصول مع زوائدها ، والفرض بها اجتناب الألفاظ التي كثرت حروفها واستعمل ما كان قليل الحروف ، فإنه إذا كان التناظر بالخامس فيه كافة على الشاطن وكراهة ، كما أوردناك^(١) ، فالأولى أن نزيد كلفه إذا تلفظ بكلمة فيها أكثر من خمسة أحرف ، فنقل ذلك قول بعضهم^(٢) في جـ « رقة كتبها إلى صديق له ، قصداً بها التشويق في الكلام ، فقال « وإذا استفسأناك تلك تجيبت هذه وتكلمت » أي إذا ماتت تلك قصرت هذه . فإن قوله « استلمت » من أقيح الألفاظ طولاً ، مع أنها من وحشي الكلام فقد جمعت إذن العيين معاً .

ومن هذا النوع أيضاً ما ذكره أبو محمد بن سنان الخفاجي^(٣) وهو قول أبي العزيب

الظبي :

إن السكرام بلا سكرام منهم مثل القلوب بلا سوكولوايتها

ألا ترى إلى تطاول هذه اللفظة وخروجها عن الاعتدال ؟ وبسبب ذلك يتضاف استقبحها واستكرهها . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

قل قيل : إن هذا الذي أنكرته من طول الألفاظ وذكرته ها هنا قد ورد في القرآن الكريم ما يماثله وبشابهه ، فن ذلك قوله تعالى : « وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية . وقوله تعالى : « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ » .

لفظة « يستخلفهم » عشرة أحرف ، ولفظة « فسيفكهم » تسعة أحرف . وأمثال ذلك في القرآن كثير . فلو كان هذا متكرراً في التأليف : متكرراً في الكلام لما ورد في القرآن الجيد . الجواب عن ذلك ، أنا نقول : ليس هذا الذي قد جاء في القرآن الكريم مثل هذا الذي أوردناه نحن في كتابنا وأنكرناه على قائله^(٤) ، لأن قوله تعالى « يستخلفهم » ثلاث كلمات جمعت فصارت

(١) في الأصل « رأيتك » وهو تصحيح من النسخ .

(٢) جامع سير الصحابة لأبي محمد عبد الله بن حبان ، ص ٥٦ .

(٣) اختصار القائل للشيخ ج ١ ص ١٨٨ ورأى ابن الأثير ذلك : « أن تخرج اللفظة ثم يكن سبب طولها .

ولما هو لأنها في نفسها أربعة » .

كلمة واحدة صورة لا معنى . ألا ترى أن الأصل فيها « يستخلفن الله المؤمنين » إلا أنه لما جاء بذكر المؤمنين مظهرأ في الأول لم يخرج في ذكرهم ثانياً إلى الإظهار ، بل انصرف على ضميرهم كما تقول : « قالت عبي فلان وحاربتهم » يثوب مناب قوتك « وحاربت عبي فلان أيضاً » . وهذا مما لا نزاع فيه لوضوحه . وكذلك القول في اللفظة الأخرى وهي قوله تعالى : « فسيكفيكم الله » ولا يُجد في القرآن الكريم لفظة واحدة ، مثل لفظة « سوبدارتها » في الطول ، لأنها ليست ثلاث كلمات وقد جمعت كلمة واحدة كما أوردناك ^(١) وإنما هي كلمة تدل على معنى الجمعية لا تفر ، وفي آخرها الهاء والألف لإضافتها إلى المؤنث ، فاعرف ذلك .

وأما النوع السابع الذي ابتكرناه ^(٢) نحن فهو إن تكون الكتابة مبنية من حركات خفيفة ، وسبب ذلك سرعة النطق بها ، ومساوؤه فيها من غير بناء ، بلغة ولا كلمة ، ولذا إذا تولى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة ، لم يستكره ذلك ولم ^(٣) يستقل ، بخلاف هذا في الحركات الثقيلة : فانه إذا تولى منها اثنتان في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت ؛ وذلك لما يجده الناطق فيها من تكلف البناء وتجهش اللسان . ومن أجل هذا استثقلت الشمة على الواو ، والكسرة على الياء ، لأن الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء ، فتكون عند ذلك كأنها حركتان تبتليان . وانضرب لهذا مثلاً كيف اتفق فتقول : إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي « ج ز ح » فلا خلاف أنها إذا جعلنا « الجيم » مفتوحة كانت أحسن من جعلها مضمومة ، فإن من له أدنى ذوق وأقل معرفة يعلم أن « الجزح » أحسن موقعاً من « الجيزح » ، و « الجيزح » أحسن موقعاً من « الجزح » . ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها متبرأً لخارج حروفها ، حتى ينسب حسنها وقبحها إلى الخارج ، بل قد نتقنا أنه يكسرها تارة حسناً وتارة يسلب ذلك الحسن منها ، ورأينا الحسن إذا يحدث لها إذا فتحنا « الجيم » منها « ططنا أن حدثنا حادث من ذلك السبب ؛ فإن الشيء إذا رأناه يتغير ويختلف أحواله ، ورأينا أن

(١) في الأصل « رأيتك » .

(٢) انظر كتابي « المحاسن » لابن جوي ج ١ ص ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ . وقد أشار هناك إلى ما رأيت

للؤايف انه يستكره . (٣) في الأصل « ولا يستقل » وهو من خطأ النسخ .

اختلاف كل حالة من أحوالها سبب نسبتها ذلك إليه . ولما رأينا أن هذه اللفظة ، إنما ضمنا ^(١) الجيم منها يذهب ذلك الحسن ، علمنا أن سبب نهائيه كون الجيم مضمومة . وحيث كانت الخال بهذه الثابتة ، ثبت أن أخف الحركات التصح ثم الكسر ثم الغم . والدليل على ذلك ما ذكره لك ؛ وهو أن الحركات مضارمة للحروف . ألا ترى أن جماعة من علماء العربية كانوا يسمون « الضمة » التوار الصغيرة و « الكسرة » الياء الصغيرة ، و « الفتحة » الألف الصغيرة ؟ ومما يؤكد ذلك أنك متى أشبعت الحركة انشأت بعدها حرفاً من جنسها ، نحو قولك في الشباج ضرب « سوديها » وإنما إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن اشبع الحركة فانشأ منها حرفاً من جنسها كقول بعضهم :

فانت من القوائيل حين ترى ومن خم الرجال بمشترج

يريد « مشترج » وهو مفعل من الشرج . فلما ثبت هذا ، فاعلم أنه إذا كانت الفتحة أخف من الكسرة ، والكسرة أخف من الضمة ؛ لأن الألف أخف من الياء ، والياء أخف من الواو . والدليل على ذلك ما ذكره لك . فلما قلنا : إن الألف أخف من الياء ، فلابد وأبداً العرب قد أبدلوا الألف من الياء في العين من الفعل اللغني ، وذلك معكرو ومعهم يستمر ؛ وإنما فعلوا هذا استعقلاً للياء ، طلباً للاستعانة ، وبيانه أنهم قالوا ^(٢) : « باع ، وسار وأختار وأصله « يتبع ، ويستقر ، ويختسر » ^(٣) . فلما نقل هذا عليهم أبدلوا الياء ألفاً للثبوت ^(٤) ، فقالوا « باع ، وسار ، وأختار » وكذلك ما جرى هذا المجرى . فمعلوم بهذا أن الألف أخف من الياء . فإن قيل : إن هذا الدليل الذي أورده على أن الألف أخف من الياء قد جاء عن العرب قديمه ، ألا ترى أنك إنما استدللت على أن الألف أخف من الياء ، لتكون العرب قد أبدلت الألف من الياء ؟ وقد رأيناهم أبدلوا الياء

(١) في الأصل « ضمنا » وهو من ضم الشباج .

(٢) كسر الشبج « أنهم قالوا » فعدنا للكسر .

(٣) ضبط الشبج هذه الأصول بنية للجهول ، ولا ترى ذلك مستقيماً .

(٤) في الأصل « الفتحة » والصواب ما أوردناه .

من الألف « نحو » حاليق ، وقتيال « فإن الياء هاهنا بدل من ألف رحلاق وألف « قالت » .
الجواب من ذلك أما قول : ليست هذه الصورة في الدليل التي أوردناه نحن ، لأن لفظ « باع ،
وسار ، واختار » على وزنه لم يغير عنه ، وذلك أنه تميل نحو ، فلما رأينا العرب قد أبدلت الياء
في هذا الوضع الفاء مع أنه لم يغير عن وزنه يجمع ولا غيره ، علمنا أنهم إنما فعلوا ذلك استقلالاً
الياء لا اضطراراً . وأما لفظ « حاليق » أو « قيوال » فليس كذلك لأنه قد خرج من وزنه الأول .
ألا ترى أن « حاليق » جمع « حلاق » « وقتيلا » مصدر « قالت » فلم تبدل الألف هاهنا
بإاء طلباً للخفة وإنما أبدلت اضطراراً ، فلا يلتبس الأمر عليهم ، فليس لو قلنا : جمع « حلاق »
« حلاق » لا يعرف إن ذلك جمع ؛ لأنه ليس في الجمع « فعالال » . ألا ترى أن أصل « حلاق »
من « حلق » على وزن فعال . وهو رابعي ، وقد جمع الرابعي على « فعاليل » نحو « برانين »
و « دمايل » فحلت لقلة « حاليق » على ذلك « قاياء » إذا ليست بسبلة من الألف هاهنا
استقلالاً للألف بل اضطراراً ، فلا يلتبس الأمر في ذلك . وكذلك « قيوال » فإن أصله من
« قالت » ومصدر « قالت » جاء على « مقالة وقيبال » نحو « مقالة وقتيال » فلو قيل « وذا »
عن قيوال « قال » على وزن « قائل » لا يلتبس الأمر في ذلك أيضاً . وذلك أنه ليس في
أوزان المصادر « قائل » قاياء ، إنما أبدلت في هذا الوضع من الألف اضطراراً لا استقلالاً .
ألا ترى أنها قد حذفت منه وأسقطت بالكسابة ، فقبل « قالت قديلاً » ، ولم يفعل ذلك إلا طلباً
للخفة ، لأنهم لما أبدلوا الياء ، وهي ثنية ، من الألف ، وهي خفيفة ، كان ذلك بخلاف ما ذهب
وثنائهم ؛ لأن من عادتهم أن يعدلوا عن الأثقل إلى الأثقل لا إلى الأثقل . لكنهم لما اضطروا
إلى ابدال الياء من الألف لم يتركوا الياء على حالها ، بل حذفوها وأسقطوها كما أرى ذلك .
وكذلك فعلوا في لفظ « حاليق » أيضاً ، فإبدا ما أبدلت الياء فيها من الألف ، حذفوا الياء
أصلاً وأسقطوها فنالوا : « حاليق » على وزن « فعالال » كما قلنا « درام ويران » وكما اردوا
كذلك جميع أوزان الرابعي ، فاعرف ذلك وفق عليه .

(١) في الأصل « رايك » .

وأما قولنا « إن الياء أخف من الواو » فدليلة من وجهين : الأول أنه إذا بني من الفعل المعتل قلبه بالياء مستقبل لم تحذف الياء نحو « يسر ^(١) ويُسِرُّ » و« يَسِرُّ » ^(٢) الجدي يُسِرُّ » ولا كذلك الفعل المعتل قلبه بالواو فإنه إذا بني منه مستقبل حذفت الواو ^(٣) ، نحو « وعد يَدَّ » ووزن يَدَّ ، ولم يقولوا : « وعد يَوَدُّ » ولا وزن يَدَّ « كما قالوا : « يَسِرُّ يسِرُّ » ويَسِرُّ الجدي ^(٤) يسِرُّ » حيث ايقوا الياء في المستقبل ولم يقوا الواو في المستقبل ، علنا أن حذفتهم للواو إنما هو استقبال ^(٥) لها دون الياء .

وأما الوجه الثاني ، فهو أنك إذا بيتت « مفعولا » من المعتل البين بالواو حذفت منه حرفاً للاستئصال ؛ قلت في قال « مقول » وفي صاغ « مصوغ » . وإذا بيتت مفعولا من المعتل العين بالياء إن شئت حذفت قلت في باع « مبيع » وفي باب « مبيع » وإن شئت نعت ولم تحذف ، قلت : « مبيوع ومعيوب » وإنما لم يتنوعوا في الواو فم يقولوا : في مقول « مقبول » ولا في مصوغ « مصوغ » ^(٦) وأتوا في الياء فقالوا « مبيوع ومعيوب » لأن الياء فيها الضمة أخف من الواو فيها الضمة ؛ ألا ترى أن الواو إذا انضمت فقرأوا منها إلى الضمة فقالوا « أدؤر ^(٧) وأتؤب » قل الرازي :

شكل دهرقد ليست أتؤبأ .

- (١) في القاموس المحيط « اليسر : بالفتح وحرك : اليقن والاقبال ويسر يسير . يريد : « لأن بين » .
- (٢) وفي القاموس « والهاجر كغراب : صوت الغم والغزى ، أو الشديد من أصوات الشاة (بقال) : برت تهر كينم ويضرب » .
- (٣) في الأصل « وأخو » والواو زائدة . (٤) في الأصل « الجد » .
- (٤) في الأصل « استئبال » ولا وجه له وهو من خطأ النسخ .
- (٦) جاء في الصحاح للجوهري « قلت الدواء وغيره : أي يلقه بقاء أو غيره ، فهو مدوف ومدوف . وكذلك سلك مدوف أي يبلل ، ويقال : مدوف . وليس يأتي « مدوف » من ذوات الثلاثة من باب الواو بالتكم إلا حرمان « سلك مدوف وحب مصون » فإن حليته جاء بالفتح ، والسكالك مدوف ومصون ، وذلك لتقل الضمة على الواو ، والياء أقوى على الضمة منها . فلها جاء ما كان من بابها الياء بالتكم والمدوف ، نحو : توب حبيب ومهبط ، على ما فسره في باب الماء » ١ هـ .
- (٥) في الأصل « لتومر » . وهو من خطأ النسخ . والأدؤر : جمع الدار . والتؤوب : جمع التوب .

فالمعزة في الواو اذا انضمت مطردة . فأما اذا كان بعدها واو ، كان ذلك أمثلاً لها . فلهذا الزموها الحذف في « مفعول » . والياء اذا انضمت لم تميز ولم تغير عن حالها ، فهنا بذلك ، وببصرك أن الياء أضف من الواو ، فأعرف ذلك .

هنا ما انتهت اليه القنطرة ، وأطاحت به المعرفة ، من الأوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة ، فليبدأنا الواقف على كتابنا حسناً وليتبدروا : قانه يفرق بين الجيد والزدىء من الألفاظ ، ويعرف ما يستعمله من ذلك ، وما يطرحه . وحيث فرغنا من الكلام فيما يتعلق باللفظة المفردة^(١) ، فليتبعمه بالكلام على الألفاظ التركيبية ، والله أعلم بالصواب .

(١) فانه المؤلف أن من أسباب خلق اللفظة المفردة أن تنبسط بألف مقصورة ، لأن إطلاق اللفظ بها نحو السكون ، وخلاصه من حركة الأعراف أو الياء يفتقدتها تخفيفاً مبدئياً كقوله تعالى « والليل إذا يدعى » واليسار إذا تحلى ... والشمس وضاعها . والفمر اذا تلاها ... طه ما أتينا عليك الفرأكن للشمس ، فلا تذكره من شمسي . .. سيج اسم ديك الأعلى ، الذي خلق فسوي . - (م - ج) .

القسم الثاني من الباب الأول

في صناعة تركيب الألفاظ

اعلم أن اللفظة قول دخلها في سبيل التأليف ، وقبل أن نصير ال الصورة التي تسمى كلاماً ،
دالاً على معنى من المعاني ، لا يكون لها منزلة على أختها ، التي في معناها ، إلا بلن تكون هذه
أشرف من هذه بعلامات^(١) توجد فيها . إما أن تكون إحداها مستعملة مأثومة ، والأخرى
وحشية متوعدة ، وإما أن تكون حروف هذه أخف حركة أو أحسن امتزاجاً مع صواحبها ،
أو غير ذلك مما قد سنا ذكره . ولا يصورُ بين اللفظين تفاضل في الدلالة على المعنى الذي اشتراكا
فيه ، حتى تكون إحداها أحسن في الدلالة على ذلك المعنى من الأخرى ؛ والضرب لهذا مثالا
لفقول : لا يخفى على من له ذوق صحيح ، وفطنة سليمة ، أن لفظة الثيب أو الأسد أحسن دلالة
(على)^(٢) منها من لفظة « الفدوكس »^(٣) أو « السميتل » ثبت بهذا الدليل أن الكلمة
لا يكون لها منزلة على أختها إلا بعلامات توجد فيها دون تلك^(٤) ، وهذا لا يقبته على اعتياده
وقصدته في الكلام إلا الفطن اللبيب ، الذي له غاية بصناعته . وكثيراً ما رأينا من يحكم على
الألفاظ بالجودة والرياسة ، وإذا طوِّب بدليل يثبت له ما ادعاه لا يبحر جواباً ، إلا تحسكاً محضاً ،
لا حاصل وراءه . ولا يعلم أنه لا يجوز التثني أن يقول : هذا الكلام جيد أو ردي ، إلا بعد أن
يعتبر كل لفظة منه على انفرادها ، ويبرهن عليها تلك الصفات التي ذكرناها أولاً في كتابنا

(١) في الأصل « فضائل » وهو من غلط النسخ .

(٢) زيادة بنفسها البيان . (٣) في الأصل « الفدوكس » .

(٤) أنظر الحديث عن هذا في كتابه « دلائل الإيجاز » كلام عبد القاهر الجرجاني ص ٣٠ وما بعدها .

طبعة لدار سنة ١٣٣٩ هـ .

هذا ، فلذا رأينا موجودة فيها أو بعضها ، علم أنها حقيقة بأن تدخل في سبك التأليف ، ثم يعود
 بعد ذلك ويعتبر مكانها من النظم ، وكيف يمازجتها بآرائها والثناؤها مع أخوانها ، فلذا وجدها
 شديدة المناسبة لها ، حسنة الامتزاج معها ، حكم على^(١) ذلك اللفظ بالجلودة ، وشبهه له بالروتق
 والطلاوة ، « وإن كان الأمر بخلاف ذلك [حكم] عليه بالرداءة والتبع ، على حسب ما استحق .
 والأصل في هذا كله حسن التأليف ، وجودة التركيب ، فإن حسن التأليف يزيد للمعنى نبلها
 ويحيل النفوس الى أسماءه ، والأصنام اليه ، فإنه إذا كان للمعنى سبباً ، وكان اللفظ جيداً مختاراً ،
 ويسكون التركيب مع ذلك ردياً لم يوجد له فيقول : ولا يظهر عليه روتق . وإذا كان المعنى
 واللفظ وسعياً ، وكان تركيبها جيداً حسناً كان ذلك معلياً من قدرها ، ورافعاً من شأنها .
 فمثال ذلك كالمقد للتوسط . ألا ترى أنه إذا أحسن تنقيده جعلت كل قطعة مع ما يشاكلها ،
 ويليق بها ، كان رائعاً في النظر وإن لم يكن مرتفعاً شيئاً . ومثال المعنى واللفظ الرائعين مع
 التركيب الرديء ، مثال عند معين ، أقصد نغمة ، جعلت كل قطعة منه مع ما ينافيها ولا يتاحها ،
 فإنه يصير بذلك مختلفاً في النظر ، وإن كان رائعاً شيئاً .

وحسن التأليف : هو أن توضع الألفاظ في مواضعها وتجميل في أماكنها . وسوء التأليف
 بخلاف ذلك . ألا ترى أنه إذا قسم في التأليف ما يجب تأخيره ، وآخر ما يجب تقديمه تصير
 المسائي الفرة من مواضعها ، هوكة عن وجوهها ؟ ومثال ذلك كالصورة التي تحول بعض
 أعينها^(٢) الى موضع بعض ، فتحول الرأس الى موضع اليد أو الرجل أو غير ذلك ، فإنه إذا
 فعل هذا فبحث الصورة ، وضعت هراتها الجليلة الحسنة . فاعرفت ذلك ، فإنه لم يقل : « لفظه
 مستكبره حريضية » وفي خلافها « فلنته مستكبره » ألا والنرض بالمكن^(٣) حسن الاتفاق بين
 الألفاظ بعضها مع بعض ، وباتفاق سوء اللامية وأنها^(٤) لم توافق سواحيها . وهل تشكل أيها

(١) الصحيح « حكمه بالجلودة » لا عليه . (٢) زيادة المتضاعف التام .

(٣) في الأصل « أفضلتها » وهو من لفظ التناخ .

(٤) في الأصل « التمكن » وهو غير منظم ، فهو من لفظ التناخ أيضاً .

(٥) في الأصل « وأن » .

التأمل لكتابنا هذا ، اذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابعثي نباتك ويا سماء ابعثي
 وابعثي الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي » وقيل 'بمبدأ' للقوم الظالمين « أنك لم تجد
 ما وجدت لهذه الألفاظ من اللزجة الظاهرة ، والفضيلة الزائدة ، الا لأمر يرجع الى ارتباط بعضها
 ببعض ، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الزافر ، والشرف الكامل الا من حيث لاقت الأولى
 بالثانية ، والثالثة بالرابسة ، وكذلك الى آخرها . وأن الفضل حصل من امتزاجها وتلاؤمها .
 فان لحقت في ذلك أدنى شك فتأمل هل ترى لفظة منها ، لو أخذت من مكانها ، وأغرقت من بين
 أخواتها ، كانت مؤدية من الحسن ما تؤديه وهي في موضعها من الآية ؟ فصح لنا من هذا القول
 أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي مفردة فقط^(١) . ومن أدل الدليل على ذلك ، أن ألفاظ
 القرآن الكريم قد تعاقب بها العرب قبل نزوله على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه لفظة
 من الألفاظ (إلا)^(٢) وقد تسكلموا بها ، وجاءت عنهم . ولو لا ذلك لما كان عربياً ، لأنه لما
 ترك على لغة القوم وكلامهم ، ونحن قد رأينا القرآن الكريم يفوق جميع كلامهم ، ويذكر عليه
 مع كونه واردة على لسانهم قد تسكلموا بألفاظه ونطقوا بها ، ثبت لنا من ذلك أن ألفاظ القرآن
 الكريم إنما تفضل سائر الكلام من حيث تركيبها ونظمها . وهي من حيث الانفراد مساوية
 لكلام العرب ، حيث هي عين ألفاظهم ونفس كلامهم . وهذا مما لا شك فيه ولا اريب ،
 فاعرفه .

ومما يشهد بذلك ويؤيده ، أنك ترى اللفظة تروك في كلام ، وتزداد بها انجاساً واستحساناً ،
 ثم تراها في كلام آخر ، فتقل عليك وتستكرهها . مثال ذلك أن لفظة الأندلس ، قد جاءت في
 بيتين من الشعر ، وهي في أحدهما لافحة حسنة ، وفي الآخر ثقلة مستكرهة ، كقول العيصية بن
 عبد الله بن مطير في الحامسة :

(١) انظر دلائل الالجاز ، ص ٢٢ ، طبعة أحمد مصطفى للرائف فيلجينة العربية بصرة قبة ما يشبه هذا
 الكلام ، مع بعض اختلاف في الألفاظ . وانظر التل السائر ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) زيادة لفظها السابق .

تأملت نحو المي حتى وجدتهى وَجِئْتُ مِنَ الْإِسْتِغْنَاءِ لَيْتاً وَأَخْذَةً^(١)
وَكَقُولِ أَبِي تَمَّامٍ :

بَادِرٍ^(٢) قَوْمٍ مِنْ أَعْدِيكَ قَعِدٍ أَسْجَعَتْ هَذَا الْأَنْهَامِ مِنْ خُرْمِكَ
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ بَيْتَ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ التَّنْقِيلِ عَلَى النَّفْسِ وَالسُّكْرَاءِ أَسْمَانِ
مَا وَجَدَ لَهَا فِي بَيْتِ الْحَمَّاسَةِ مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْعَةِ وَالْإِيْدَاسِ وَالْبَهْجَةِ ؟ وَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ التَّرَاجُعُ فِيهِ
لِنُظُورِهِ ، وَسَيَأْتِي لَهُ بَابٌ مُفْرَدٌ فِي السُّكْرَاءِ عَلَى الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ .
فَعَلَيْكَ أَيُّهَا التَّرَشُّحُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ تَرَامِيَ فِي كَلَامِكَ هَذِهِ الدَّقَائِقَ الشَّرِيفَةَ ، وَالسُّكْرَاءَ
الْمَلْفُوفَةَ ، فَإِنَّ الصَّنَاعَةَ التَّأْيِيفَ غَوْرًا لَا يَبْدُرُكَ مَتْنَاهُ ، وَمَتْنَهَا لَا يُوَسِّلُ إِلَى مَدَاهُ .

(١) مطلع القصيدة :

سَمِعْتُ إِلَى رِيَا وَتَمَّامٍ بَصَدْتِ حِزَابِكَ مِنْ رِيَا وَشَمِيكَ كَمَا مَعَا
وَانظُرِ الْآيَاتِ وَالْحَدِيثِ ضَمَانِ مِنْ كِتَابِ « دَلَالَةِ الْأَلْبَابِ » طَبْعَةُ الْمَدِينَةِ ١٣٣٦ هـ .
وَالرِّبِّ : مَفْعَلَةٌ التَّنْقِيلِ . وَالْأَخْذُ : عَرَفَ فِي مَوْجِعِ الْحُجْمِ ، وَهُوَ حَسْبَةٌ مِنَ الرُّبْدِ . وَمَا أَعْنَدَانِ
« الصَّبَاحِ » .

(٢) مِنَ السُّبَيْدَةِ يَصْرُحُ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَرِّثِ ، وَبِهِتَةُ بَرَكَةُ مَطْلَعُهَا :

لَهُ مَاتَ عَلَى الرِّبْدِ مِنْ قَرْمِكَ وَاحْتَكَنَ أَهْلُ الْأَعْدَامِ فِي وَرْعِكَ
وَالْمَرْقُ وَالْقَمَمِ : الْعَفْ ، وَالْحَمْنُ وَالْجَمْلُ .

الباب الثاني

من الفن الثاني من التطب الأول
في الكلام على المعاني

اعلم أن المعاني على ضربين : أحدهما يتقدمه صاحب الصناعة ، من غير أن يكون له فيه إمام يتعدى به ، أو رسوم قائمة ، في أدلة يعمل عليها . وهذا الضرب مما يعثر عليه عند الموائد المتجددة^(١) ، ويقب له عند الأمور الطارئة : والآخر ما يعتمد على مثال تقدم ، ورسم سبق ، وينبغي المؤلف أن يطلب الاصابة في كلا الأمرين ، ويترجم فيها الصورة المقبولة ، والعبارة المستحسنة . ولا يتشكل فيها ابتكاره من المعاني على فضيلة السبق ، ولا يشتر بجزئية الإبداع ، فيصالح في تبيين صورته . فانه اذا قبل ذلك ذهب حسنه ، وانطس نوره . ويكون فيه الى الى الدم أقرب منه الى الحد . وينبغي أن يستيقن المؤلف ويتحقق ، أن المعاني أشرف من الألفاظ ، والدليل على ذلك ما ذكره : وهو أنها لو علمنا من هذه الألفاظ دلالتها على المعاني ، لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء ، بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام والأصوات الناشئة عنها ، ويزيد ما ذكرناه وضوحاً ، أن هذه الصناعة من النظم والنثر ، التي يواصلها البنساء بينهم ، وتتفاضل بها مراتب البلاغة ، إنما هي شيء يستعان عليه بتحقيق الفكرة ، وحسن الرواية والتعبير . ومن المعلوم أن الذي يستخرج بالفكرة ، ويضم فيه النظر ، إنما هو المعنى دون اللفظ ، لأن اللفظ يكون معروفاً عند أرباب صناعة التأليف دائراً فيما بينهم ، والمعنى قد يتبدع ، فيذكر

(١) في الأصل : العجبة ، ولا وجه لتعدي في الموائد .

التؤلف معنى لم يسبق إليه ، وذلك إما يكون تعادلاً^(١) عن الفكرة الصحيحة ، والطبع الصليم ، فإن الذي تخرج فيه سمعتك ، وتقع فيه سياغتك هو المعنى . ولهذا كان جماعة المؤلفين يشتركون في معرفة الجيد من الألفاظ ، وإنما التفاوت يقع بينهم في المعاني . لأن الألفاظ الجيدة يستعملها جميعهم ، ولا يكاد أحدهم يغوت الآخر فيها . وأما المعاني فانه قد يتنكر للتؤلف المعنى من نفسه ، ويتخلله من ذاته ؛ وذلك كثير لا يحصى . فصح من معنا الوجه ، أن للمعاني أشرف من الألفاظ وأنبى .

واعلم أن أشرف المعنى : عاوه ، وسقوطه واستفاله ، من نتائج علو القيمة وسقوطها . وقد حكى أن أشرف كلام قاله العرب : « أقتل أنفى لقتل » . ومن المعلوم أن هذا الكلام ليس فيه من الألفاظ البديعة الرائعة ما يرفعه الـ من مرة يكون بها أشرف كلام قالته العرب ؛ حتى إنهم جعلوه في مقابلة قوله تعالى : « والسبح في القصص حينئذ »^(٢) . لا بل في لفظة من القتل^(٣) ، بسبب تكراره ملاحظاً به . ومع هذا فانا نجد من كلامهم ما ألفاظه تعرب الأسماع ، وتأخذ بتجماع القلوب ، وذلك أكثر من أن يحصى ، وهو لا يكون بتارة قولهم : « أقتل أنفى لقتل » فصح حينئذ أن نقامة هذا الكلام ، وعلو منزلته ، إنما هي لأمر يرجع الـ جلالة المعنى للندرج تحته ، وشرف قدره .

وقد رأيت جماعة من متفاني هذه السفاهة ، يعمنون ممدوم . مندورة على الألفاظ التي لا حاصل وراءها ، ولا كبير معنى تحتها . وإنما قال أحدهم سجعين أو ثلاثاً ، يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ، فإذا أنكرت هذه الحال عليهم ، يقولون : لئنا أسوة بالعرب ، الذين هم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة ، فإنهم استعملوا بالألفاظ ، ولم يعللوا بالمعاني استعمالهم بها . ألا ترى إلى جهل هؤلاء القوم ، فإنهم لم يكفهم جهلهم فيما ارتكبهوه . من ذلك ، حتى إنهم ادعوا أن العرب مثلهم ، فصارت جهالتهم جهالتين .

(١) لعل الأصل « حاداً » فلا يستعمل التي والحدوث هنا .

(٢) أنظر سورة البقرة الآية ١٢٩ .

(٣) أنظر ص ١١٦ وما بعدها من « الايضاح » للتصليب التزويدي ، طبعة مطبعة السوربة سنة

١٢٦٤ هـ - ١٢٦٩ م . وقد أمثال المؤلف الحديث عن هذا القول وعن الآية السكرية المشار إليها فيه .

والنصكر هربا ما إذا تأديه الناظر في كتابنا هذا حرف ما يوثقه ، وبذهب به (في ^{٤٧})
الاستحصان كل مذهب فنقول : إن العرب لما كانت تشبه بالمفاظها ، فصلحها ، وتهدبها ،
وتراعها ، وتلاحظ أحكامها بالنظم تارة ، وبالنثر أخرى ، فإن الثاني أفرى عندها ، وأكرم عليها
وأضخم فمراً في نقرتها ، فأول ذلك عنايتها بألفاظها لأشياء (لا ^{٤٨}) كانت عنوان حاجتها ،
وطريقاً إلى إظهار أغراضها أصلحها ورتبها ، وبالتوا في تحبيرها وتحسينها ، ليحكون ذلك
أوقع لها في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على التصدد . ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً
(لئلا يسهل حفظه ، وإنما لم يكن مسجوعاً ^{٤٩}) لم يأنس به أئمة (ق) حالة السجع . فإنا
رأيت العرب قد أصلحوا الفاظهم وحسنوها ، ورتبوا حواشيها ، وفتوا أظرفها ، وصنوا
غروبها ، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط ، بل هي خدمة منهم للمعاني ، وتقوية
بها . ونظير ذلك إصلاح الرواة وإحكامه ، وإنما البتة بذلك الاحتياط النوعي ، كتلا بتخير
جوهره ، فإنا قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما نجد من حلاوته ، وبلاغة لفظه ، نضع من
رواقه لسوء ^{٥٠} العبارة عنه ، فإن قيل : إنا نرى من الألفاظ ما قد تقوه ، ورتبوا ، ودججوه ،
ولسنا نرى مع ذلك تحته معنى شريفاً ، فما جاء منه قول بعضهم ^{٥١} :

ولا قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعتاق العلي الأطلح

ألا ترى إلى حسن هذا اللفظ ، وماله وسقائه ، وتدبير أجزائه ؟! ومضاه مع ذلك ليس
مطابقاً له ولا مقارباً ، فإنه إنما هو ^{٥٢} فرغنا من الملح ركبتنا الطريق راجعين ، ونحننا على
ظهور الإبل ... ، ولهذا نفاثر كثيرة ، شريفة الألفاظ مشروفة المعاني . وفيما أشرنا إليه كفاية

(١) زيادة من لقل السائر ج ١ ص ٣٥٢ . (٢) زيادة يحتاج إليها الميال .

(٣) في الأصل هـ ، والتصحيح من لقل السائر أيضاً .

(٤) لأصل هـ سوء العبارة ، وقد زدنا اللام ليضم الكلام .

(٥) من آيات لشكيب بنزة ، وقبلتها لابن الطبرية ، أو لقبه بن كعب بن زهير بن أبي سلمى .

(٦) انظر : دلائل الإعجاز ، لاجري ، ص ٤٩ ، والفردوس ، ص ٩٥ ، من كتابه ، أسرار

البلغة ، فلكلام في هذا الصغر .

للتأمل . الجواب عن ذلك أنا أقول : هذا الوضع قد سبق إلى التثبت به من لم ينعم النظر ، ولا رأى ما رآه القوم ، وإنما ذلك لظناء طبع الناظر ، وعدم معرفته . وهو أن في قول هذا الشاعر « كل حاجة » مما يستفيد منه أهل السبب والأهواء والرفقة واللقمة ما لا^(١) يستفيده غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم . ألا ترى أن حوائج مني أشياء كثيرة ، فنيا التلافي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي للاجتماع ، التي غير ذلك مما هو تال له ، ومعقود الكون به . فكان الشاعر صانع^(٢) من هذا الوضع الذي أومأ إليه ، يعتقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت « ومسح بالأركان من هو مسح » أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها وآراءنا التي بلغناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجار في القرية من الله تعالى بجره ، أي لم تعد هذا القدر المذكور إلى ما يمتصه أول البيت ، من التعريض الجاري مجرى التصريح . وأما البيت الثاني فإن فيه « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وفي هذا ما تذكره لزماء فتعجب من^(٣) تعجب منه ، ووضع من معناه ، وذلك أنه لو قال : « أخذنا في أحاديثنا لنعلم ذلك » لسكان فيه معنى يكبره أهل السبب ، وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في مجاورتهم علو قدر الحديث بين الإقنن ، والجفد يجمع شمل التواصلين . ألا ترى قول بعضهم :

وحديثي باسمه عنها فزنتي جنوناً فزدي من حديثك باسمه
وقول الآخر :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يمن قتل السلم التصريح

فإن كان قصد الحديث عندهم على ما ترى فكيف به إذا قبله بقوله : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وذلك أن في قوله : « بأطراف الأحاديث بيننا » وحياً خفياً ورمزاً حلواً ؟ . ألا ترى أنه قصد يريد بأطرافها ما^(٤) يضاهاه المحبون ويتفاوضه ذوى العبادة التيمون ، من

(١) في الأصل « مما » والتصحيح من لئلي السائر ج ١ ص ٣٥٣ .

(٢) في الأصل « ضائع » وهو تصحيف ، والتصحيح من لئلي السائر ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) في الأصل « ومن » والواو زائدة .

(٤) في الأصل « مما » والتصحيح من لئلي السائر .

التعريض والتلميح والإيماء ، دون التصريح . وذلك أحلى وأدعى وأقرب ، وأنسب من أن يكون كشفاً ومصارحة وجهرأ . وإنما كان الأمر كذلك فمضى هذين البيتين أعلى من عدم وأشد تقدماً في^(١) نحوهم من لفظها ، وإن عذب بوجهه ولا سمحه . نعم ، في قول هذا الشاعر « وسالت يا حنان لعل الأمانح » من الزشافة والمطافاة ما لا يخفى به^(٢) . فالعرب إنما تحب اللفظها وتدعيها ، وتوشحها وتزخرفها « عنابة سنيا بالعماني التي تحتها » أو توصلها بها إلى الإدراك مطالعها ، فلا أفاط إذا خدم العماني « والمخدوم لا شك أشرف من الخادم » فأعرف ذلك .

(١) في الأصل « من » والتصحيح من لئلا السائر .

(٢) أنظر لئلا السائر ج ١ ص ٣٥٥ في فيه لفصيل لوجه الاستعانة .

ابواب الثالث

من الفن الثاني من القلم الأول في تفضيل

الكلام المنثور على المنظم

وأما أن الأقوال متنازعة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر ، إلا أنه المذهب القليل والقول النوي هو أن الكلام المنثور أفضل من الكلام المنظم ، والدليل على ذلك من أربعة أوجه :

« الأول » أن القرآن الكريم ورد تراً ، ولولا فضله وعلوه درجته ، لما نزل كتاب الله عز وجل - على أسلوبه ونهجه ، وأيضاً ، فإن القرآن معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن العدم أن المعجزات لا تحي ، إلا من طريق الأصعب^(١) ، بحيث إنه لا يمكن أحداً من خلق الله الرسول إليها ، والإيمان بثبتها . ولما كلن النثر من الأقوال الشاقة ، والأشياء الصعبة ، أنزل الله تعالى القرآن ، التي هو معجزة ، على قلوبه .

ومما يدل على أن النثر أشق من النظم ، وأصعب مأخذاً ، هو^(٢) أن العرب كانوا أفصح الناس ، وأبلغهم وأكثرهم قدرة على التفنن في الكلام ، ومع هذا لم يسمع لأحد منهم تراً ، إلا لقس^(٣) بن ساعدة ، الذي يضرب بكلامه الثقل في القصاحة والبلاغة ، ولأقوام آخرين . وم قليل .

وأما النظم ، فإن جميع العرب كانوا يقولونه وكان عليهم من أسهل الأشياء حتى على نسائهم .

(١) استعمل « الأصعب » اسماً ، لا وصفاً .

(٢) القوياب جديف « هو » ، لأنه يضرب قبل الذكر غير جائز .

(٣) في الأصل « النثر » ولا نراه يستعمل .

وأيضاً ، فإن أرباب النظم لو أريد حصرهم ، بل حصر أهل عصر واحد لتعذر حصول ذلك ، فكيف حصر جميعهم ، وليس سبب هذا إلا ومرة مسك النثر وشرفه ، وأنه لا يقاله إلا الأفراد من الفضلاء ، فإن قيل : إذا كانت العرب لا تكثر من النثر ، وأكثر من النظم ، فليس ذلك دليلاً على أن النثر أسبغ من النظم بل الأمر بالعكس من ذلك ، وهو : أن النثر لما كان سهلاً عند العرب حيناً ، والنظم شاقاً عليهم مستصعباً ، عمدوا إلى الأصعب وتركوا الأسهل ؛ لأنهم إنما كان غرضهم إظهار قوتهم في البلاغة وال فصاحة ، وإذا كان ذلك فيما هو أشق مسلطاً^(١) وأوهر مذهباً ، كان أدل على تمكّنهم من الكلام . وأما النثر ، فكان عندهم بمنزلة ما^(٢) يرغبون فيه ، ويتنافسون عليه ؛ لسهولة عندهم ؛ ولهذا لم يبتغوا به ويكثروا منه ، كما فعلوا في النظم ؛ وأما قولك : إن القرآن الكريم ورد نثراً ، وتفضيتك النثر على النظم ، لأن الله تعالى إنما أنزل القرآن ليكون آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة على يده ، ليفهم به أولئك الفصحاء والبلاغاء من العرب ، لأنهم كانوا أرباب الفصاحة والبلاغة ، وحيث كان النثر سهلاً عندهم يسيراً عليهم أنزل الله تعالى القرآن على أسلوبه ليجزم ، بما هو أسهل عليهم من غيره ، ليكون ذلك أعظم في الإيجاز . وأبلغ الطواب من ذلك أنا نقول إن هذا الذي ذكرته من أن النثر ، كان أسهل على العرب من النظم ، واستدلناك عليه بقلة رغبتهم فيه ، واعتنائهم به ، فليس ذلك دليلاً لك ، بل هو دليل لنا دونك . وذلك أنه قد ثبت بإجماع منا أن العرب لم تكثر من النثر ، وأكثر من النظم ، ومن العلوم أن الإنسان إذا كان مكثراً من شيء ، استدل بذلك على قدرته عليه ، و(عدم) قصوره^(٣) من الوصول إليه . ولا يقال بأن إكثاره من هذا الشيء ، دليل على ضعفه عليه ، لأنه لو كان متمذراً عليه لا قدر على الإكثار منه ، ولنتك لا يقال أيضاً : إن تقلبه من هذا الشيء ، دليل على سيئته عنده لا أفول منه ، وهذا مما لا يمكن النزاع فيه بحال من الأحوال .

وأما قولك : إن النثر لا كان عند العرب أسهل من النظم ، أنزل الله تعالى القرآن الكريم

(١) في الأصل : مسلطاً ، وهو من ضلّ السبيل .

(٢) في الأصل : من ، وهو من غلط السبيل . (٣) في الأصل : صورها .

على أسلوبه ، ليعجزم بما هو أسهل عليهم من غيره ، فيكون ذلك أول على الاحجاز من كونه
يحيى على أسلوب الاثنى الاصب . فالجواب من ذلك أنا قول : قد ثبت أن المعجزات التي على
أيدي الأنبياء - صلوات الله عليهم - لم تأت بما كان سهلاً على أممهم ، لأنهم إنما جازوا بإحياء
الأموات ، وانشقاق البحر وانسجار الماء من الحجر ، وما جرى هذا الجري ، وهذا الحكم أيضاً
موجود في النثر ، فإنه لما كان شاعراً على العرب ، وليس فيهم من يقدر على الاتيان به الاقليل ،
أقول الله تعالى القرآن الكريم على سهجه وطريقه ، لتكون المعجزة مناسبة لما جاءت [فيه] . وذلك
أن النثر من حيث ذاته أمر شاق مستصعب ، وانضاف الى ذلك كونه من عند الله تعالى فسار
معجزاً بالضرورة ، فأعرف ذلك .

وأما الوجه الثاني فهو : أن النثر ينوب مناب النظم ، ولا ينوب النظم مناب النثر وذلك
أنه اذا أخذ معنى من المعاني ، وعبر عنه بلفظ مطابق له ، وسكان ذلك الكلام متشوراً ، فإنه
لا يمكن التعبير بتقدير ذلك اللفظ ، ويكون الكلام شعراً ، وذلك أنه يحتاج في الشعر الى أقتة
الوزن ، وهنا لا يتم إلا بزيادة لفظ ، أو نقصان لفظ ، وإذا زيد على ذلك شيء سار في الكلام
مألاً حاجة فيه ، إذ المعنى كان يصح بدونه ، وإن نقص منه شيء سار المعنى ناقصاً عما كان عليه
في الأول .

وأما الوجه الثالث : فهو أن النثر لا يقال الا بعد تحصيل آلاءه للذكورة في صدر كتابنا
هذا أو بعضها . وذلك بخلاف النظم ، فإنه قد يقوله من لم يحصل من آلائه شيئاً البته . وكثيراً
ما رأينا ممن يقول الشعر الحسن ، ويسيب في معانيه ، ويجيد الفاظه ، وهو لا يعرف من آلات
التأليف شيئاً ، كالسوفة والغامة من أبواب الحرف والصنائع .

وأما الوجه الرابع : فهو أن النثر تعلمو درجته حتى يقال الوزارة للعلماء ، واللوك . وأما
الشاعر فلا تعلمو درجته عن رتبة المستعطين ، ومنزلة الطالبين لما في أيدي الناس . ولو لا فضل
النثر وما يحرف من شرف صنفته والحاجة إليها ، لما رقي الى درجة الوزارة . وكذلك الشاعر ؛
فأرلاً كساد صنفته والاستغناء عنها ، علقت درجته وارتفعت منزلته ، ولما كان في طول عمره كلاً
على الناس ، وهذا شيء معطرد لم يزل . وقد شوهد رأي العين ، فلا يمكن الزاع فيه بحال من
الأحوال .

القطب الثاني

في الأشياء الخامسة وهو فنون :

القطب الأول في الفصاحة والبلاغة :

اعلم أن هذا باب غامض ، متعذر على الراجح ، ومسلك وعمر ، مستصعب على الناهج . ولم يزل الناس من قديم الوقت ، وهم جبراً ، يتهافتون على الخوض فيه ، والنوم عليه ، وهم مع كثرة طلبهم لمعرفته ، وتوفر حرصهم على الإحاطة به ، لا يفتقرون منه إلا كشيبة^(١) طائر أو قطرة من بحر زاخر . وقد قال بعض الصنفين من العلماء ،^(٢) « لم أزل منذ خدمت أهل^(٣) العلم ، انظر فيها قائله في معنى الفصاحة والبلاغة ، وأستكشف عن المعنى في ذلك ، فلا أجد إلا كالمز والاشارة ، ولا أفت في معنى قول شاف ، ولا كلام كاف . فلما رأيت الأمر كذلك ، علمت أنه لا يمكنني في معرفة هذا العلم العظيم ، الذي كان به إنجاز القرآن الكريم ، قول مهمل ، ولا كلام مجمل . بل لا سم معرفته حتى يفصل في القول ، ويدل على الخصائص التي تأتي في تأليف الكلام ، ويوضح إيضاحاً جلياً من غير منافرة لشيء ، من ذلك ، حتى تكون المعرفة بهذا العلم كمرقة الصانع الخاذق ، الذي يعلم كل عذبة منسوجة من الأبرصم في الثوب الديباج ، وكل حجر من الأحجار الماخلة في البناء ، فإنا نظرت إلى هذا العلم الشريف استحجت عند ذلك إلى طول مسكت وتقدر ، وكثرة تأمل وتفكر ، وإلى همة تأتي أن تقع إلا بأعلى المنازل ، وأسمى الراتب . ومنى جشمت

(١) الفية : المبرمة .

(٢) القائل هو الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وقد أورد الآلاف كلمة مع بعض تغير فيه . انظر : « دلائل الإعجاز » من ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبوعة البار سنة ١٣٣٩ هـ .

(٣) التي في « دلائل الإعجاز » : « لم أزل منذ خدمت العلم ... » بنبر لحظة العمل ، انظر من ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبوعة البار سنة ١٣٣٩ هـ .

نفسك حصول هذا الراء بعيد ، وكلفنا سعور هذا الرى التازح ، وقد آمنت أمراً عظيماً ،
وتمررت غطب^(١) جسيب ، وفقنا الله ولياكم لواقع الصواب .

ولنرجع إلى ما هو غرضنا وبمعنا من ذكر الفصاحة والبلاغة ، والكشف عن حقيقتها
والاختصاصها ، فنقول : اعلم أن أصل الفصاحة في وضع اللفظ : التهور والبيان ؛ يقال : أفصح^(٢)
الصبح إذا بدا ضوءه وأسفر ، وأفصح فلان عما في نفسه : إذا أظهره ، وإنما هي اللفظ فصيحاً
لأنه يبين المقصود ، ويوضح المعنى المترج تحته .

والفصاحة : اسم عام يشمل الفرد من اللفظ والمركب ، وإنما كان الأمر كذلك لأن واضح
اللفظ أعيا وضع الالفاظ مفردة لا مركبة ، فالفصاحة شملت أولاً الفردة ، وإنما شملت المفردة فن
الضرورة شمولها المركبة ؛ لأن الركة مجتمعة من الفردة . وكل مركب كانت أجزاءه ذات صفة
هي فيها متساوية فتلك الصفة تُسَمَّى لاجمالة .

واعلم أيضاً أن الفصاحة أمر إينافي^(٣) كالحسن والقبح . والكلام الفصيح ليس كلاماً
مخصوصاً ببنية ، بل كل من فهم كلاماً وعرفه فهو فصيح والسبب إليه ، لأنه ظاهر عنده ،
وواضح لديه . وما يقوي هذا القول : أن اللفظ الذي لا نمده نحن في زماننا هنا فصيحاً ،
ونكرهه ادم استعمله وعرضه ، كان مستمد من تقديرات أرواب التأليف مستعملاً في زمانهم
متعارفاً مستملاً . ولو لا ذلك لأوردوه في كلامهم ، فإن معظم أشعار العرب ومن يلهم من
القدمين مشحونة ومملوءة منه . ولو استعمل في زماننا هذا لاستنكر واستبشع ، وحكم على قائله
بالجهل والتصف . وروينا أن محمد بن سنان الخفاجي قد قال في كتابه^(٤) : إن الفصاحة تمت
للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ، وبني تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك
الألفاظ . ثم إنه قسم الشروط إلى قسمين ، أحدهما يوجد في اللفظة المفردة ، والآخر يوجد في
الألفاظ المركبة ، وجعل ما يختص باللفظة المفردة متقسماً إلى ثمانية أقسام ، كتباصد خارج

(١) انظر : دلائل الإعجاز ، ص ٣٣ طبعة مطبعة المعارف سنة ١٣٣٦ هـ .

(٢) في لسان العرب : الفصاحة : البيان . وضع الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم تصعاه وتصاح
وفصح ... القول : رجل فصيح . وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أي سليق . - الفصاحة تخص بالمثل
التلاخ ، وإيضاح ابن الأثير لها بالمثل الرامس مخالف أصول الأيضاح .

(٣) أي نسي . (٤) راجع كتاب : د سر الفصاحة ، ص ٥٥ طبعة المطبعة الرحمانية بصر .

الحروف ، وأن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوحمة ، وغير ذلك مما أوردته وذكره في كتابه .
 وفي هنا نظر وقتنا عليه الفكر والروية ، وذلك أنه قد جعل صفات اللفظة التي تكون بها
 ذات مزية وحسن هي الفصاحة ، وخالف بذلك نصي العرب ، لأنهم قالوا : إن اللفظ الفصيح
 هو الظاهر الواضح ، ولم يقولوا : إنه التباسد بخارج الحروف ، ولا التي ليس وحشياً ولا
 متوحماً ، ولا غير ذلك مما ذكره أبو محمد بن سنان . ولهذا تطرق الـ^(٦٧) كلامه الخلل ، وذلك
 أنه قبل الفصاحة عن حقيقتها التي وضعت لها في أصل اللغة ، بأن ملقها على هذه الشروط التي
 ذكرها ، وجعل وجودها موقوفاً على وجود تلك الشروط ، و [إننا نقص]^(٦٨) بعضها لأن يكون
 فصيحة وحقيقتها أن تكون فصيحة ، وهذا من أعجب الأشياء فليتأمل .

وأيضاً فإن أبو محمد بن سنان قد ذكر في كتابه ، من جملة الأقسام الثمانية ، قسماً وهو أن
 لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى بكرة ذكره^(٦٩) ، فلما وردت وهي غير مقصود بها ذلك
 المعنى قبحت ، كقول عمرو بن الورد :

[و] قلت لقوم في الكنيفة تروحوها عشية يتسا عند^(٧٠) ما وإن دأجر

قال « الكنيف » أصله السائر ، ومنه قيل للترس « كنيف » غير أنه قد استعمل في الآبار
 التي تستر الحث وشهر بها فلما أكرهه لذلك . هنا حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي .
 ولنا عليه اعتراض ، وهو أننا نقول : إذا كان قد جعل الفصاحة مقصورة على الأنساق فكيف
 عاد قَصَص^(٧١) ما ادعاه بهذا القول ، فإنه إنما أشكر من هذه اللفظة التي هي الكنيف ما تضمنته
 من المعنى فقط . والا فلماذا اعتبر لفظها وخارج حروفها ، من غير نظر إلى المعنى الخارج تحتها ،
 لم يوجد لها قبح ولا كراهة ، لأن مخارج الحروف التي تألفت منها متباينة ، فخرج السكاف

(٦٧) الفصيح « على » لأنه ضرر ، حدث بيته « على » على « على » .

(٦٨) زيادة المضاعف اليان :

(٦٩) في الأصل « ذلك » والفصيح من صر الفصاحة « من ٧٥ » وراجع كلام المؤلف فيما يقرب من

هذا الباب من التروع السادس من القسم الأول من الباب الأول .

(٧٠) في صحيح البيان « دون » .

(٧١) الفصيح « ما نقل » وحذف حرف العطف من بين الفعلين المتماثلين من التعابير الواردة في عصر

دون هرج التان الذي هو من أقصى اللسان ، وخرج الثون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الكتابة السفلى ، وهرج اليا ، من وسط اللسان بينه وبين وسط الحناك ، وهرج الفاء من باطن الشفة السفلى ، وأطراف الكتابة العُلى . ومع هذا فإذا نقلت هذه اللفظة التي قد استجبت هاهنا ، الى موضع آخر صار ذلك القبح حسناً كقولك : « أنا في كنف فلان » أي في قرابه ، ونحو ذلك . فصح حينئذ من علوى كلام أبي محمد بن سنان أنه قلص ما أدماه أولاً ، من أن النصيحة كُتبت للألفاظ ، بما ذكرناه من شروطها الثانية ، التي من أجلها هذا القسم الأخوذ عليه ، وهو مما يختص بالحق دون اللفظ ، وتماثلت كلام مثل ذلك الإمام المشهور في هذه الصناعة عجيب . فصعنا الله وإياكم من الرذل وهدانا إلى طريق الصواب .

وأما البلاغة ، فإن أصلها [في] ^(١) وضع اللفظة : الوصول والانتهاء ، يقال : بلغت المكان إذا انتهيت إليه ^(٢) ، ويبلغ الشيء : منتهاه . وحكي الكلام بليغاً من ذلك ، أي إنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية . وذلك أن له أوصافاً ثلاثة يعرف بها ، ففى حري من واحد منها قصص عن درجة البلاغة ، فلا يسمى بليغاً ، وهي أن يكون معناه مقبلاً ، ويكون لفظه فصيحاً ، ويكون غير زائد على المعنى المدرج تحته ، فيلزم على هذا أن يكون كل كلام بليغاً فصيحاً وليس كل كلام فصيحاً بليغاً .

واعلم أن البلاغة نعم الكلام مركباً لا مفرداً ، وإنما كانت كذلك لأن الفرد لا يكون مفيداً ، وما ليس مفيد فلا يسمى بليغاً .

وأيضاً فإن اللفظة للقررة برأسها ، إذا وردت في الكلام لا يبراد بها إلا معنى واحد من غير زيادة . [و ^(٣)] في الكلام ما يزيد معناه على لفظه ، وذلك إما يكون مركباً لا مفرداً .

وأما اختصاص النصيحة والبلاغة ^(٤) ، فإن أبا محمد ابن سنان المحفاجي ذكر ذلك في كتابه ^(٥) فقال : إن النصيحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع

(١) زيادة اتصالها بالياء .

(٢) مصدر « بلغت المكان » هو « البلوغ » لا « البلاغة » ولم يتصل فصيح « البلاغة » بمعنى « البلوغ » المحقق فأصل ذلك .

(٣) في الأصل « في البلاغة » . (٤) راجع سر الصلحة « ص » . . .

العاني . ثم أنه لم يورد على ذلك دليلاً بل أجل القول فيه كما قد ذكرناه^(١) . فإن هذا حكاية
 السكامة بعينه . فلما وقفنا نحن على ما أومأ^(٢) إليه ، صلح لنا في أدائه دليل ، وهو أنا نقول :
 قد ثبت لنا أن أصل الفصاحة في وضع الينة : الظهور والبيان ، والنسيج : هو الظاهر ، وهو
 اسم فاعل^(٣) من فصيح مطرف في ياء ، يقال : « كرم فهو كريم » و « مطرف فهو طرف »
 و « كترف فهو شريف » و « فصيح السكامة فهو نصيح » وكذلك ما جرى هذا الجرى .
 فوزن فاعل : هو اسم فاعل^(٤) من « فُعِل » ، وهذه قاعدة مستمرة في ذلك .

وقد ثبت لنا أيضاً ، أن للمعنى لا يكون مظهراً لنفسه ، ولا موضحاً عن ذاته ، إذ المعاني
 جميعها قاعة بالنفس ، وإنما للفظ مظهرها وبسببها فهو إذا قام البيان والإيضاح ، وعنده أيضاً
 قاعدة مستمرة ، لا خلاص فيها بحال من الأحوال . فلما كان اللفظ هو الفاعل للبيان والإيضاح ،
 وكان النصيح اسم فاعل من فصيح ، أي بان واتضح ، وجب حينئذ أن يكون اللفظ ، وخصاً
 به ، فاعرف ذلك .

فإن قيل : القياس يقتضي أن الدليل الذي أوردته في الفصاحة يلزمك في البلاغة مثله ،
 وهو أن وزن « بليغ » مثل وزن « فصيح » فكما أن نصيحاً اسم فاعل ، فكذلك يكون
 « بليغاً » أيضاً اسم فاعل ، وإنا كان اللفظ قاعلاً للفصاحة فاختصت به ، كذلك يكون اللفظ
 قاعلاً لبلاغة فيجب اختصاصها به .

الجواب عن ذلك أنا نقول : أما قولك : القياس يقتضي أن تكون البلاغة مختصة
 باللفظ ، كما أن الفصاحة مختصة به ، لتساوي البلاغة والفصاحة في الدليل الذي أوردناه من حيث
 إن باربناً ونصيحاً على وزن واحد فإن هذا الذي ذكرته قياس وارد ، ولكن من وجه ،
 وذلك أنا نحن لم نستعمل على أن الفصاحة تخص اللفظ من حيث كان أصلها في وضع الينة الظهور
 والبيان ، وإنما استعملنا على أن الفصاحة تخص اللفظ من حيث كان أصلها في وضع الينة الظهور
 والبيان . وإنضاف إلى ذلك أنها على وزن « فُعِل » الذي هو اسم فاعل من « فعل » نحو « فصيح »

(١) راجع « بحر الفصاحة » ص ٥٩ . (٢) في الأصل « أومأ » وهو من غطأ التلخ .

(٣) اللزوم في اصطلاح الصرفيين أن « النصيح » صفة مبهمة باسم الفاعل .

فهو « فصيح » . فلما صح لنا هذان الأعمران ، ثبت لنا من مجموعها ما اذعيناها : من أن
الفصاحة تخص اللفظ كما أرىناك .

وأما البلاغة فلو كان أصلها في وضع اللفظ « الظهور والبيان » كما هو أصل الفصاحة ،
لصح لك ما ذكرته من الاعتراض . وإنما أصلها في وضع اللفظ « من الوصول والانتهاء » لا غير ،
وعلى أصلك أيها المعارض فيبني أن يكون كل ما هو على وزن « فعل » عتسماً باللفظ نحو « شرف
فهو شريف » و « ظرف فهو ظرف » و « كرم فهو كريم » وأمثال ذلك مما جرى هذا الجري
فالشرف إذا تخصص باللفظ ، وكذا الطرف والكرم ، وهذا من أمجج الأشياء ، فليتأمل .

وأيضاً ، فقد بينا أن البلاغة أوسعاً ثلاثة ، لا يسع الكلام بينها إلا مجموعها . ومتى
عبري من واحد منها فليس يلزم . فالأول منها يتعلق باللفظ ، وهو اللفظ . والثاني يتعلق
باللفظ والمعنى كليهما ، وهو أن يكون اللفظ غير زائد على المعنى . والثالث يتعلق باللفظ وهو
الفصاحة ، لأن الكلام لا يطلق عليه اسم البلاغة حتى يكون فصيحاً . فالفصاحة إذا شرط في
البلاغة لا تتم إلا به . فلما كانت الحال كذلك وجب أن تتم البلاغة باللفظ^(١) والمعنى معاً .
وأما الفصاحة فليست كذلك ؛ لأنها محض إبانة ووضوح فقط ، وذلك يتعلق باللفظ بموجب
الدليل الذي قدمنا ذكره . فهدر ما أشرنا إليه ، وتصحح معاويه^(٢) ، وفي ذلك كفاية .

(١) في الأصل « باللفظ » ولعل الباء من زيادة التوضيح .

(٢) في الأصل « في ذلك » بلا واو ، وهو غير مطرد .

الفن الثاني من القطب الثاني

في ذكر أصناف علم البيان وانقساماتها وهو باب ١ :

الباب الأول في الصناعات المنصرفة

وينقسم إلى تسعة وعشرين نوعاً ، وإنما قدمنا ذكر الماني على الألفاظ ، لأن الماني هي التي تقرر أولاً في النفس وترتب في القلوب ، ثم يطلب لها بعد ذلك ألفاظ تعرب عنها ، وتدل عليها ، ولأن الماني أشرف من الألفاظ وأعلى عملاً ، فاعرف ذلك .

النوع الأول في الاستعارة

وهو أن يزيد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدح الألفاظ بالتشبيه وإظهاره ، وتجيء على اسم التشبه به وتجرى عليه كقولك : « رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء » ، فتدح ذلك وتقول : « رأيت أسداً » وهذا يكون على شريطين : أحدهما : أن تجعل التشبه هو التشبه به ، بأن تزيله وتسقط ذكر التشبه من اليمين كقولك : « رأيت أسداً » والثاني بأن تجعل التشبه به جبراً عن التشبه في باب الاستعارة ، وأورده جماعة العلماء مثل : قدامة^(١) ، والجلاط ، وأبي هلال العسكري^(٢) ، والقاضي^(٣) ، وأبي محمد بن سنان^(٤) الطغائبي في تصانيفهم في باب

(١) راجع حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري . كان ثوباً أدبياً مشاركاً في العلوم الأخرى ، لخص أكثر أعلام بغداد . وكانت ولادته سنة ٢٩٣ هـ . بمسكن مكرم بالأهواز ، وتوفى ببغداد سنة ٣٥٢ هـ . وله من الكتب : « كتاب الصناعين » و « جبهة الأفعال » و « ديوان النبال » و « معجم في اللغة » و « أسماء بلاد الأضياع » و « الأوائل » و « التفضيل بين بلاتين العرب والعجم » وقد طبع أكثرها .

« انظر معجم الأدباء وافية الرواة » ص ٢٢٦ . و « فهرست دار الكتب المصرية » ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) راجع حاشية ص ٢٠ من هذا الكتاب . (٤) انظر حاشية ص ٣١ من هذا الكتاب .

الاستعارة . ولم يذكروا أن الأصل فيه تشبيه بليغ ؛ فما أعلم هل ذلك لغائه عليهم ، أو أنهم
 محرومونه ولم يذكروه ، وهو الأصل القيس عليه في التشبيه ، الذي أجمع عليه المحققون من علماء
 البيان . وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم ، واستناداً إليهم ؛
 لأنهم السابقون في هذا الفن والتصنيف ، إلا أن موضعه باب التشبيه ، فأعرف ذلك .

واعلم^(١) أنه قد أجمع الجمهور من العلماء على أن للاستعارة منزلة وفضلاً على حقيقتها ؛
 والسبب في ذلك أنك إذا قلت : « رأيت أسداً » كان لكلامك منزلة ، لا تكون إذا قلت :
 « رأيت رجلاً هو كالأسد سواء ، في الشجاعة ، وقوة القلب ، وشدة البطش » . وليست
 الزية التي تشبهها لهذا الجنس على الكلام التروك على ظاهره ، ولكنها في طريق إثباتك ، لها
 وتقررك إليها ، معلومة من قرائن الأحوال ، فليست الزية في قولك : « رأيت أسداً » أنه
 دلّ على شجاعة زائدة ، وشدة وافر ، بل أنك أثبت الصفتين له الشجاعة الزائدة والشدة
 الوافرة ، من وجه هي أبلغ وآكد ، وأوجبها له إيجاباً هو أشد وأقوى ، لأنك أثبتتها باللائحة
 والشواهد ، فإذا سمعتهم يقولون : إن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني بطلاً ، فليس
 لا يريدون الشجاعة والشدة وغير ذلك ، وإنما يريدون إثبات معاني هذه الكلام لمن تليت له ،
 ويخبر بها عنه من طريق هو أشد وآكد . وسيأتي بيان ذلك في باب التشبيه مستوفى ،
 إن شاء الله .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ، يكسب (بيان)^(٢) أحدهما
 بالآخر ، ولا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ، فاللفظ
 المستعار ، قد نقل من أصل إلى فرع للإيالة . والمستعار منه والمستعار له ، لفظان على أحدهما على
 الآخر في معنى من المعاني ؛ هو حقيقي المحمول عليه ، مجازي للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى :
 « وأشتعل الرأس شيباً » فهنا مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ؛ فالشعار هو الاشتعال ؛

(١) انظر ص ٤٨ ، وما بعدها من دلائل الإيجاز ، لبيد الشاعر الجرجاني ، طبعه الرافعي .

(٢) الزيادة والإصلاح من الورقة ٥٦٠ من الكتاب عند تكرار المؤلف هذا التعريف فيها .

وقد نقل من الأصل الذي هو النار إلى الفرع الذي هو الشرب ، فهدماً للإيالة ، وأما الاستعارة به فهو النار والأشتمال لها حقيقة . وأما السمعان له فهو الشيب ، والأشتمال له مجاز .

وأعلم أن أبلغ الاستعارات ما ناب التشبيه منها ، وكما زدت التشبيه فيها إخصاً ، زدته الاستعارة حسناً وروفاً ، حتى إنك تراها أعجب ما يكون ، إذا كان الكلام آتياً تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء يخط من درجته ، ويضع من قدره ؛ ويدان على ذلك قول بعضهم :

أثمرت أنصاف راحته لحناف الحسن عتبا

الآية أنك لو كلفت نفسك أن تفصح تشبيهه ، وتفصح به أثمرت إلى أن تقول : أثمرت أصابع يده أثير هي كالأنفاس ، لطالب الحسن ، شبه العتاف من أطرافها المفضولة !!
ومن له أدنى تشبث^(١) بهذه الصناعة ، يدغم الفصيحة بين ما تضمنه هذا البيت من الاستعارة ، وبين إظهاره إلى التشبيه . فأعرف ذلك وقس عليه .

وحيث أنه بنا القول إلى هذا المقام ، ونينا على هذه الأصول ، فلتنبهنا بما ينخرط في سلكها من الكلام على الجيد من الاستعارة ؛ الذي^(٢) يجب على المؤلف أستعمله ، والردية الذي ينبغي له اجتنابه والبعد عنه ، فنقول : الاستعارة تنقسم قسمين :

الأول ، يجب استعماله ؛ وهو ما كان بينه وبين ما استعمله له تشابه وتناسب ؛ والنسب له أمثلة يستدل بها عليه ؛ فن ذلك قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار »^(٣) . وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لا على حقيقة للمنى ؛ لأن الليل والنهار أحزان يقمان على هذا الجو عند إطلامه وإتمامه بنور الشمس وظلها ، وإنما على الحقيقة شيئين يسلخ أحدهما من الآخر ؛ إلا أنها في رأي العين كأنها كذلك . والسلخ يكون في الشيء اللتحم بعضه ببعض ، فلما كانت هوائى الصباح عند طلوعه ، كاللحمية باعجاز الليل ؛ أجري عليها اسم السلخ ، وسكان

(١) في الأصل « تشبهه » ولا عمل له هنا .

(٢) في الأصل « التي » وهو غير مستقيم .

(٣) سورة يس ، الآية ٣٤ .

ذلك لاحقاً في باب ، وهو أول من قوله « يخرج » لأن السليخ أدل على الالتحام لتوهّم من
 الأخراج ، وذلك ان انصلاخ الشيء من الشيء ، هو أن يميز أحدهما من الآخر ، ويذول عنه
 بالتدرج ، حالاً خالاً ، كما ينسلخ جود الشاة عنها . وكذلك انفصال الليل عن النهار ، فأنظر
 أيها التأمّل لهذه الاستعارة ، شدة تناسب الذي بينها وبين ما استعيرت له ، ومشابهتها إياه ؛
 فأنها من الاستعارات التي لا أمد فواتها في الحسن .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « عز وجل » : « واشتعل الرأس سيباً » وقد ذكر علماء البيان في
 هنا ، ما نورده هنا . وهو : أن السيب لما كان يأخذ في الرأس ، ويسعى فيه شيئاً فشيئاً ، حتى
 يحيله الى غير لونه الأول ، كان بمثابة النار التي تشتعل في الجسم وتسري فيه ، حتى تحوله الى غير
 حاله القديمة . وهذا كلام مرضي في باب ، الا أن هنا نكتة أخرى ، وذلك أنه شبه انتشار السيب
 بأشتعال النار في سرعة التهايه ، وتعدّد تلافيه ، وفي عظام الأُم في القلب به ، ولأنه لم يبق الا
 الخلود بعده . فهذه الاستعارة البديعة هي التي تمجذ القدرة عن الايمان بتلقاها ، وما دون ذلك في
 الطبقة ، قول أبي تمام :

ومعروض لقيت يخفق بينه ربات ككل دُجُفَةٍ وظفاه (١)

فإن استدارة هذا البيت صالحة مرضية ، للامتها ما استعيرت له ، حيث جعل للصعابة
 ربات ككل ذلك مناسباً ، لأن الوبد (٢) الذي يسيل في الناظر في الجو عند انكساب الصعابة ،
 يكون مشابهاً لدواب الربات . وأما قوله « يخفق » فهو أيضاً حسن مرضي لان الريح اذا
 هبت على الربات خلقت صوتها . وجاء لها صوت كصوت الصعابة في انكسابها (٣) وهو لها
 وانديابها ، ولا سيما الوطفاء .

(١) أنظر ديوان أبو تمام ، ص ٣٠ . وللعرض اسم ككل من ادمجوا المعروض في آخر الليل
 وليل أصله من « عرض بالعرض » ، إذا لزمه . انظر ص ٢١ من شرح ديوان أبو تمام لمغيب الصديقي
 بتعليق محمد عبده عزام . طبعه محمد علي صبيح ولي الديوان « فوجه » بدلا من « بینه » والديبة : الهم
 الطبق الزمان الظلم والرفقاء : المذنبية بطواب لسكرة « منها » القاموس .

(٢) الوبد من الصعاب : السحلي الذي يدنو من الأرض ، وتره كأنه خيطوط عند الصعاب للعرض « القاموس »

(٣) في الأصل « عموفا » بلا واو .

ومن هذا النوع أيضاً قوله في الطير :-

صُعِبَتْ فِرَاضُ الْمَاءِ يَبْسَى مَخْطَا فَمَعَلَّتْ مِنْ حُسْنِ خَلْقِ الْمَاءِ

ألا ترى إلى حسن هذه الاستمارة ، فإنه ليس بشيء أحسن من قوله في الطير بأنها سينة الخلق ، وذلك حيث تكون سرفاً لا يستطيع شربها ، ولا يمكن استنفاها ، كالخلق البيسي ، الذي تعافه الأنفس ، وتستكرهه الأرواح . وقوله « حسن خلق الماء » أيضاً غاية في الجودة ؛ لأن الماء الصافي في سلاسته ، ولطافة جوهره ، شبيه بالخلق السهل الطيب . وأبدأ توصف الأخلق المسنة بالماء ، فيقال : « فلان أخلقاً من الماء » لأنه ليس في الأجسام للمركبة باليصر أخلق ولا أرق من الماء ؛ لأن النفس تجد لشاهدته من اللذة ، والسرور ، والانبساط ، مالاخفاء به . ولهذا قال بعض الحكماء : « الماء من طبع الروح » . وما يؤيد قوله هذا ، ما ورد في القرآن الكريم ؛ فإنه قد ذكر الماء في مواضع كثيرة منه ، ثم يذكر إحياء الأرض الميتة به ، كقوله تعالى : « والله الذي يرسل الرياح تنثيراً مما بقى الله من الأرض فأيحيئسها به الأرض بعد موتها كذالك النشور ^(١) » . فجعل الماء للأرض بمنزلة الروح للجسد .

ومن يدعي الاستمارة قول بعضهم :

بِاطْوَةِ حِلْمٍ خَلَّتْ مَعْصَمًا بِهِ يَا بَحْرَ عِلْمٍ عَمْتُ فِي تَيْسَارِهِ

فإن المناسبة بينها وبين ما استمرت له شديدة جداً ، وذلك أن الحلم أصله في وضع اللقمة ؛ التأي والحيات ، وترك الجهال بالعقوبة ، فلما كان الطود ثابت الأصل راسخ القواعد ، لا يتحرك عن مكانه ، ولا يزول من مستقره حفت استمارته للحلم ، له تشابهة التي ينغصا . وههنا نكتة أخرى ، وهو أن قوله : « حلود حلم » أبلغ في الاستمارة من أن لو قال « جبل حلم » لأن الطود هو الجبل العظيم ، وذلك أرسخ وأرسي أصلاً من غيره . وأما استمارته للحلم ^(٢) بجرأ فحسن لا خفاء به على من له معرفة بهذا الفن .

(١) سورة طه ، آية ٤٦ .

(٢) في الأصل « لحيود » ولا ذكر لحيود في البيت المشار إليه ، ولعلها من حين قر السامع .

ومن هذا النحو قول امرئ القيس :

فقلت له لا تطمئئ بصلبه وأردف أجهزاً وناء بكلكل

وقد قال أبو القاسم^(١) بن بشر الأسيدي ، أن امرأ القيس وصف احوال الليل الطويل ، فذكر ابتداء وسطه ، وتماثل صدره ، وترادف أجهزه وآخره ، فلما جعل له وسطاً متتداً ، وسدراً ثقيلاً ، وأجهزاً رادفة لوسطه ، استعار له اسم الصُّلب ، وجمعه متطعياً من أجل استبداده . واسم السكلكل ، وجمعه نائياً لتثاقفه . واسم العجز ، من أجل نبوهته ، فقال أبو محمد بن^(٢) سنان : « إن هذا الذي ذكره أبو القاسم الأسيدي ، ليس بمرضي غاية الرضى ، وإن بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة البيرة ولا الردية ، بل هو وسط . فإن أبا القاسم قد أفسح ان العراء القيس لا جعل ليل وسطاً متتداً ، استعار له اسم الصلب ، وجمعه متطعياً من أجل اعتداده ، وحيث جعل له أخيراً وأولاً ، استعار له هجراً وكسكلاً . وهذا كله إنما يحسن بعبه مع بعض ، فذكر الصلب إنما يحسن لأجل العجز ، والوسط والتطعي لأجل الصلب ، والسكلكل لمبوع ذلك . وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى » ، هذا حكاية كلام أبي محمد بن سنان ، وهو مما أخطأ فيه من وجهين : الأول أنه قال : هذا البيت من الاستعارة الوسط ، التي ليست بردية ولا جيدة ، ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى . وعنده أن الاستعارة البنية على الاستعارة من أفصح الاستعارات وأبعدها ، فانه قسم الاستعارة الى قسمين : قريب مختار ، وبعيد مطروح . فالقريب المختار : ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه ظاهر واضح .

(١) هو الحسن بن بشر الأسيدي . قال بقوت المحوي : « وله بالعصرة وكان حسن الفهم جيد الدراسة ، والرواية ، سريع الأثر » وذكر له نماذج كثيرة منها كتاب « التوليفة بين البعدي وأبي تمام » والذائف والمخلف في أسماء الشعراء ، و « وقد تيسر الشعر » لابن طرابلسيا و « نثر الطفوم » و « غلط فداسة بن جعفر في نقد الشعر » . و « معاني شعر البعدي » و « الحاسن والشك من معاني الشعر » وكان ينظم الشعر ، وتوفي سنة ٣٢١ هـ . « معجم الأدباء ج ٤ ، ص ٧٥ وما بعدها » و « نية الوفاء » ص ٢١٨ .

(٢) جامع كتاب : « سر القاصحة » ص ١١٤ .

والبعيد الطرح إما أن يكون لبعده عما استعير له في الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبهمة على استعارة أخرى فبعضه لذلك .

هذا ما ذكره ابن سنان في تقسيم الاستعارة . وإذا كانت الاستعارة المبهمة على استعارة أخرى عنده مبهمة ضعيفة ، فكيف جعلها وصفاً ؟ هذا تناقض في القول ، فاعرفه .

الوجه الثاني : أنه ^(١١) لم يأخذ على أبي القاسم الأمدي في موضع الأخذ ، لأنه لم يفتخر إلا ما حسن اختياره ، وكان بديعاً في بيانه . فان الاستعارة قد يثبت ^(١٢) أنها جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ، يكسب وإن أحدهما بالآخر . وهذا الحكم موجود في بيت امرئ القيس ، فإنه لو لم يكن ليل صدر ، أعني أولاً ، ولم يكن له وسط وآخر لما حصلت هذه الاستعارة . ولما كان كذلك استعارة لوسطه سلباً ، وجعله متعظياً . وجعل لصدره التناقل ، أعني أوله ، كالكلام وجعله نائياً ، واستعارة لآخره مجزأ ، وجعله رادقاً لوسطه . وذلك من الاستعارات الناسبة ، التي لا أسد فرقتها فاعرفها .

وحيث ذكرنا للاستعارة الناسبة أمثلة يمثليها التشريح لهذه الصناعة ، وبتعريفها في كلامه ، فيجب حينئذ أن تذكر القدم الآخر ، وهو غير الناسب ، ونضرب له أمثلة يعرف بها أيضاً ، فن ذلك قول أبي تمام :

يوم فتح سقى أسوداً الضواحي كُشِبَ الموت رائياً وحلياً ^(١٣)

فإنه لا شيء أفصح من هذه الاستعارة ، ولا أشد تباعداً بينها وبين ما استعيرت له ، فأكفاه أن جعل الموت كُشِباً ، أي ألياناً ، وأحدها « كُشِبَ » حتى جعل بعضها رائياً ، وبعضها حلياً . ثم إن الموت من شأنه أن يستعارة له ما يكره لا ما يستطاب .

(١١) في الأصل « أن » . (١٢) لعل الأصل « ثبت » .

(١٣) انظر ديوان أبي تمام ، ص ٢٥ ، طبعة محمد علي صبيح واليهت من تصديده مطبوعاً :

من سجالها القبول أن لا تهبها ضواحي من مقله أن تصوبا

والكسب جمع كسبة : وهي مل - المدح من اللين أو الخليل الملتصق منه (راجع شرحه للبربري ص ١٢٩) .

ومن قبيح الاستمارة أيضاً قوله :

وتقاسم الناس السخطاء جزأً وذهبت أنت برأسه وسلطه ^(١)

وتركت للناس الإهلاب وما بقى ^(٢) من فريخه وفروقه وعظامه ^(٣)

فاستمار السخطاء ، رأساً وسلطاً وإهلاباً وعظاماً وعروفاً . وما تقع بذلك ، حتى استمار له
فرتاً ، فصار السخطاء جملاً على الحقيقة . وأمثال ذلك كثيرة .

ولا يخلو التأمل أو النار من سقطات تؤخذ عليه ، إلا أنه ينبغي أن تكون منفورة في جنب
ماله من الجيد الحسن ؛ لأن ذلك لا يخطأ من قدره في سمانته إذ العالم من مُنَمَّعة سقطاته ، لا من
يعدّ جيده .

ومن الاستمارة البعيدة قول بعضهم :

إلى ملك في أيسكة الجسد لم يزل على كبد العروف من كَيْبُه يَرُدُّ

فإن استمارته لتجد أيسكة ، أقرب مأخذاً من استمارته للعروف كيداً ، وإن كانت
الاستمارتان من اليد على ما ذكره لك ، وهو أني أقول : قد ثبت أن الاستمارة هي الجمع بين
شئين بمعنى مشترك بينهما يُكسب بيان أحدهما بالآخر ، وهذه قاعدة مسلمة ، لا نزاع فيها
بحال من الأحوال . وإذا كان الأمر كذلك ، فالجامع بين الجسد والأيسكة وجه بعيد . وذلك
أن الجسد في وضع اللثة : هو الحمد الكريم ، أي الأصل الكريم . والأيسكة في وضع اللثة :
واحدة الأبيك ، وهو شجر ملتف ، فلما كان الجسد هو الحمد الكريم ، أي الأصل ، كان للأيسكة
أصل أجنبي استمارته لتجد أيسكة من هذا الوجه ، وفيه بعد ، وسبب بعده ؛ أنه يسوغ لتسائل
أن يقول : إن كل ما كان له أصل على هذا القياس يجوز أن يستمار لتجد ؛ كقولنا : « جبل
الجسد » و « حافظ الجسد » وغير ذلك مما له أصل ، وهذا بعيد جداً .

(١) أظن ديوان أبي تمام ، ص ٢٢٥ ، وما من صيدة يرح بها أب سعيد البصري .

(٢) والاهاب بكسر الحزة : الجلد . والفرت : ما في الكرش من السرجين . وانظر التل السائر

وأما الاستمارة الثانية ، وهو قول الشاعر : « كيد المروف » فإن به ما استعيرت له ،
 ولجها مما لا يحتاج فيه الى الشرح لوضوحه وبيانه . وأمثال ذلك كثيرة لا تحصى . فقل المؤلف
 اجتنبها ، والمدول عنها .

التروع الثاني من الفن الثاني

التشبيه

وحده أن يثبت لمشيئه حكم من أحكام التشبه به . ويقال : هو الملائمة على اشتراك شيئين في
 معنى من المعاني ، وأن أحدهما يسد مسد الآخر ويغرب منابه ، سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً .
 فأما الحقيقة ، فهو أن يقال في شيئين أحدهما شبيه^(١) بالآخر في جميع أوصافه ، كالسوادين
 والياضين أو ما جرى مجراها ، وليس هنا من غرضنا ، وأما المجاز ، فهو أن يقال في شيئين
 أحدهما شبيه بالآخر في بعض أوصافه كقولنا : « زيد أسد » فهذا القول سواب من حيث
 [كلام]^(٢) العرب ، وداخل في باب البائنة ، إلا أنه لم يكن زيد أسداً على الحقيقة .

وأعلم أن قائمة التشبيه هي الكشف عن الذي المقصود ، مع ما يكتبه من فضيلة الإيجاز
 والاختصار . والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . فإن الغرض من هذا القول
 أن يبين حال زيد ، وأنه متصف بشهامة النفس ، وقوة البطش ، والشجاعة ، وغير ذلك مما
 جرى هذا الجري . إلا أننا لم نجد شيئاً يدل به عليه ، سوى أن جعلناه مشبهاً بالأسد ، حيث
 صكنات هذه الصفات المختصة به ، ومقصورة عليه . فصار ما قصدناه من هذا القول ، اكشف
 وأبين من أن لو قلنا : « زيد شهم » شعاع قوي البطش ، جري الجنان « وأشباه ذلك ، لما
 قد عرفنا وجهه من اجتراح هذه الصفات في التشبه به ، أعني الأسد ، فإنه معروف بها ، مشهور
 بكونها فيه ، واشتغالها عليه . وأما التشبيه ، أعني « زيدا » فليس معروفًا بها ، ولا منسوباً إليها ،
 وإن كانت موجودة فيه .

(١) في الأصل « شبه » وهو من غلط النسخ . (٢) زيادة الخطاط السابق .

وأما الایجاز فهو أن قولنا ، « زيد أسد » يصدق قولنا « زيد من حاله كيت وكيت » وهو من الشدة والشجاعة على كذا وكذا « كما يطول ذكره ، وينسج القول فيه . فأعرف ذلك . واعلم أن تشبيه الشيء (بالشيء)^(١) لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يكون الشبهان ، الشبه أحدهما بالآخر ، متفقين من جميع الجهات ، وإما أن يكونا متفقين من وجه دون وجه . قلت كأننا متفقين من جميع الجهات كالسوادين والبياضين فليس هذا من غرضنا إذ لا كبير فائدة فيه . وإن كان اتفاقهما من وجه دون وجه ، فإما إذا اختلفان . فبقي كلامنا الآن على تشبيه شيئين مختلفين أحدهما بالآخر ، كقولنا : « زيد أسد » فإن غرضنا من هنا ، أن تشبهه شجاعة زيد وشجاعته وجراته ، لا أن زيدا أسد من جميع الجهات . فإنا لو أردنا ذلك لكان هو هو ، وهذا حال ، لأن زيدا ليس أسداً ، وإنما هو إنسان . فأعرف ذلك .

واعلم أن التشبيه يكون بأدائه ، كالسكاف وكانَّ وما جرى هذا الجرى . ويكون بغير أدائه ، وهو أن يجعل الكلام خلواً^(٢) منها صالحاً لتقديرها فيه . وإذا جاء التشبيه بغير أدائه كان أبلغ وأوجز . والدليل على ذلك ، قولنا : « زيد أسد » يعطي ظاهره من المعنى أننا أخبرنا عن زيد أنه أسد ، وذكرنا أنه هو . إلا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر . وإنما قلنا « زيد كأنه الأسد » فنكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه ، الذي كان مخفياً^(٣) في الأول ، فيصير حيثما تشبيهاً زيد بالأسد . وفي الأول أنه كأنه . قد جعل هو الأسد ، وحرف التشبيه مقدر فيه تقديراً . فن هنا الوجه كان الأول أبلغ ، وأشد موقفاً في النفس . وأما كونه أوجز ، فلأن قولنا : « زيد أسد » أخص من قولنا : « زيد كأنه الأسد » وإن كان المعنيان سواء . فأعرف ذلك .

واعلم أنه لا يخلو الشبهان في تشبيه أحدهما بالآخرين من ثلاثة أقسام : إما تشبيه معنى بمعنى ، كالذي ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . وإما تشبيه معنى بسورة ، كقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... » الآية^(٤) . فتشبه ما لا يدرك بالخاصة (بما يدرك بها^(٥))

(١) زيادة يتضمنها المقام . (٢) في الأصل « منه » .

(٣) في الأصل « غلباً » وهو من خطأ النسخ . (٤) سورة « النور » الآية « ٣٩ » .

وأما تشبيه سورة بصورة ، كقولہ تعالى : ﴿ وَهِيَ الْجِبَالُ الَّتِي تُسَوَّىٰ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(١) .
 تشبيه سورة أجسام الفلك في كبرها ومعناها الجبال ، وذلك تشبيه سورة مرثية بصورة مرثية ،
 وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ، لا يختص من ثلاثة أقسام أيضاً وهي :

تشبيه مفرد بمفرد ، وتشبيه مركب بمركب ، وتشبيه مفرد بمركب :

فالقسم الأول : تشبيه المفرد بالمفرد ، وذلك كقول البحري :

بِسْمٍ وَقَطُوبٌ فِي نَدَىٍّ وَوَفَىٰ^(٢) كَالنَّيْتِ وَالرِّقِّ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ

فإنها من أحسن التشبيه وأقربه - وهو تشبيه سورة بصورة ، إلا أن في هذا البيت اختلالاً
 في الصيغة من حيث الترتيب والتفسير ، فإن الأول أن يقدم تفسير التسم على تفسير القطوب ،
 وسيأتي بيان ذلك في بابہ .

ومن هذا القسم أيضاً ، قول بعضهم في صفة السيوف والدرع :

وَكَأَنَّهَا فَوْقَ الْأَكْفِ بَوَارِقٌ وَكَأَنَّهَا فَوْقَ التُّونِ زِينَةٌ^(٣)

وهذا من بدیع التشبيه وأقربه ، فأعرفه . وكذلك قول بكر^(٤) من التصريح :

بِإِنهَاءِ تَسْحَبٍ مِنْ قِيَامِ قَرْمَهَا وَتَنِيْبٍ فِيهِ وَهُوَ جَدُّلٌ أَحْمَرٌ

فَسَكَتُهَا فِيهِ نَهَارٌ سَامِعٌ وَهَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَِا مَظَلَمٌ

وأمثال هذا كثيرة .

القسم الثاني في تشبيه المركب بالمركب وذلك كقولہ تعالى :

(١) سورة الرحمن الآية ٥٧ : ٥٤ .

(٢) هذا البيت من تصديقه يمدح بها أبا نهد مرثياً ، ومعناها :

إني تركت الدنيا عمداً ولم أخصد من غير حرب ولا عدل ولا عهد

(راجع التبريزي ج ١ ص ١٥٢ طبعه مطبعة هندية بدمشق .)

(٣) زينة : جمع أذناب وهي الشعر الطويل الموهري في التصريح الأمامي : المجمع والجمع أيضاً مثل قنلا وقنأ ،
 وإيناء أيضاً بالكسر ولله كما قالوا : أكمة وأكج وأكلم .

(٤) بكر بن الصالح أبو وائل المغربي من بني حنيفة ، كان من طوول عذراء العصر الأول من عصور
 بني العباس ، برز في الغزل والنوح والحجاسة . ونامرهارون الرشيد وأبو بكر عبد المؤمن « ملقات النمرات لابن
 المعتز » ص ٩٩ - ١٠٤ وطرخ بغداد الخليلي ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ .

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأَنْعامُ حتى إذا أخضت الأرض زخرفها وأزلفت وطن أهلها أنعم فادرون عليها أنها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجلناها حصيداً كأن لم نخسبْ بالأمر^(١) » الآية ، فشبهت حال الدنيا بصرفة زوالها ، وانقراض نعيمها ، بعد الاقبال ، بحال نبات الأرض في جفافه ، وذبابه حطاباً ، بعد ما التفت وتكاثف ، وزين الأرض . وذلك تشبيه معنى بصورة . وهو من أبداع ما يجيء في هذا القسم ، فأمرفه .

ومما جاء على نحو منه ، قوله عز وجل في حق المنافقين : « تَسْلُبُهُمْ كَذِبُ الَّذِي أُسْتُوقَفَ تَارَةً فَلَمَّا أَضْمَاتُ مَا حَوَّلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ لَا يُسْمِعُونَ^(٢) » . تقديره : أن مثل هؤلاء ، المنافقين كمثل رجل أوقد تاراً ، في لية مظلمة ، بخافضة ، فاستضاء بها ما حوله ، فالتقى ما يخاف وأمن ، فبينما هو كذلك ، إذ مالت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحجباً . وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الايمان استنار بها ، واعتز برضا ، وأمن على نفسه وماله وولده . فإذا مالت عاد إلى الطوف ، وبقي في المذاب والنقمة .

واعلم أنهم لما وصفتوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التيسيل ، ليعلم هدام الذي باعوه ، بالنار المضرة ما حول المستوفد ، والضلالة التي اشتروها وبيع بها على قلوبهم ، بنهب الله بتورهم ، وتركهم في الظلمات ، ثم قال الله تعالى « مَسْمُومٌ بِكُمْ عُمِّي^(٣) » . كانت حواسهم سليمة والسكن لما صدوا مسامهم عن الاضاعة ، وأبو أن ينطقوا به أنفسهم ، وأن ينظروا ويتبصروا بعبودتهم ، فعملوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات ، وهذا من عجائب السببية ، وطريقته عند علماء البيان ، حارثة قولهم « لَسْتُ لِنَسْجَانِ ، وَ لَسْتُ بِمَجْرُومٍ لِكِرَامِ » وبمضى علماء هذه الصناعة يعملون ما كان على مثال قوله تعالى : « مَسْمُومٌ بِكُمْ عُمِّي^(٤) » استعارة ، وليس كذلك كأن^(٥) الاستعارة له مذكور ، وهم المنافقون . والاستعارة هنا تطلق بحيث يطوى

(١) أنظر سورة يونس ، وآية ٢٤ . (٢) أنظر سورة البقرة ، وآية ١٧٥ .

(٣) نقل الأصل « لأن » أو « فان » .

ذَكَرَ الْمُتَعَارَفَةَ ، وَيَجْعَلُ الْكَلَامَ خُتُومًا مِنْهُ ، صَاحِبًا لِأَنَّ بَرَادَ بِهِ النُّقُولَ عَنْهُ وَالنُّقُولَ إِلَيْهِ لَوْلَا دَلَالَةُ الْحَالِ مِنْ شَوَى الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَشْرَفْنَا إِلَى ذَلِكَ فَيَأْتِي مِنْ بَابِ الْأَسْتِعَارَةِ ، فَاعْرِفْهُ . وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنِ الْأَسْتِعَارَةِ وَالتَّشْبِيهِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ :

بَكَيْتَ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَطْلُعْ لِلنَّيِّ
كَأَنَّ دَمَ الْأَنْجِلَاءِ ^(١١) تَحْتَ بُرُودِهِ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ اللَّيْثِيِّ :

كَأَنَّ الْجَفُونَ عَلَى مَقْلَتِي
وَلَقَدْ أَحْسَنَ بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ فِي قَوْلِهِ :

يَا طَالِبًا مَجَابِبَ الْأُمُورِ
فَضْفَرَةٌ ^(١٢) فِي الْفَرْجِ ذِي الْقَتِيرِ

وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَحْرَ فِي عُدْرٍ

وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ قَوْلُ ابْنِ الْعَمَرَ :

وَالصَّبِيحُ يَتَلَوُّ الشُّعْرِيَّ فَكَأَنَّهُ
مُحْرَبٌ يَمْشِي فِي الدَّجَى يَسْرَاجُ

وَقَالَ مَوْلَانَا الْكُتَّابُ فِي صَفْحَةِ سَفَاةِ الْحَمْرِ « فَأَخَذْنَا فِي مَعَاذَةِ ^(١٣) الرَّحِيقِ ، مَا بَيْنَ الْأَكْوَابِ وَالْأَبْرَاقِ . يَطُوفُ بِهَا عَلَيْنَا وَلِنَانُ ، يَمْجِزُ عَنْ وَصْفِهِمْ قَسْمًا وَسَحَابَانُ ، فَكَأَنَّهُمْ فِي أَيْدِيهِمُ السُّكُوتُوسُ ، أَفْأَرُ تَسْمَى بِشُمُوسِ » وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي صَفْحَةِ بَرَكَةِ التَّيْلُوفِ ، مِنْ جِلَّةِ رَسَائِلِهِ مَمْلُوءًا فِي الرَّيْبِ « فَأَتَيْنَا إِلَى رَوْضَةِ ذَاتِ نُجُوحٍ وَزُبُرُوحٍ ، وَبَرَكَةِ تَيْلُوفٍ كَأَنَّهَا مَدَامُنُ مِنَ الْمَسْجِدِ ،

(١١) فِي الْأَمَلِ « التَّجَالِبُ » وَهُوَ مِنْ خُتْمِ النَّاسِجِ ، وَالْجَلَاءُ : الْفُضَّةُ الْوَاسِعَةُ .

(١٢) الْفُضْفُضَةُ : الشَّيْءُ الَّذِي يَحْمِلُ الْعَطِيبَ وَبِزِ الْجَوَارِ وَهُوَ أَرْدَبٌ بِهَا هَاعِنَا : الْعَطِيبُ نَفْسُهُ . وَالْعَابَابُ : الْجِدَّةُ . وَالضَّفْرَةُ : الْأَسَدُ .

(١٣) مِنْ عَسِيْبَةِ لُحْيٍ فِي مَدْحِ الْأَمِيرِ سَيِّدِ الدَّوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ مَطْلُوعًا :

لَا مَطْلُوعَةَ الصَّلَاةِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِمَطْلُوعِ ٢

رَاجِعٌ « التَّيْلُوفُ » ص ٢٥٥ « طَبْعَةُ عَيْدِ الْوَهَّابِ عَزَلَمُ بِطَبْعَةِ لُجَّةِ التَّأْيِيفِ وَالْقُرْآنِ بِعَصْرِ .

(١٤) حِكْمَانًا وَرَدَتْ فِي الْأَمَلِ . (+) الْمَصْحُوحُ « تَعَاظَى الرَّحِيقُ » .

على قصب من الزرجد ، أو كأنه وهو في الماء يعوم ، سماه أشرف بمطالع النجوم » ، وله من
مرثية للمها في بعض الأصداء :

لم يكتب غير التما والمجد في حيله
أبني لنا مناقباً نشر في حماه
كأرند يبقى عمره بعد ذهب ذاته

وأجيب ما سمعت في هذا الباب ، قول الحسين بن مطير الأسدي^(١) يرثي معن بن زائدة^(٢) :
قربٌ غيب في معرفته بعد موته كما كان بعد السيل مجراه صرعا^(٣)
فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « الأزدي » وليس بسواب : وكان أسدياً بالولادة وهو من حضرمي الروتين الأموية والعباسية ، وله أسدخ في رطفا ، وكان زيه وكانه كزى أهل البادية وكانهم . توفي بعد معن بن زائدة ، وله زنا فيه ، وكانت وفاته في نحو سنة ١٦٦ هـ . نوات الوفيات ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني . من أشهر قواد العرب وأجوادهم ، وأحد الشعبان الظواهر ، أدرك العصور الأموية والعباسية ، وكان في العصر الأموي مكرماً ينتقل في الولايات ، لما سار الأمر إلى بني العباس طلبه للصور فاستقر في البادية ، حتى كان يوم الفاتمية ، وثار جماعة من أهل طراسان على الصور فدافع عن الصور ، طسبها للصور له وولاد المرأة سجستان ، فأقام فيها مدة ثم قتل طيبة . ولشعره فيه أشدج ومرام كثيرة ، وليات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٩ . من طبعة بلاد النعم .

(٣) من كلمة رواجع أبو تمام في باب الخاسرة ، وأوطأ قوله :

لما على معن وفولاً تيرة سلتك الفوادى صرعا ثم صرعا

أعظم شرح التبريزي ج ٢ ص ٣٩٠ . وانظر طرية « لقل الشعر » ج ١ ص ١٦٣ طبعة الباني الحالي سنة ١٩٣٩ .

القسم الثالث

في تشبيه الفرد بالركب فمن ذلك قول بعضهم :

كأن السَّهْبُ ^(١) إنسانٌ عينٌ غرابتُهُ
من التمع يبدو كلما ذرَّكت ذرَّعًا
ومن هنا القسم قول الآخر في الورد ^(٢) الجُبَيْشُذ :

أنتك أيا حسن ^(٣) وردة
كعتراء أبصرها بصر
فردت يدها على رأسها

وقد ورد (كثيراً) ^(٤) أمثال ذلك ، وفيها ذكرناه كفاية .

وحيث تكلمنا في التشبيه الجيد وبنائه ، فينبغي أن نوضح التشبيه الردي . ليجتنبه مؤلف الكتاب ^(٥) ، فنقول :

اعلم أن التشبيه الردي ، هو أن يكون ، بين المشبه والمشبه به ، بعد وتباين ، وذلك كقول بعضهم في السهام :

كسأها رطيب الریش فاعتذلت لها
فداح كاعتناق النلباء الفوارق

فإنه قد شبه السهام بأعتناق النلباء ^(٦) ، وذلك من أهد التشبهات وأكثرها زائفاً . ومما جرى هذا المجرى ، قول أحد الأعراب :

(١) السهْب ويكتب بالألف الثالثة أيضاً ، كوكب خضر يتصن الناس به أضرارهم . وإنسان العين : الشال الذي يراه في السواد .

(٢) في الأصل : في الورد اللذ ، والى الصواب ما أوردناه . والورد الجنب على وزن فحل هو الذي لم يفتح وهو معروف إلى اليوم بفتاد ، الواحدة بيقة .

(٣) في معجم الأندلس لهجوت الجوري « ج » سر « ١٠٥ » من طبعة مرغليوث « أبو عامر » والبيات لصادق بن الحسن القوي البغدادي « زيل الأندلس أيام أبي عامر للصور محمد بن أبي عامر السسولي على الأندلس ، بالسكية للصور المذكور . ولشعر غيره من ذكر هناك .

(٤) زائفاً بلغضها السهام . (٥) أراد بالسكاب « الكتابة » . (٦) في الأصل « الظبي » .

تلا حاجبيك الشعر حتى كأنه طياء جرت منها صنيع^(١) وبارح
 قشبه شعرات يئساً في حاجبيه بظباء سوانح وبارح ، وهو تشبيه بعيد جداً ، وأمثال ذلك
 كثيرة فأعرفها .

واعلم أن الأصل في حسن التشبيه هو أن يتل الأستر بالأظهر وغير المتاد بالمتاد المعروف ،
 وذلك لأجل إيضاح القصور ، وبيان المعنى المراد .

ويظهر أيضاً حسن التشبيه في تشييل الشيء بما هو أعظم منه ، وذلك لأجل البالغة والظفر .
 وأعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى : « قَلْبِيَّةٌ »^(٢) الفروع على الأصول ، وهو قريب من
 الكلام طريف ، لا تكاد تجد شيئاً منه إلا والنرض به البالغة ، فإجاء من ذلك قول ذي^(٣) الرمة :
 ورمل كأوراك العذاري قطعه إذا أبسته الفطرات الحفائس
 ألا ترى لي ذي الرمة ، كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ؛ وذلك أن العادة والعرف أن
 تشبه أجهز النساء بكثبان الأقاء ، وهو معارذ في باب ، كقول الجحزي :

أين الزوال الصغير من الفقا كفلا ومن نور الأفاحي ميسا^(٤) ؟

فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا ، فشبه كثبان الأقاء بأجهز النساء ، وذلك كأنه^(٥)
 يخرج عرج البالغة ، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأجهز النساء ، وصار كأنه الأصل
 فيه ، حتى شبهت به كثبان الأقاء . ومثل ذلك قول بعضهم :

(١) في الأصل « بئح » وهو من تصحيف السائح ، والسائح هو السائح ، والسائح : العارض . وصحج
 الظن سنوحاً ضد برح ، أي مر من الجهة البرية ، وفيه دلالة على أين عديم . والسائح : ضد البرح ، لأن
 البرح يمر من الجهة اليسرى ، وهو دليل على التلوم .

(٢) في الأصل « قلبية » وهو من تعلاً السائح .

(٣) هو أبو المارث غيلان بن غنية المصري من تولد العليقة الثانية من شعراء عصره ، أكثر شعره
 تديب وبكاء أمثال ، وكان يذهب في ذلك مذعب الجاهلین عشق من للقرية واشتهر بها . وكانت وفاته
 بإسبهان سنة ١١٧ هـ . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ « من طبعة بلاد العجم .

(٤) من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني القدر مطلقها :

أعطني سلمى بكلمة أسفاً وتعلما أن الجوى ما عديتا

(٥) لعلي الأصلي « لأنه » .

في طلعة البدر شيء، من ملاحظتها وللقننيز نصيب من تشبها
ونظائر هذا أكثر من أن نحصى ، فأعرفه . ولما شاع ذلك في كلام العرب وانسع صار
كأنه أصل من ^(١) بابه .

الزج الثالث

من الباب الأول في شجاعة العربية

وهو نوع من علم البيان تشككنا لطائفه ، ونسافر بحاسنه ، لأن معظم البلاغة مندرجة في
أشياء ، ومنطوية تحت ضروبه ، إلا أني لم أجده شيئاً منه عند أرباب هذه الصناعة ، ولا وجدته
في كتاب مصنف في هذا الفن ، سوى أني رأيت أبا الفتح عثمان بن جني قد ذكر ، في كتابه
للوسوم بالمصالح ، شيئاً من التقديم والتأخير ، والحل على المعنى لا غير ، وقد ذكرنا نحن في
هذا النوع أشياء عجيبة ، ونكتاً طريفة ^(٢) ، عثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم ، وأعلم أن
هذا النوع ينقسم ستة أقسام :

القسم الأول في الالفاظ ^(٣)

(الالفاظ) الرجوع من النية الى الخطاب ، ومن الخطاب الى النية ، يفعل ذلك على مادة
العرب في لغاتهم في الكلام ، وفيه فوائد كثيرة ، لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب
كان أحسن نظرية لنشاط السامع ^(٤) ، وإيقاظاً للإستماع إليه ، من إجرائه على أسلوب واحد ،
وليس يبدل ذلك انشاعاً فقط بل لأمر أعلى ، ومهم من الترضي أمين ، فأما الرجوع من النية
الى الخطاب فكأنه لعل في سورة الفاتحة : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
إليك نعبد وإليك نستعين اهدها الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المنضوب عليهم

(١) لعل الأصل « في بابه » .

(٢) في الأصل « طريقة » . (٣) راجع لعل السطر « ج ٢ ص ٤ » .

(٤) هذا رأي الزمخشري في الالفاظ ، وقد قلنا إن الأنجب منه في « لعل السطر » ج ٢ ص ٤ تبعة
البيان الخليلي والهاشمي .

ولأضالتهن ، هذا رجوع (من) النية الى الخطاب . وما يخص به هنا السلام من الدوائد ، أنه ذكر الحقيق بالجد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الرهوية العامة ، وللك الخاص ، فتم العالم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالموضوع له ، والاستماعة في لهيات به ^(١) تطولب ذلك العوالم للموصوف بتلك الصفات قبيح : إياك نعبد وإياك نعبد صفاته ، أي تخص بالعبادة والاستماعة ، ليكون أدل على العبادة ، لتلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به ، فان قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » بعد قوله « الحمد لله رب العالمين » ليس المدلول فيه من النية الى الخطاب انشاعاً إنما يدل اليه لفائدة حسنة ، وذلك أن الحمد لله دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا نعبد . فلما كان الحال كذلك استعمل ^(٢) لفظ « الحمد » بتوسطه مع التيبة في الخبر ، قال : « الحمد لله » ولم يقل « لك » ، ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال « إياك نعبد » فغالب العبادة إصراحاً بها ، وتقراباً به - عز ^(٣) اسمه - بالانتهاء الى محدود ^(٤) منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال « صراط الذين أعمت عليهم » فأصرح بالخطاب لذكر النعمة ، ثم قال « غير المنضوب عليهم » ولم يقل « غير الذين غضب عليهم » لأن الأول موضع التقرب من الله يذكر نعمة ، فلما صار الى ذكر النضب قال « غير المنضوب عليهم » فجاء باللفظ متصرفاً به عن ذكر النضب ، فأسنده النعمة اليه لفظاً ، وزوى عنه ذكر النضب تحسناً ^(٥) وإظناً ، فانظر الى هذه اللفظة الشريفة وتناسب هذه المعاني العطيفة التي الأقدام (لا) ^(٦) تكاد تطؤها ، والأفهام مع قربها سالحة عنها .

ومن هنا الجنس قوله تعالى « وقلنا أخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً » ^(٧) فقوله « لقد جئتم » وما فيه من المغالبة بسبب التيبة زيادة تشكيل عليهم ، بالمرأة على الله - عز وجل -

(١) زيادة الضمها السابق .

(٢) في الأصل « اعتدل » والتصحيح من لئل السائر ج ٢ ص ٦٠ .

(٣) في الأصل « عن » والتصحيح من لئل السائر .

(٤) في الأصل « معدومة » والتصحيح « من لئل السائر » .

(٥) في الأصل « تحسناً » والتصحيح من لئل السائر ج ٢ ص ٦٠ .

(٦) من « لئل السائر » ج ٢ ص ٦٠ . (٧) أنظر سورة « صرح » الآية « ٨٦ » .

والتعرض لسخطه ، وتبني لهم ، على عظم ما فعلوه . وأدبنا هنا كثيرة فخرقه .

وأما الرجوع من الخطاب إلى التبية بقوله — عز اسمه — « هو الذي يستيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ذاقوا الله عاصفين له الذين لن آتينا من هذه فتكونن من الساكرين » (١) ألا ترى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى التبية ؟ وإنما فعل ذلك لفائدة ، وهو أنه ذكر لتبريم طالعهم ليعتصم منها ، كالتبر لهم ، ويستندعي منهم الانتكار عليهم والتضييع ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحتم بها . وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية ، لذهب تلك الفائدة التي أضيفها خطاب التبية . وليس ذلك بخاف عن (طرف) هذا الكلام فخرقه .

ومن هنا الجس قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وتقطعوا أمرهم ينسبهم كلئنا راجعون » (٢) . الأصل في قطعوا « قطعتم » عطفاً على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى التبية على طريقة الانقلاص ، كأنه يبي عليهم ما أفصده إلى قوم آخرين ، ويقبح عندهم ما فعلوه ، ويقول : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فجعلوا أمر دينهم إلى ما بينهم قطعاً ، وذلك تشبيل لاختلافهم فيه وتباينهم ، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون ، فهو يجازيهم على ما فعلوا .

وتما يخترط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض فاتقوا الله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته » (٣) الآية فإنه إنما قال « فاتقوا الله ورسوله » ولم يقل : فاتقوا بالله ديني ، حيث قال أولاً : إني رسول الله إليكم ، لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليلزم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له (له) هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، كالتأني من كان أنا أو غيره ،

(١) سورة يونس ، الآية ٢٢ . (٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٧٣ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

إظهاراً لذنفسه ، وبعد عن التصعب لنفسه ، فقرر أولاً في صدر الآية ، بأنه رسول إلى الناس ، وأثبت ذلك في أنفسهم ، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض التبية لترغيب حكيهين قد ذكرتهما .

الضرب الثاني : الرجوع من الفعل المنفرد إلى فعل الأمر ، يفعل ذلك تعظيماً لحال من أجرى عليه فعل الأمر ، فإما جاء منه قوله تعالى « يا هود ما جئنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا من قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ، إن تقول إلا اعتراك بهم آلهتنا بسوء » قال إني أشهد الله وأشهدوا أني بري مما تشركون ^(١) . ولم يقل « وأشهدكم » ليكون موازناً له ومعناه ، لأن إتهام الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى مثبت التوحيد ، ويشهد معاقبه . وأما إنسداد فإما هو إلا تهاون بدينهم ، ودلالة على قلة البالات بهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول ، لاختلاف ما بينهما ^(٢) وجيء به على لفظ الأمر ، كما يقول الرجل لمن يس القوي ^(٣) بينه وبينه : أشهد على إني أحببتك . تهسكاً به واستهانة بحاله . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

الضرب الثالث : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد .

فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا قومكما بعهدي يوتأ . واجملا يوتسكم قبله ، وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين ^(٤) » . ألا ترى إلى هذا المعنى والتوسع في الكلام فإنه نوع الخطاب ، فثنى ثم جمع ثم وعد ، فخطب موسى وهارون - عليهما السلام - بالبوته والاختيار ، وذلك مما يفترض إلى الأبدان . ثم ساق الخطاب لها وأقومها بإعجاز للمساجد ،

(١) سورة هود - الآية - ٥٥ .

(٢) في الأصل - بينها .

(٣) في الأصل - الرجل لم ينس القوي بينه وبينه . والمراد بالأصل كناية عن التبايض .

(٤) سورة يونس - الآية - ٨٢ .

واقامة الصلاة ، كأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى - صلوات الله عليه - بالبشارة التي هي الترض ، تعظيماً له وتخليقاً لا صره ، ولأنه الرسول على الحقيقة .

ومن هذا النحو قوله تعالى : حكاية عن حبيب التجار * ومالي لا أهد الذي فطرنى واليه ترجعون^(١) * هذا عدول عن خطاب الواحد ، الى خطاب الجماعة . وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم ، لأن ابرز الكلام لهم في مرض النصيحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ، ليطلب بهم ، ويدار بهم ، ولأن ذلك دخل في إحصاء النصيح * حيث لا يريد لهم إلا^(٢) ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : * مالي لا أهد الذي فطرنى * مكان قوله : ومالك لا تبعون الذي فطركم ، ألا ترى إلى قوله * واليه ترجعون * ولو لا أنه قصد ذلك فقال : الذي فطرنى واليه أرجع ، وقد ساقه ذلك الساق الى أن قال * تعالوا إني آمنت بربكم فاصبرون^(٣) * يريد فاصبروا لولي وأطيعوني ، فقد نهىكم على الصحيح الذي لا يمدل عنه ، لأن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم ، واليه مرجعكم .

فانظر أيها التامل لكتابتنا هذا ، الى هذه الدقائق التي أشردنا إليها في غضون هذا الكلام ، فإن فيها ما شئت من المصانف العظيمة ، والفوائد العجيبة .

القسم الثالث من النوع الثالث

في الاختيار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي

وهو قسم من التأليف ، لطيف للأخذ ، دقيق للذم ، فالأول : الاختيار بالفعل المضارع عن الماضي ، اعلم أن الفعل المضارع اذا أتى به في حال الاختيار من وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاختيار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر^(٤) تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي ، فما جاء قوله تعالى : * والله الذي أرسل الرياح فتفرق سحاباً فسفناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك

(١) سورة * يس * الآية * ٢٢ * . (٢) في الأصل * يا * ولا حاية ان الياء .

(٣) سورة * يس * الآية * ٢٥ * . (٤) في الأصل * واستحضر * .

النشور^(١) « فإنه إنما قيل فختير سبحانه ، مشارعاً ، وما قبله ويصده ماض ، لتلك المعنى الذي أشرنا إليه ، وهو سكاية الحال التي^(٢) يقع فيها إثارة الريح المحلب ، واستحضار تلك الصورة البديعة ، الباقية على القدرة الباهرة ، وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية ، بحال تستغرب أو تدهم المتألم أو غير ذلك كما قال تأبط شراً : -

فاني قد كنت لقيت العسوك تهوي
فأضربها بلا دهن نظرت
يسهب^(٣) كالصحيفة مصححان
صريعاً للدين والجران^(٤)

لأنه قصد أن يصور لقومه ، الحال التي تشجع فيها على ضرب النول ، كأنه يصعصع إلهاماً ، ويطلبهم على كتبها مشاهدة ، لتعجب من جرأته على ذلك المول ، وثباته عند تلك الشدة ، ولو قال فضربتها لزالته هذه الفائدة التي ذكرناها ونهتينا عليها .

ومن هذا السبب قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبيح الأرض^(٥) مخضرة إن الله لطيف خبير^(٦) » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ها هنا إلى المضارع فقال « تصبح » وذلك لإفادة بقاء الطور زماناً بعد زمان كما يقال « أتم على فلان عام سكنا فأروح وأعدو سأكراً له » ولو قال « فرأيت وغداوت سأكراً له » لم يقع ذلك الرفع ففهم ما أشرنا إليه وتدير دقاته .

وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، فهو عكس ما تقدم ذكره ، وفائدته : أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المضارع إما لم يوجد جسداً ، كان أبلغ وأكيد ، وأعظم موقفاً

(١) سورة « قائل » الآية « ٩ » .

(٢) في الأصل « التي » وقد رجحنا « التي » لأنه جاء بضم الممال مؤنثاً بقره « فيها » ولأنه تأييد الحال هو الوجه الأقوى .

(٣) في الأصل « يسهب » بفتح « ي » والتصحيح من لئل المثلر « ج ٢ ص ١٦ » والسبب : الأرض للثوية والجمع سهبوب ، والتصحيحان : الأرض الواسعة الثوية ، وقد استعملها وصفاً للسهب . والبيان من كلمة لأبط شراً أولها قوله :

ألا من مبلغ قبربان فهم بما لايت حسد رضى بجان ؟

« أظفر الأفعان ج ١٨ ص ٢١٠ طبعة بولان » أظفر حلقة لئل المثلر « ج ٢ ص ١٦ » .

(٤) الجران : تقدم المعنى . (٥) سورة « الحج » الآية « ٦٣ » .

وأخر شيئاً : لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المتطوع
 بها ، المحسوم بكونها وحدوثها ، والفرق بينه وبين الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، هو
 أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع ، إذا كان المضارع من الأشياء الخالقة ، التي لم توجد ،
 والأمور المتعاضدة التي لم تحدث ، فيجمل ^(١) عند ذلك مما قد كان ووجد ، ووقع الفراغ من
 حكمه وحدوثه ، وأما الفعل للمضارع إذا أخبر به عن الماضي ، فإن الفرض بذلك تعيين هيئة
 الفعل ، واستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه يراها ويشاهدها ، فهذا هو الفرق بين الأخبار
 بالفعل المضارع عن الماضي (وبالمضارع عن الماضي) ^(٢) فاعرفه .

ولنرجع إلى ما نحن بصدد ذكره من الأمثلة للأخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، فمن ذلك
 قوله تعالى : « ويوم يُنفخُ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء ،
 الله وكل أتوه داخرين ^(٣) » فإنه إنما قال : « ففرع » بلفظ الماضي بعد قوله « ينفخ » وهو
 المستقبل ، للاشمار بتحقيق الفرع وثبوته وأنه كائن لا عالة ، واقع على أهل السموات
 والأرض ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل ، وكونه متعلقاً به .

ومن هنا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً ^(٤) » « فبرزوا » بمعنى يبرزون يوم
 القيامة ، وإنما جري بلفظ الماضي ، لأن ما أخبر الله به لسدقه وحمته كأنه قد كان ووجد ،
 وعمل ذلك قوله - عز اسمه - « أتى أمر الله فلا تستعجلوه ^(٥) » فإن « أتى » هنا بمعنى
 « يأتي » وإنما حسن فيه لفظ الماضي ، لصدق إتيان الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه
 ووقوعه ، فصار « يأتي » بمنزلة قد أتى ومضى ، وكذلك قوله - تعالى - « ويوم تسيّر الجبال
 وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نفلت منهم أحداً ^(٦) » فإنه إنما قال « وحشرناهم » ماضياً
 بعد « سير » « وترى » وهما مستقبلاان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ، ليعانوا

(١) في الأصل « فيجمل » . (٢) زيادة المتضاعف السابق .

(٣) سورة « النحل » الآية « ٥٧ » . (٤) سورة « إبراهيم » الآية « ٢١ » .

(٥) سورة « النحل » الآية « ١٠ » . (٦) سورة « الكهف » الآية « ١٧ » .

تلك الأحوال ، كافة ، قال : « وحشرناهم » قبل ذلك .

ومما يضطر في هذا السلك الإخبار باسم المفعول عن الفعل المتارح ، وأما فعل ذلك فاضته
معنى الفعل الماضي ، وقد سبق الكلام عليه ، فن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك الآية لمن غلف
عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ^(١) » فإنه إنما آثر اسم المفعول
هنا على الفعل المتارح لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، فإنه لا بد من أن يكون
مبدأً مشروباً يجمع الناس وأنه ^(٢) موصوف بهذ الصفقة ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله
تعالى : « يوم يجمعكم اليوم الجمع ذلك يوم الثمان ^(٣) » فانك تشر على صحة ما قلت .

الفهم الثالث من التوج الثالث في عكس الظاهر

اعلم أن هذا القسم من مشكلات علم البيان ، وأساره الثرية ، وخفاياه المستعرة العجيبة ،
وهو مما لم يذكره أحد من مؤلفي هذا الفن في كتابه ، ولا أشار إليه ، وسبب التفرد بذكره في
هذا الكتاب ، أما عثرنا على ذلك في كلام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصفه
مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - فعند ذلك طلبنا له مثلاً أو نظيراً ، في كلام العرب وأشعارهم
فظفرنا بذلك ، وأوردنا الكلام الوارد عن علي - رضي الله عنه - ثم أبتضاء بما جاء عن
العرب في ذلك ، وإنه مما يستغرب ويستطرف ، لأن العرب قد توسعوا في كلامهم ، وتجاوزوا
إلى غاية ، يذكرون كلاماً يدل ظاهره على معنى ، وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه .

والأصل في ذلك ، أنك تذكر كلاماً يعطى معناه أنه غني إضافة شيء قد كان ، وهو نقي للموسوف
أنه كان أصلاً . فلأما قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في هذا الباب ، فإنه وصف
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال « لا تنني ^(٤) فلتانه » أي لا تبتاع فلتانه ، ألا ترى إلى ظاهر

(١) سورة هود ، الآية ١٠٣ .

(٢) في الأصل : وأما ، والمصحيح من لسان العرب (ج ٢ ص ١٩) .

(٣) سورة الثمان ، الآية ٩ .

(٤) في الأصل : تنني ، وهو من تحريف التنازع ، وهي الحديث كما في القاموس ج ١ ص ٣ من
الطبعة المصرية ، مجلس حق وبراء وصبر وأمانة ، لا تترجم فيه السنوات ، ولا تزين فيه الحرم ولا ترففاته ،
إنما تتكلم أطرق جلسائه تكن على رؤوسهم الطير ، فلما سكنت تسكلموا . ولا يقل التنازع إلا عن مكان .

ذلك : أن ثم فئات غير أنها لا تنضج ، وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لم يكن ثم فئات أصلاً ،
فتضاع ، وهذا من أعجب ما وقعت عليه في علم البيان وأطرفه .
وأما ما ورد عن العرب في هذا الباب ، فنحو قول الشاعر^(١) :
« ولا ترى الضبّ بها ينبحر^(٢) » .

فإن ظاهر المعنى من ذلك يعطي أنه قد كان هناك ضب إلا أنه غير منبحر ، وليس كذلك
بل للمعنى المقصود ، هو أنه لم يكن هناك ضب أصلاً فينبجر ، فأعرف هذا ، وقس عليه . وله
أشياء كثيرة في كلامهم وأشعارهم ، وفيها أثرنا إليه كغاية ، لمن له لب ومعرفة .

انضم المربع من النوع الثالث في الحمل على المعنى

وذلك كتابتُ الذكر وتذكير التوث وتصوب معنى الواحد للجماة ، والجماة لواحد ،
وحمل الثاني على اللفظ الأول ، أصلاً كل ذلك المنطق أو فرعاً ، وغير ذلك .

اعلم أن هذا القسم من التأليف دقيق السلك ، بعيد الذهب ، يحتاج الـ فضل معاودة
وزيادة تأمل ، وقد ورد في القرآن الكريم ، وفضيح الكلام منشوراً ومعلوماً ، فلما تأملت
الذكر فكقول الشاعر :

أنبحر يوماً بالحجاز ظفنتُ به الخوف والأهداء من كل جانب
ذهب بالخوف إلى الخفاة ، وقال الآخر :
يا أيها الزاكي السرجي مطبقة
سائل بني أسد ما هذه الصوت

(١) الشاعر هو أوس بن حجر .

(٢) هذا بحر بيت ، وصدره في وصف مفازة :

لا ينزع الأرب أهولها ولا ترى الضب بها ينبحر

انظر حاشية ص ١٦٣ من الجزء الثالث من « الأيضاح » طبعة الجامعة السورية سنة ١٩٤٩ .

وقال الفيدي في « النثر » من مصباحه للبحر : « ولم طريقة أخرى معروفة وهي على الوصوف فيلحق
ذلك الوصف بأغائه ، فقولهم « لا رجل قائم » معناه لا رجل موجود فلا يعلم منه ، قال امرئ القيس :
« على لاسب لا ينسى يتلوه »

أي لا ينام فلا عسدية به ، وقال الشاعر : « لا ينزع الأرب ... » أي لا أرب فلا يترامها حول ولا
ضب فلا ينبحر ، ويخرج على هذه الطريقة قوله - تعال - « فالتعليم شناعة الشافين » أي لا شامت ولا
شناعة منه ، وكذا « بقير محمد تزوبها » أي لا محمد ولا ودية . وكذا « لا يباؤون الناس الماء » لا سؤال
ولا خلف .

فانه ذهب بالصوت الى الاستفاعة ، واطمأن انه قد كثر عن العرب تأييد فعل الضاف المذكور اذا كانت إضافته الى مؤنث ، وكان الضاف بعض الضاف اليه أو منه أو به ، ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تَسْمَعُ نَفْسًا مِنْهَا »^(١) . بالتأنيث فأنت فعل الايتان إذ^(٢) كان من النفس وبها . وأمثال ذلك كثيرة فاحرفه .

وأما تذكير المؤنث فشاخ في كلام العرب كقوله تعالى « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي »^(٣) أي هذا الشخص أو هذا الرئي . وكنتك قوله - عز اسمه - « فن جاء موعظة من ربه فانتهى » لأن الوعظ والموعظة واحدة ، وقالوا في قوله تعالى « إن رحمة الله قريب من المحسنين »^(٤) إنه أريد بالرحمة هاهنا الطير ، يدلل قوله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته »^(٥) .

وأما حمل الواحد على الجماعة ، فكقولهم : « هو أحسن الثينان وأجمل » فأفرد الضمير ، لأن هذا للوضع بكثير فيه الواحد كقولهم « هو أحسن قتي في الناس » قال الله تعالى « ومن الشياطين من يتوسون له »^(٦) شبل على السني وقال ذو الرمة :

ومية أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنة فثالا

فأفرد الضمير ، مع قدرته على جمعه ، وهذا يدل على قوة اعتقادهم في أحوال اللواضع ، وكيف ما يقع فيها . ألا ترى أن هذا للوضع موضع جمع ، وقد سبق في الأول لفظ الجمع فتراك اللفظ ، وموجب الوضع وعمل الى الأفراد من غير ضرورة ، فانه قد كان يمكنه ان يقول :

ومية أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنتهم فثالا

ومن هذا المنحوت قول بعضهم :

فقلنا أسألوها إنا أنوكم فقد برئت من الأهن الصدور

فيجوز ان يكون ذلك جمع أي قد حذفت نونه للاستفاعة ، ويجوز أن يكون واحداً ووقع

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٨ . : (٢) في الأصل « انا » وهو غير مستقيم .

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٨ . : (٤) سورة الأعراف الآية ٥٦ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٧ . : (٦) سورة الأنبياء الآية ٨٢ .

« ترى جوانبها بالشحم مفتونا »

والحلل على المعنى واسع في هذه اللفظة . وأعلم أن العرب إذا حلت على المعنى ، لم تكن تراجع^(١) اللفظ ، كتوك : « شكرت من أحسنوا إلي على فعله » ويقال : « شابت مقارقه » وانما هو مفروق واحد . ومما يؤكد ذلك أن العرب إذا حلت على المعنى لم تراجع اللفظ ، قوله تعالى : « ألم تر أن الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الأسكاذ قال إبراهيم : ربني الذي يُحيي ويميت . قال : أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذي كفر والله لايحيي القوم الثانيين »^(٢) ثم قال :

« أو كالتي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها »^(٣) الآية فإن ذلك محمول على المعنى ، كأنه قال : رأيت الذي حاج إبراهيم في ربه ، أو كالتي مرَّ على قرية فجاهت بالثاني على أن الأول قد سبق كذلك ، وأمثال هذا كثيرة .

وأما حل الجماعة على الواحد ، فنكته قوله تعالى « كفى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن » فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٤) . فعمل أول الكلام على لفظ الواحد ، وآخره على لفظ الجمع .

وأعلم أن العرب تعتبر ثارة اللفظ ، وثارة المعنى ، يقولون : « ثلاثة أشخاص » فيثبتون الثاء وإن عنوا مؤثراً^(٥) ، ويقولون : « ثلاث أنفس » وإن عنوا رجالاً ، لأجل اللفظ . ويقولون : « ثلاث شغوص » إذا عنوا مؤثراً ، « وثلاثة أنفس^(٦) » إذا عنوا مذكراً للمعنى فأعرف ذلك وقس عليه .

الضم الخامس من النوع الثالث في التقديم والتأخير

وذلك مما يتعلق بعم النحو ، فإن لنا تقريباً وتأخيراً في الكلام ، ولا يتعلق بالنحو ، وليس

(١) في الأصل « تراجع » وهو تصحيف . (٢) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٨ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٩ » . (٤) سورة « البقرة » الآية « ١٧٧ » .

(٥) على أن عمر بن أبي ربيعة قال :

فكأن مني عون من كنت أحيي ثلاث شغوص كاهن ومحصر

(٦) قال الجوهري في « نيس » من الصحاح « ويقولون ثلاثة أنفس مذكروته لأنهم يرثونه بالإنسان » .

هنا بابه ، وسيأتي ذكره . إن لم يكن التقديم والتأخير مما نحن بسببه ذكره ها هنا على شريين : أحدهما يكون التقديم هو الأول والأبلغ لوضع الاختصاص ، والآخر يكون التأخير هو الأول والأبلغ ؛ إما الفائدة تقتضي ذلك ، وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله . - ويورد كل ضرب من هذه الضروب ، مشروحاً ومبيحاً . وأما الضرب الأول وهو ما كان التقديم فيه هو الأول والأبلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل ، وتقديم المبتدأ على الظرف ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل .

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل ، وإنا نعده ^(١) إلى ذلك قسداً للاختصاص ، ألا ترى قولك « زيداً ضربت » تخصيصاً له بالضرب ، إذ يحتمل أن يكون الضرب لغيره ؛ لأنه إذا قدمت الفعل كثرت الخيارات في إيقاعه على أي مفعول شئت كأن ^(٢) تقول « ضربت فلاناً أو بكراً أو غيرها » وإذا أخرته ، لزم الاختصاص بالمفعول . وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ^(٣) » . فإنه إذا قدم المفعول ، التي هو الرزق ، على الفعل التي هو ينفقون ؛ لأن الألسان قد يفتق ما ليس له . فلو قسم الفعل ها هنا على للمفعول ، لسبق إلى الوهم قبل ذكر المفتق جواز كونه مما ليس له ، ومع تأخيره يزول هذا الوهم ، ويرتفع ذلك الهمس .

ومن هنا النحو ، قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » فإن قوله : « إياك نعبد » تخصيص له بالعبادة ، دون غيره ، وكذلك قوله : « إياك نستعين » وهذا بخلاف ما قال « نعبدك ونستعينك » فإنه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره كما أشرنا إليه ، في « زيداً ضربت » و « ضربت زيداً » فأعرب ذلك .

وأما تقدير خبر المبتدأ عليه ، فإنه لا يبعد إليه أيضاً إلا الضرب من الاختصاص ، كقولك : « زيداً قائم » و « قائم زيد » فقولك « قائم زيد » قد أثبت له القيام لا محالة ، وقولك : « زيد

(١) في الأصل « تليل » وهو من ضلأ السخ .

(٢) في الأصل « بأن » وهو من ضلأ السخ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

قائم « أنت وإطيار في إثبات القيام له أو نفيه عنه ، بأن تقول : شارب أو قاعد أو جالس أو غير ذلك .

ومن هذا النحو قوله تعالى « وطلبوا أنهم ما تعلمون حصونهم من الله ^(١) » الآية .
فإنه إنما قال ذلك ، ولم يقل : « وطلبوا أن حصونهم تتمهم أو ما تعلمهم » لأن في تقديم الخبر الذي هو ما تعلمهم ، على المبتدأ الذي هو حصونهم ، دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها ، وزيادة وثوقهم بتمتعها إياهم ، وفي التعبير شديداً أيضاً لأن « وأسناد الجملة إليه » دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع ، لا يبالي معها أحد بتعرض طامع أو قصد فاسد . وليس شيء من ذلك في قوله : « وطلبوا أن حصونهم ما تعلمهم أو تعلمهم » . ومن تقديم خبر المبتدأ عليه قوله تعالى : « أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم » فإنه إنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله : « أراغب أنت عن آلهتي » لأنه كان أهم عنده ، وهو به شديد العناية ، وفي ذلك ضرب من التعجب والانتكار لزينة إبراهيم - عليه السلام - عن آلهته ، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها . وهذا بخلاف ما لو قال : « أنت راعب عن آلهتي » . وقد سبق الكلام على ذلك فاحرصه .

فأما الطرف قائم أنه كان الكلام مقصوداً به الآليات ، فإن تقديم الطرف فيه أبلغ من تأخيره . وقائده إسناد الكلام الراجع بسنده إلى صاحب الطرف دون غيره « وإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الطرف وتأخيره ؛ وكلام الأمرين له موضع يختص به ؛ فإما تقديمه في النفي ؛ فإنه يقصد به تفضيل النفي عنه على غيره . وأما تأخيره ؛ فإنه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل . وسيأتي بيان ذلك عند ذكر الأمثلة المفصلة عليه .

فأما الأول ؛ وهو تقديم الطرف في الإثبات فنحو قوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيمنه الله العذاب الأكبر إن ألبنا أيهم وإن علينا حسابهم » ^(٢) فتقديم الطرف على المصدر ، وما هنا ^(٣) تشديد في التوبيخ ، لا يكوف عند

(١) سورة « الممت » الآية ٢٥ . (٢) سورة « الفاحية » الآية ٢٤ .

(٣) في الأصل « وما هنا شديد » وهو تصحيف التصاح .

تأخيره ، لأنه يعطي من المعنى أن إليهم ليس إلا إلى الله ، للتصدر على الانتقام . وأن حسابهم ليس إلا عليه ، وذلك بخلاف ما لو قال : إن إليهم البنا ثم إن حسابهم علينا « لأن قوله » إن البنا إليهم « لا يحتمل أن يكون الإياب فيه إلى غير الله ؛ لأنه مصدر الكلام بالظرف ، وإذا قال » إن إليهم البنا « يحتمل أن يظن المخاطب عند سماعه » إن إليهم « قبل قوله » البنا « أن يكون الإياب إلى غيره .

ومن هذا الجنس قوله تعالى » يستبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير «^(٤٥) فإن الله قدم الظرفين في قوله » له الملك وله الحمد « ليدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله لا يتغير ، وكذا جاء قوله تعالى » من كفر فعليه كفره «^(٤٦) . فإن تقديم الظرف هنا ، أشد موقفاً من تأخيره ، وأظلم شأنًا ، وذلك للدلالة على أن ضرر الكافر ، لا يعود إلا على الكافر ، وأنه لا يتعداه . وهذا لا يخفى على من له معرفة بمرمى البيان .

وأما الثاني : وهو تأخير الظرف وتقديمه في النحو ، فتدبر قوله تعالى : » ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه «^(٤٧) فإنه إنما أخرج الظرف هنا لأن^(٤٨) التقصد في إيلاء حرف النفي الريب [الدلالة]^(٤٩) على نفي الريب عنه ، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب ، كما كان الشركون يدعون . ولو أولاه الظرف ، لقد صد أن كتاباً آخر فيه الريب لا فيه ، كما قصد في قوله تعالى : » لا فيها غول «^(٥٠) وذلك تفضيل ظهر اللجنة على خور الدنيا ؛ لأنها لا تتناول العقول كما تتناولها الديوية ؛ كأنه قال » ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والفتنة « .

تأخير الظرف في قوله تعالى » ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه «^(٥١) يقتضي النفي أصلاً من غير تفضيل ، وتقديم الظرف في قوله تعالى » لا فيها غول «^(٥٢) يقتضي تفضيل للنفي عنه ، وهو ظهر اللجنة ، على غيرها من خور الدنيا . وهذا مثل قولنا » لا عيب في البار « وقولنا » لا فيها

- (١) سورة » العنكبوت « الآية » ٦ « . (٢) سورة » الروم « الآية » ١١ « .
 (٣) سورة » البقرة « الآية » ٢٠١ « . (٤) في الأصل » فإن « .
 (٥) زيادة التضاعف السيالي . (٦) سورة » الصافات « الآية » ١٣ « .
 (٧) سورة » البقرة « الآية » ٢٠١ « . (٨) سورة » الصافات « الآية » ٢٧ « .

عيب « والأول قصدنا به أن نعلم من الدار أن فيها ميباً أصلاً ، وثبت أنها خالية من العيوب . والثاني ، قصدنا به أن ليس فيها ما في غيرها من العيب « فمعرف ذلك « ونس عليه ، فانه من دقائق علم البيان .

وأما تقديم الحلال فنحو « جاء واكباً زيد » وإنما يفعل ذلك لضرب من الاختصاص أيضاً . وهذا بخلاف قولك « جاء زيد واكباً » إذ يحتمل أن تقول ^(١) : ضاحكاً أو ماشياً وغير ذلك .
وأما الاستثناء فجاء هذا المجرى ، نحو قولك : « ما قام إلا زيداً أحدٌ » وكما قام أحدٌ إلا زيداً ، والكلام على ذلك كالشكلام على ما سبق . فصره .

وأما الضرب الثاني فهو أن يقدم ما الأولى به التأخير ، لأن المعنى يختم بذلك ^(٢) . ويضطرب ، كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الوصف ، وتقديم العلة على الوصول ، وتقديم العطف على المعلوم عليه ، سواء أكانت بياناً أو نفيًا ، لإعطاء النسب في الراو وحده ، فانه جائز ، نحو قولك « قام عمرو وزيد ^(٣) » وغير ذلك مما يرد مشروحاً .

فن هذا الضرب قول بعضهم :

قد والشكُّ بَيْنَ لي عَدَاً بوشك فراقهم صُرد ^(٤) يصيح

فانه قدم « بوشك فراقهم » وهو معمول « يصيح » ويصيح صفة لصرد جارية على صرد ، وذلك قبيح ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال « هذا اليوم رجل ورد من موضع كذا » وإنما يجوز وقوع الممول ، بحيث يجوز وقوع العامل ، فكذا لا يجوز تقديم الوصف على موصوفها ، وكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها .

ومن هذا النوع « قول الآخر :

فصبحت بعد خطأً بهجيتها ، كأنَّ قفراً رسوماً قدما

(١) في الأصل « يقول » وهو غير مستقيم .

(٢) تلكه : اسم اختاره ال « ما هو أول بالتأخير أو آخر » .

(٣) في الأصل « عمرو زيد » .

(٤) الصرد : ضم الصاد وفتح الراء : حال ضحك الرأس بسلامة المصانير .

فانه قدم خبر كان عليها وهو قوله « خط » وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه ، والأسفل في هذا البيت « فأصبحت بعد مهمتها فقرأ كأن قلما خط » رسوما « إلا أنه على تلك الحساسة الأولى مختلف مضطرب . ويشبه بذلك قول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاعره
وهو يريد « إلى ملك أبوه ما أمه من محارب » أي ما أم أبيه من محارب ، وهذا أوجه من الأول وأكثر اختلافاً . وأما قوله :

ولست خراسان التي كان خالد بها أسد إذ كان سيفاً أميرها
فحديثه طريف^(١) ، وذلك أنه لما ذكر يمدح خالد بن عبد الله التميمي^(٢) . ويهجو أسفاً ؛ وكان أسد ولها بعد خالد ، وكأنه قال :

« وليست خراسان البلدة التي كان خالد^(٣) بها سيفاً إذ كان أسد أميرها » وعلى هذا التقدير ففي « كان » الثانية ضمير الشأن ، والحديث والجملة بعدها خبر عنها ، وقد قدم بعض ما يذ^(٤) مضافة إليه ، وهو أسد ، عليها ، وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من التبع ما لا يخفى به ، وأيضا فن^(٥) في أسد أسداً أحد^(٦) جزئي الجملة الفسرة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، ولما سماه الكوفيون الظاهر^(٧) المجهول . ومن هذا الجنس قوله :

ملوك يبتنون توارثوها سرادقها القاود^(٨) والقباب
أراد « ملوك يبتنون القاود^(٩) والقباب توارثوها سرادقها » فتوله « يبتنون القاود

(١) في الأصل « طريف » .

(٢) في الأصل « خالد بن الوليد » وهو غير مستقيم تاريخياً . والتصحيح من لئل السائر « ج » ص ٤٤ .

(٣) في الأصل « خادراً » من لفظ الساج . (٤) في الأصل « ابن » والتصحيح من لئل .

(٥) في الأصل « اصفاً » وهو من لفظ التامغ .

(٦) وفي الأصل « الظهير » وفي لئل السائر « الضمير المجهول » وهو غير متسق .

(٧) في الأصل « القلوب » ولا على لما هنا ولئل الأصل ما ذكرناه . فلقاود جمع لفظ القبول .

والتياب « صفة الملوك أيضاً وموضعها التأخير ، فقدمها ^(١) ، وهو يريد بها موضعها ، كقولك « صررت زجل ، يكلمها ، مار بهند ، أي « مار بهند يكلمها » تقدم الصفة الثانية ، وهو معتد تأخيرها . وقد استعمل الفرزدق هذا الضرب كثيراً ، كأنه كان يقصد ذلك في شعره وتسميته ، لأن مثل هنا لا يجيء إلا متكلفاً مقصوداً ، وإلا فإنا ترك المؤلف نفسه تجرّي على سجيبتها وطبها في الاسترسال ، من غير أن يكلفها التقيد في الكلام ، فلها لا تأتي مثل هذه الأسباب القبيحة ، التي هي عيب في التأليف فاحش ، إلا ترى أن المقصود من الكلام معهود في هذا الضرب المذكور ، لأن المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والابانة وإفهام المعنى ، فإذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه ، وصار غير مفهوم ولا فرق بينه — عند ذلك — وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرها . فاعرف ذلك .

وأعلم أن من التقديم والتأخير يأتي مجيئاً المأخذ ، كثير الفائدة ، وافر اللطائف ، وهو باب الاستفهام ، فإن حاجة المؤلف الكلام إليه ماسة . ونورد في كتابنا هذا منه ما يروىك ، أيها القائل ، وينهب بك في الاستحسان كل مذهب ، فنقول : أعلم أنك إذا بدأت في الاستفهام بالفعل قلت « أفعلت كذا وكذا » كان الشك في الفعل ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير . وإذا قلت : « أنت فعلت » فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده . وهنا المعنى قائم في الهمزة ، إذ هي كانت للتحديد ، فإننا قلت « أنت فعلت ذلك » كان غرضك أن تحرره بأنه الفاعل ، قال الله تعالى « أنت فعلت هذا يا عيسى بن مريم » ^(٢) « حكاية عن قوم نورد ، لأنهم لم يقولوا ذلك لإبراهيم — عليه السلام — وغرضهم أن يترحموا على الأصنام كان وجوده لأن ذلك معلوم عندهم ، وقد شاهدوه رأي العين ، والاستفهام إنما يكون عن شيء لا يعلم وإنما غرضهم الاتقرار بأن ذلك حدث منه ، لأنه قال — صلوات الله عليه — في الجواب لهم « بل فعله كبيرهم هذا » ولو كان الضرر بالفعل لسكان الجواب « فعلت أو لم أفعل » فالهمزة بما ذكرناه تقرر لفعل فذكرن وإنكاره ، لم يكن ، وتوضيح لفعله عليه ^(٣) ، ولهذا مذهب آخر

(١) أي تقدم « توارثوها . (٢) سورة « الأنبياء » الآية « ٦٤ » .

(٣) انظر هذا الموضوع في دلائل الامعزاز « من ٧٨ » طبعة دار الكتب المصرية بمصر .

وهو أن تكون الهمزة لانكار أن يكون الفعل من أصله ، ومثاله قوله تعالى « أفأستأفكم ربكم بالبين والبين وانمخذ من اللاتلكة إنا أناسكم لتقولون قولاً عظيماً^(١) » . وقوله تعالى « أسطفى البينات على البين مالكم صكيف تحمكون^(٢) » . فهذا رد على الشركين ، وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم ، وأنا قسم الاسم في هذا صار من الانكار في الفاعل ، كما تقول للرجل إذا استحل شعراً « أنت قلت هذا الشعر ، كذبت ، لست ممن يقول مثله » فأنكرت أن يكون هو القائل ولم تنكر الشعر . ولقد يكون المراد إنكار الفعل من أصله ثم يخرج اللفظ خروجه إذا كان الانكار في الفاعل مثال ذلك قوله تعالى « قل أرايتم ما أنزل الله اسمكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً^(٣) » . وسليم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنكار أنه قد كان من الله وإن فيها قالوا من غير أن يكون هذا الأذن قد كان من غير الله ، فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أخرج خروجه ليكون أشد لنفي ذلك والفظ له^(٤) . ونظيره قوله تعالى « آ الذكزين حرم أم اللاتيين^(٥) » فأخرج اللفظ خروجه إذ كان قد ثبت تحريم في أحد أشياء . ثم أريد معرفة عين الحرم ، مع أن المراد^(٦) إنكار التحريم من أصله ، ونفي أنه يكون قد حرم شيئاً مما ذكروا أنه حرم . وهذا هو الفرق بين تقديم الاسم ، وتقديم الفعل اللاتسي ، فإن كان الفعل مشارعاً فاقول في ذلك أنك إذا قلت « أفعل كذا » لم يخل من أن يزيد الحال أو^(٧) الاستقبال ، فإن أردت الحال كان النبي شيئاً باللاتسي ، كما ذكرنا ، وإن أردت الاستقبال كان النبي إننا بدأت^(٨) بالفعل أنك تعدد إلى انكار الفعل نفسه ، وترجم أنه لا يكون ، أو أنه لا يبين أن يكون . فمثال الأول قول امرئ القيس :

(١) سورة الاحراء ، الآية ١٠ . (٢) سورة الصافات ، الآية ١٥٣ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٥٩ .

(٤) في دلائل الإعجاز ، وإبطاله . (٥) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٦) في الأصل تنكرار ، مع أن المراد ، وهي من زيادة التمايح .

(٧) في الأصل ، والاستقبال ، والتصحيح من دلائل الإعجاز ، من ٧٩ .

(٨) في الأصل ، بدت ، والتصحيح من دلائل الإعجاز .

أَيْتَلِي وَلِلشَّرْفِ مَسَاجِي وَمَسْنُونَةٌ زَرَقَ كَأَيَابِ أُنْوَالِ (١) !!

هَذَا تَكْنِيهِ مِنْ لَأَسَانٍ يَهْدِيهِ بِالْقَتْلِ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَسْلَأُ مَكْمَلُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِنُونَ » (٢) . وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْعَظْمَ « أَخْرَجَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ الْفَرَسُ بِنَفْسِكَ ؟ وَمَنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

.. أَأْتَرِكُ أَنْ قُلْتَ دِرَاهِمَ عَالِدِ (٣) زَارَتْهُ إِي إِذَا لَتَيْتُمْ ؟

فَإِنْ بَدَأْتَ بِالْأَسْمِ قُلْتَ « أَأَنْتَ تَعْمَلُ » أَوْ قُلْتَ « أَأَنْتَ تَعْمَلُ » كُنْتَ مَوْجِبًا لِلتَّكْرَارِ إِلَى نَفْسِ الْمَذْكُورِ وَأَيُّهُ أَنْ يَكُونَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَجِيءُ مِنْهُ الْقَوْلُ ، وَإِنَّمَا تَقْصُورُ عَنْهُ وَبِجِزِهِ ، مَعَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي وَسْمِهِ ، وَإِنَّمَا لَارْتِفَاعِ قَدْرِهِ ، وَعَلَى هَذِهِ . فَمِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ : أَهْوَى بِرِثَاجِ الْجَدِيلِ ، هُوَ أَهْوَى عَمَّا مِنْ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ « أَأَنْتَ تَعْمَلُ » أَوْ « أَنْتَ تَأْخُذُ عَلَيَّ بِدِي » تَعْنِي (٤) أَنَّكَ أَهْوَى مِنْ ذَلِكَ ، وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ « أَهْوَى بِسَأْلِ فَلَانًا هُوَ أَرْفَعُ قَدْرًا مِنْ ذَلِكَ » . وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْضَ الْعَنَى مِنَ الْإِسْتِفْهَامِ ، الَّتِي تَعْمُرُهُ بِالْإِنْكَارِ هُوَ تَنْبِيهُ السَّمِيعِ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَتَجَدَّلُ وَيُرَدِّعُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ مَعَ الْعَمْرِ أَوْ تُهْدِي الْعَمَى » عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَالشَّبَهِهِ ، كَقَوْلِهِمْ « أَأَنْتَ تَسْمَعُ إِلَى السَّمَاءِ » لِأَنَّ السَّمْعَ مَا لَا يَدْعِيهِ أَحَدٌ ، وَكَذَلِكَ الصَّوْدُ إِلَى السَّمَاءِ . وَمِثَالُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَجَدَكَ حَسْبَاتِي أَطْلَعُنِ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ بِشِيرِ (٥)

(١) مِنْ قَوْلِهِ لَأَمْرِي الْفَيْسُ مَطْلَعُهَا :

أَلَا أَمْرٌ سَبَّحًا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْبَاطِنُ وَعَلَى مَعْنَى مَنْ كَانَ فِي الصَّغْرِ الْخَالِي وَبَعْدَ الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ فِي الْكَلِمَةِ :
وَلَيْسَ بِدِي سَبَّحًا لَيْتَلِي بِهْ وَلَيْسَ بِدِي دَمَجٌ وَلَيْسَ بِبَسَالٍ
« رَاجِعٌ دِيوَانُ سَمِيحِ الْفَيْسِ » .

(٢) سُورَةُ « هُودِ » آيَةُ « ٢٨ » .

(٣) فِي الْأَسْمَلِ « قَلِ الْدِرَاهِمُ » وَالصَّحِيحُ مِنْ دَلَالَةِ الْأَعْيَادِ « مَرَّ » « وَبِئْسَ كَانِي السَّكَاكِلِ لِهَارَةِ بِنْتِ عَقِيلِ بِنْتِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ مِنْ آيَاتِ دَمَجٍ بِهَا خَلِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَرْثَدَةَ الشَّيْبَانِيُّ » .

(٤) فِي الْأَسْمَلِ « بَعِي » .

(٥) فِي كَامِلِ لَبْرَدٍ « ج ٢ ص ٣٣ » مِنْ طَبَقَةِ الدُّبَلَوِيِّ ، وَفِي دَلَالَةِ الْأَعْيَادِ أَنْ هَذَا الْبَيْتَ لَابْنِ أَبِي حَبِيْبَةَ

وأعلم أن حال الفعول فيها ذكرناه حال الفاعل في أن تقديم اسم الفعول يقتضي أن يكون
الانكار في طريق الإحالة والنع من أن يكون بمثابة من يقع به ذلك القفل ، فلذا قلت « أزيداً
تضرب » أنكرت أن يكون بمنزلة من يُضرباً عليه ، ولذلك قدمت « غير » في قوله تعالى « أغير
الله أتخذ ولياً » وقوله تعالى « قل أرأيكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون »
وكان لذلك من الزينة والحسن والفخامة ما يعلم أنه لو أخرت « غير » قليل « أتخذ غير
غير الله ولياً ، أو تدعون غير الله » لكان مؤدياً من المعنى ما كان يؤديه مع تقديمها ، وذلك أنه حصل
بالتقدير معنى قولك « أيتكون غير الله بمنزلة من يُضرب ولياً أو رضى عقل لنفسه أن يفعل ذلك »
و « أيتكون جهل أجهل ومعنى أعمى من ذلك » ولا يكون شيء من هذا الذي ذكرناه إلا قليل
« أتخذ غير الله ولياً » وذلك لأنه يتناول الفعل أن يكون فقط ، ولا يزيد على ذلك شيئاً ، فهذا
هو القول في الضرب الأول (1) .

وأما الضرب الثاني :

وهو أن يكون يفعل لفعل موجود ، فإن تقديم الاسم يقتضي تشبيهاً بما التضاء في الفعل
الماضي ، من الاتزان بأنه الفاعل ، أو الانكار أن يكون هو الفاعل . فقال الأول قوله تعالى
« أفأنت تكفر بالذي آمنوا بموسى » وقوله تعالى « أفأنت قلت للتانس آخوتني وأني
إلهين من دون الله » حكيم المصارع في الآية الأولى حكيم الناسي في الآية الثانية ، ومثال الثاني
قوله تعالى « ألم يتسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم » قائم ذلك . وأعلم أني قد
أطلقت عنوان الكلام في مسائل الاستفهام ليقين أن لامرية أمراراً لا يطالع على خباياها ، ولا

عبد الله بن محمد الهادي . وكان سبب قوله هذا أنه علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين الطوسي دعاه
إلى نصرته حين ظهرت الشيعة ثم بيده فوجده فقال :

أعلم أنك يا جليل مفرور
أبعت نوحدي أن استيطان
لاخلة الله لا ولا لله نور
إني بحربك ما حبيت جدير
فدع ...

« أظن خاتمة من ٥٢ من دلائل الإيجاز » .

(١) ألقى الناصح هنا الجملة الأولى من البحث التالي فلذا لم يوه « موجود » خلفاً لزماد .

يشتر قدر من إياها إلا من تغنى ببيان البلاغة طفلاً ونشأ عليها كبيراً وصغيراً ، وسلك منهج
 هذا العلم ، وفاز منه بأوفر الحظ والقسم . ولا يتسع لهذا الضرب من التأليف نطاق هذه الأوراق
 ولا يمكن أن يردع ما فيه من اللطائف ، سقطات ما حررناه من هذه الصحائف ، والتي عليه
 مدار القول ، فيما نورد ، من الجمل والفصل ، هو البحث عن أسرار البلاغة ، والإبانة عن الشيء
 التي به يشرف الكلام ، ونحصل له المزية على سواه ، فندير ذلك وقس عليه .

القسم السادس من النوع الثالث

في الاعتراض وهو شعبة من « علم البيان » تشكّر همتها

اعلم أن الجائز من هذا القسم . وغير الجائز إنما يؤخذ من كتب النحو ، فإنه يكون مستعمى
 فيها ، كالاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والوصف ، وبين اللطوف والعلوف عليه ،
 وأنباء ذلك مما يجوز استعماله ، وكالاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن واسمها ، وبين
 حرف الجر ومجروره ، وأمثال ذلك مما يقع استعماله ، وليس هذا مكانه لأن كتابنا هذا موضوع
 لمن استكمل معرفة ذلك وغيره ، مما أشرنا إليه في صدر الكتاب ، وإن ما أشرنا إليه هنا من
 الاعتراض ما يفرق المؤلف به بين الجيد منه والردي ، لا ما يعلم به الجائز ، وغير الجائز ، فاعرف
 ذلك .

واعلم أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين : أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار
 مجرى التوكيد في كلام العرب ، والآخر يأتي في الكلام لفائدة . فما جاء منه قوله تعالى « فلا
 أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو تعلمون عظيم إنه قرآن كريم في كتاب مكنون ^(١) » هنا
 كلام فيه اعتراضان ^(٢) أحدهما « وإنه قسم لو تعلمون عظيم » لأنه اعتراض بين القسم ، التي
 هو « فلا أقسم بمواقع النجوم » وبين جوابه الذي هو « إنه قرآن كريم » وفي نفس هذا
 الاعتراض اعتراض آخر ، بين الوصف الذي هو « قسم » وبين صفة التي هي « عظيم » وهو
 قوله تعالى « لو تعلمون » فذالك اعتراضان ^(٣) كما ترى ، فلو جاء الكلام ، غير معترض فيه ،

(١) سورة « الواقعة » الآية « ٧٥ » .

(٢) في الأصل « اعتراضات » ، وهي من لفظ النسخ .

لرجب أن يكون « فلا أقدم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم » ، وقائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هو تعظيم الشأن القسم به ، في نفس السامع ، ألا ترى قوله تعالى « لو تعلمون » اعتراضاً بين الوصف والصفة ، وذلك أوقع في الأنفس ، لتعظيم القسم به ، أي إنه من عظيم الشأن وتغاية الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى حقه من التسليم . وهذا مثل قولنا « إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عقله ، لقدرة حق قسمه » . قل ذلك يكبر في نفس المخاطب ، ويظم موقفه عنده ، ويبقى متطوعاً إلى معرفة عقله ، وبزاي به وهمه إلى أهل النازل وأسبق الرب . ومن هذا النحو قوله تعالى « ووسينا الإنسان بالديه حمله أمه » وهذا على وجه . وفصالة في عينه أن أشكر لي ونوالديك إليّ السير ^(١) ألا ترى إلى هذا الاعتراض الذي طين مفصل البلاغة ، فإنه لم يؤت به إلا لقائدة كبيرة ، وذلك أنه لما وصي بالوالدين ^(٢) ذكر ما تكابده الأم من الشاق والشام ، في حمل الولد وقضائه ، إيجاباً للتوصية بالولادة وتذكيراً بحقتها ، وإنما خصها بالذكر دون الوالد ، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ومن ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له « من أبتر » : أشك ثم أشك . ثم قال بعد ذلك « أبك » . ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ^(٣) قوله تعالى « والله مخرج ما كنتم تكتمون » اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، وقائده أنه يقرر في أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بهي إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن ناقصاً لهم في إخطائه وكتباته ، لأن الله مظهر لذلك ومخرج له ، ولو جاء الكلام غالباً من هذا الاعتراض لكان « وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها قلنا اضربوه ببعضها » ولا يخفى على العارف بهذه الصنعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

(١) سورة « لقمان » الآية « ١١ » .

(٢) في الأصل « ومن الوالدين » وهو من غلط النسخ .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٢ » .

ومن هذا الجنس قول التابنة :

لمعري وما معري صلي^١ بهين^٢ قد خلقت بطلاً علي الأفرع^٣

فقوله « وما معري علي^٢ بهين^١ » من محمود الاعتراض وناديه ، لا فيه من تفضيم المقسم به .
وعلي نحو هذا جاء قول كثير : -

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك لعلوا منك اللطالا

فقوله « وأنت منهم » من الاعتراض الذي يؤكد به للمنى المقصود فيزول به مزية ونيلاً
وقائده ما هنا التصريح بما هو المراد تبينه في الأنفس وتقرره في الأذهان ، وقال بعضهم لعبد الله
أين ظاهر أحسن ما قيل في هذا الباب : -

بنت التابنة وبلغتها قد أوججت صمي إلى ترجمان

وأمثال هذا كثيرة ، فاحملها .

وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام غير فائدة فهو خريان : الأول أن يكون دخوله في
التأليف كخروجه منه ، لا يؤثر حسناً ولا قبيحاً ، فن ذلك قول التابنة : -

يقول رجال يجهلون خلقتي لعل زباداً لا أبلك غافل

فقوله « لا أبلك » اعتراض لا فائدة فيه ، وليس [يؤثر]^٤ في هذا البيت حسناً ولا
قبيحاً ، ومثله قول زهير : -

سنتت تكاليف الحياة ومن بعث ثمانين حولاً لا أبلك يسأم

وكذلك قول بعض المحدثين : -

سدودكم والبيد دائبة أهدى رأسي ومفرقي شيا

فذكر الفرق بعد الرأس بما لا فائدة فيه البتة .

ومن هذا القول أو الضرب قول ابن هاني :

فلا هجة في الأرض منك منبة ولو قطرت في دين أرقط أرقم

(١) في الأصل « الأفرع » من غلط النسخ .

(٢) زيادة يفتضها السياق .

فإن قوله « أُرْطِطُ » لا حاجة إليه ولا فائدة في ذكره ، إذ لا فضل للأرطط من الخبثات على غيره ، من الأوبان ولا منزلة ، وأمثال هذا كثيرة .
وأما الضرب الثاني الذي يكون مؤثراً في الكلام تشبهاً ، وفي اللفظ فساداً ، فما جاء منه قول بعضهم :

تقدّم والشك يتبع لي عناءً يوشك فراقتهم مُسَرَّدةً يصيح
فإن [في] ^(١) هذا البيت من رديء الاعتراض ما أذكره ، وهو الفصل بين قد والفعل ، الذي هو « يتبع » وذلك قبيح لوجوب اتصال « قد » بما تدخل عليه من الأفعال ، ألا تراها تعتمد مع الفعل كالجزء منه ، ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على « قد » في قوله تعالى « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ^(٢) وفي قوله تعالى « ولقد علموا لمن اشتراه ^(٣) » .
وقول الشاعر :

وانشد أجمع رجليّ بها حفّرت الأوت وإني لفرور ؟
إلا أنه إذا فصل بين قد والفعل بالنسب فإن ذلك لا بأس به ، نحو قولك « قد والله كانت ذلك » . وقد فصل بين المبتدأ الذي هو التشك وبين الخبر الذي [هو] ^(٤) عناء بقوله « يتبع » وفصل بين الفعل الذي هو « يتبع » وبين فاعله الذي هو « سرّ » بخبر المبتدأ الذي هو « عناء » فجاء هذا البيت كما ترى ، فإن قبحه لا يخفاء به ومن هذا الجنس قول الآخر :

نظرت وشخصي مطلع الشمس ظلّته إلى التراب حتى ظلّته الشمس قد ففعل ^(٥)
أراد « نظرت مطلع الشمس » أي ساذاها ، وعلى هذا التقدير فقد فصل مطلع الشمس بين المبتدأ الذي هو « شخصي » وبين خبره الجملة وهو قوله « ظلّته إلى التراب » . وأخطأ من ذلك الفصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي . وقد تقدم ذكره ، وهذا وأمثاله مما يقصد المعاني ويؤثر بها الاختلال .

(١) زيادة التضاعف البياني (٢) سورة « الزمر » الآية « ٦٥ » .
(٣) سورة « البقرة » الآية « ١٠٢ » . (٤) زيادة التضاعف البياني .
(٥) حكينا ورد هذا البيت .

واعلم أن النثر في ذلك أكثر ملامة من النظم ، وأدغم عيباً ، وذلك أن النظم يحتاج إلى إقامة ميزان الشعر ، ويكون مجال الكلام عليه ضيقاً في بعض الأوقات ، فيلجئه طلب الوزن إلى إلقاء نفسه في مثل هذه النتائج ، وأما النثر فإنه لا يحتاج إلى إقامة الميزان الشعري للكلام ، فلاجل ذلك يتسع عليه مجال التأليف ، وينطلق عنانه فيه كيف يشاء ؛ ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراض^(١) يفصده توجه عليه الانتكاز ، وحق عليه الغضب^(٢) واللامم أكثر مما يتوجه على النظم .

النوع الرابع في الإيجاز

وهو حذف زوائد الكلام

هذا نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجأ إلا فرسان البلاغة ومن ضرب فيها بالفتح العسل ، وذلك لعل منزلة ، وبعد مثاله ، والدليل على ذلك أنه أقل أنواع التأليف استعمالاً بين أرباب هذه الصناعة .

واعلم أن العرب اعتنوا بهسناً الضرب من الكلام اعتناء زائماً ومما يدلنا على إقرار القوم قوة إيجازهم وحذف فواصل كلامهم ما جلوا به من الأسماء المستقيم بها والأسماء للشروط بيضاء ، فأنهم استغنوا بالحرف الواحد من الكلام الكبير ، للتناهي في العلو ، فمن ذلك قولهم « كم مالك » ألا ترى أنه قد أفنك هذا عن قولك « عشرة مالك أم مشرون أم ثلاثون أم مائة أم ألف ؟ » فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ إلى ذلك أبداً ، لأنه غير متناه ، فلما قلت « كم أفنك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الألفاظ التي لا يحاط بها ، وكذلك قولك « أين منزلك » فإن لفظة « أين » تفنك من ذكر الأماكن كلها وكذلك « من عندك » فقد أفنك هذه اللفظة عن ذكر الناس كافة . وأما الشرط ففي قولهم « من يقوم أقم معه » كناية^(٣) عن

(١) في الأصل « اعتراضاً » ولا وجه له والله من خطأ النسخ .

(٢) في الأصل « كضب » وهو من سبق فم السبخ .

(٣) في الأصل « كناية » والصواب ما ذكرناه .

ذكر جميع الناس أيضاً ، ولولا ذلك لاحتجبت أن نقول « إن يتم زيد أو عمرو أو جعفر أو نحو ذلك » ثم تقف حصيماً مبهوراً ، ولم نجد إلى غيرتك سبيلاً ، وكذلك بقية أسماء العموم في غير الإيجاب نحو « أحد ودتهو وغيرها » فإذا قلت « هل عندك أحد » أخطاك ذلك عن أن تقول « هل عندك زيد أو عمرو أو جعفر » فتطيل ثم تقصر بإتصار السكايل المتقطع . وهذا وغيره أظهر أمراً ، وأبدي صلحة وعنواناً ، لجميع ما ذكرناه هاهنا شاهد بانتصاب هم القوم إلى اختصار كلامهم وإيجاز لغتهم .

واعلم أن جملة من أبواب هذه الصناعة أجموا على أن الكلام ينقسم قسمين : فته ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتعليقات السلطانية ، وكتب الفتوح التي تقرأ في ملا من عوالم الناس ؛ فان الكلام إذا حال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والاشارة لم يقع لأكثرهم حتى يشال في ذكر الحرب « تطامن الفريقان وتقاتلا ، واشتد الصاع وحسي القراع » . وما جرى ههنا الجري ، والمذهب الفضل في ههنا الباب ما أذكره لك وهو أن فهم العامة من الناس ليس شرحاً معتبراً في اختياره ، لأن ذلك لو كان شرطاً لوجب قياسه أن يستعمل في الكلام الألفاظ الدامية البتة عندهم ، التي قد تداولها بينهم حتى يكون ذلك أقرب إلى فهمهم وأسول مأخذاً ومشاوفاً . لأن العلة في اختيار تطويل الكلام إذا كان فهم العامة له وسرقتهم به ، فكذلك يعمل نحن تلك العلة بعينها في اختيار البتة في الكلام ، لأنه لاخلاف في أن العامة إلى فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتذالهم له ، وتداولهم إياه . وهذا شيء مدفوع لا يجوز استعماله أبشدة . وإنما التي يجب على مؤلف الكلام اعتمادها هو أن يسلك الذهب القويم ، ويجهد أن لا يزيد ألفاظه على معانيه مع الاضاح^(١) لها والابانة فيها ، فانه إذا فعل ذلك خرج من عبدة للامة ، وليس عليه أن يفهم العامة كلامه فان نور الشمس اذا لم يره الأعمى [لا]^(٢) يسكون ذلك تأساً في استنارته ، وإنما التقص في بصر الأعمى حيث لا يستطيع النظر إليه قال الشاعر :

(١) في الأصل « الاضاح » وهو من خط التامخ . والتصحيح من لثل السائر ج ٢ من ٢٧٤ .

(٢) زيادة من لثل السائر .

على "نحت" المعاني من معادنها وما على "بأن لا تفهم البقر" (١)

وحيث انتهي بنا القول الى هذا الوضع ، فنلجج الى ما هو فرضنا ومهمنا ، من الكلام على الایجاز وحداه وأقسامه . ولنوضح ذلك إيشاماً جلياً ، فنقول : اعلم أن حد الایجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من أقرب طرقه ، وهو ينقسم قسمين : أحدهما الایجاز بالمخفف وهو ما ي حذف منه الفرد والجملة ، دلالة (٢) لطوى الكلام على المختوف ، ولا يكون إلا فيما (٣) زاد معناه على لفظه . وأما القسم الآخر فهو ما لا ي حذف منه شيء ، بل يترك على حاله ، وهو ضربان : أحدهما ما ساوى لفظه معناه ، ويسمى التقدير ، والآخر ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى القصر ، فأما القسم الأول ، وهو الایجاز بالمخفف ، وذلك باب دقيق السلك ، لطيف المأخذ ، هيب الامر ، شبه بالسحر ، فإنت ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصدمة عن الافادة أزيد للافادة ، وتجددك أطلق ما تكون إذا لم تعلق ، وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تُبين ، وهذه جملة تذكرها حتى تحير ، وتدفعها حتى تنظر (٤) ، وهذا القسم يشتمل على أربعة عشر باباً : الأول الاكتفاء بالسبب عن السبب ، وبالسبب عن السبب ، وهو ضرب من الكلام ، تتكاثر عمارته ، وتزايد لطافته . فأما الاكتفاء بالسبب عن السبب فتكمله تعالى « وما كنت بجانب القبري » إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قروناً فتناول عليهم العُسر (٥) « كأنه قال « وما كنت شاهداً لموسى وما جرى له وعليه ، ولكنا أوجيناه اليك » فذكر سبب التوسى على عادة اختصارات القرآن الكريم ، لأن تقدير الكلام « ولكنا أنشأنا

(١) هذا البيت من قصيدة البحري يشرح بها علياً الأرمي مطلعها :

في السبب زهير له لو كان ينزهر
والسبع منه لولا أنه حير
وله روى البيت في المديان :

على نحت القولي من مقلطها
وما على لم أن تقسم البقر
• المديان ج ٢ ص ١٢ •

(٢) في الأصل « الفاعل » والتصحيح من لئل السائر • ج ٢ ص ٧٨ •

(٣) في الأصل « ما » والتصحيح من لئل السائر .

(٤) راجع دلائل الایجاز • ص ٩٥ •

(٥) سورة القصص • الآية • ٤٤ •

بعد الوحي فاندفعت العلوم ، فوجب إرسالك اللهم ، فأرسلناك وعرفناك العلم بقدمه من الأنبياء ، وقصة موسى - عليهم السلام - . « وأما الاكتفاء بالسبب عن السبب فكقوله تعالى « فإنا قرأت القرآن فاستعز بالله من الشيطان الرجيم » تأويله ، والله أعلم ، إذا أردت قراءة القرآن فككتف^(١) بالسبب الذي هو « القراءة » عن السبب الذي هو « الأرادة » وهذا أول من تأول من ذهب إلى أنه أراد « قد اعوذت قارأ » لأن في ذلك قليلاً لازمة بله إليه . وأيضاً فإنه ليس كل مستعيز بالله واجبة عليه القراءة ؛ ومن ذلك قوله تعالى « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانجرت منه^(٢) ... » فككتفي بالسبب الذي هو « الاضجار » عن السبب الذي هو « الضرب » وكذلك قوله تعالى « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » أي أنا أردتم القيام إليها . وأعلم أنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو سبب وهو بعبته سبب ، كقوله تعالى « فلا تبسبئوا بها من الذين آمنوا بها واتبع هواه فتردى » ألا ترى أن العبارة لئبي من لا يؤمن عن صد موسى ، والغصوة لئبي موسى عن متابعة الضالين له عن التصديق بالبعث ، فقد صلحت العبارة إذا لاداه هذين المصين ، وذلك أن صد الكفار عن التصديق بالبعث سبب التكذيب ، فذكر السبب ليدل به على السبب ، وكأنه قال « لا تكذب بالبعث » وأيضاً فإن صد الكفار بسبب عن دخولة الرجل في الدين ، ولين شكيبته ، فذكر السبب ليدل به على^(٣) السبب كأنه قال « كفى شديد الشكيبية ولا تكن دخواً حتى لا يلوح منك لن يكفر بالبعث أن يلوح في صدك عما أنت عليه » . وهذا كقولهم « لا أربسبئك هنا » المراد نبيه عن مشاهدته والكون بمحضته ، وذلك سبب رؤيته إياه ، فكان ذكر السبب دليلاً على السبب ، وهذا من أطرف ما يرد في إياه لأهرفه .

الضرب الثاني من القسم الأول

من النوع الرابع

وهو الأضمار على شريطة التفسير ، وذلك حذف الجملة من الكلام إذا كان ما بعدها يدل

(١) في الأصل « فاككتفي » وهو من غلط التلخيص .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٠ . - (٣) في الأصل « عن » .

عليها ، وفيها من دقيق الصفة ، وجليل الفائدة ، عا لا غفاه ، « فأ جاء منه قوله تعالى :
 « أفئن شرح الله صدره الإسلام فهو على نور من ربه فويل للناسية لظوبهم من ذكر الله أولئك
 في ضلال مبين ^(١) » . تقدير الآية « أفئن شرح الله صدره للإسلام كمن ألقى قلبه » وبدل
 على المحذوف قوله « فويل للناسية لظوبهم من ذكر الله » . ومن ذلك قوله تعالى : « لا يستوي
 منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا » .
 تقديره « لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعده » . وبدل على المحذوف « أولئك
 أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا » . ومن هذا الضرب حذف العطف كقوله تعالى
 حكاية عن مريم عليها السلام : « قالت أنى يكفون لى غلام ولم يحسنه لى بشر ولم أك نبيا
 قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجدنه آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضيا ^(٢) » .
 « ولنجدنه » تعليل معللة محذوف أي وإنما فعلنا ذلك لنجدنه آية للناس ، وبين به أثر قدرتنا
 الباهرة . ومن الأضمار على شريطة التفسير حذف القول الوارد بعد الشبهة والآراء كقوله تعالى :
 « ولو شاء الله لذهب بسمهم وأبصارهم ^(٣) » . فقول شاء هاهنا محذوف وتقديره : ولو شاء الله
 أن يذهب بسمهم وأبصارهم ^(٤) لذهب بها ، وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى : « ولو شاء الله
 لجمعهم على الهدى » . الآية . ومن هذا الضرب قول البحري : -

لو شئت لم تقصد سماعة حاتم كرمًا ولم تهديم مآثر عله ^(٥)

فالأصل في ذلك « لو شئت أن لا تقصد سماعة حاتم لم تقصدوها » حذف ذلك من الأول استغناء
 بدلالته عليه في الثاني ، فان الواجب في حكم البلاغة أن لا تنطق ^(٦) بالمحذوف ، ولا تظهره إلى
 اللفظ ، ولو أظهرته أسررت ^(٧) إلى كلام من وجهي الشبهة بعد لو وبعد حروف الجزاء حكما

(١) سورة « مريم » الآية « ٢٠ » . (٢) سورة « مريم » الآية « ٢١ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٠ » . (٤) المقدمة من اللؤلؤ السائر « ج ٢ ص ٧٨ » .

(٥) من كلمة البحري يذهب بها المضرب بن أحمد التلمي وأولها قوله :

بها لطيف خالك للتعريف ولو صدقت الضراب للرباع

(٦) في الأصل « يمتلئ » وهو من غلط النسخ ، والتصحيح من اللؤلؤ السائر « ج ٢ ص ٩٨ » .

(٧) في الأصل « لضرب » والتصحيح من اللؤلؤ « ج ٢ ص ٩٨ » .

موقوفة غير معداة الى شيء ، ككثير شائع بين البلاء ، ولقد شككنا هذا الحذف في « شاء وأراد » حتى إنهم لا يكادون يميزون المفعول إلا في الشيء ، المستغرب نحو قوله تعالى : « لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصبحن مما يحلقن ما يشاء »^(١) الآية . وعلى هذا الأسلوب جاء قول الشاعر :

ولو شئت أن أكني دماً فكبتسه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع^(٢)

فإن كان على حذف قوله تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى »^(٣) لوجب أن يقول : لو شئت لكبت دماً ، ولكن ساحة الصبر أوسع ، ولكنه ترك تلك الطريقة ، وعدل عنها الى حذفه ، لأنه أليق في هذا الكلام خصوصاً وسبب حسنة أنه كان بدءاً محبباً ، أن يشاء الانسان أن يبكي دماً ، فلما كان مفعول الشبهة أمراً عظيماً ، وبدءاً قريباً كان الأحسن أن يفصّر ولا يضمر . فأهرف ذلك .

القصر الثالث من القسم الأول

من النوع الرابع وهو حذف الفعل وجوابه

فأما حذف الفعل : فكقولته تعالى : « ووعدنا الانسان بوالديه » حتى « وإن جهنك على أن تشرك بي بما ليس لك به علم . فلا تطعها ... »^(٤) « ومن هذا الباب قوله تعالى : « وَكَفَىٰ رَبُّكَ

(١) سورة « الزمر » الآية « ٤٤ » .

(٢) هذا البيت للخرماني وقد أورده التبريزي في شرح الحماسة « ج ٢ من ١٠٥٣ » من طبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، والخرماني هو أبو بطوب اسحاق بن حسان ، وكان مولد ابن خريم بن عمرو العامري لقب اليه ، وهو من شعراء القرن الثاني للهجرة « راجع الشعر والشعراء لابن تيمية ٥٤٣/٣ من طبعة لندن سنة ١٩٠٢ » وقيل هذا البيت في شرح ديوان الحماسة :

وإني وإن أظهرت صبراً وحشية وصصاعت أعدائي عليك نوع

وياء في حاشية للشاعر « ج ٢ من ٩٩ » أن البيت للخرماني (كما) من مصرية يرتي بها أبا القينام (بن حمارة بن خريم) أوطأ :

فكس وطراً منك الحبيب للودع وحل الذي لا يستطاع فبدع

وأظن الأمازيج ١٤ من ١١٣ طبعة ساسي .

(٣) سورة الأنعام « الآية « ٣٥ » .

(٤) سورة ٣٩ آية ٦٥ . وقد جاء في « لئال السائر » بعد هذه الآية السكرية : « قوله : (وإن جهنك) لا بد له من اختيار القول : أي ، وكذا له : إن جهنك على أن تشرك بي بما ليس لك به علم فلا تطعها » ج ٢ من ٩٥ .

ألا تبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً^(١) . وكذلك قوله ، عزّ اسمه : « وأتوا نوحاً قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فتيتكم به » الى قوله « .. ولم ترتب قول^(٢) » ألا ترى كيف حذف الفعل في هذا الوضع متكرراً فإن تقديره : فلما رجع موسى إليهم ، وراهم على تلك الحالة من عبادة العجل ، قال لأخيه : « ياهرون ما منك إذ رأيتمهم ضلوا ... »^(٣) الآية ، وأخذ يلحظه ورأسه ، إنكاراً عليه وغضباً . قال له هارون : « وأين أمّ لا تأخذ بطبعي ولا برأسي » الآية . ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شئئين ، وهو لأحدهما ، كقوله تعالى : « فأجبروا أمركم وشركاءكم^(٤) » فوقع الفعل من « أجبروا » على أمركم وشركاءكم ، وهو « لا أمركم » وحده . وإنا المراد : أجبروا أمركم ، وأجبروا شركاءكم ، لأن معنى « أجبروا » : من أجمع الأمر ، إذا نواه وعزم عليه . وقد قرأ ابن^(٥) : « فأجبروا أمركم وأجبروا شركاءكم » وهذا دليل على ما أشرنا إليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن مسعود فأعرف ذلك .

ومن حذف الفعل بابٌ يسمى : « اقلمة المصدر مقام الفعل » .

وهو باب الغيبة المأخوذ ، وإنا بفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد ، كقوله تعالى : « فإذا القيم الذين كفروا فضرب الرقاب^(٦) » . قوله : « فضرب الرقاب » وأصله : فاضربوا الأعداء^(٧) ضرباً ، فحذف الفعل ، وأقيم المصدر مقامه ، وفي ذلك اختصار مع إعطاء (مبنى) التوكيد المصدرى ، فاعرفه .

(١) سورة ١٧ آية ٢٣ . (٢) سورة ٥٠ آية ٩٠ .

(٣) سورة ٢٠ آية ٩٢ . وكذلك الآية : « ... لا تبع ، أصبغت أمري ، قال يا ابن أم لا تأخذ بطبعي ... » .

(٤) سورة ١٠ الآية ٢٤ .

(٥) أبي بن كعب : صحابي أنصاري من بني النجار من المزدج قرأ القرآن على النبي - من - وقرأ عليه النبي - من - بعض القرآن بالترشاد والتعليم ، وكان سيد الفراء ، وكان يكتب ويقرأ ، ولا أسلم كان من كتاب الوحي ، غاية النهاية في طبقات الفراء لشمس الدين ابن الجزري ج ١ ص ٣٩ ، وقاموس الأنعام ، لردكلي ج ١ ص ٢٨ .

(٦) السورة ٤ والآية ٥٧ .

(٧) في لسان السائر : فاضربوا الرقاب ضرباً ، والرقاب هنا أهد مناسية ، ج ٢ ص ٩٥ .

(٨) زيادة من لسان السائر ج ٢ ص ٩٥ .

وأما حذف جواب الفعل ، فإنه يسكون في (١) الأمر كقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً » (٢) .. « إلى قوله : « ... تدبيراً » ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية ؛ فإن تدبيره : قلنا : اذهب إلى قوم الذين كذبوا بآياتنا ، فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً ، فذكر حاشيتي القصة : أولها وآخرها ، لأنها التصور من القصة بطولها ؛ يعني إتمام الحاجة بصفة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « قلوا يا أيها ملك لا تأتينا على يوسف ... » (٣) إلى قوله « ... وهم لا يشعرون » . اعلم أن في جواب الأمر من هذا الكلام محذوفاً تدبيره « فأرسله معهم » ، ويدانسا على ذلك ما جاء به بيده من قوله تعالى : (فلما ذهبوا به . كما حذف أيضاً في قوله عز وجل (٤) : « وقال الذي نجا منها وأذكره بعد أمه » (٥) .. « إلى قوله « ... يقرآن صحف » . الآية .

جواب الأمر في هذا الوضع محذوف وتدبيره . « فأرسلوه إلى يوسف فأنه فقال له : « يوسف أيها الصديق (٦) » . وكذلك قوله تعالى : « وقال الملك أشوفني به فلما جاءه الرسول ... » (٧) إلى قوله : « ... كيد الخائنين » . ففي هذا الكلام حذف واستسار استغني عنه بدلالة الحال عليه (٨) ، وتدبيره « فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف ، فدنا الملك بالنسوة وقال لمن ما خطبككن » ...

(١) في اللسان السائر : « قاله لا يكون في الأمر المحذوف ... » ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ٣٥ . وسلكة الآية : « ... قلنا اذهب إلى قوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ... » .

(٣) وسلكة الآية « ... وإنا له ناصعون ، أرسله معنا عدداً يرتع ويذب وإنا له شافطون ، قال النبي

يعزني إن ذهبوا به وأدعيت أن يأكله الذئب وإنم عنه خائفون ، قالوا لئن أسلمه الذئب ونحن عصبة إلا لئلا

لمسرون ، فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يملوه في قبالة الجب وأوحينا إليه لنقتلهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون . »

(٤) تبيان آياته من لسان السائر ، ج ٢ ص ٩٦ . من الطيبة للذكورة .

(٥) سورة يوسف ، آية ٤٥ . - (٦) سورة يوسف ، آية ١٦ .

(٧) سورة يوسف ، آية ٤٥ .

(٨) أراد بالحذف المحذوف ، فأما التدمير إليه ، ولو لا ذلك لصح تدبيره .

فانظر أيها القائل الى هذه الحذوفات ، التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ، ودلالة الحال عليه . وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون الحذوف (١١) فاعرفها .

الضرب الخامس (١٢) من القسم الأول

من النوع الرابع

وهو حذف الضاف والضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر (١٣) وذلك باب طويل عربى سائغ (١٤) . في كلام العرب . وإن كان أبو الحسن (١٥) الأخص لا يرى القياس عليه ، فأما حذف للضاف فكقولُه تعالى : « حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ... » (١٦) [حذف الضاف إلى أجوج ومأجوج (١٧)] وهو سدأها ، كما حذف للضاف الى القرية في قوله تعالى : « وأسأل القرية (١٨) » أي أهل القرية . ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ولكن البر من اتقى (١٩) » أي بر من اتقى ، وإن شئت كل تصغيره « ولكن ذا البر من اتقى » والأول أجود ، لأن حذف الضاف ضرب من الاتساع ، والتأخر أولى بذلك من البتء ، لأن الاتساع بحذف الابهام أول منه بحذف المصدر . وقد حذف الضاف مكرراً نحو قوله تعالى : « فبقت قبضة من أثر الرسول » (٢٠) أي من أثر حافر فرس الرسول . وهذا الضرب أكثر اتساعاً من غيره . وأما حذف للضاف إليه (فانه قليل الاستعمال ؛ لما جاء منه قوله تعالى) (٢١) : « لله الأصم من قبل ومن بعد » (٢٢) أي من قبل ذلك ومن بعده .

(١) الحذوف : جمع حذف .

(٢) الضرب الرابع ربما كان سابقاً من نسخ الكتاب ، وهو في لئل السائر « حذف للبول » . أنظره في ج ٢ من ٩٧ من « لئل السائر » طبعة عمده عن الشيخ عبد الحميد سنة ١٩٣٩ مطبوعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .

(٣) لئل السائر ج ٢ من ٩٩ .

(٤) أنظر حاشية ص ٩٩ من هذا الكتاب .

(٥) زياد من لئل السائر ج ٢ من ٩٩ .

(٦) سورة البقرة (١٨٩) .

(٧) زيادة في لئل السائر ج ٢ من ١٠٠ .

(٨) الروم (٤) .

الضرب السادس من القسم الأول

من النوع الرابع

وهو حذف الـ و سوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر . وأكثر ذلك يجيء في الشعر ، وإقامات كثيرة في الشعر دون الكلام النثوي ؛ لأنَّ القياس يكاد يحظره ؛ وذلك لأنَّ الصفة تأتي في الكلام على ضربين : إما للتأكيد والتخصيص وإما للمدح والتم ، وكلاهما من مقدمات الإسهاب والتعويل ، لا من مقامات الإيجاز والاختصار . وإذا كان الأمر كذلك لم يبق الخذف به . هذا مع ما يضاف إلى ذلك من الاتنباس وعند البيان ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : « صمدت بطويل ^(١) » لم يبين من ظاهر هذا اللفظ المرور به ؛ إنسان هو أم دمع أم توب أم غير ذلك . وإذا كان الأمر كذلك لحذف الـ و سوف إنما هو شيء ، فلم الدليل عليه أو شهدت به الحال . وكذا أستبهم الـ و سوف كان حذفه غير لائق .

ومما يؤكد عندك ضعف حذف الـ و سوف أنك تجد ^(٢) من الصفات ما لا يمكن حذف الـ و سوفه ؛ وذلك أن تكون الصفة جملة نحو : « صمدت برجيل قام أبوه ، وانبت (غلاماً ^(٣)) وجهه حسن » ألا تراك لو قلت : صمدت قام أبوه ولتبت وجهه حسن لم يجز .

وأعلم أنه قد أقيمت الصفة الشبيهة ^(٤) بالجملة مقام الـ و سوف البشأ في قوله تعالى : « وإنا رمنا السالمون ومنا دون ذلك » . (أي قوم دون ذلك ^(٥)) فأما حذف الصفة وإقامة الـ و سوف مقامها فإنه لا يكون إلا فيما زالت الحال عليه ؛ فن ذلك ما حكاه صاحب الكتاب ^(٦) من قولهم : « سير عليه ليل » وم يردون : ليل طويل . وإنا حذفت الصفة في هذا

(١) في الأصل « صمدت بطويل » والمصحح من لئل السائر « ج ٢ من ١٠٦ » .

(٢) في الأصل « تعنف » والمصحح من لئل أيضاً « ج ٢ من ١٠٢ » .

(٣) زيادة من لئل السائر « ج ٢ من ١٠٢ » .

(٤) زيادة من لئل السائر المتضاعف البيان « ج ٢ من ١٠٢ » .

(٥) الشكلة من لئل السائر « ج ٢ من ١٠٢ » .

(٦) يعني بصاحب الكتاب « سيويه » وقد دله هو أيضاً في لئل السائر « ج ٢ من ١٠٢ » .

وأظهر حاشية من ٢٥ من هذا الكتاب .

للموضوع لما دلّ من الخال على موضوعها ، وذلك أنه يحسن في كلام أئمة (١) لذلك من التصريح والتفويض والتعظيم بما يقوم مقام قوله : « طويل » أو نحو ذلك . وأنت تحس (٢) هنا من نفسك إذا تأملت ؛ وهو أن يكون في مدح إنسان والثناء عليه (فتأول : « كان (٣) ») والله رجلاً « فزيد في قوة اللفظ بله في هذه الجهة وتمكن في معنى اللام وإضافة الصوت بها ؛ أي رجلاً فضلاً ، أو شجاعاً ، أو كريماً ، أو ما جرى هذا الجرى من الصفات ، وكذلك تقول : « سألتك فرجيداً » (٤) (إنساناً) أي (إنساناً صحيحاً أو جواداً أو ما أشبهه » . وتمكن الصوت « إنساناً » ونحوه ، وتستغني عن وصفه بقوله : « إنساناً صحيحاً أو جواداً أو ما أشبهه » فعلى هذا أو نحوه تحذف الصفة ، فلما إن عجزت من الدلالة عليها من اللفظ والحال فإن حذفها لا يجوز . ألا تراك لو قلت : « ورأينا البصرة فاجترنا بالأبنة (٥) على رجل » أو « رأينا إنساناً » ثم سكت لم يند ذلك شيئاً ؛ لأن هذا ونحوه مما لا يحقر ذلك المكان منه ، وإنما المقصود أن تصف من ذكرت وما ذكرت ، فإن لم تفعل فقد كلفت عظم ما لم تعدل عليه ، وهذا النوع من الحديث وجوز في التكليف .

ومن حذف الصفة ما روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لرجل للجد إلا في المسجد » أي لا صلاة كاملة أو قسمة أو نحو ذلك . فعرفت ما أشرنا إليه وتعبيره فإنه ضرب من الكلام رقيق وغور من العربية صحيح (٦) .

(١) في الأصل « كذا » ، والتصحيح من لفظ السائر « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٢) في الأصل « تحسن » ، وهي من سبق لم الضام ، والتصحيح من لفظ السائر « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٣) زيادة من لفظ السائر . « ج ٢ ص ١٠٣ » .

(٤) زيادة من لفظ السائر . « ج ٢ ص ١٠٣ » .

(٥) زيادة من لفظ السائر .

(٦) الأبنة : بضم أول وتانيه وتشديد اللام ونحوها . وهي بلدة كانت على غسائر ، حيلة قريبة من البصرة ، وهي أهم منها . قال الأصمعي جنته الدنيا ثلاث : فولة دمشق ، ونهر بلخ ونهر الأبنة . وقد نسب إليها جماعة من رواة الفقه ، أشهرهم الأول من كتاب « صحيح البلدان ليهيوت الحموي » وكانت قرب أبي القاسم البلخي الخالفة ، ونهرها هو نهر المورة الخالي .

(٧) يستحبك على الوفاء في هذا الباب أن حذف الموصوف لذي باب القبول لفظي جاز دائماً نحو « أكرم مؤيلاً وسكر كثيراً » .

التضرب السابع من القسم الأول من النسخ الرابع

وهو حذف الشرط وجوابه

فأما حذف الشرط فهو قوله تعالى : « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة » فيأبى فاعيدون ^(١) . ألا ترى أن الفاء في قوله : فاعيدون ، « جواب شرط محذوف : لأن المعنى : أن أرضي واسعة ، فإن لم تخلصوا لي العباد في أرضي فأخلصوها في غيرها ، ثم حذف الشرط ، وعموض من حذفه تقديم الفعل مع إرادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً ، أو به أذى من رأسه فدية » ^(٢) أي فضئق قلبه فدية ، وكذلك قوله : « الناس مجزون بإهمالهم إن خيراً نظيراً ، وإن شراً فشرّاً » أي (إن) ^(٣) فعل الرء خيراً جزياً خيراً ، وإن فعل شرّاً جزياً شراً . ومن حذف الشرط قوله تعالى : « ويرم قوم الساعة يقسم الجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم ^(٤) والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ، فما يوم البعث ولكم فيكم كنتم لا تعلمون » ^(٥) . اعلم أن هذه الفاء في قوله تعالى « فهذا يوم البعث » هي الفاء التي في قول الشاعر :

..... فقد جثا خراسانا ^(٦)

(١) سورة « العنكبوت » الآية « ٥٦ » (٢) سورة « البقرة » الآية « ١٩٦ »

(٣) زيادة من التلي السائر « ج ٢ ص ١٠٤ » .

(٤) في الأصل « السكتاب » وهو من تحريف السخا .

(٥) سورة « الروم » الآية « ٥٥ ، ٥٦ » .

(٦) في الأصل « فقد جثم » والصحيح ما أتيته فلا من كتابه « نلائق الامجاد » لغيرجاني ص ٧٦ طبعة دار سنة ١٣٦٧ وقد تبيه الجرجاني لى العباس بن الأحنف وهو :

قالوا خراسان أخص ما يراد بها ثم القول . فقد جثا خراسانا
وبعد في الديوان :

من يكون الذي أرجو وآله لما لبي كنت أفتاه فقد كانا

وهذه الأبيات قالها ابن الأحنف لما خرج مع الرشيد لى خراسان انظر ص ٢٤٠ من شرح فتاوى العباس بن الأحنف « تحقيق الاستاذ عبد الحميد كلاً ، طبعة تهران الأعظم سنة ١٩١٤ » .

وحقيقتها أنها^(٤١) جواب شرط محذوف بدل عليه الكلام ، كأنه قال : « إن صح ما قلتم أن خراسان أقصى ما يراى بنا ، فقد جئنا خراسانَ وأن لنا أن نخلص » . وكذلك هذه الآية يقول تعالى : « إن كنتم متكررين البعث فهذا يوم البعث » أي قد تبين بطلان قولكم . وأمثال ذلك كثيرة ، فاهرمه .

وأما حذف جواب الشرط ، فمكتوبه تعالى : « قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهدكم من بني إسرائيل على منته^(٤٢) ... » إل قوله : « ... الظالمين » . غلب جواب الشرط هاهنا محذوف تقديره : « إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، ألسنم ظالمين . وبدل على هذا المحذوف قوله تعالى : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » وأمثال هذا كثيرة ، وهو ضرب من علم البيان ، تنوفاً لطائفه ، فاهرمه .

الضرب الثامن من القسم المؤول من التورع الرابع

في حذف القسم وجوابه

وأما حذف القسم ، فنحو قوله : « لَأَفْعَلَنَّ^(٤٣) » أو غير ذلك من الأقسام^(٤٤) المحذوف بها . وأما حذف جوابه ، فمكتوبه تعالى : « وَالْمَجَسَّرَ لِيَالٍ عَشْرَ^(٤٥) » إل قوله « .. مثلها في البلاد » . فإن جواب القسم هاهنا محذوف ، تقديره : « لعظمين ، أو نحوه . وبدل على ذلك ما بعده من قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَسَلَ رَيْثُكَ بِعَادٍ ... »^(٤٦) إل قوله : « سَوَاءٌ

(١) في الأصل « أن » والصحيح من لسان العرب « ج » من « أن » .

(٢) سورة الاحزاب « آية » ١٠ . ونكته الآية : « ولكن واستكبرتم » إن الله لا يهدي القوم الظالمين ... »

(٣) الأقسام هاهنا = جمع القسم بمعنى المنف .

(٤) سورة « القصص » الآية الأولى ، ونكته الآية : « ... والشع والوتر ، والليل إذا يسر » هل في ذلك قسم لدي جبر . ألم تر كيف فعل ربك بعاد لرم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد » الآية من ١ - ٥ .

(٥) سورة « القصص » آية ٦ . ونكته الآية : « ... لرم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد ونحوه الذين جاؤوا الصخر بالواد وفرغون ذي الأولاد الذين خلقوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوطاً مذاهب » الآية من ٦ - ١٣ .

« غياب » . ومن هذا النحو قوله تعالى : « ق » ، والقرآن المجيد «^(١) ... » إلى قوله : « غيب » . قل معناه : والقرآن المجيد لثُبُوتُنَّ ، والشاهد على ذلك ما جاء بعده ، من ذكر البعث في قوله : أَلَمْ نُنشَأْكُمْ وَكُنَّا تُرَاباً ، ذلك رجع بيده «^(٢) . وقد ورد هذا الجنس في القرآن كثيراً .

الضرب التاسع من القسم المؤول من النوع الرابع

في حذف « لو » وجوابها

وهو من أبلغ ضروب الإيجاز وأحسنها ، فأما حذف « لو » فكقوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذا ذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ولعلنا بعضهم على بعضٍ »^(٣) . وأما حذف جوابها (فكقوله تعالى)^(٤) : « ولو ترى إذ أقروا فلا قوتَ وأخذوا من مكان قريبٍ »^(٥) . قل جواب « لو » ههنا محذوف وتقديره « رأيتُ^(٦) أمراً عظيماً ، وحالاً هائلةً » أو غير ذلك مما جرى هذا الجرى .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أو يعلم .. »^(٧) إلى قوله « ولأنهم ينصرون » . تقديره : لو يعلمون الوقت الذي يستعملونه ! وهو وقت سعب ، شديد ، محيط بهم ، فيه النار من وراءهم وقدامهم ، فلا يقدرُونَ على دفعها عن أنفسهم ، ولا يجسدون ناصراً ينصرهم ، لما كانوا بتلك الصفة ، من الكفر والاستهزاء والاستعجال ،

(١) سورة « ق » ونكتة الآية : « بل عجبوا أن جاءهم نذير منهم فقال السكفورون ههنا شيء عجيب » .

(٢) سورة « ق » آية ٣ .

(٣) سورة « الزمزم » آية ٦١ ، وزاد في مثل السطر « تقدير ذلك : إذا لو كان معه آفة ذهب كلُّ إله بما خلق » ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤) زيادة التضاعف الأضاح . (٥) سورة « سبأ » آية ٥٦ .

(٦) في الأصل « لو رأيت » والتصحيح من مثل السطر « ج ٢ ص ١٠٧ » .

(٧) سورة « الأنبياء » آية ٣٨ ونكتة الآية « لو يعلم الذين كفروا ، حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون » .

ولكن جهلهم به هو الذي هوته عليهم .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « لو أنه لي بكم قوة أو آوى الي دكن شديد^(١) » جواب
« لو » في هذا الموضع محذوف ، كما حذف في قوله تعالى : « ولو أن قرآناً سئرت به الجبال^(٢) »
أي لو أن لي بكم قوة لغضتكم أو ملحتكم ، أو ما أشبهه . وكذلك (قوله تعالى) : « ولو أن
قرآناً سئرت به الجبال » أي : لكان هذا القرآن .

الضرب العاشر من القسم المؤول من النوع السابع

في حذف جواب « لآ » وجواب « أمأ » وجواب « إنا »

فلما جواب « لا » فكقوله تعالى « فلما أسأنا وتكف لهجين ، ونادىنا أن يا إبراهيم قد
سدقت الرؤيا . إنا كذلك نجزي المحسنين^(٣) » فلما جواب « لا » ها هنا محذوف وتقديره
« فلما أسأنا وتكف لهجين ونادىنا أن يا إبراهيم قد سدقت الرؤيا كان ما كان مما^(٤) تنطق به
الحال ، ولا يحيط به الوصف ، من استبشارها واقتباطها ، وشكرها على ما أتمم به عليها ، من
دفع البلاء العظيم ، بعد حذوفه ، وما أشبه ذلك مما اكتسبناه بهذه المحصة ، من عظام الوصف ،
دنيا وآخرة . وقوله « إنا كذلك نجزي المحسنين » . تعليل^(٥) ما تخولها من الفرح والسرور
بعد تلك الشدة العظيمة .

وأما حذف جواب « أمأ » فتجد قوله تعالى : « فلما الذين اسودت وجوههم أنكفرتهم
بعد إيمانكم^(٦) » .

وأما حذف جواب « إنا » فتأله قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما

(١) سورة « هود » الآية « ٥٠ » .

(٢) سورة « الزمد » الآية « ٣٦ » وتكلم الآية « ... أو خلعت به الأرض أو سمم به الرقي . »

(٣) سورة « الصافات » الآية « ٦٠٣ » .

(٤) في الأصل « مما يظنون به » والتصحيح من لئال السائر ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٥) في لئال السائر « تعليل لتعويل ما تخولها ... » ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٦) سورة « آل عمران » الآية « ٦٠٦ » .

خلقكم لعلكم ترحمون وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين^(١) . ألا ترى كيف حذف الجواب من « إنا » من الكلام ، وهو مدلول عليه بقوله تعالى « إلا كانوا عنها معرضين » . كأنه قال « إنا قبيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون » . ثم قال : ودأبهم الإعراض عن كل آية وتوعظة .

الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف « لا » من الكلام وهي مرادة

وذلك كقوله تعالى : « قالوا لله تفتأ تذكر يوسف^(٢) حتى تكون كحراً أو تكون من الهالكين » فقوله : « تفتأ » يريد : لا تفتأ تحذف « لا » من الكلام ، وهي مرادة . والضم : ناله لا تزال تذكر يوسف .

ومن هذا الضرب قول امرئ القيس :

قلت : يمين الله أرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لذيك وأوصالي^(٣)

تندره : لا أرح قاعداً ، تحذفت : « لا » من هذا للوضع ، وهي مرادة ، وضم عليه .

الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في الاستئناف

وهو حذف السؤال المقدر ، وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر ، عجيب النزي ، ولا تجد باباً من أبواب الحذف أحسن مأخذاً منه ، ولا أطرف^(٤) خبراً ، وهو يتقسم قسمين : الأول : إعادة الأسماء والصفات .

(١) سورة « ياسين » الآية « ٤٥ » وما بعدها .

(٢) سورة « يوسف » الآية « ٥٥ » .

(٣) هذا البيت من نصيصة لم يعطها :

الاعم صياحاً أيها المنسل البائل وهل يمين من كان في الصر الخائل ١١

أنظر ديوان امرئ القيس شرح حسن السعدي ، الصفحة الثالثة من ٦٥٨ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٤) في الأصل « أطرف » .

اعلم أن هذا القسم بحجبي، تارة بإعادة اسم من تقدم الحديث عنه، كقولك : « أحسنت إلى زيد » زيد^(١) حقيقين بالإحسان « وتارة بحجبي، بإعادة صفة، كقولك (أحسنت إلى زيد) صدقتك القديم أهل لذلك منك « وهو أحسن من الأول وأبلغ، لانطوائه على بيان الوجوب للإحسان وتخصيصه، فما جاء من هذا الباب قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين^(٢) ... » إلى قوله « ... المتطهرين » .

اعلم أنه لا قيل « هدى للمتقين » بأن الكتاب لهم هدى فاتجه للسائل أن يقول : « ما بالهم خصوصا بذلك » ؟ فوقع قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » الـسبيله كالجواب ، وحجبي بصفة « المتقين » للمعلوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله - عز وجل - القطف والاختصاص على غيرهم « أي الذين هذه عقائدهم وأعمالهم أحقا، بأن يهديهم الله وأن يعطيهم الفلاح .

وإن جعلت قوله تعالى : « ... الذين يؤمنون بالغيب ... » إلى آخر قوله : « ... وبالأخرة هم يوقنون^(٣) » تايماً « للمتقين » ، وقع الاستئناف على « أولئك » كأنه قيل : « وما للمتقين » . بهيئته الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجبت : أن أولئك للمؤمنين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس ، بالهدى عاجلاً ، وبالفلاح آجلاً ، ففهم ذلك وتدرى رموزه ودلالاته .

الثاني : الاستئناف بتبر إعادة الأسماء والصفات .

وذلك كقولته تعالى : « وما لي لأعبدُ الذي فطَرَني واليسه تُركِبون^(٤) » إلى قوله « ... المكرمين^(٥) » .

(١) الزيادة من « لكل السائر » ج ٢ ص ٥٢ .

(٢) سورة « البقرة » الآية الأولى ، وتلك الآية : « الذين يؤمنون بالغيب ويؤدون الصلاة ، وما رؤفهم يظنون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المتطهرين » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ١٧٧ » .

(٤) سورة ياسين الآية « ٢٢ » وتلك الآية « أتأخذ من دونه آفة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عن عقابهم شيئاً ولا يظنون . إني بدأ أنزلهم حين . فإني آمنت بربكم فاصبرون . قيل اضل الجنة « قال يا ليت توفى هؤلاء بما عملوا ربى وجعلني من المكرمين » .

اعلم أن مخرج هذا القول مخرج الاستئناف ، لأن ذلك من مطلق السأله من حاله عند لقاء ربه ، كأن^(١) قال له : « كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخطى لوجهه بروحه » ؟ قيل : قيل ادخل الجنة ، ولم يقل : « قيل له » لانصباب الغرض الى القول وعقله لا الى القول له^(٢) مع كونه معلوماً .

وكذلك قوله تعالى (يا ليت قومي^(٣)) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد .

ومن هنا القسم أيضاً قوله تعالى : « يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف (تملكون) ان قوله « معكم رقيب^(٤) » .

اعلم أن مخرج الفرق بين إثبات الفاء في سوف كقوله تعالى : « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب » بجزية « ويحل عليه عذاب مقيم » وبين حذف الفاء ههنا في هذه الآية (أن^(٥)) إثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع الواصل ، وبحذفها^(٦) وصل حقي تسديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر ، كأنهم قالوا : ماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا ، ومدت أنت ؛ فقال : « سوف تعلمون » فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف ، لتفتيح في البلاغة على مادة ببناء العرب . وأقوى الوصلين وأبلغها الاستئناف . وهو قسم من أقسام علم البيان تكثر عاصته .

القصر الثالث عشر من القسم الأول من الترخيم الرابع

في حذف الواو وإثباتها

اعلم أنه حذف الواو وأثبتت في مواضع ، فأما إثباتها فكقوله تعالى : « وما أهلكتنا من

(١) تخن مكررة ، ولا ترى لزوماً لتكرارها .

(٢) أنظر الملل السائر ، ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) سورة هود آية (٩٤) ونكته الآية ... من يأتيه عذاب بجزية ، ومن هو كذاب ، ولزقوا إني معكم رقيب .

(٤) سورة الزمر آية ١٠ . (٥) زيادة من الملل السائر ، ج ٢ ص ٨٣ .

(٦) في الملل السائر : « وحذفها » ج ٢ ص ٨٣ .

قوية إلا لما متنون^(١) . وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإبدالها في كل المواضع ، وإنما يجوز ذلك فيما هنا سببه من هاتين الآيتين لا غير .

والشيين^(٢) في ذلك رسماً تيمية فنقول : إعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد « إلا » يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها كقولك « ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب » وإن شئت (قلت^(٣)) « إلا عليه ثياب » ، فإن كان الذي يقع على النكرة (ناقصاً^(٤)) فلا يكون إلا بحذف الواو ، نحو قولك « ما أظن درهماً إلا هو » كقولك « ولا يجوز » إلا وهو كافيك « لأن الظن يحتاج إلى شيئين فلا يمرض^(٥) فيه بالواو لأنه يصير^(٦) كالكسفي من الأفعال باسم واحد ، وكذلك أخوات^(٧) « عثت » وكان وإن وما أشبهها « غطاً أن تقول : « إن رجلاً وهو قائم » و « أظن رجلاً وهو قائم » ، أو « ما كان رجل إلا وهو قائم » ، ونحو ذلك ، ويجوز هنا في « ليس » خاصة ، تقول : « ليس أحد إلا وهو قائم » لأن الكلام يتوهم تعامه بليس وبحرفه ونكرة^(٨) ، ألا ترى أنك تقول « ليس أحد وما من أحد » ، جاز فيها ولم يجز في « أظن » لأنك لا تقول : « ما أظن أحداً » ، فأمسا « أصبح وأمسى ورأيت » فإن الواو هيئ أسهل لأنها توأم^(٩) في حال ، و « كان وأظن » ونحوها يبين على التخص إلا إذا كانت تامة ، وكذلك (لا)^(١٠) البينة وغيرها نحو « لا رجل ، وما من رجل » فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها ، فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) سورة « الشعراء » الآية « ٢٠٨ » .

(٢) في لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ « والشيين لك في ذلك » .

(٣) زيادة من لئل السائر . (٤) زيادة من لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « فلا يمرض » والتصحيح من لئل السائر .

(٦) في الأصل « لا يصير » والتصحيح من لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٧) في لئل السائر « جواب » .

(٨) زيادة الواو من لئل السائر ، والفعل جازية هناك ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) في لئل السائر « توأم في حال » ولا تراه مستقبلاً فالتوأم بتقدير الميم جمع تامة .

(١٠) زيادة واجبة وفي لئل السائر « في التنزيه » ولا ترى له وجهاً . لأن « البينة » يراد بها هي

الجلس كما هو معروف في كثير من كتب النحو كشرح الكفاية للبرقي الأستراباذي ج ٦ ص ١١٤ - ٩ .

طبعة استنبول ، وذلك جامعاً فخرس الفصل للزحرفي ص ١٠٩ بحجة القدم بصر .

القُرب الرابع عشر من القسم المذول من النسخ الرابع

في الحذف الذي يوجب الإخلال في الكلام

وذلك ما يحذف من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه ، ولا يحسن استعماله في التأليف لكنه يجوز ، لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعملته في كلامها ، غُذفت بعض الألفاظ استخفافاً حذفاً يخل بالباقي ويعرض له بالشبهة . ألا ترى أن قول عنترة^(١) :

كأن إربيقهم ظلمي على شرف مقدم بيا^(٢) الككشان ملثوم^(٣)

فتوله « .. بيا الككشان » يريد « بيايب الككشان » وكذلك قول ليبي :

دَرسَ الشا بتالمر فأبان^(٤)

أراد « للنازل » وعلى نحو من هذا جاء قول أبي ذؤاد^(٥) :

يذونين تجلّدك حائر لجنوبها^(٦) فكأنما نذكي سناكبها الحُباب^(٧)

أراد « الحباب » .

(١) هو عنترة بن عبدة شاعر جاهلي من بني تميم ، يقال له العليل ، كان يزارع أمراً القيس الشعر ، وقد احتكك بالزوجة امرئ القيس أم جندب ، فاستشتمتها على فانية واحدة ، وروي واحد ، وحكمت لطفة أنظر من ١-٧ من كتاب « الشعر والشعراء » ورواه هذا من عبدة أوطأ :

هل ما علمت وما استودعت مكثوم أم حبلا يلد تألك اليوم صفروم ؟

(٢) في الأصل « مقدماً بيا الككشان ملثوم » وهو من تحريف السماع .

(٣) العرف : للسكان العالي ، والقدم وزن كتاب : خرفة تحمل في فم الأريق .

(٤) تمام البيت « فقامت بالهوس بالسويان » ويتعلق : اسم جبل يوجد . وأبان اسم جبل أيضاً وهما أبلان : الأبيض والأسود . والسويان واد في بلاد العرب . أنظر كتاب الشعراء وما يتوخ للشاعر روى التازي من ٦٠ طبعة لطيفة النبية بصر سنة ١٣٤٩ ، السيد محمد حكيم الكوس .

(٥) هو أبو ذؤاد الأندلسي : شاعر جاهلي مشهور قال ابن تيمية فيه : « ... اختفوا في اسمه ، فقال بعضهم هو جارزة بن الهجاج » وقال الأصمعي هو عنترة بن الصوري ... وهو أحد غلات الخيل الطيبين » أنظر من ١٢١ وما بعدها من كتاب : « طبقات الشعراء » طبعة برلين في مدينة لين سنة ١٩٠٢ ، وانظر « الوسيط » من ٧٣ لقرزبان .

(٦) في الأصل « يذونين جملد حائر جنوبها » .

(٧) يذونين مضارع « أذرى » مستعارة إلى تون الأناث والمراد بها الخيل . والجنسمل : الصفر . والحباب : رجل من بني محارب بن حنيفة ضرب يزاره لكل لأنه كان لا يوجد إلا قرأ ضعيفة حافة الضيفان وقبل الحباب ذاب ذو ألوان يحد ذليل وفي ذبه شعاع كالسراج ونسبه ناز الحباب لضروب بها لكل ضعيفا » أنظر اللسان في مادة « حجب » وحاشية لكل الشاعر ج ٢ من ١١٣ ، وغيرها .

وهذا وأمثاله قليل جداً فاعرفه . وإياك ، أيها المؤلف ، أن تستعمله في كلامك وإن كان
كان جائزاً . وقد ورد في أشعار العرب مثله .

وأما القسم الثاني من النوع الرابع فهو الإيجاز من غير حذف ؟ وذلك ضرمان : الأول
ما يساوي لفظه معناه ويسمى التقدير ؛ فإما جاء منه قوله تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره » ، من أي
شيء خلقه ^(٤٥) ... « ال » يقض ما أمره » . وقوله : « قتل الإنسان » دعاء عليه . وقوله :
« ما أكفره » تعجب من إفراغه في كفران نعمة الله - عز وجل - . ولا ترى أسلوباً أغلط من
هذا الدعاء والتعجب ، ولا أحسن متقولاً ، ولا أدل على سطوة مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع
للإتقان على قصر مكثته . ثم إنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه إلى منتهى زمانه ، فسأل
تعالى : « من أي شيء خلقه » ، من نطفة خلقه فذّره » . أي هباء ما يصلاح له « ثم السبيل
يسره » أي سهل سبيله وهو خرجه من بطن أمه ، والسبيل الذي يختار سلوكه من طرفي
الطير والشر . والأول أول ، لأنه قال نطفته وتقديره . ثم بعد ذلك تيسيره سبيله لما يختار من
طرفي الطير والشر . « ثم أماته فقبره » أي جمده في قبر يوارى فيه . « ثم إذا شاء أشربه »
أي أحياه . « كلا » : ردع للإنسان عما هو عليه « لما يقض ما أمره » أي لم يقض ، مع تطاول
زمانه ، ما أمره الله - عز وجل - . يعني أن إنساناً لم يخل من تشهير قط .

الآن ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف جزءاً من أجزائه لما قدرت على ذلك ؟
لأنك كتبت تعجب بجزء من معناه ، ويختل عليك نظامه ؛ فإن أسقطت الجملة الأولى التي هي
صدر الكلام زال معنى الدعاء عليه ، وإن أسقطت الجملة الثانية ، زال معنى التعجب من كفران
نعمة ربه . وإن أسقطت الجملة الاستثنائية ، أو غيرها زال ما تضمنته من المعاني ^(٤٦) التي لولاها
لا كان ، فاعرف ذلك .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة ^(٤٧) :

(١) سورة « ميس » آية ١٧ وما بعدها ، ونكته الآية : « ... من نطفة خلقه فذره » ثم السبيل
يسره ، ثم أماته فقبره ، ثم إذا شاء أشربه ، كلا لما يقض ما أمره ... »

(٢) في الأصل « المي » . والجمع هو الذي يقضيه السبيل .

(٣) علي بن جبلة : معروف بالكوكب حاكم مشهور ، كان ضريراً ذليق النطحة ، سهل الفلم ، وصافياً
بيداً ، مدح الأئمة وعهد بن عبد الحميد الطوسي والحسن بن سهل وإيا ذلك القاصم بن عيسى ولد سنة
١٦٠ وتوفي سنة ٢١٣ ، « أنظر » : الشعر والشعراء ، لأبي نعيم طيبة الأوراس - ٥٥٠ وما بعدها .

وما لامرئى جوارحه منك بهرب^١ ولو حملته في السماء الطالع
 في عارب لا يهتدي لمكانه خلام ولا شوق من الصبح ساطع
 فهذا هو الكلام ، الذي ألفناه وفاق معانيه . فانه قد اشتمل على مدح رجل ، (ق) ^(١)
 شمول ملكة ، وعموم سلطانة ، وأن لا يهرب عنه لمن يحاوله وإن صحبه السماء ، ثم ذكر جميع
 الهارب ، في المشارق والمغرب ، فأشار الى أنه يبلغ حيث يبلغ الضياء والقلام ، وذلك مما لم يزد
 عبارته على المعنى التدرج نحوه ولا قصرت عنه .

ومن هذا النحو ما جاء في كتاب النوادر ^(٢) . قول بعضهم :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها فقل اللبيب تكن لبيبا مثله
 من يسوع في علم بلب يعبر لا خير في عمل غير تدبر
 وتدير الأمر الذي نعى به فقد كجده الرء وهو مقصر
 ذهب الرجال القندي بفالمهم ^(٣) واللكرون لسكل أمر منكر
 وقيت في خلف زين بعضهم بعضاً ليدفع مسود عن معور

فهذا النظم الرضي ، والكلام الملي ، والنهج القويم ، والصراط المستقيم تروى بك بهجته ،
 إذا قرع سمك ، وبؤنسك إذا سكن قلبك ، قدر في درجات الاجاز ، الى أن يكاد يزل
 بساحة الاجاز ، وأمثال ذلك كثير في كلام البقاء ، وفيما ذكرته كفاية ومثنع .

الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع

فيما زاد معناه ^(٤) على لفظه

ويسمى هذا الضرب « الاجاز بالمعسر » ، والقرآن الكريم ، لأن من ذلك ، كقوله

^(١) تاريخ المطيب البغدادي ، ج ١١ ، ص ٣٥٩ ، ونبذات الشعراء لأن الشعر ، ص ٢٦ ، والزيات
 ، ج ٦ ، ص ٣٨٣ ، مجلة بلاد العجم ، ونكت الفيلان في نكت الفيلان لمفدي ، ص ٢٠٩ .
 (٢) زيادة انصافها السابق .
 (٣) النوادر اسم هذه كتب متوسا ، النوادر ، في اللغة لا ي زيد الأصمري وهو مطبوع وتواتر
 الأعراب الأصمعي .
 (٤) في الأصل ، والمعظم ، ولا يستقيم به وزن الشعر .

(٤) في الأصل ، فيما زاد معناه على لفظه ، ولا وجه له .

تعالى « من كفر فعليه كفره »^(١) كلمة جليسة لما لا غاية وراءه ، ولا أتمد فوقه من العنصر ، لأن من ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة ، وكذلك قوله تعالى « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بيادي ... »^(٢) إلى قوله « ... وما هدي » قوله تعالى « فخشعهم من اليحم ما خشعهم » من جوامع الكلام التي تستعمل مع غلبها بالمعاني الكثيرة . أي خشعهم من الأمور الخائفة ، والمخوِّب الفادحة ما لا يعلم كنيته إلا الله تعالى ، ولا يحيط به غيره ، وعلى نحو من ذلك قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »^(٣) الآية فإن هذه الآية من أجمع آيات القرآن الكريم ، وقيل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها على الوليد بن الزبير^(٤) فقال له : « يا ابن أخي أهد » فأهد النبي - عليه السلام - فقرأتها عليه . فقال له « إن له خلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه نضر ، وإن أسفله لندق ، وما هو بقول بشر » . ومن هنا الضرب أيضاً قوله تعالى « قلصدح بما تؤمر »^(٥) فلها ثلاث كلمات تشتغل على أمر الرسالة وشرائها وأحكامها على الاستقصاء . وأما قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »^(٦) فإنه قد جمع في هذه جميع مكارم الأخلاق ، لأن في الأمر بالمعروف صلة الرحم ، ومنع البهتان عن الزينة ، وعن السكذب ، وعن الغش الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك من أشياء لا تحصى . وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما . وقد قال بعض الأعراب في الدعاء : « اللهم هب لي حقاك وأرض مني خفقاك » . ألا ترى إلى هذه الكلمات (و)^(٧) ما حوت من المعاني

(١) سورة الروم « الآية » ٤٥ .

(٢) سورة طه « الآية » ٧٧ . وتلك الآية : « ... فاضرب لهم طريقاً في البحر يصالوا على دركاً ولا تخشى ، فأتتهم فرعون بمنهون خشعهم من اليحم ما خشعهم » وأصل فرعون قوله وما هدي

(٣) سورة النحل الآية « ٩٠ » وتلك الآية « ... وإياه تهي القري ويده عن القعداء والسكر والغي » يعطيك لعالمك تذكرون

(٤) الوليد بن الزبير : هو الوليد بن الزبير الخزرجي كان مسلماً ومولداً وكان له مدرسة من النبي ، وأسلم الإسلام بعداً ، وكان يقول لأبيه والعممة : « من أسلم منك فمعه راعي » أصل الكلام لزمخشري ج ١ ص ٥٧٧ طبعه مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٥) النبوة « الحجر » الآية « ٩١ » وتلك الآية « ... وأعرض عن المذمومين ... » .

(٦) النبوة « الأعراف » الآية « ١٦٩ » . (٧) زيادة يقتضها السياق .

الكبيرة من العفو عن الزلل ، والتجاوز عن الذنب ، وغير ذلك مما جرى هذا الجرى . وأما إرضاء المطلق فينبطوي على أشياء طائلة لا يستفرقها الذكر .

ومن ذلك قوله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ^(١) » فإنه أدخل تحت الأمن جميع المخوفات ^(٢) ، لأنه نفى به أن يخافوا شيئاً من الفقر والثوب وزوال الثعنة ونزول الثعنة ، وأضاف ذلك من أضاف المكارة .

وسمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلاً يقول لآخر : كفاك الله ما أمرك . قال : هذه البلاغة ، فأعرف ذلك .

وأعلم أن الأصل للمعبر في الإيجاز بالتعسر أنك تذكر شيئاً يقع على محتملات متعددة ، ألا ترى إلى قوله (تعالى) : « فنشيمهم من اليمِّ ما غشيم » . وقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... » . الآية ، وقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى : « خذ العقر وأمر بالعرف وأمر من الجاهلين » ، وقوله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . فإن هذه الآيات جميعها جارية في النهاج الذي أشرنا إليه ، من أنك تذكر شيئاً يقع على محتملات متعددة ، وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة .

ومن الإيجاز بالتعسر باب يسمى « باب أفعل » ، وهو التفضيل بين شيئين لا يشتركان في الصفة التي يفضل بها أحدهما على الآخر . فقول ذلك قوله تعالى : « قل من كان في الضلالة فلينبذوا له الرحمن كذا ^(٣) » . إلى قوله : « .. وخيرٌ حميداً » فقوله « خير عند ربك نواباً » من مفاخرات الكفار ، وإنما قال « خير نواباً » وقد علم أن مفاخرات الكفار ليس لها

(١) السورة « الأنعام » والآية « ٥٢ » .

(٢) في النسخ الباطل « جميع القيومات » ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) السورة « مريم » وآية « ٧٥ » وتلك الآية : « ... حتى إذا رأوا ما يوعدون ، أتاهم العذاب ولما الساعة فهبطون من هو شمس مكاناً وأصعب جنماً ، ولرب الله الذين اعتصموا بهنبي » . والمفاخرات خير عند ربك نواباً وخير حميداً .

ثواب حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه ، لأن ذلك على طريقة قولهم :
نحيةً بينهم ضربٌ وجيعٌ

فكأنه قال : ثوابهم النار ثم يبي عليه « خيرٌ ثواباً » . وفي ذلك ضرب من التهكم الذي هو أغبط التهديد من أن يقال له « عقابك النار » . فان قيل : فما وجه التفضيل في الخير بين مفارقت الكفار وثواب الصالحات ؟ قلت : هنا من أوجز كلام العرب . وعنده قولهم « الصيف أحرٌ من الشتاء » . أي أبلغ في حره من الشتاء في برده . وهنا جائز ، لأن الحر لا يشك تفاوت درجاته ، فيكون بعضها أشد من بعض ، وكذلك البرد أيضاً ، فتقول العرب « الصيف أحرٌ من الشتاء » أي إن حر الصيف في بابه أبلغ من برد الشتاء في بابه ، مثال ذلك : أن حر الصيف قد بلغ أنهس درجاته ، بل يسكون قد بقي بينه وبين نهاية البرد درجة أو درجتان ، فيكون حر الصيف بالنسبة إلى أصل الحر أبلغ من برد الشتاء بالنسبة إلى أصل البرد . وهذا مثل قولهم « العسل أحل من الخبز » وليس في الخبز حلاوة حتى تفصل حلاوة العسل عليهما ، وإنما العنى في ذلك كلمتي في الآية الأولى .. وأمثال هنا كثيرة ، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ، كقوله تعالى في سورة الفرقان : « وإذا أنفروا منها مكاناً ضيقاً مقرَّبين ، دعوا هنالك ثبوراً ^(١) .. » إلى قوله « ... جزاء ومصيراً » وقد علم أن جهنم ليس فيها خير حتى يجعل الجنة خيراً منها ، بل هي شر محض ، وعذاب لاخير فيه .
والأصل في هذه الآية ما أشرنا إليه أولاً .. فاعرفه انشاء الله - تعالى - .

الشرح الخامس

من الباب الأول من الفن الثاني في الاختاب

إعلم أن هذا النوع من أنواع علم البيان ، شديد الالتباس . كثير الالتباس وذلك أن

(١) سورة الفرقان آية : ١٥ وسكنة الآية : « ... لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً على أفلاك خير أم جنة الله التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً » .

جماعة من الأئمة الشهوريين في هذه الصناعة قد جعلوه بمثابة اقتصار الذي هو ضد الابهاز .
وهذا غلط فاحش .

فن جملة الأئمة الذين ذكروا ذلك ، أبو هلال العسكري^(١) صاحب كتاب الصناعيين .
فانه قال في كتابه : « الإطباق في الكلام إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا للاشباع ، وأفضل
الكلام أبيضه ، والابهاز للخواص ، والاطباق يشترك فيه الخواص والعوام ، ولأمر ما أظن
في الكتب السلطانية في إتهام الرعايا . وكان أن الابهاز له موضع ، فكذلك الاطباق له موضع ،
والحاجة إلى الابهاز في موضعه ، كالحاجة إلى الاطباق في موضعه^(٢) » .

« وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « غابطوا الناس على قدر عقولهم » . ومن استعمل
الابهاز في موضع الاطباق أو الاطباق في موضع الابهاز فقد أخطأ .

ولا شك أن الكتب الصادرة من السلطان في الأمور المطبقة في القنوج والتفخيم (في)^(٣)
مواقع النعم للتجديده ، أو في الترفيق في الطاعة ، والتحذير من العصيان ، وغير ذلك ، ينبغي
أن تكون مشبعة مستقصاة » ، ألا ترى أن كتاب المهلب إلى الخجاج في فتح الأزرقه :
« الحمد لله الذي كنى الاسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمته ، وقضى أن لا ينقطع
الزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم إننا وعدونا على حالين مختلفتين ، نرى فيهم
ما يصيرنا أكثر مما يسوقنا ويرون فينا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا
ودأبهم : ننعمرنا الله ونخننهم ، ونمحصنا ويمحصهم حتى يبلغ الكتاب ينسا ويهم أجسه
فقطغ دابر القوم الذين ظنوا ، والحمد لله رب العالمين » .

(١) أظن طبعه الصفحة الثانية من هذا الكتاب .

(٢) انظر كتاب الصناعيين ص ٦٨٣ وما بعدها من الطبعة الثانية من طبعه محمد علي صبيح بالأزهر بمصر .
والكلام قد نسبه ابن الأثير تقييداً من العسكري .

(٣) زيادة بلفظها البيان .

وإنما يحسن هذا الكتاب لكونه في موضعه ، فأما لو كتبت الى العامة ، وقد تطلعت
فخوسهم الى معرفة ذلك الفتح العظيم ، وتعرفت بهم غلظتهم في أمره ، لجاء في أفتح سورة
عندم وأهينها .

« واعلم ، أن الإطناب ثلاثة ، والطويل مني ؛ فإن الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة
تؤخره ، تحتوي على زيادة قائمة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة ، والطويل بمنزلة سلوك ما يبعد
جهلاً بما يقرب . »

فهذا حكاية كلام أبي هلال العسكري^(١) . ولقد كررنا ما عندنا في ذلك ، فنقول :

أما قول أبي هلال : « الإطناب في الكلام ، إنما هو بيان » فإن البيان في أصل اللغة : هو
الظهور والوضوح ؛ فيكون الإطناب ، على قوله ، ظهوراً في الكلام ووضوحاً لا غير ، ويلزم على
ذلك ؛ أن يكون كل كلام ظاهر واضح إطناباً ، سواء كان ذلك الكلام ، إيجازاً أو غير . من
أصناف علم البيان . وهذا مما لم يذهب اليه أحد ، لأن أبا هلال قد جعل الإطناب وصفاً من
الأوصاف التي يشترك فيها جميع ضروب الكلام . وذلك أن البيان وصف بعم « كل كلام
ظاهر واضح » عن إيجاز أو تطويل أو تكرار أو غير ذلك . وليس الأمر كما وقع له ، بل الإطناب
نوع واحد من أنواع الكلام ، بل أصله (في)^(٢) وضع اللغة من « أطنب في الكلام » إذا
بالغ فيه . وبالبناء لها وجوه وطرق ، كالإخبار بالفعل للماضي عن المضارع ، والمضارع عن
الماضي ، وتوكيد الضمير التثنية والتفصيل ، وغير ذلك مما أشرنا اليه في كتابنا .

ومن جهة الوجوه والفرق التي للبالغة الإطناب ، وسيأتي ذكره وتحقيق القول فيه ، عند
الفرغ من الاعتراض على كلام أبي هلال . وأما قوله : « إن البيان لا يكون إلا بالإشباع » لأنه
جعل الإطناب بياناً في القول الأول ، وهذا لا يخلو من عاين ؛ بما أنه يعني بالإشباع أن يرسل
الشيء الى حقه ، مأخوذاً ذلك من « الشبع » يقال « شبع فلان » ، إذا وصل في أكله الى
حقه ، وتعد كفايته ، فإن كان يعني بالإشباع ما ذكرناه فإن ذلك أمر عام لجميع ضروب الكلام

(١) انظر ملخصه من ٢ من هذا الكتاب . (٢) زيادة اقتضاها السياق .

من الإيجاز ، والتكرير ، والقابلية ، والتفسير ، وغيرها ، مما أشرنا إليه ، فإن كل ضرب من هذه الضروب المذكورة ، إذا وصل الكلام فيه الى حقه ، يسكون إطناباً ، فذلك من أعجب الأشياء وأمرقها - وإن كان يعني بالإشباع الزيادة على قدر ما يستحقه الكلام ويحتاج اليه ، وذلك هو التطويل بعينه ، فانه يلزم من هذا القول ، أن التطويل في الكلام ، إذا كان واضحاً بيناً ، يكون من أفضل الكلام ، وذلك ما لا يوافق عليه ، بحال من الأحوال ، بل كان يحتاج في قوله : « إن أفضل الكلام أبيضه » الى تقييد أخرى ، وهو أن كان قال « أفضل الكلام أوجزه وأبيضه » ، فانه لو قال ذلك ، لكتب قوله صواباً لا يخالف فيه ، وأما قوله « وكذا أن الإيجاز له موضع ، فكذلك الاطناب له موضع ، والماجسة الى الإيجاز في موضعه كالمماجسة الى الاطناب في موضعه ، ومن استعمل الإيجاز في موضع الاطناب والاطناب في موضع الإيجاز فقد أخطأ » فكأنه توهم من هذا القول ، أن الاطناب ضد الإيجاز ، وإذا كان الأمر كذلك فهو التطويل بعينه .

ومما يقوى هذا الوهم قوله أيضاً (إن الإيجاز له خواص ، والاطناب يشترك فيه الطواص والعوام) . وأما قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » فان كان قرئته من قول النبي صلى الله عليه وسلم مماثلة لكل فريق من الناس بما يفهمونه فهذا لا يتعلق بصنف واحد من صنوف الكلام ، إطناباً كان ذلك أو إيجازاً أو غيرها ، إذ الإيهام يشتمل على أنواع الكلام جميعها ، ومتى لم يكن الكلام مفهوماً واضحاً للعاني فليس عندنا محسباً في جملة علم البيان ، ولا نعد من صنائع التأليف بشيء .

وقد يخاطب مؤلف الكلام العملة بأوحش الخطاب وأحقره ، ويفهمون من ذلك قوله ، ويرفون خطابه . فان الأصل في الكلام : انما هو كشف معانيه المخاطب وإيضاحها له ، وسواء عند ذلك خطوب به الخاصة أو العامة ، فأعرف هنا وقس عليه .

ومعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » أي كلهم بما يعرفونه من الألفاظ ويعتادونه بينهم من الكلام ، كما كتب عليه السلام الى كسرى

أبرويز قال : « من محمد رسول الله لي كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله [وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ^(١)] ، وبعد ، فأني رسول الله لي الناس كافة - لينفر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأستبلمُ تسلم وإن أبيت فإثم الجورس عليك » ^(٢) وكتب - عليه السلام - أيضاً إلى قوم من العرب فقال لوائل بن حجر : « من محمد رسول الله لي الأقبال الصبابة أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التبعة شاة والتبعة اصاحبها وفي السيوب الخشمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شتار ومن اجبي فقد أرتي ، وكل مسكر حرام » ^(٣) . فسئل الأقباط الى كسرى أبرويز غاية التسهيل بحيث يراها لا تخفى على من له نشئت باللغة ^(٤) العربية ، ولما كتب الى أولئك القوم من العرب خاطبهم بما تقوى عليه قلوبهم ، ولم يمتدواون لسباح مثله ، فهذا هو القصود بقوله - صلى الله عليه وسلم - « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » ، وليس القصود من ذلك ما ذهب اليه أبو هلال العسكري (من مخاطبة قوم بالابجاز ، وقوم بالامتاب) الذي هو على قياسه بعض التطويل .

وإذا كان الأصل في الكلام إنسا هو بيانه ووضوحه فإ الفائدة من تطويله ، مع القدرة على اختصاره وإيجازه ؟؟

وأما قوله : « إن الإطباب البلاغة ، والتطويل من » فهو لمعري كذلك ، إلا أنه على أصله يكون قد جعل البيان بلاغة ، لأن الامتاب عنده إنما هو بيان ، ويلزم على ذلك أن التطويل في الكلام إذا كان ذا بيان ، يكون بليغاً . وهذا ما لم يذهب اليه أحد البيهة ، لأنه يصد الصواب وأما قوله « إن الامتاب بمنزلة سلوك طريق بعيدة ، نزهة ، تحتوي على زيادة الفائدة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة . والتطويل بمنزلة سلوك طريق بعيدة ، جهلاً بما يقرب » فإن هذا تشبيل صحيح

(١) زيادة من تأريخ الطبري ، وقد سقطت من النسخ ، ج ٢ ص ٢٩٥ طبعة مطبعة الاستغابة بصر .

(٢) راجع طحطية ص ٢٤ من هذا الكتاب .

(٣) راجع طحطية ص ٢٤ وما بعدها ، وقد شرحت فيها أحوال الحديث الشريف .

(٤) في الأصل ، بلغة العربية .

مناسب لما مثل به إلا أنه كان يحتاج الى زيادة إيضاح . وهو أن يجعل المعنى الراد في كلام ما بمنزلة القصد الذي يوجهه إليه السائر ، ويجعل الى ذلك للتعدد ثلاثة طرق : أحدها قروب إليه ، والآخران بعيدان عنه ، ومتساويان في البعد . ويجعل الدلالة على ذلك للمعنى الراد بالإيجاز بمنزلة الطريق القريب ، ويجعل الدلالة عليه بالأطواب بمنزلة أحد الطريقين البعيدين ، ويجعل الدلالة عليه بالأطواب بمنزلة الطريق الآخر للمتساوي له في البعد ، إلا أنه زده يحتوي على زيادة فائدة ، بما تأخذ النفس منه من اللذة . فهذه ثلاث تشبيهات متماثلة لما مثلت به فاهمها .

وحيث انتهى بنا القول الى هذا الوضع وفرغنا من الكلام على ما ذكره أبو هلال في باب الاطواب ، فلتورد نحن ما عندنا من ذلك فنقول :

اعلم أن الاطواب في أصل اللغة مأخوذ من « أطب في الكلام : اذا بالغ فيه » . وقد ذكرنا ذلك أولاً في الاعتراض على كلام أبي هلال .

واعلم أن الياضة تنقسم الى أقسام كثيرة ، وقد سبق ذكر شيء منها ، كالأخبار والفعل للاضي عن المضارع ، وبالعنازع عن الماضي . وسيأتي ذكر الباقي في كتابنا هذا .

ومن جهة أقسام الياضة الاطواب ، وفائدته زيادة التصور للمعنى القصور ، وإما حقيقة وإما مجازاً . وهو على الحقيقة ضرب من ضرب التأكيد ، فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ^(١) » فإن الفائدة في قوله تعالى « في جوفه » كالفائدة في قوله « القلوب التي في الصدور ^(٢) » وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه ، لأنه اذا سمع به سوتر نفسه جوفاً (يحتوي) على قلبين . فكان ذلك أسرع للتفكير .

وأما الذي جاء منه على سبيل المجاز فقوله تعالى : « فلها لا نفس الأبصار ، ولكن نفس القلوب التي في الصدور » ففائدة ذكر الصدور هنا أنه قد تعرف وعلم أن المعنى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب المدقة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب استمارة ومثل .

(١) سورة الأحزاب ، الآية « ٤ » . (٢) سورة الحج ، الآية « ٤٦ » .

فلما أريد إثبات ما هو بخلاف التعارف من نسبة المعنى إلى القلوب حقيقة ، ونفيه عن الأبصار . احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ، ليقرر أن مكان المعنى إنما هو القلوب لا الأبصار . وهذا نوع من أنواع علم البيان ، واخر اللطائف ، وكثير المحاسن . فينبغي لزوات الكلام العناية به والراعاة له ، لا عرفة .

التروع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

في توكيد الضمير التصل باللفصل

وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة

فما جاء منه قوله تعالى : « قالوا يا موسى إما أن تُلقيني وإما أن تكون نحن اللقيين ^(١) » .
 فتولم « يا موسى إما أن تلقني » تخيير منهم له ، وحسن أدب وآمونه معه ، كما يفعل أرباب الصناعات إذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالتماطين قبل أن يتخاضروا في الجدل . وإنما قالوا « وإما أن تكون نحن اللقيين » ولم يقولوا « وإما أن تلقني » كما قالوا « يا موسى ، إما أن تلقني » لرغبتهم في أن يلتوا قبله وتشفقهم إلى التعم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير التصل باللفصل .

وإنما يجري على هذا النهج قوله عز وجل : « فأوحى في نفسه خيفة موسى فلما لا تخف إنك أنت الأعلى ^(٢) » . « توكيد الضمير هنا في قوله : « إنك أنت الأعلى » أنفي للخوف من قلب موسى ، وأثبت في نفسه لثقله والقهر ، ولو قال : « لا تخف إنك الأعلى » أو « لا تخف فأنت الأعلى » لم يكن له من التقرير والاثبات الذي الخوف من قلب موسى ، ما لقوله : « إنك أنت الأعلى » .

والدليل على ذلك ، أن في هذه الثلاث كلمات وهو قوله تعالى : « إنك أنت الأعلى » .
 ست فوائد : الأولى : « أن » السدنة التي من شأنها الإثبات لا يأتي بعدها ، كقولك : « زيد

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٦٥ . (٢) سورة طه ، الآية ٦٧ .

قائمٌ ، ثم يقول « إنَّ زَيْدًا قائمٌ » . ففي قولك : « إنَّ زَيْدًا قائمٌ » . من الاثبات القيام زيد والتقرير له ، ما ليس في قولك : « زيد قائمٌ » .

الثانية : تكرير الضمير في قوله تعالى : « إنك أنت الأعلى » . ولو اختصم على أحد الضميرين ، فقال : إنك الأعلى ، أو على : « فأنت الأعلى » ، لما كان بهذه الثابتة من التقرير لفظية موسى ، والاثبات لغيره .

الثالثة : التعريف في قوله « الأعلى » ، ولم يقل : إنك أنت أعلى أو عالٍ ، لأنه لو قال ذلك لسكان قد تكلمه ، وكان صالحاً لكل واحد من جنسه ، كقولك : « رجل » فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال . وإذا قلت : « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف ، وجعلته علماً فيهم . وكذلك قولك : « إنك أنت الأعلى » : أي أنت الأعلى دون غيرك .

الرابعة : لفظة « أفضل » التي من شأنه التفضيل ، ولم يقل العالي .

الخامسة : إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الفرض من قوله « الأعلى » ، أي الأعلو ، إلا أنَّ في الأعلى زيادة وهي الغلبة من « عل » .

السادسة : الاستئناف ، وهي قوله : « إنك أنت الأعلى » . ولم يقل : « لأنك أنت الأعلى » لأنه لم يُجعل صلة انتهاء الخوف عنه كونه غالباً ، وإنما هي الخوف عنه أولاً بقوله : « لا تخف » ، ثم استأنف الكلام ، فقال : « إنك أنت الأعلى » فكان ذلك أبلغ في إقناع موسى — عليه السلام — بالغلبة والاستعلاء ، وأثبت لذلك في نفسه .

هذه ست فوائد في هذه الكلمات^(١) الثلاث . فانظر أيها التأمّل إلى هذه البلاغة العجيبة ، التي تحسّر العقول ، وتذهب بالآداب . ولأمر ما أعجز هذا الكلام المرزّ البليغ ، وأظم الفصحاء ، ورجل فرسان الكلام .

فإن قيل : لو كان توكيد الضمير المتصل بالمفصل أبلغ من الاختصار على أحدهما ، لورد ذلك

(١) أشار الزمخشري في كشافه لك هذه الفوائد الست وزاد ابن الأثير أن شرحها ووضعها انظر « الكشاف » ج ٣ ص ٧٤ طبعة الاستقامة بالعمرة سنة ١٣٦٠ هـ وصحة ١٩٤٦ م .

عند ذكر الله نفسه في كتابه ، (لا إله)^(١) هو الحق بما هو أبلغ من الكلام . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تخص بذكر الله تعالى ، وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر ، كقوله تعالى : « قل اللهم مالك للكم ، توتي للكم من تشاء ، وتمسك بالكم من تشاء ، وتمزج من تشاء ، وتفرق من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير^(٢) » . فما اللوجب لذلك إن كان توكيد الضمير المتصل بالمتفصل أبلغ في بابه من الانفصال على أحدهما دون الآخر ؟ فقد كان يجب أن يرد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه ، لأنه أسمى بالأبلغ من الكلام . وإن كان الأمر بخلاف ذلك ، فكيف قلت : إن توكيد الضمير المتصل بالمتفصل أبلغ ؟

الجواب عن ذلك أنا نقول : توكيد الضمير المتصل بالمتفصل إما يرد في الكلام تقرير للمقصود ، وإثبات في النفس ، وما يخص بالله تعالى لا يقتصر إلى تقرير ولا إثبات ، لأنه إذا قيل عنه : « إنك على كل شيء قدير » ، لم يحتاج في ذلك إلى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شيء قدير ، بل قد كبريم وعرف أن قدرته تملق بكل شيء ، وأنها جارية على كل مخلوق ، فصار هذا الأمر المعروف للشيور ، الذي لا شك بشيئه ، ولا مزية تعترضه . وما هذا سببه في الموضوع والبيان ، فما الحاجة فيه إلى التوكيد ؟ إذ التوكيد من شأنه تقرير الشيء المراد ، وإثباته في النفس ، وقوله تعالى : « إنك على كل شيء قدير » لا يحتاج فيه إلى تقرير ولا إثبات .

فإن قيل : فقد ورد في القرآن الكريم أيضاً ، عند ذكر الله تعالى نفسه ، كلا الضميرين : المتصل والمتصل ، كقوله تعالى : « وإذ قال الله يا موسى بن مريم أنت قلت للناس ، اتخذوني وأمي آلهين من دون الله^(٣) ؟ » إلى « ... علام الغيوب^(٤) » كما قال : « إنك على كل شيء قدير » فما السبب في هذا ؟ وهل كان الجميع نوعاً واحداً !!

الجواب عن ذلك أنا نقول : توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا يقتضى علينا

(١) زهدها يقتضيا السيات . (٢) السورة آل عمران ، الآية ٩٦ .

(٣) السورة : المائدة ، الآية : ١١٦ ، ونسكتة الآية : « ... قال : سبحانه ما يكون في إن اقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب » .

ما أشرنا إليه أولاً؛ لأنه إن وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر، كان القول في ذلك ما تقدم في الآية، وإنا جسيء بها معاً فلأن ذلك أبلغ في بابه وآكده، والله تعالى أحن بما هو أبلغ من الكلام وآكد.

ونمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر، مثلاً تبيته، فنقول: إذا كان اللفظ المقصود ظاهراً معلوماً قد ثبت في النفوس، ورسخ في الألباب فانت بالخير: بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر. لأنك أن وكدت الكلام فيه قد أعطيت اللفظ حقه. وإن لم تؤكد الكلام فيه فلائذ لا يحتاج إلى تأكيد لبيانه وظهوره. وإذا كان اللفظ المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم. فالأولى تأكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، ليقرره ويكسبه وضوحاً وبياناً. ألا ترى إلى قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: «فكنا لا نحف إليك أنت الأعلى»^(١). فإنه لما كان ظهور موسى على السحرة وقهره لهم أمراً مستتراً في ضمن النيب، لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل - أن يفهم بذلك - ليذهب عنه الخوف والحذر، أتى بالأبلغ من الكلام، ليكون ذلك أثبت في نفس موسى، وأقوى دليلاً عليه في انتفاء الخوف عنه. فؤكد الضمير المتصل بالتفصل لجاء اللفظ كما ترى. ولو قال «إليك الأعلى» أو «فأنت الأعلى»، لكان ذلك أيضاً إخباراً لموسى بنفي الخوف عنه، واستظهاره على السحرة، ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى ما لقوله: «إليك أنت الأعلى». فاعرف ذلك ونس عليه.

وعلى نحو من هذا قوله تعالى: «قالوا يا موسى إنا أن تلقى وإنا أن نكون نحن للفتين». فإن زيادة السحرة الالتقاء قبل موسى - عليه السلام - لم تكن معلومة عنده. لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك، لكنهم لما عبدوا عن مقابلة خطابهم لموسى تنهت إلى ما هو تأكيد مما هو لهم، بالضمير المتصل بالتفصل «علم أنهم يريدون التقدم عليه واللقاء قبله» لأن

(١) السورة: طه، الآية: ٦٥.

من شأن مقابلة خطابهم لموسى بنده أن كان « قالوا : إما أن تقبى وإما أن تلقى . فتكون الملقان متقابلتين . بحيث قالوا من أنفسهم » وإما أن تكون نحن اللقين « استدل بذلك على رغبتهم في الالتقاء قبله .

وهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا يتبته لها إلا الفطن البهيم ، فاعلمها .

النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني

في الكتابة والتعريض

اعلم أن لهذا النوع من الكلام موقفاً شريفاً ، وعلماً كريماً ، وهو مقصور على الليل مع المعنى ، وترك اللفظ جانباً ، وذلك نوع من علم البيان لطيف . وقد تكلم جماعة المؤلفين في هذا الفن فوجدتهم قد خلطوا الكتابة بالتعريض ، ولم يفرقوا^(١) بينها ، بل أوردوا لها [أمثلة]^(٢) من النظم والنثر ، وأدخلوا أحسن التسميين في الآخر ، فذكروا للكتابة أمثلة من التعريض ، والتعريض أمثلة من الكتابة ، ففهم أبو محمد بن سنان الخفاسي^(٣) ، وأبو هلال العسكري^(٤) ، والثاقبي^(٥) ، فأما ابن سنان ، فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسي ورق كلالها ورضتْ فذاتٌ سمية أي إنزال^(٦)

وهذا مثال ضربه للكتابة عن البانعة ، وهو مثال للتعريض . وستورد لك أيها الناظر في كتابنا فرق ما بين الكتابة والتعريض ، وتميز أحدهما عن الآخر ، ونعرف كلالتها على انفرادها فقول :

أما الكتابة فهي : أن تذكر الشيء بغير لفظه الوجودي به كما كنى الله تعالى عن الجاه :

(١) في الأصل تكرار اللفظة « لم يفرقوا » وهو من تحريف القامح .

(٢) زيادة على مقتضى السياق .

(٣) انظر حاشية من ٣ من هذا الكتاب . (٤) انظر حاشية من ٢ من هذا الكتاب .

(٥) انظر حاشية من ٢ من هذا الكتاب .

(٦) هذا البيت من قصيدته له مطلعها :

ألا هم صبايحاً أيها الشك البالي وعن يمين من كان في النصر الملقى

ديوان امرئ القيس طبعه « مطبعة الاستقامة بالقاهرة » من ١٣٥٠ .

« بالنس » فإن حقيقة « النس » هي « الالسة » يقال : لمت الشيء إذا لامسته ^(١) ، ولما كان الجماع « ملامسة بالأبدان وزيادة أمر آخر » أطلق عليه اسم : « النس » مجزأً . وعند الكتابة التصريح .

وأما التعريض : فهو أن تذكر شيئاً يدل على شيء لم تذكره وأصله : التلويح من مخراض الشيء : أي من جانبه ، وأعلم أن (بيت) ^(٢) امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان الخفاجي مثالا للكتابة ، هو عين التعريض ، فإن غرضه من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لما استنبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاماً آخر ، ودل به عليه ؛ لأن الصير الالحسن وورقة الكلام ، لا يفهم منها ما أرادته امرؤ القيس من الشيء ، وذلك مما لا يخفى به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكتابة والتعريض ، وبزنا كلاً منهما عن الآخر ، فلفصلها ونذكر أقسامها ، ونبدأ أولاً بالكتابة فنقول :

اعلم أن الكتابة على ضربين : أحدهما ما يحسن استعماله (والآخر ما يبيح استعماله) ^(٣) ، وهو عيب في صناعة التأليف . فأما الضرب الأول الذي يحسن استعماله فإنه يتقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : التمثيل : وهو التشبيه على سبيل الكتابة ، وذلك أن تراد الإشارة إلى معنى ، فتوضح الأناط (ندل) على معنى آخر ، وتكون تلك الأناط وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه كقولنا « فلان في الثوب » . أي مثله عن العيوب .

والكلام بها ، فائدة لا تكون لو قصدت المعنى بلفظه الخاص ، وذلك لا يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه ؛ لأنه إذا صور نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن يبدع التمثيل قوله تعالى : « أذهب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ^(٤) . فأما تشبيه الانقياب بأكل لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأبخ ولم يقتصر على لحم الأبخ حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في النايبة من السكراة موصولاً بالهبة ،

(١) في الأصل « فإن حقيقة النس هي الالسة يقال لمتت العير .. »

(٢) زيادة افضاعها البيان .

(٣) زيادة افضاعها البيان . (٤) السورة « المجرات » والآية « ١٢ » .

وهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة المعنى الذي وردت لأجله^(١) فتسديد
 للناسبة جداً ، وذلك لأن الإغتياب ، إنما هو ذكر مثالب الناس وتزويق أعراسهم (وتزويق
 العرض^(٢)) مماثل لأكل (الإنسان)^(٣) لحم من يتنابه ، لأن أكل اللحم فيه تزويق لا محالة .
 وأما قوله « لحم أخيه » فلما في الإغتياب من السكراة ، لأن العقل والشروع مما قد أجمعا
 على استسكراه وأمرًا يتركة ، واليعد عنه . وما كان كذلك جعل بئزة لحم الأبخ في كراهته .
 ومن العلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته
 (لحم)^(٤) أخيه ، فهذا القول مبالغة في استكره التبية ، لا أمد فوقها .
 وأما قوله « ميتاً » فلا أجل أن اللذباب لا يشمر بنيشه ، ولا يحسن .

وأما جعل ما هو في الغاية من السكراة موصولاً بالهبة ، فلما جعلت عليه النفوس من النيل
 إلى الغيبة والشهوة لها . مع العلم بأنها من أدم الخلال ، ومكرهه الأفعال ، عند الله تعالى والناس .
 فأظن أنها التأمل لهذا التمثيل كيف مطابقته لما تمثّل به تجده من أبلغ التمثيلات وأندرها^(٥)
 مثلاً ، لأتلك متى نظرت إلى كحل واحدة من تلك الدلالات الأربع ، التي أوردناها رأيتها مناسبة
 لما قصدت له ؛ فتزويق العرض مثل أكل الإنسان لحم من يتنابه : لأن ذلك تزويق على الحقيقة ،
 و (جليل بمنزلة) لحم الأبخ لأجل البهانة في السكراة . و « البيت » لاستماع الإحساس
 به . واتصال ما هو مستكره بالهبة لما في طبع الأفس من الشهوة للشية والنيل إليها ، فأعرف
 ذلك .

ومن هذا القسم قوله - تعالى - « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط^(٦) »
 فنقل البطل بأحسن تمثيل لأن البضيل ، لا يمد يده بالعملية ، كذلك القول الذي لا يستطيع أن يمد
 يده . وإنما قل : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ولم يقل « ولا تجعل يدك مغلولة^(٧) » من

(١) عدم التامخ في قول المؤلف وأخر وكرر خلفنا للسكرور ورتبنا الكلام .
 (٢) زيادة من النحل البائر ج ٢ ص ٢٠٣ .
 (٣) في الأصل « وأيديها » وهو غير مستقيم .
 (٤) المودة : الإصرار ، والآية ٢٩ . (٥) زيادة انضمامها اليها .

غير العنق ، لأنه قال « ولا تسطها كل البسط » فكأنه أراد ، « ولا تجعل يدك مغلولة كأي اليد »
 ولا تسطها كل البسط ، قلب ذكر العنق من قوله « كل النمل » ، لأن غل اليد إلى العنق ،
 هو أقصى الغايات التي حرت العادة بنقل اليد إليها .

ومن أمثال العرب « إنك وعقبة اللبح » وذلك تمثيل المرأة الحساء ، في منبت السوء ،
 لأن عقبة اللبح هي المرأة ^(١) . ومن التمثيل قول ابن الجوزي ^(٢) :

أبي أفي يمي يديك جعلتني فأفترح أم سكرتني في شماتة ؟

فذكر العيين ، وجعلها مثلاً لإكرام الأنزلة ، وذكر الشمال وجعلها مثلاً لقوان الأنزلة ؛ لأن
 العين أشرف منزلة من الشمال أو أكرم ملاماً .

وفي القرآن العزيز ما يدل على ذلك ، وهو قوله تعالى : « وأصحاب العيين ما أصحاب العيين في
 صدر عشود ... » ^(٣) الآية فلما جاء إلى ذكر الشمال قال تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب
 الشمال » ^(٤) الآية ، فأصرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « البرة » ولي لکن السائر « فان عقبة اللبح هي الوثابة تكون في البحر » .
 (٢) هذا البيت من كلمة له مقلداً :

هي يا أيمى قلب يمشى ليساناً وشك القوي ثم انبلي ما بدالك

« راجع ديوان ابن القتيبة ص ١٥ ، طبعة المطبع للشارح عند المطبع البغدادي » . وانظر الكلام على
 هذا البيت في « دلائل الإيجاز » لخيرجاتي ص ٢١ « الطبعة الرابعة يدار للشارح بصرة سنة ١٣٦٧
 ويضد في دلائل الإيجاز :

أبيك كقاني بين شلتين من عصاً حصار الزرقى أو خيفة من زواك
 نملات في الشجر ، ويايك نمل تردين نمل نسد عقرت يواك

(٣) السورة : الواقعة ، الآية ٢٨ ، ويضد هذه الآية قوله تعالى : « ولبح عشود » وعمل محدود ،
 وجاء مكتوباً ، وبأكسبة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ... » .

(٤) السورة الواقعة الآية ٤٦ ، ويضد هذه الآية : « ... في سبوم وهم وعمل من يمدوم » لا يبره
 ولا كرم ... » .

القسم الثاني

من الكتابة في الازداف^(١)

وهو أسم سماه به قدامة بن جعفر الكاتب^(٢).

اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا « الازداف » في التحليل ، وفي الفرق بينها إشكال ودقة .

فأما التحليل فقد سبق الاعلام به وهو أن ترد الأشارة إلى معنى فتوضع الألفاظ^(٣) على معنى آخر ، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الأشارة إليه والمباشرة عنه كقولنا « فلان بقي الثوب » أي منه من الثوب .

وأما الازداف فهو أن ترد الأشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومرادف له كقولنا « فلان طويل النجاد » والراد به طويل القامة ، إلا أنه لم يتلفظ بطول القامة الذي هو الفرض ، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة ، وليس نقاء الثوب دليلاً على الزيادة عن الثوب ، وإنما هو تحثيل لها ، فحرفت ذلك .

واعلم أن الازداف يتفرع إلى خمسة فروع :

الأول : فعل البداةة كقوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالذي لما جاءه^(٤) » فإن الراد بقوله تعالى « لما جاء » أي أنه سفيه الرأي ، يعني : أنه لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه ، ولم يفعل كما يفعل الراجيح^(٥) المقول ، الثابتون في الأشياء ، فإن من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر ، ويتأنوا في تدبيره ، إلى

(١) في الأصل « في الأزداف » وهو من تحريف النسخ .

(٢) كتبنا ذكره في حواشي هذا الكتاب .

(٣) قال فيما تقدم « فتوضع الألفاظ » وهو أوضح .

(٤) السورة « المنكوت » الآية « ٦٨ » .

(٥) الراجيح جمع للرجاح أي التكبير الاعتزاز ولعله أشد من « نخل مرابيح » أي مؤثرة بكثرة الثمر .

أن يصح لهم صدقه أو كذبه ، ألا ترى إلى قوله تعالى « لما جاءه » أي أنه ضعيف العقل عازب الرأي فسدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه وأرتدّف له و (هو)^(١) قوله تعالى « لما جاءه » وذلك أكد وأبلغ ومن هنا الباب أيضاً . « وإنما نزل عليهم آياتنا ويئات قلوبنا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم عبداً آباءكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ، إن هذا إلا سحر مبين^(٢) » والسكلام على ذلك كالسكلام على الذي قبله فاعرفه .

الفرع الثاني من المرداف

وهو باب « مثلر » وذلك دقيق الصيغة لطيف التزيي ، اعلم أن العرب تأتي « بمثل » في هذا الموضع تأكيداً للسكلام وتثبيتاً للأمر^(٣) . يقول الرجل إذا تقي عن نفسه القبيح : « مثل لا يمثل هذا » أي أنا لا أقبله ففني ذلك عن مثله وهو يريد تقيه عن نفسه ، قصداً للبيان ، فسلك به طريق الكتابة ، لأنه إذا نقاه عن مثله أو يشابهه فقد نقاه عنه لا محالة .

وكذلك أيضاً قولهم « مثلك إذا سئل أعطى » أي أنت كذلك ، وهو كبير في الشعر القديم واللوك والسكلام الثبور . وسبب تأكيد هذه الواضع « مثل » أنه يراد أن يجعل من جماعتهم هذه أوصافهم تثبتاً للأمر ، وتمكيناً له ولو كان فيه وحده لعلقته موضعه ، ولم ترس فيه قدومه . ومثل ذلك قولهم في مدح الأسانف : « أنت من التوم الكرام » أي لك في هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخیلاً فيه . وقد ورد هذا اليباب في القرآن الكريم ، كقوله تعالى « ليس كذلك شيء ، وهو السميع البصير^(٤) » . وهذا كقولهم « مثلك لا يبخل » فنفسوا البخل عن مثله وهم يريدون تقيه عن ذاته ، قصداً للبيان : لأنهم إذا نقوه عن بسبب مسسه ، وهو على أحسن أوصافه ، فقد نقوه عنه . ونظير ذلك قولك للعري « العرب لا تخقر النعم » .

(١) زيادة انضاضها اليهات . (٢) السورة « ساء » الآية « ١٢ » « ١٣ » .

(٣) في الأصل « وتثبيتاً من أمره » وفي النسخ السائر « تثبتاً للأمر وتوكيداً » .

(٤) السورة : « التوري » الآية « ١٦ » . قال ابن فارس في ته اللثة — سر ٨٣ — وسكون

السكاف زائمة كقوله « ليس كذلك شيء » .

وهذا أبلغ من قولك « أنت لا تحفر الدم » . وليس فرق بين قوله تعالى « ليس كمثل شيء »^(١) وبين قوله « ليس كآلة شيء » إلا من الجهة التي نبهنا عليها فاعرفها .

الفرع الثالث من المورثات

وهو ما يأتي في جواب الشرط ، وذلك من ألفف الكتابات وأحسنها ، فمن هذا قوله - تعالى - : « وقال الذين أوتوا العلم والابتن لند لبتم في صكتاب الله الى يوم البعث فهنا يوم البعث ^(٢) » كأنه قال « إن كنتم منكرين يوم البعث فهنا يوم البعث » فكيف بقوله « فهنا يوم البعث » عن بطلان قولهم وكفهم فيها آتموه ، وذلك زائف له ونظيره قولك « تنكر حضور زيد فهاهو » أي فأت كاذب . وهذا من دقائق السكتابة ، فاعرفه .

الفرع الرابع من المورثات

وهو الاستثناء من غير موجب : وذلك من غرائب السكتابة كقوله - تعالى - : ليس لهم طعام إلا من ضريع ^(٣) « الآية ، والضريع نبات ذو شك تسميه فريش « الشجرى » في حالة خضرته وطراوته فإذا يبس سمته العرب « الضريع » والابل ترعاه طرياً ولا تخره بإيساً ^(٤) . والمضى ليس لهم طعام أصلاً ، لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الانس . وهذا مثل قولك : « ليس لفلان ظل إلا الشمس » تريد ذلك نفى النفل عنه كما هو . وذكر الضريع ، زائف لاستثناء الطعام . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم :

وتفردوا بالكرمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

والزاد نفى للكرمات عن سواهم ، لأنه إذا كان لهم الحرمان من الكرمات فما لهم منها شيء البتة ، وأمثال ذلك كثير فاعرفها .

(١) السورة « الزوم » الآية : ٥٦ . (٢) السورة « الفصية » الآية : ٦٥ .

(٣) في القاموس : « الضريع شجر . الشرف أو بيده . لا تخره دابة لحيته » والسلاء والموسج الرطب « أو نبات في الماء أجرين له عروق لا تصل الى الأرض . . . » .

الفرع الخامس من الردوف

ليس مما تقدم بشيء، وذلك نحو قوله - تعالى : « فإنا لله عنك لم أذنت لهم ^(١) » والمعنى المراد من هذا الكلام : أنك أخطأت وبشما فعلت وقوله : « لم أذنت لهم » بيان لما كفى عنه بالمعنى ، أي مالك أذنت لهم ، وهلا استأنيت ؟ فذكر المعنى دليل على التنبؤ وردف له وإن لم يذكره . وكذلك جاء قوله - تعالى - : « فإن لم تعلموا ولن تعلموا فأتقوا النار التي وفودها الناس ، والحجارة أعدت للكافرين ^(٢) » قيل لهم : إن استبستم العجز عن المعارضة فأركبوا العناد . فوضع قوله « فأتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وصميمه من حيث إنه من نتائجها ورددته ، لأن من اتقى النار ترك المائدة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة فاحذروا سطحي » يريد فأطيعوني واتبعوا أمري ، وأعلموا ما ينتج من حذر السخط و (ذلك ^(٣)) ردف له . ومن هذا الباب قوله - تعالى - : « قالت الأعراب آتانا قتل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسأنا ^(٤) » . ألا ترى إلى لطافة هذه الكتابة ؟ قلنا أفادت تكذيب دعوائهم ، ودفع ما اتصفتوه . وقائمتها ها هنا : أنه روعي في تكذيبهم أدب حسن ، حيث لم يصرح بلفظه ، فلم يقل « كذبتهم » لأن فيه نوع استقبح في الخطاب ، ووضع قوله - تعالى - « لم تؤمنوا » الذي هو نفي ما ادَّعوا بيانه موضعه ، لأن ذلك ردف له . وبما يجري هذا المجرى قوله - تعالى - : « قال ^(٥) هؤلاء الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا لمن آمن منهم . . . » إلى قوله « ... مؤمنون » فإن القرض بقولهم « إنا بما أرسلنا به مؤمنون » جواباً عن سؤالهم : « أتظنون أن صالحاً مرسل من ربك ؟ » إثبات العلم بإرساله ، وأنه من الأمور الظاهرة السليمة ، التي لا يدخلها ريب ، ولا يتربصها شك ، ولكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ، وردف له ، وهو الأيمان به : أمي صالح ، وإنا صبح منهم بعد نبوت نوحه عليهم ،

(١) السورة : التوبة الآية : ١٣ . (٢) السورة : البقرة الآية : ٦٤ .

(٣) زيادة ألفاظها السابق . (٤) السورة : الحجرات الآية : ٦٤ .

(٥) السورة : الأعراب الآية : ٧٥ . استكبروا . . . أتظنون أن صالحاً مرسل من ربك ، قالوا : إنا بما أرسلنا به مؤمنون . . . »

والعلم بإرساله إليهم ، فلايمان به إذن دليل على العلم بأنه نبي مرسل . وهذا من دقائق الأدواف
والعلمائه .

وأمثال ذلك كثيرة كقول الأهرابية في حديث أم زرع^(١) : « له إبل قليلات المسرح ،
كثيرات المبارك . إذا سمعت صوت للزهر أيقن أنهم هو لك » قال الظاهر من هذا القول أن
إبله تنزل بفنائها ، ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للأضياف . فإذا ضرب الزهر لثقباً (ن) نحرها
لضيوفه . لقد اعتادت هذه الحالة وأنتها . وغرض الأهرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها
بالجود والكرم ، والسكينة لم تذكر ذلك بلطفه البال عليه وإنما أتت بمعان ، هي أدلة على ذلك من
غير تصريح بمرادها . وكذلك قال بعضهم^(٢) :

وددت - وما تمني الودادة - أنني بما في ضمير الحاجبية عالم

فإن كان خيراً سرّي وعطته وإن كان شراً لم تلحمي اللوامم

قال المراد من قوله « لم تلحمي اللوامم » أنني أنجرها ، فأضرب عن ذلك جانباً ، ولم يذكر
اللفظ المختص به ، والسكينة ذكر ما هو دليل عليه وروادف له . وفيها أثرنا إليه من ذلك كناية
للتأمل .

والقسم الثالث من الكناية وهو المجاورة . وذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء فترك ذكره
جانباً إلى ما جاوره ، فيقتصر عليه ، اكتفاءً بدلالته على المعنى المقصود ، كقول المتنبي :

وشككت بالرمح الأسمم ثيابي ليس الكرم على التنا محرم

أراد بالثياب هاهنا نفسه ، لأنه وصف للشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به ، فثبت
حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب ، وفي ذلك من الحسن ما لا يتكره العارف بهذه الصناعة
وقال أيضاً :

(١) زاد في النسخ عبارة : « في وصف زوجها » ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) القائل هو كثير مرة الشاعر الشيبور .

برجاسة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم^(١)

الصفراء ههنا الحمر والذكر للرجاسة حيث هي مجاورة لها ، ومشتقة عليها . وذهب بعض المفسرين في قوله تعالى : « وثيابك فطهر »^(٢) أنه أراد بالثياب القلب والجسدي عليك فطهر أو جسديك . وأمثال هذا كثيرة فاهرقه .

النسب الرابع في السكناية : ما ليس بتشليل ولا إرداف ولا مجاورة كقوله - تعالى - : « أو من يُنشأ في الخلية وهو في الخصاص غير مبين »^(٣) فكأن عن النساء أنهم يترخون في الخلية أي ائزبة والنسمة وهو إذا احتاج إلى مجاورة^(٤) الغصوم كان غير مبين ، أي ليس عنده بيان ، ولا يأتي ببرهان يحتاج به من يخاصمه . وذلك لضعف عقول النساء وقساكين من فطرة الرجال . ومن هذا الباب قول أبي نواس :

تقول التي من بيتها خفت محلي عزيز علينا أن تراك تسير^(٥)

ألا ترى إلى حسن هذه السكناية من ذكر امرأته بقوله « التي من بيتها خفت محلي » فإنه من اللطفا ما ذهبنا ، وكذلك قول نصيب^(٦) :

فما جئوا فأتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أمنت عليك الحفالي^(٧)

(١) جاء هذا البيت مصحفاً على النحو الآتي :

برجاسة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم

والبيت مشهور مثاقوله .

(٢) السورة « العنقر » الآية ٤ والنظر : باب « المسك على الثياب » في كل الشعر ج ١ ص ٢٣٣ .

(٣) السورة « الزخرف » الآية ١٤ .

(٤) هنا التصريح على نفسه بأن الأمير إلى ما جاء به الزمخشري . وفي السكناية « مجاملة » بدلا من « مجارة » وفي حاشية السكناية : مجاملة : متعلقة من جتا يجتو : إذا برأ على ركبته ج ٤ ص ٢٢٤ طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٥) في البروان « خفت مررتي ... » ص ٤٤١ طبعة مصر سنة ١٩٥٣ .

(٦) نصيب بن رباح مولد العزيز بن مروان ، أمه أمة سويداء وأبوه من كنانة . كان شاعراً خلاصاً في السبب والمفرغ ولم يكن له حظ في المعطاء . انظر الأثافي ج ١ ص ١٢٥ طبعة الساسي وطبعة القدم بمصر . وذكره البرد في الكامل ج ١ ص ١٢٥ . قال « وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ويصح لم يسبق إليه » .

(٧) ههنا البيت من أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي ، وفي ههنا البيت :

قال الجاحظ : « نحن قوم تسحر بالبيان ، ونعوتهم بالقول ، والناس ينظرون الى الحلال ويقضون بالبيان فأثر ذلك في أمرنا أثراً ينطق إذا سكتنا ، فإن للذي يثير بينة متعرض للكذب » . فوئنا معنى قول نصيب قبل به ما ترى . وأمثال الكتابة كثيرة ، فأعرفها .

وأما الضرب الثاني من الكتابة فهو الذي يتبع ذكره ولا يحسن استعماله كقول

أبي العلي :

إني على شغفي بما في شعرها لأمنف عما في سراويلاتها^(١)
 فإن هذه كتابة عن الزهراء والشفقة^(٢) . ومعنى الله - عز وجل - أن الفجور لأحسن منها .
 ولقد ذكر الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجل سورة فقال :

أمن إلى ما تضمنه الشعر والخطي وأسدف عما في خيانت للآزر^(٣)
 ألا ترى إلى هذه الكتابة ما ألقاها ، والعينان سواء . ويبدأ تعلم فضل الشاعرين أحدهما على الآخر ؛ وذلك إذا أخذنا معنى واحداً فصالحه أحدهما في سياغة مفردة عن سياغة الآخر ، فأعرف ذلك .

وأما الترميض فقد جوزه - الله تعالى - في خطبة النساء كقوله - تعالى - : « ولا جناح

- = القول تركيب مستعملين لقبولهم
 لقوا شيرازي عن سيبان أبي
 السكائل ٥ ج ١ ص ١٢٤ - ٥ - والأمازي ٥ ج ١ ص ١٣٠ طبعة النسخ بخطبة القدم .
 (١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبو أيوب أحمد بن عمران مصلحها :
- سرى علسه حرمت ذواتها
 فاني الصفات بعبد موصوفتها
 ٥ ج ١ ص ٢٢٥ شرح ديوانه للشريف خلفاً إلى الكبرى ، مطبعة الخليل سنة ١٩٣٦ بصر .
 (٢) في المثل الدائر : « وهذه كتابة عن الزهراء والشفقة ، إلا أن الفجور أحسن منها » ج ٢ ص ٢١١ .
 (٣) من قصيدة يمدح فيها أبيه ، أولها قوله :
- بني شبيب قال صفوا الشاعر
 ورواية ديوان البيت هي :
- وقد علي ما أرتق على المسوي
 يحسن إلى ما تضمنه الشعر والخطي
 أخواله ، لا اختصراً بالعذر
 وأسمى إن لم الحسود التواضع
 ويصفد عما في خيانت للآزر

عليكم فيها^(١) مرّضتم به من خطية النساء ، فقال القسرون : التعريض بالخطية لها أن يقول لها ، وهي في مدة الوفاة « إنك لجنية وإنك لمسنة » وما أشبه ذلك . وما جاء من التعريض قوله - تعالى - : « آتت^(٢) فطعت هذا بألفتها يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » يعني أن كبير الأصنام تعجب أن تعبد هذه الأصنام المسخرة ، فكسرها ، وعرض إبراهيم - صلوات الله عليه - من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لأنه قال : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » وذلك على سبيل الاستهزاء بهم وهذا من رموز الكلام ، والقول فيه أن قصد إبراهيم لم يكن الفعل الصادر عنه تعالى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم ، وتكبيتهم والاستهزاء بهم .

ومن بديع التعريض قوله - تعالى - : « قال للآء الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلاً وما نراك أتيتك إلا الذين هم أرفأنا بأدي الرأي ، وما ترى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين^(٣) » قوله - تعالى - « ما نراك إلا بشراً مثلاً » تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم . فقالوا : هب أنك واحد من الآء وموازيمهم في الآءة فما جعلك أحق منهم بها ؟ ألا ترى إلى قوله - تعالى - : « وما ترى لكم علينا من فضل » .

ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - قال : حكمت المرأة الصالحة حولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي - ص - خرج ذات يوم وهو محضن أحد ابني بنته وهو يقول : « والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وإنكم لن ربحان الله وإن آخر وخلة وملتة الله بروج^(٤) » واعلم أن « ورج » واد بالمطائف والمراد غزاة حنين . وحينئذ واد

(١) السورة : البقرة والآية : ٢٣٥ . (٢) السورة : الأنبياء والآية : ٦٢ .

(٣) السورة : هود والآية : ٦٧ .

(٤) ذكر هذا الحديث الشريف الرضي في كتاب « المعجزات النبوية » - ص ٤٦ - من طبعة مصطفى البابي بحصر سنة ١٩٣٧ والقرطبي في « اتقان » ج ١ ص ١٦٦ من الطبعة المصرية . قال الرضي « ورج جبل بالمطائف » . وفي مرصاد الاخلاق على الألسنة والبلخ لابن عبد المنى البغدادي ص ١١٣ من طبعة إيران « ورج : بالفتح ثم التنديد موضع بالمطائف به كانت غزاة النبي - ص - » .

قبل وج لأن غزاة حُتَين^(١) آخر غزاة أوقع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على^(٢) للمشركين .
 وأما غزواتنا الطائف ونبوك ، اللتان كانتا بعد حين فلم يكن فيها وطأة أي قتال ، وإنما كانتا مجرد
 خروج إلى الغزاة حسب ومن غير ملاقة العدو ، أممي للمشركين ، ولا قتال لهم .

ووجه حذف^(٣) هذا الكلام ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : « وإن آخرَ وطأة
 وطئها الله برج » على ما قبله من الحديث ، هو التأسف على مفارقة أولاده ، وقرب وفاته ؛
 لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته - صلى الله عليه وسلم - كانت في ربيع
 الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينها سنتان ونصف ، فكأنه قال : « وإنك لمن رحمان الله ؛
 أي من رزقه ، وأنا مفارقتكم من قريب [إلا أنه سارع عن قوله : « وأنا مفارقتكم من قريب »^(٤)
 بقوله : « وإن آخرَ وطأة وطئها الله برج » فكان ذلك تعريضاً بما أرواه ، وقصد من قرب وفاته
 - صلى الله عليه وسلم - ومفارقتهم يوم ، أممي أولاده . وهذا من أقرب التعريضات وأعجبها ،
 فأعربها .

ومن هنا الباب قول الشَّيْخِ ذَرَّ^(٥) الحارثي :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما
 دفنتم بصحراء التَّحِيمِ^(٦) التواقيا

(١) قال الزعزعي : ولما غزاه حنين وحنين واد تيسل وج لأنها آخر غزوة أوقع بها رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - على المشركين « إلى أن قال » لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته في شهر ربيع
 الأول من سنة إحدى عشرة . - الثاني ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) في « لئال السائر » ج ٢ ص ٢٦٤ « مع المشركين » ، وفي القاموس « أوقع بهم : بالقبول »
 وقد تكلم الشريف الرضي على الجمل في « رمان » و « وطئها » .

(٣) في الأصل « حلف » والتصحيح من لئال السائر .

(٤) الزيادة من لئال السائر ج ٢ ص ١١٤ ، ويبدو أنها سقطت من نظم النسخ .

(٥) في الأصل « الشيدور » والشيدور الحارثي : من شعراء الحنابلة ، وقد انتقل له أبو تمام في علمه
 كله ، والبيت الذي أورده ابن الأثير هو أولها . وجاء في شرح البرزنجي تعليق على هذا البيت أنه « وليس
 اسم هذا الشاعر الشيدور » . ويقولون : « وقال البيهقي : هذا الشعر لسويد بن صبيح المرثدي ، من بني المرناب
 وكان على أخوه عبيد » . « شرح ديوان الحنابلة » ج ١ ص ١٦٨ حليمة حجازي بالقاهرة . وفي الطيوع
 من كتاب « الأئمة » واختلاف الأئمة » ص ١٠ « أنه » الشيدور « بناد من بني الحارث بن كعب
 وكان شاعراً غريباً .

(٦) في الأصل : « الصير » وفي الحنابلة : الصير : موضع ، وفي كتاب الأسيدي « الصير » وأما
 شارحه على عيون الأعيان والبكري . وقد ذكر البرزنجي وجهاً آخر لتفسير البيت نظراً في ص ١١٦
 ج ٢ من « شرح ديوان الحنابلة » للشارح .

فإنه ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الوضع من التولية لهم ، والتوقير عليهم إلا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر وجعله ترفيهاً عنه . أي : لا تفخروا بعد تلك الوقعة ، التي جرت لنا والسكم بذلك السكان .

ومن أحسن الترميزات ما كتبه عمرو بن ^(١) مسعدة إلى المؤمن ، في حق بعض أصحابه ، أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليطلعك في الحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يعطني في مراتب المستشفعين ، وفي إبدائه بذلك تعدي طاعته . [فوقع للمؤمن في ظهر كتابه : قد عرفت تصريحك له ، وتبريتك لنفسك] فأجبتك إليها ، وأمثال هذا كثيرة ، وفيها أثرنا إليه الكتابة .

النوع الخامس من الباب الأول من القسم الثاني

في استعمال العام والخاص في الآيات

وهو باب من علم البيان تتسكاثر فوائده .

اعلم أنه إذا كان الشيطان أحدها ^(٢) خاص والآخر عام فإن استعمال العام في حالة النفي ، أبلغ من استعماله في حالة الآيات ، وكذلك استعمال الخاص في حالة الآيات أبلغ من استعماله في حالة النفي .

مثال ذلك الإنسانية والحيوانية ^(٣) . فإن إثبات الإنسانية يوجب إثبات الحيوانية ، ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية . وكذلك نفي الحيوانية يوجب منه نفي الإنسانية ولا يوجب من إثباتها إثبات الإنسانية .

(١) أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن مولى لثعلبي الأصل ، كان جده مسعدة من كتاب خالد بن برمك ثم كتب يده أبي أيوب اللوزي وزير المصور على ديوان الرسائل ، وكان عمرو هذا من أكابر كتّاب المؤمن وأهل الفضل والرياسة في النثر والشعر وكان كاتباً بليغاً ، توفي سنة ٢١٤ هـ وقيل سنة ٢١٧ هـ في أيام المؤمن . معجم الأدباء ج ٦ ص ٨٨ . من طبعة مرزباني والوزراء الجبشيزي ص ٢٢٥٨ ، ٢١٦ . من طبعة الباني ومعجم الشعراء المرزباني ص ٢١٩ هـ .

(٢) التسكفة من القل السائر ص ٦ من ٢١٥ .

(٣) في القل السائر ص أحدهما عاماً والآخر عاماً ص ٣٢ ج ٢ .

(٤) في الأصل ص والحيوانية ولا يوجب نفيها هـ وهي من سبق ثم الساجح .

ومما يدخل في هذا الباب الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، التي يكون بينها وبين واحدتها تاء التأنيث ، فإنه متى أريد النفي كان استعمال واحدتها أبلغ ، ومتى أريد الإثبات ، كان استعمالها أبلغ .

فالأول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قلباً أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم^(١) ... » ولم يقل : « بضوئهم » ، لأن^(٢) ذكر النور في حالة النفي أبلغ ، من حيث إنَّ الضوء فيه الملافة على النور وزيادة ، فلو قال : ذهب الله بضوئهم ، لكان الذي يعطي ذهب تلك الزيادة^(٣) وقضاء ما يسمى نوراً ، لأن الأضاءة ، هي فرط الأضاءة دليل (ذلك) قوله تعالى : « وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ، وقدره منازل ... » فسكن ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فالنراض من قوله تعالى : « ذهب الله بنورهم » إنما هو إزالة النور عنهم رأساً^(٤) ، فهو إذا أزيله فقد أزال الضوء . وكذلك أيضاً قوله : « ذهب الله بنورهم » (ولم يقل : أذهب نورهم^(٥)) لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهب ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن الذهاب بالشيء هو استصحاب له ، و«ضيء» به ، وفي ذلك نوع الاحتجاج بالذهوب به ، وإسائه له عن الرجوع إلى حاله ، والعود إلى مكانه^(٦) وليس كذلك الإذهب للشيء ، وإزال معنى الاحتجاج منه .

(١) سورة « البقرة » الآية « ١٧ » . وقام الآية « ... وتركهم في ظلمات لا يبصرون » .

(٢) في الأصل : « لأن ذلك النور » والتصحيح من مثل النار .

(٣) زيادة بتضمها السابق . (٤) في مثل النار : « أملاً » .

(٥) المسئلة من مثل النار « ج ٢ ص ٣٣٠ » .

(٦) قال ابن العربي في كتابه « الملك الناصر على مثل النار » ص ١٢٦ — : « إن قوله :

إن ذهب الله بنورهم ، يعني أنه استصعبه وضيء كما يقول القائل « مبروت يزيد وعنده سيف » فذهبت به

أي أضاءته وضيئته وكأما قال سبحانه « فلما ذهبوا به وأجمعوا » معناه أخذوا يوسف صبيتهم وضوا ، فقلت

قال : ثم هكذا فسرت الآية فهذا كفر وتبصير ، فأما قوله « كل من ذهب بشيء فقد أذهب » فهو على إطلاقه

غير صحيح لأن ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهب بمعنى أهدمه من الرجوع أملاً ، لكنه قد أذهب عن

موضع الأول الذي أنشأه به . وإنما إن التلف حصل عليه من اشتداد لطف « ذهب » فلما اتصل في

معيّن أحدهما قوله : ذهب فلان في العارفين الثلاثي أي مضى فيه وقت في وقت سمر السبيل مذهباً لأنسه

ذهب فيه أي مضى فيه . وحس قول الشاعر وقرنه مذهباً كأنه صار طريقاً فسلكه الفقهاء وقرروا والحق الثاني =

وهذا كلام دقيق يحتاج إلى زيادة تأمل ومراجعة . وما يحمل على ذلك الأوصاف الخاصة إذا وقعت على شيئين ، وكان يلزم وصف أحدهما وصف الآخر ، ولا يلزم عكس ذلك ؛ نحو الطول والعرض ؛ فإنه إذا قيل : مربع ^(١) كمرشاه مائة ذراع ، لم أن يكون طوله إما مثلها أو أكثر منها ^(٢) . قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مقبرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض » ^(٣) فإنه إما يخص العرض بأنه كعرض الطول ؛ لأن الطول أكثر من العرض . والمعنى : أنه إذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها ؟ هذا في حالة الاتيات ، ولو أريد النفي لكان له أسباب غير ما ذكرنا ؛ وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض ؛ وذلك موضع كثير الاشكال ؛ فينبغي أن يكون المؤلف بصيراً باستعماله ؛ على اختلاف حالاته وتشعب مذاهبه .

وأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، فنحو قوله تعالى في قصة نوح - عليه السلام - : « قال اللأ من قومك إننا لنراك في ضلال مبين قال : يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ^(٤) » فإنه إنما قال : « ليس بي ضلالة » ولم يقل : ضلال لأن (نفي) الضلالة أيمن في نفي الضلال منه ؛ كما لو قيل لك : « ألك تمر ؟ » فقلت في الجواب : مالي تمر « كأن ذلك أتى للتمر . ولو قلت : « مالي تمر » لما حكان مؤدباً من المعنى ما كان يؤدبه القول

« كذا » والصواب الآخر) : ذهب بمنعهم وقد ، ولم يذهب الشباب وذهب العمر أي فهو عدم ولعل الاختيار الثاني هو المقتضى الأصلية ، والصل الأول هو الجواز لأنه لا معنى زيد في تلك الطريق فقد تقدم بالنسبة للخبرها فمسي مشبه ذهاباً ، وإنما بذلك اشتراك اللفظ ظهر فلهذا لأنه نوح أن قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » مثل قوله « ذهب زيد بنابه عمرو » أي احتدوا ومضى وقد سرح بضم الألف على هذا الوجه ، وهذا مع لا يجوز أن يشب إلى الله تعالى لأنه لا يصح عليه الحركة ولا استصحاب الأسماء واستعمالها من مكان إلى مكان . وعلى أنه لو صح عليه ذلك لكان قوله « أذهب الله نورهم » أبلغ إلى المعنى من قوله « ذهب الله بنورهم » على هذا التفسير لأن عدم النور بالسلبية أبلغ من نوله « وتركيبه في عتات لا يبعثون » ومن أين يذهب بالنور ؟ والفسد الذي زعمه فيكون للنور وجود في الجملة ، وإنما قل من موضع إلى موضع « إلى أن قال « كلا العطين يمل على معي واحد » .

- (١) أراد بالمرمى ما أرمم أنتاج .
- (٢) هذه العبارة مكررة في الأصل وذلك من جهة التاميم .
- (٣) « آل عمران » الآية « ١٣٥ » « وأنها » ... أعدت العطين » .
- (٤) « الأعراف » الآية « ٥٩ » « ٦٠ » .

الشرح التاسع من الباب الأول من الفن الثاني

في التفسير بعد الإبهام

يحمل ذلك لتخيم اللهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يبارق السمع أولاً ، فيذهب السامع كل منهج كقولته تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ^(٢) ففسر « ذلك الأمر » بقوله : « دابر هؤلاء مقطوع » . وفي إبهامه أولاً ، وتفسيره بمسد ذلك تخييم الأمر ، وتعظيم شأنه ، فإنه لو قال تعالى : « وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع .. » لكان جهته الثابتة من الضميمة ، فإن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكير ، واستعظام لما قرع سمعه ، وتشويق الـ معرفة كنهه ، والاطلاع على حقيقته .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « أهدنا الصراط المستقيم » صراط الذين أنعمت عليهم ... » (فإنه إنما قال ذلك ، ولم يقل : أهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ^(٣)) لما في الأول من التنبية ، والاشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين ، فدل عليه بأبلغ وجه ، كما تقول : « هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ؟ ! » ثم تقول : « فلان » فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : « هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل » لا أنك ثبتت ^(٤) ذكره مجازاً ومفضلاً ، فبشأنه فلاناً في الكرم والفضل ، كأنك قلت : من أراد رجلاً جليلاً مخلصاً لخصليتين فعليه فلان .

وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم صراط الرشاد

(١) يقال له : إنما استعجمت باسم جنس معي وذلك أمر معروف أن تنفي مفردة تشمل الفاعل جميع جنسه ، وأما « الضلال » فلم يقل أهدته أنه اسم جنس معي لـ « ضلال » قال ابن فارس في القاموس : « والضلالة والضال بمعنى » . وكذلك القول في الضلال والضلال والسباح والسباحة والسعال والسعال والفاصر لما من استعمال المركب الكرم « الضلال » و « الضلالة » أن الأول استعمال للجسم المستطرد والثاني استعمال للفرد المستطرد أيضاً . فهو كالمجانبية ، تقول « ضلعت في حياجة » عندما تريد السلوك ، و « في نفسي حياجة » إذا أردت النفس .

(٢) للتل السائر ج ٢ ص ٢٧ . (٣) التكملة من لئيل السائر ج ٢ ص ٢٧ .

(٤) في الأصل : « ثبتت » وهو من تعريف الضميمة .

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي إلا ما لها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يزفون فيها بنير حساب ^(١) ألا ترى كيف قال : « أهدكم سبيل الرشاد » فأبهم : « سبيل الرشاد » ولم يبين أي سبيل هو ، ثم فسّر ذلك فتفتح كلامه بضم الدنيا ، واستفهم شأنها ، لأن الإحلال إليها أصل الشر كله ، ثم نبى ذلك بتعظيم الآخرة والاحتمال على حقيقتها ، وأنها هي الوطن والمستقر ، ثم تلت بذكر الأعمال ، سيئها وحسنها ، وواقبة كل منها ، ليبيّن ^(٢) مما يلف ، ويتشع لسا يلف ، فكأنه قال : سبيل الرشاد هو الامتناع عن الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والامتناع من الأعمال السيئة ، خوف العقاب عليها ، والمصارعة إلى الأعمال الصالحة ، رجاء المجازاة عليها . وكذلك (جاء) قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ^(٣) ... » ولم يقل : قواعد البيت ، لاني إيهام القواعد ، وتبينها بعد ذلك من الأضاح ، وتقدير حال البين ^(٤) مما ليس في الأضاح .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى آية موسى ^(٥) . » الآية (فإنه) لما أراد تفخيم ما أمّل فرعون من بلوغه أسباب السموات ، أيهما أولاً ثم صرحها ثانياً ، ولأنها لما كان بلوغها أمراً هيباً ، أراد أن يورده على نفس مستوفة اليه ، ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليتوقى إليه نفس هامان ، ثم أوضحه بعد ذلك .

ومما يدخل في هذا الباب الإبتداء بذكر الضمير ثم الاضاح بذكر صاحبه بعده ، كتأويله

(١) سورة « غفر » الآية « ٤٠ » .

(٢) في الأصل الشبه ، والتصحيح من لسان السائر « ج ٢ ص ٢٨ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٢٦ » وتعليق « ... وإسماعيل ربه تفلح منا أنك أنت السميع العليم » .

(٤) في الأصل « البين » والتصحيح من لسان السائر .

(٥) السورة « غفر » والآية « ٣٦ ، ٣٧ » وتعليق « . وإني لأحذك كاذباً وكذلك زين لفرعون

سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في كتاب » .

تعالى : « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن »^(١) فإنه لا أتى بالضمير ، الذي هو « منه » قبل صاحبه الذي هو القرآن ، كان ذلك تفضيلاً له ، وتعليقاً من أمره . ولو قال : وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ، ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير ، وهذا مثل قولهم « الكريم العالم للفاضل » ثم يقال : فلان وقد سبق الكلام عليه ، فاعرف ذلك وقس عليه .

وأما الإبهام من غير تفسير ، فكثير شائع في القرآن العزيز ، كقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »^(٢) « قوله : للتي هي أقوم أي الطريقة أو الحالة أو السنة هي أقومها وأشدّها ، وأي ذلك قدرت لم نجد له مع الاقبح فوق البلاغة الذي نجد مع الإبهام ، وذلك لشهاب الزم في كل مذهب ، وإيقاعه على احتمالات كثيرة ، وهذا لا يخفى على العارفين بمرور صناعة التأليف فأعرفه .

ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العسدي وهو ضرب من الشائرف لطيف الأخذ بهيب الغزى . وإنما يفعل ذلك طلباً للبالغة ؛ لأن له تأثيراً شديداً في القلب ، وموقفاً عظيماً في النفس وفائدته [أن] أول ما يطرئ في سمع المخاطب ذكرُ المقدم في العدد فيذكر موقع ذلك عنده ، وهو شبيه بما ذكرناه من الإبهام أولاً ثم التفسير بعده ثانياً ، فن ذلك قوله تعالى : « وقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فليت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً »^(٣) فإنه إنما قيل « ألف سنة إلا خمسين عاماً » ولم يقل تسعماية وخمسين عاماً لفائدة حسنة ، وهي ذكر ما ابتلي به نوح من أمته ، وما كابد من طول المسيرة ، ليكون ذلك نسبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتثبيتاً له ، فإن ذلك رأس العدد الذي هو متعنى العقود وأتململها أوقع وأوصل إلى الترض من استقالة السامع

(١) السورة : يونس « الآية » ٦١ « وتعالى » ... ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .
 (٢) السورة : الاسراء « الآية » ٩ « وتعالى » ... ويهدى للذين يعملون الصالحات أن هم أكبراً كبراً .
 (٣) المتكويث الآية « ٦٤ » وتعالى » ... فأخذهم للظلمة وهم ظالمون .

مدة سيره وما لاقاه من قومه ، فأعترف ذلك وقس عليه .

الفرع العاشر من الباب الأول من الفرض الثاني

في التعقيب الصدري

وإذا عمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه ، والأشعار بتعظيم شأنه أو بالبعد من ذلك ، فقال الأول قوله تعالى « ويوم يفتح في الصور » ففزع من في السموات ومن في الأرض ^(١) « إلى قوله « ... وهم من فزع يومئذ آمنون » و « من جاء بالهتاف فتكلمت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . « فصنع الله » من المصادر المؤكدة لما قبلها ، كقوله « وعد الله ، وسبغ الله » ، ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم ، المال على القدرة الباهرة ، من الفتح في الصور ، وإحياء الأموات ، والفزع . وإحضار الناس للحساب وسير الجبال كالسحاب في سرعتها ، وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة ، عقب ذلك أن قال « صنع الله » والمعنى أن هذا الأمر العجيب البديع صنع الله ، والمعنى « ويوم يفتح في الصور » وكان كيت وكيت من الأشياء الباهرة ، وأتاب الله المحسنين ، وعاقب المجرمين « فجعل هذا الصنع من جملة الأمور التي أثنى بها على الحكمة والثواب ، حيث قال : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » . يعني أن مقابلة الحكمة بالثواب ، والهدية بالعقاب من إحصائه للأشياء وإتقانه لها ، وإجرائه لإها على قضايها الحكمة ، أي إنه عالم بما تفعل العباد وما يستوجبون عليه ، فيكافئهم على حسب أفعالهم ، ثم تلخص ذلك بقوله تعالى : « من جاء بالحسنة ... » إلى آخر الآيتين .

فاظهر أيها للتأمل إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نقله وترتيبه ، ومكانة إنبائه ، ورسالة تفسيره ، وأخذ بعضه برقاب بعض ، فأما أفرغ إترافاً واحداً . ولأمر ما أجهز القوي وأخرس

(١) الخ « ٤٧ ، ٤٠ » وانعام « ... إلا من شاء الله وكل أتوه فخزين وتري الجبال تحسبها جنداً وهي تفرس السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تعملون » من جاء بالهتاف فتكلمت وجوهها وهم من فزع يومئذ آمنون .

وعو هذا « الصدر » إذا جاء عقب (١٦) الكلام كان الشاهد بسجته ، والنادي على سدانه وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان . ألا ترى إلى قوله : صنع الله وسيفه الله ، ووعد الله ، وفطره الله ... بعدما وصفا بإنسانها إليه ، بسمه التعظيم ، كيف تلاها بقوله : « الذي آمن كل شيء » .

وأما الثاني ، وهو ضد الأول ، وذلك ما يرد به تفسير الشأن ، فكقولك إذا أخرت ذكر إنسان تريد منه : « قد ركب هواه » ، واستمر على غيته ، وتنادى في جهه ، وسحب ذيل هيبه ... « وما أشبه ذلك . ثم تقول : « صنع الشيطان : الذي يخلب النفوس ، ويسلب الألباب ... » وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

التروع الفخاري عشر من الباب الأول من الفصح الثاني

في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو

كتقديم للمفعول على الفاعل ، وتقديم المبال والظرف ، أو غير ذلك ، فإن هذا قد أفردنا له باباً ، وجعلناه مقصوداً عليه ، ومرراً ذكره في باب « شجاعة العربية » .

وأما هذا الباب فإنه يتعلق بتقديم الأشياء بعضها على بعض في الذكر ، لاختصاص أحدها بما يرجح له التقدم على الآخر ، وذلك مما لا يحصره حد ، ولا يأتي عليه شرح . وقد أشرنا نحن إلى نبذة منه ، إذا تأملها الناظر في كتابنا هذا ، يستدل بها على غيرها .

فمن ذلك تقديم السبب على السبب ، كقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين .. » فإنه

(١) يقال للفتح « حذرت شفتيه » والمعنى شفاقي ومر مستعارة من شفتة البحر وهو كراتة يخرجها إذا حاج ورفها .

(٢) جاء في الصباح للبر « وأما عقب مثال كرم فاسم فاعل من تولم : عابه ، بآية وعقبة تعباً فهو تعاب وعقب وعقب إذا جاء بعده ، قال الأزهري أيضاً : والليل والنهار يتعابان : كل واحد منهما عقب صاحبه والسلام عقب التمدد أن يراه فهو عقب له ، والمعصية عقب العلال أي تولم وتعبه فهي عقب له أيضاً ، فنون العظام ، يفعل ذلك عقب الصلاة ، ونحوه بإزاء لا وجه له إلا على تقدير عنون والمعى « في وقت عقب وقت الصلاة » فيكون عقب مدة وقت ثم حذف عن الكلام عن صار : عقب الصلاة » .

إنما قدم العبادة على الاستعانة ؛ لأنَّ تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة أجمع لمصوّل اللطوب ، وأسرع لوقوع الاجابة . ولو قال : إليك تستعين ، وإليك تبيد ، لكان جائزاً ، إلا أنه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الوقع ، وهذا لا يخفى على النصف من أرباب هذه الصناعة . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « وأزلنا^(١) من السماء ماء طهوراً لنحْيِي بِهِ بِلْدَةَ مِثْرَا ، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً ، وأناسي كثيراً » .

ألا ترى كيف قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ؟ وإلّا كان الناس أشرف محلاً وأعلى مكاناً . وسبب ذلك ما أذكره لك وهو أن حياة الأرض سبب لحياة الأنعام والناس . ولا كانت الأنعام أيضاً من أسباب التبييض والحياة للناس فدعما على الناس في الذكر ، ولأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وتبييضهم على سببهم . فهذه نكت القرآن العجيبة ورموز أسرارها اللطيفة التي إذا مرَّ اللسان عليها من غير أن يتدبرها ، وبسطها أفضل تأمل وتفكير لا يقع على خباياها ، ولا يظفر بمراتبها .

ومن هذا النوع تقديم الأكل على الأقل ، كقوله تعالى « ثم أورثنا السكّاب الذين أسطفتنا من عبادنا فهم ظالم^(٢) لنفسه ومنهم متصدّق ومنهم سابق بالخيرات^(٣) » فإنه إنما قدم الظالم لنفسه للايمان بكفرته وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بعده بالتصدقين ؛ لأنهم قليل بالاضافة إليه^(٤) ، وأخر السابقين بالخيرات ، إذ كانوا أقل من القليل أعني من التصدقين ، وقدم الاكثر ثم جاء بعده ؛ بالأوسط ثم ذكر الأقل أخيراً ، وذلك لائق في باب . ولو انعكست القضية لكان المعنى أيضاً واقعاً في موقعه لأنه يكون قدم الأفضل فلا أفضل ؛ وذلك أن السابقين بالخيرات أفضل من التصدقين ، والتصدقين أفضل من الظالمين ؛ وللوضوح في ذلك طريقاً يعرفه مؤلف

(١) أول الآية « القران : ١٩ » هو « وهو الذي أرسل الرياح بمرأيتي بما يري رحته وأزلنا ... » وقد سقطت هذه الآية من فهرست القرآن للشيخ نجوم القران في أطراف القران الذي صنعه كسوف توجيل الأتاني في مادة « مات » لفظ .

(٢) السورة « طه » والآية ٣٢ ونهايا « ... باتن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » .

(٣) أي بالقدرة إليه ، وكثير من كتاب العصر اللغويين يستعملون « بالاضافة إليه » مكان « مضافاً إليه » و « مضاف إليه » و « زيادة عليه » و « يزد عليه » وهو خطأ .

الكلام ، فنقول :

اعلم أنه من كل الشئان أحدهما كثير والآخر أقل منه ، وكان الأقل أفضل من الأكثر فأنت بالخيار في تقديم أيها شئت ، لأن في كل واحد منهما ما يجب له التقديم ، فاحرف ذلك وقس عليه نظائره وأمثاله .

ومن هذا النحو قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يشرب على بطنه ومنهم من يشرب على رجلين ومنهم من يشرب على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير »^(١) .

فإنه إنما قدم الماشي على بطنه لأنه أدل على القدرة من الماشي على رجلين ؛ إذ هو ماش بقدر الآلة المخرقة المشي ، ثم ذكر للمشي على رجلين بعده ، وفسره على الماشي على أربع ؛ لأنه أدل على القدرة أيضاً حيث كثرت آلات الشئ في الأربع ، وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب فاحرف ، ذلك .

ومن هذا النوع في التقديم والتأخير أنه إذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شئين أحدهما أفضل من الآخر ، وكان معنى الفضول مناسباً لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيها شئت ؛ لأنك إذا قدمت الأفضل فهو في موضع التقديم ، وإن قدمت الفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه ، وذكر الشئ مع ما يناسبه أيضاً ولورد في موضعه فمن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وإنا إنفا^(٢) أذقمنا الانسان مناً رحمة فرح بها وإن أنسبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الانسان كفور » إلى قوله : « عليهم قدر » فإنه إنما قسم الإنانث أولاً على الذكور ، مع تقدمهم عليهم ، ثم رجع فتقدم المذكور وأخر الإنانث بعد ما نكرت حسن وعرف الذكور ؛ لأنه ذكر البلاء في آخر الآية ، وكفران الانسان بنسيانته الرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكر ملكيه وسديته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإنانث ؛

(١) السورة « النور » الآية ٤٠ .

(٢) السورة « النور » الآية ٤٨ — ٥٠ « وأولها » عن أرضوا لما أرسلناك عليهم حقيقة إن عليك إلا البلاغ وإنا لينا أمنا ... « وعلمها » في تلك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يجب لمن يشاء إنفاً ويجب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناً ويعمل من يشاء حقيقة إنه علم قدير .

لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاءه الانسان ، وكان ذكر الاناث ، التي من جنس الانثى من جملة ما لا يشاءه الانسان ولا يختار أمم ، فالأم واجب التقديم ، وبلاء الجنس انثى [الذي]^(١) كانت العرب تصدّه بلاماً ، ذكر البلاء ، وما آخره المذكور وم أحق بالتقديم ثم تدارك ذلك بتعريفه بإنعام ؛ لأن التعريف تنويده بالذكر ، [كان]^(٢) كأنه قال « وببب لبب بشاء القرصان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم » ثم أعطي بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير ، وتحرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ، ولكن لتفضي آخره ، قال : [أوزوجهم]^(٣) ذكرنا وإنا ، وهذه دلائل لطيفة ، فلما يقبها لها أو يعثر على رموزها .

ومن هنا الباب قوله تعالى : « وما تكون في شأن وما ننظر من قرآن ولا ... » إلى قوله « ... وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء »^(٤) فانه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء ، ومن حقا التأخير ؛ لأنه إنما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم ، ووصل ذلك بقوله : « لا يعزب عنه » لام بين ... وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

الترغ الثاني عشر من الباب الأول من الفتن الثاني

في صفات الظاهر على ضميره والانصاح به بعده

وهذا إنما يمد اليه لفائدة ؛ وهي إما تعظيم حال العاطف عليه ، والتفخيم من شأنه ، وإما ضد ذلك وتضيئه ، مثال التعظيم قولك .. « ولما نلاقينا^(٥) وبترقيم » أقبلوا إلينا يوفضون^(٦) وابتعدوا ثمونا يركضون . وجاهزوا قائمهم في ثلاثهم ليدل ؛ وفي سرهم سليل . قرأنا منهم

(١) زيادة الضمها اليه .

(٢) راجع « ص ١٧٤ من ١ » من هذا الكتاب .

(٣) كنا ورد جمع المؤلف ؛ مثل الظاهر على الضمير الزبور بلا ضمير ولا ناسل نظي وهو ضيف في العربية ، والتوضيح ؛ تلاعبنا نحن وبترقيم .

(٤) أوفضوا : أسرعوا وعدوا منه قوله تعالى « أنهم ان نصب يوفضون . »

أسوداً في القافية ، وتعالق في المخادعة والحفافة ، وتناجد ^(٦١) بنو نعيم علينا بحملة ، فلذا بالقرار ، واستبقنا الى تولية الأديار « فإنا قلت : « وتناجد بنو نعيم » مصرحاً بذكرهم ، ولم نقل : وتناجدوا ، كما قلت : « أقبلوا » و « ابتدرُوا » و « جاولوا » للدلالة على التعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدتهم وإقدامهم . ولا سباً وقد أسفت الى ذلك قولك : « لثنا بالقرار » و « استبقنا الى تولية الأديار » فكانت قلت : وتناجد أولئك الفرسان المشاهير ، والسككة المذكورون ^(٦٢) ، وحلوا علينا حلة واحدة ، فولينا مديرين منزهين .

ومن هنا الباب قوله تعالى : « أولم يروا كيف خلقنا ثم يمينه إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ^(٦٣) ... » . ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله : « ثم الله ينشئ النشأة الآخرة » . مع إبهامه ^(٦٤) مبتدئاً في قوله « كيف بدأ الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة » ؟ والفائدة في ذلك ما ذكرناه ونَبَّهنا عليه ؛ وهو أنه لما كانت الاعادة عندهم من الأمور العظيمة والأشياء المستصعبة ، وكان صدر الكلام وانما معهم في الابداء ، وكثر رأيهم أن ذلك من الله — عز وجل — احتج عليهم بأن الاعادة إنشاء ، مثل الابداء ، وإذا كلف الله لا يعجزه شيء ^(٦٥) هو الذي لا يعجزه الابداء ، فوجب أن لا تعجزه الإعادة ؛ فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الاعادة أبرز اسمه — تعالى — الى [السبارة] وأوقته مبتدأ ثانياً ، فأعرب ذلك وقس عليه .

وأما الثاني وهو شد الأول فإنه يقصد به الهم كقوله تعالى : « وإنا ننزل عليهم آياتنا ينشأت قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم كما كان يصد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إنك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا بصر بين ^(٦٦) » فإنه إنما قال : « وقال الذين كفروا »

(٦١) تناجدوا : تعاونوا .

(٦٢) في مثل السائر ج ٢ ص ٢٤ . « لما كبر » جمع لشكر .

(٦٣) السورة « المتكويث » والآية ١٦٩ - ٢٠ . وأماها « إن الله على كل شيء شهيد » .

(٦٤) في مثل السائر ج ٢ ص ٢٤ .

(٦٥) كلما وردت وفي مثل السائر أيضاً . ج ٢ ص ٢٥ . ولعل الأصل « وهو الذي » .

(٦٦) السورة « سبأ » والآية ٤٣ .

ولم يقل : « وقالوا » كما في قوله ، للدلالة على صدور الكلام عن إنكار عظيم ، وتعصب شديد ، وتعجب من كفرهم بليغ . ولا سيما ^(١) وقد انضاف إلى ذلك قوله تعالى : « وقالوا للحق لنا جاءم ... » وما فيه من الإشارة إلى القائلين ، وللقول قهيم ، وما في ذلك من المبادأة « كأنه قال تعالى » وقال أولئك المشككون ، التبردون بجرأتهم على الله ، ومكابرتهم لئلا ذلك الحق الثبير ^(٢) ، قيل أن يفوقوه : إن ههنا إلا سحرٌ بين » . وأمثال ههنا كثيرة ، فاعرفها .

الفرع الثالث عشر من «باب المؤول من الفن الثاني

في التخلص والانتصاب

ولهذا النوع من الكلام ، محل كريم ، وموقع لطيف .

فأما التخلص ، فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني ، فيبتسأ هو فيه إذ أخذ في معنى آخر ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون بمنه آخذاً برفق بعض ، من غير أن يقطع المؤلف كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه ، كأنما أفرغ إقراناً ، وذلك مما يدل على حنق الشاعر ، وقوة تصرفه ، وطول يامه ، والساع لقدرته ، من أجل أن الشاعر يضيق عليه نطاق الكلام ، ويصعبون متبعاً للوزن والقافية ، فلا يوافيه إلا لفاظ على حسب إرادته ، ولا تنزله .

وأما التناثر فإنه مطلق العنان ، يعرض حيث شاء فذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر .

وأما الانتصاب فهو ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك . ولا يكون للتناثر علاقة بالأول ، ولا تنسيق بينه وبينه ، وهو مذهب القدماء من مستنسخة ^(٣) الشعر ، وسبأني بيانه . وأما المحدثون فلهم تصرفوا

(١) لا تدخل « قد » بين لاسيا وما يليها ، فضلاً عن أن يكون ما يليها ضلماً كما جاء في كلام المؤلف .

(٢) وفي النسخ السائر « بين » . (٣) النسخة : بالتحريك جمع الصائم .

في التخلّص وأبدعوا فيه فأظهروا من ذلك العجائب والثرائب كتأول علي بن الجهم^(١) :

وليه كحلت بالنفس^(٢) مقلّتها
أقلت فناع الحجى في كل أخدود
قد كاد يُفرقي أمواج ظلمتها
لولا اقتباس سناً^(٣) من وجه داود

ألا ترى ما ألفت هذا التخلّص وأحسنه ؛ فإنه ذكر أولاً القيمة وسوادها ، وابتداء
ديهاها ، وأنه في لغوات من ظلمتها كالفرق بين . ثم أدرج في ضمن كلامه ، بمسند ذلك ، ذكر
للمدح بما يناسب ما هو من الغلظة ، فذكر الإنارة والأضائة بقوله : « سناً من وجه داود »
فصار الكلام كأنه أفرغ إلزاماً واحداً ، ومن هنا النحو قول ابن نباتة :

كفن الشموع وقد أطلعت
من النار في كل رأس لسانا
أناهل أمداك الطائفين
تفسرُحُ تطلبُ منك الأمانا

فهنا هو التخلّص البديع في الصنعة الذي استحوذ على جماع الحسن والرواق ، فأعترفه .
وقال أبو العلاء محمد^(٤) بن قائم العروف بالنسائي : « إن كتاب الله العزيز ظل من
الاقتضاب والتخلّص » . وهذا القول فاسد ، لأن حقيقة التخلّص إنما هي الخروج من كلام إلى
كلام آخر غيره بلطفة تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي
القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك ، كالخروج من الوعد والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة

(١) هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي الباهلي ، كان أحد الشعراء المشهورين في لندج والرسف
والقول بالقطر عذبة وأوزان متعقبة وهو أول من تعلم في التاريخ من الشعراء ، مدح للشوكلي على الله وشعره
وتوفي سنة ٢١٩٥ هـ جريحاً من وفاة دمه وجرأ أعراب بني كلب . وقد طبخ الأستاذ الكبير خليل مريم ديوانه
بالشام في دمشق ، تاريخ بشارة الخطيب ج ١٩ ص ٣٦٧ ، و « معجم المرزباني » ص ٢٨٦ ، والأمان
ج ١ ص ٩٠٣ ، و « طبقات الشعراء لابن العزّز » ص ١٥٦ ، و « وقفاة الأعيان لابن خلكان » ج ١
ص ٣٨١ ، من طبعة بلاد الميم .

(٢) في الأصل « النفس » من تحريف الفساح ، والتصحيح من « ديوان علي بن الجهم » ص ١٢٨ ،
طبعة الأستاذ خليل مريم .

(٣) في زهر الآداب ص ١٨ : ٣ ، عن كل « كما جاء في خشية الرويات ، وفيه أيضاً « سناً
وجه داود » .

(٤) راجع خشية ص ٢ ، من هذا الكتاب .

إلى أمر ونهي ووعيد ووعد ومن عسك إلى متشابه ، ومن صفة لشيء مرسل وملاك منزل إلى ذم
 لشيطان مرصد ، وجبار شديد بطائف دقيقة ، ومعلم آخذة بالقلب ؛ فما جاء من التخلص في
 القرآن الكريم قوله تعالى : « واتق عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا تعبد
 أصناماً فضل لها ما كفيهن قال هل بيسمونكم إذ تدعون » (١) . إلى قوله تعالى : « قالوا أن لنا
 كرتة فنكون من المؤمنين » هنا كلام يذهل العقول ويحير الألباب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة
 والتتصب لهذه الصناعة ، فإنه متى أنتم فيه النظر وتدير أثمانه (٢) ، ومطايي حكته علم
 أن في ذلك غيٌّ عن تصفح الكتب اللؤلؤة في ههنا الفن ألا ترى أيها التأمّل ما أحسن
 ما رتب إبراهيم - عليه السلام - كلامه مع الشركيين حين سألهم أولاً عما يبدون سؤال
 مفرد لا سؤال مستنهم ، ثم أتى على آلتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ،
 ولا تبصر ولا تسمع . وعلى تقليد أيام الأقدمين ، فكسره وأخرجه من أن يكون
 شبهة فضلا عن أن يكون حجة . ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الآله ، الذي
 لا يجب العبادة إلا له ، ولا ينقي الرجوع والانابة إلا إليه ، فصور السألة في نفسه دونهم
 بقوله « فإنهم عدو لي إلا رب العالمين » على معنى أتى فكوت في أمري فأريت عبادتي لها عبادة
 العدو وهو الشيطان ، فأجبتنيها ، وآثرت عبادة من الخير كله منه . وأرام بذلك أنها نصيحة
 ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدهى لهم

(١) السورة « الشعراء » والآية « ٦٩-٦٧ » وتامها « ... أو يعفونكم أو يدعون » قالوا بل
 وجدنا عليه آباءنا كفلك يعفون ، على آرائهم ما كنتم تعبدون ، ألم وآباءكم الأصليون ، عليهم حسدوا لي إلا
 رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهيني ، والذي يهديني يضلني ، وإذا مضيت فهو يفرقي ، والذي يمني ثم
 يحسني ، والذي أسمع أن يعف لي خطيئتي يوم الدين ، رب عب لي شكراً وأنتني بالصالحين ، وأبطل لي لسانك
 صدق لي الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة اليمين ، وأظفر لأبي إنه كان من الظالمين ، ولا تخزني يوم
 يعطون ، يوم لا يطلع حال ولا بون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأزاحمت الجنة العاقين ، وبرزت إليهم
 للعاورين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ، من دون الله هل يعصونكم أو يتصرون ، فكذبوا فيسأم
 والفاورين ، وجنود إليس أجهون ، قالوا وهم فيها ينجسون ، ناع إن كنا لله خالدين ، لا نسويك رب
 العالمين ، وما أضلنا إلا الجرميون ، فما لنا من حافين ، ولا صديق حيم ، فلأن لناكرة فنكون من المؤمنين .
 (٢) في الأصل « أبناء » وهو غير مستقيم .

الى القبول لقوله ، وأثبت على الاستماع منه . ولو قال : « فأنهم عدو لكم » لم يكن بذلك النجاسة ،
 فتخلص عند تصويره السألة في نفسه الى ذكر الله عز وجل ، وأجرى عليه تلك الصفات العظيمة
 من تعظيم شأنه ، ولعديد نعمه [عليه] من ان خلقته وانشأته الى حين وفاته مع ما جرى في الآخرة
 من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيقة بالعبادة وواجب على المخلوق الخضوع له ، والاستكانة
 لعظمته ، ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعى بدعوات المخلصين ، واهبط اليه ابتهال
 الأوابين ، لأن الطالب (إلى) مولاه ، والرغب اليه لنا قدم قبل سؤاله وشراعته الاعتراف
 بالنعمة والاقترار بالاحسان كان ذلك أسرع للإجابة ، وأتبع حصول الطلبة ، ثم أدرج في
 ضمن دعائه ذكر البعث ، ويوم القيامة ومجازاة الله لمن آمن به واتقاه بالجنة ، ولينزل عن
 عبادته النار ، فجمع الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته ، ثم سأل المشرحين عما كانوا
 يعبثون من الأصنام سؤال موعظ لهم ، مستهزئ بهم ، وذكر ما يُدفعون اليه عند ذلك من
 التدم والمسرة^(١) على ما كانوا فيه من الضلال وتمييز العود ليزمنوا .

فاتظر أيها التامل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعنقه برقاب بعض مع احتوائه على غروب
 من المعاني فيتخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطفية دقيقة حتى كأنه معنى واحد ، تفرج من
 ذكر الأصنام وتقريره لأبيه وقومه من عبادتهم ليلها مع ما هي عليه من الضمري عن صفات الالهية
 حيث لا نظر ولا تتفح ، ولا تبصر ولا تسمع ، الى ذكر الله تعالى ، فوصفه بصفات الالهية ،
 فعظم شأنه وهدد نفسه ، ليعلم بذلك أن العبادة لا تسبح الا له . ثم خرج من هذا الى دعائه بإله
 وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة ، وثواب الله وعقابه ، فتدبر هذه التخصصات
 المطوية ، هذا الى غير ، من تضمن هذا الكلام لأنواع من ستاعة التأليف ، وهي الابهاز
 والسكتاية والتقديم والتأخير وإنبابة الفعل للماضي عن الفعل للضارع .

فأما الابهاز فلا يخفى به على العارف بما أشرنا اليه في باب الذي سبق ذكره إلا أن من جعلته
 قوله تعالى : « وأزلف الجنة للذين » وبرزت الجحيم للناوين » فإنه جمع الترغيب في طاعته

(١) كذا جاء في الأصل ولو قال « من المسرة والتدم على ... » السكان أحسن .

والترهيب من مصيبتهم مع عظمها ، ونفاسة شأنها في هذه الكلايات اليسيرة . وأما الكتابة فقولته تعالى « ويرزق المحجيم لقاوين » فالناوون ها هنا كتابة عن أبيه وقومه ، ويدل على ذلك قوله « وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله » لأن كلامه في الأول كان مهم في عبادتهم الأصنام .

وأما التقديم والتأخير فإن ذكر إبراهيم النعمة وتمديد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة . وأما إنباء الفعل الماضي عن المضارع قولته تعالى : وأزلفت الجنة لذاتين ويرزقت المحجيم لقاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون « يد قوله « ولا تغزني يوم يعنون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وفي ذلك من الفائدة ما أشرفنا إليه في بابها ، وقد سبق ذكره ، فاعرفه .

ومما استطرف من هذا النوع قول ابن^(١) البرقيكم :

وليل كوجه البرقيدي خلقة	وبرد أغابيه وطول قرويه
سريت ونوي فيه يوم مشرد	كقتل سليمان بن فهدي ودينه
على أولئك ^(٢) فيه المنفات صكأنه	أبو جابر في خبطه وجفونه
إلى أن بنا ضوء الصباح كأنه	سنا وجهه قرواش وضوء جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية وذلك أن هذا المدوح كان جالساً مع ثمالة في ليلة من ليالي الشتاء ، وفي جلهم هؤلاء الثنين هجاء الشاعر ، وكان البرقيدي مغتياً وسليمان بن فهدي وزيراً ، وأبو جابر صاحباً ، فالتبس المدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويهدمه فأنشده هذه الأبيات . وقد قال بعض أرباب هذه الصناعات إن هذا الشاعر لو تحدى بهذه الأبيات لأعجز

(١) لم تنك على ترجمه والشاعر أنه من أهل القرن الخامس للهجرة هذه ذكر ياقوت الحموي في رسم « برقيدي » من معجم البلدان أنها « بنتج الباء وكسر العين وواه ساكنة وهال وأنها بليدة في طرف بقعاء الوصل من جهة نصيبين وداغزى » وإن شاعراً قال يهجو سليمان بن فهدي الوصلي مستطرداً ومدح قرواش بن القدر أمير بن عليل : « وليل كوجه البرقيدي خلقة ... » . وفي المعجم :

على أولئك فيه المنفات صكأنه أبو جابر في خبطه وجفونه

(٢) الأولي : الجنون .

الشعراء أن يأتوا بمثليها ، لأنه مع إيسانه بهذا النوع من علم البيان لم يتبع بذلك حتى رقى في معانيه المقسودة إلى أسنى المنازل ؛ فابتدأ في البيت الأول بهجوه البرهيدى ، فجاء في ضمن مهاده ذكر أوصاف ليل الشتاء جيبها ، ولم يخل منها بشيء ، وهي القلقة والبرد والظلول ، ثم إن هذه الأوصاف ليلية جاءت ملائمة لا وقت عليه ، مطابقة له ؛ وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى الملح بالخطف وجه وأرق صنعة ، فاعرف ذلك فإنه لم يقل في هذا الباب أبدع من هذه الأبيات .

ومما جاء على نحو ذلك قول إسحاق^(١) بن إبراهيم الواسلي :

وصافية تشقى البيون بجزورها رهينة عامر في الدنان وعلم
أدركنا بها الكأس الروية بيننا من الليل حتى انجلب كل غلام
فا ذرّ قرْنُ الشمس حتى رأيتنا من المي تحكي أحمد بن هشام^(٢)

ألا ترى ما أحسن ما خرج هذا الشاعر في الهجاء ، فإنه أوهم في الأول الخوض في صفة الحجر ثم استدراج المعنى الذي قصد في صفة الحجر ، من حيث لا يعلم السامع لقطع كلامه أنه يريد ذلك ؛ وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

وأما الاختصاف فهو الذي أشرنا إليه في صدر هذا النوع ، وهو أن يقطع الزائف كلامه ويستأنف كلاماً آخر غيره ، من غير علاقة تتكون بينه وبين ما قبله ، فمن ذلك ما هو أحسن من

(١) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماعان بن يحيى بن بشارة التميمي البزاز الأرجاني الأصل المعروف بابن الدم الواسلي ، كان من كبار القهين والخطباء والمعلماء ، زاده على عهد بائمة والشعر وأخبار الشعراء وأهل العرب وهذه الطول في الفقه والحديث وعلم الكلام ، وكانت دائرة علومه وقوته واسعة ، تاهم المصنف كالزهد والأمن والنصم والأدب والحادي وكان الناصب يقول : ما غفاني إسحاق لما لا غفيل لي أنه زيد في مسلكي ، وله كتاب كبير في الفناء المذكور في كتب التاريخ تولى سنة ٢٣٥ هـ على أسج القوقين ، راجع الألفاني ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٠ ، طبعة دار الكتب المصرية ، وغيره من الأجزاء وتاريخ بغداد الطعيلب ج ٦ ص ٢٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٩ ، طبعة بلاد الشام .

(٢) أحمد بن هشام من نواد القهينة الأمازيغ وله ذكر في أخبار الدولة العباسية ، أخبار بغداد لأحمد بن طاهر ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والنجوم الزاهية له بلوك مصر والقاهرة لابن تيمري بردي ج ٥ ص ١١٩ ، ١٢٠ ، وفي الألفاني ج ٥ ص ٢٠١ ، أنه أهدى لى إسحاق الواسلي زعفراناً وكتب إليه شعراً فرد الجواب شعراً .

التخلص ، وهو فصل الخطاب ، والشيخ في ذلك ما يوقفك عليه ، وبأخذ به جامع قلبك فتقول :
 إن أردت فصل الخطاب ، الفاصل في الخطاب الذي يقصل بين الصحيح والقاسد ، والحق
 والباطل ، والصواب والخطأ فهو « قَصْلٌ » بمعنى قائل كالقَوم والرَّوْر ، وقال بعضهم هو
 « أما بعد » لأن التكلم يفتتح ، إذا تكلم في الأمر الذي له شأن ؛ بذكر الله عز وجل وتجيده ،
 فإنا أردنا أن يخرج السوق إليه ففصل بينه وبين ذكر الله عز وجل « أما بعد » وهذا مذهب
 المحققين من علماء البيان . قلنا في الفصل الذي هو أحسن من الوصل هنا ، وهي علامة
 وكيفية من الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : « واذكر عبدنا إبراهيم واسحاق
 ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ، إنا أخضعناهم بمقالة ذكرى النار » ^(١) إلى قوله : « مفتحة
 لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل « هذا ذكر » في الأنبياء ، وأراد أن يذكر على عقبه
 باباً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال « هنا ذكر » ثم قال « وإن للمتقين لحسن مآب » . ويدل
 عليه ثا أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال « وإن للمتقين لحسن مآب »
 وذلك من فصل الخطاب الذي هو أنطقت موقفاً من التخصيص فامرته .

النوع الرابع عشر من الباب الأول

من الفن الثاني في البادي والاختصاصات

وهو نوع من صناعة التأليف جملة فوائده ، وذلك أن يجعل مطلع الكلام من الشعر
 والخطب والرسائل دالاً على المعنى المقصود بذلك الشعر أو تلك الخطبة أو تلك الرسائل . ومن
 أدب ذلك أن لا يذكر الشاعر في افتتاح القصيدة اللوح بما يطغى به وقال بعض علماء البيان
 « أحسبوا مباشرة الكتاب الإيضاحات فأنهن دلائل البيان » . وينبغي للشاعر أن يحترز في اللوح
 بما يطغى به من وصف إنفاذ الديار ، ودثور المنازل والاحلال ، ونشت الآلاف ، ونوع الزمان ،

(١) السورة « س » والآية « ٥٠ ، ٥١ » وتليها « وإنيهم جماعة من الصالحين الأضياف ، وانحسر
 اسمعيل واليسع ونا السكك وكل من الأضياف » هذا ذكر وإن المتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتحة
 لهم الأبواب .

وأشبه ذلك ، ولا سيما إذا كان في النهائي ، فإنه يكون أشد قيصراً ، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة ، والثواب الحادثة ، ومنى كان الكلام في الدخ مؤسراً على هذا المثال تطهير منه سامعه ، فإن رأس سماعه التأليف وضع كل شيء مكانه ، وإنما خصصت الابتدآت والاختيار لأنها أول ما يترقى السمع من الكلام ، فإنه متى كان الابتداء لا نقلاً بالمعنى الزائد بعده توفرت (١) المعاني على سماعه وتزايدت البواعث على الاصغاء إليه ، ومن أوجب الابتدآت قول ذي الرمة

« ما بال عينيك منها لئلا ينسكب » (٢)

لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لاحفاء بغيحه ، وقد أنكر الفضل بن يحيى على أبي نواس قوله فيه :

« أربيع البلى لئلا الخشوع لبدي »

فلما انتهى إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما قد ستم
بني بربك من راعين وغادي

استحكم تطهير الفضل بن يحيى ، وقيل إنه لم يرض على ذلك لسبوع واحد حتى شكبوا (٣) ، وحكي (٤) أنه لما فرغ المتصم من بناء قصره بلبلدان (٥) جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن

(١) أي تحت وكنت ، ولقد أوقع الناس في الخطأ مؤلف « تذكرة السكاب » حين دعاهم أن يقولوا « توافر » مكان « توافر » و« دشان » ما بينها ، توافر معناه « تكاثر » وليس الزيادة التكاثر مألوفة .

(٢) قال ابن رجب في السبعة ج ١ ص ١٢٤ : « ونقل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان ما استعده شوقاً من شعره فأنشده قصيدته « ما بال عينيك منها لئلا ينسكب » وكانت بين عبد الملك ورسلة وهي لدمع أهدأ توافر أنه خاطبه أو عرض به فقال : وما سؤالك من هذا يا بعلل ؟ قلته وأمر يا نمراسيه - ولا أظن هنا من العيوب الأصلية في الشعر فقد قال جرير « الوشح ص ١٧٦ » : لو حرس ذو الرمة بعد قوله : ما بال عينيك ... كان أشعر الناس .

(٣) ذكر ذلك ابن رجب في السبعة ج ١ ص ١٥٠ .

(٤) الوشح للرزائي ص ٣٠٩-٣٠٢ « والمير فيه ميسر بأكثر مما هنا .

(٥) بلبلدان قال ياقوت الحموي في معجم البلدان « شارع بلبلدان : من قال بغداد أيضاً بالمعنى المرفوع خارج الرصافة وكان شارعاً ماداً من القنابية إلى سوق الثلاثة وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد » .
وسوق الثلاثة هو سوق المبرور عن الطائي وسوق بابي الأما ، والقنابية هي الصليبخ الحالية ، بلبلدان كانت بينهما ، وكان فيه قصر المتصم . والقصة المذكورة في كتاب « الوشح » للرزائي ص ٣٠٩ .

لبسوا أسى اللباس ، وظهروا بحسن الزينة ، وجلس على سرير مرصع بالجوهر والى جانبه أسرة ، فكلما دخل عليه رجل من أكاربه دولته اجلس في الوضع الذي يليق به لما^(١) رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق بن إبراهيم الوصلي في الانشاد فلذ له ، فالتفت شعراً ما سمع بأحسن منه في صفته وصفة المجلس إلا أنه استفتح بذكر النياز القديمة وبقية آثرها فقال :

يا دار غميرك البلى وعمالك يا ليت شعري ما الذي أبلاك^(٢) ؟

فخطير المتصم من ذلك وتماثر الناس على إسحق بن إبراهيم ، وهجوا كيف ذهب عليه مثل ذلك مع علمه ومعرفته وطول خدمته للولك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما زاد منهم اثنان الى ذلك المجلس ، وخرج المتصم الى^(٣) سر من ، وأى وحرب القصر ، فإذا أولاد الشاعر أن يذكر داراً في مدحها فليذكر كما ذكر الحريري^(٤) :

ألا يا دار تام لك السرور وساعدك التضارة والمجور
وكأ قال أشجع^(٥) ...

قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جمالم الأيام

(١) في الأصل : نشاء والصحيح من الوضع .

(٢) في الأصل : من ، وهو خطأ في التأريخ لأن المتصم ترك بغداد الى سامراء ، ولأن العصر المذكور كان بغداد .

(٣) هو أبو بطوب إسحاق بن حسان بن قومي ، عرف بالحريري لأنه كان متصلاً بخرم بن ناصر الزري أو ابنه عثمان . وأمه من خراسان من أبناء الهند . كان شاعراً عسماً ، له مدائح في يحيى بن خالد بن برمك وغيره وكان أهور . التاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ٣٣٦ والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٥٣ ، طبعة المكتبة التجارية بصر سنة ١٩٣٩ ، وناج العروس في ج ٥ ص ٢٠٠ والأذاني ج ٣ ص ١٩٦ ، ج ٦ ص ٨٣ ، ج ١١ ص ٣٤٤ ، ج ١٣ ص ١٥٠ ، من طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) هو أشجع بن عمرو بن بني سليم وقتك عرف باللسي ، كان من أهل الرقة ودم البصرة فتأدب بها ثم ورد بغداد . وكان شاعراً بارعاً طريفاً جيد الندي جزل اللباني ، اتصل بالبرمكة وأكثر من مدحهم ومدح الرشيد ، وهذا البيت من قصيدته يمدحه فيها مدحها :

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالم الأيام

الشعر والشعراء ص ٣٧٣ ، من الطبعة المذكورة ، وطبعت الشعراء لابن الفتح ص ١١٧ ، والأذاني ج ١٦ ص ٢٠ - ٢١ ، طبعة سامي و . تاريخ بغداد للخطيب ج ٧ ص ٤٤ .

وما أجد هذا البيت بمفتح شعر إسحاق بن إبراهيم الذي أشهد المعتصم في ذلك القصر ،
فإنه لو ذكر هذا وما يجري مجراه لكان حسناً لا حقاً .

وسئل بعضهم عن أحسن الشعراء ، فقال من أجاد الإحصاء ، والقطع ، ألا ترى أن قصيدة
أبي نواس التي هي :

يا دار ما فعلت بك الأيام لم بين فيك بشاشة تستلم
تدقيل إنها من أشرف شعره وأعلانه منزلة ، وأن أيا تمام مع تقدمه في صناعة الشعر أتعب
نفسه في الأتيان بما يخالها أو يشابهها فلم يتدر على ذلك ، وهي مع شرفها وعلو منزلتها في الشعر
مستكرهة الابتداء من حيث النظر ، لأنها في مدح الخليفة الأمين . والمفتاح اللدج يذكر
المبار ودروسها يتطير به ، ولا سيما في حق الخلفاء والملوك ، ولستأ يختار من ذكر الأماكن
والتنازل ما راق لقلته ، وحسن التناظ به كالقوبر والعتيق وزرود^(١) وأشياء ذلك ، ويختار أيضاً
من أسماء النساء في التزل نحو « سعاد وأمام وفوز » وما يجري هذا الجرى . والقصد يجب على
الأخطل من أجل تفرقه باسم « قدور^(٢) » وهي امرأة كان يحبها فإنه مستطبع في الذكر ،
وأمثال هذه الأشياء تجب ممانتها والاعتناء بها فاعرف ذلك .
ولا نظر أبو العَمَيْثَل^(٣) في قصيدة أبي تمام وهي :

(١) القوبر والعتيق وزرود أسماء مواضع في بلاد العربية .

(٢) كذا ورد في الأصل وفي الأثرى « ج ٨ ص ٣٠٦ » من طبعة دار الكتب المصرية أنه كان يلبس
برعوم وأمانة ابني سعيد بن إياس بن هانيء بن ليثية ، وكانت راعوم تعرف بأبى الأخلس .

(٣) هو عبد الله بن خليفة ، مولد جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي . قيل إن
أسله من الرى ، وكان كاتب عبد الله بن طاهر الخراسي وشاعره . ومؤدب أبنائه وكاتب أبيه من قبله ، وكان
يلقب السلام وعريه . ويكثر من نقل اللغة وله علم بها وصنف كتاباً مفيدة نسبياً « ما اتفق لفظه واختلف
معناه » وقد طبعه المطبعون في باريس كرسكو في سنة ١٩٦٥ باسم « الكتاب اللغوي عن أبي العمَيْثَل
الأمراني » وله كتاب « النباه » وكتاب « الأبيات السائرة » و « معاني الشعر » وغير ذلك . وتوفي
سنة « ٢٤٠ » « القهرست لابن النديم » ص ٢٢ من طبعة مصر « والوثائق » ج ١ ص ٢٨٤ « طبعة
بلاد المجر ، والمجروح اللقب « نسخة مصورة ، الورقة ٣ - ٤ » وله شعر جيد .

« أهن عوادي يوسف وصواحيه ^(١) »

استدخل ابتداءها فاستقط القصيدة كلها حتى عاد إليه أبو تمام ووقفه على موقع الاختيار منها وهو :

إليك جزعنا مغرب الشمس كلما أجزنا ^(٢) ملاماً صدت عليك سبابه
وقبر ذلك ما ذكره أبو تمام في قصيدته ، فلما وقف أبو الميثل عليه راجع عبد الله بن طاهر فأجازها له . ولأنني تمام ابتداءت كثيرة تجرى هذا الجرى كقوله :

« فذلك الله ^(٣) أريت في الغلواء ، ^(٤) »

فإن الابتداء المستكره ليس من شرطه أن يكون مما يتطير به فقط وإنما يكون مستكرهاً كما أشرنا إليه من قول أبي تمام وما جازسه ، فاعرف ذلك .

واعلم أن الابتداء اليدع البارع يكون داعياً إلى الاصغاء إلى ما بعده من الكلام ، ألا ترى أن الله تعالى قال : « نعم ، ألم ، وسلم ، وكهيمص » . فيخرج الأسماع شيء يدع ، ليس لها منه عادة فيكون ذلك داعياً لها إلى الاستماع ، وذلك استحسان من الابتداء آت في الكتب « الحمد لله » لأن النفوس تشوق إلى تحميد الله — عز وجل — والثناء عليه ، وتعمل إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام .

ومن أحسن الابتداءات ما ذكره مهيار فإنه أتى بالمعنى المقصود من أول كلامه فقال :

أما وهواها عذوةً وتخصلاً فقد نقل الوائحي إليها فأعجلاً ^(٥)
سعى سجدته لكن تجاوز حدها وكشّر فلزنايت ولو شاء قتلاً

ألا ترى ما أظف هذا الانتشار الذي قد أبرزه في هيئة القول ، وأخرجه في معرض السبب

(١) من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، والشطر الثاني « فجزماً فقد ما أترك
السؤل طاله » (الديوان ص ٣٦) .

(٢) في الفرزدق « وسطاً » . (٣) في الأصل « فذلكتد » بمرؤية .

(٤) من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت ، والشطر الثاني « كم تملون وأتم سجرال ١٤ » .

(٥) أهل : قال الطحاوي وهو رجل مشفق من مشفق عبد العمل مثل « تمسكن » من المسكين .

والمراد به الاحتراز الى المدوح ، وذلك من أهدى ما يكون في هذا الباب . ومما جاء على نحو منه قول بعض التأخرين في أوثر وان (١) الوزير وقد خلع عليه :

خَلَعْتَ مِنَ الْحَدَثِ كَأَنَّ أَحْسَنَ أَدْرَمِي فَلَمَّ سُرِّيَّ عَلَى الْكَرِيمِ الْأَرُوعِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَقَدْ وَشِيَ فِي حَفَةِ إِلَى الْمَدُوحِ :

وَرَأَيْتُكَ أَهْوَالَ الْوَشَاةِ الْفُجَّاجِ وَدُونَكَ أَحْوَالَ التَّرْلَمِ الْخُصَامِ
فَلَوْلَا وَكُوعُكَ مَتَكَ بِالْمَدْحِ مَا وَشَوْا وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ أَنْتَقِيبْ لِمَعَانِدِ

فسلك في هذا القول منهج مديار إلا أن في هذا زيادة على ما قاله مديار ، وهي في العناية على الالتفات الى الوشاة ، والاستماع منهم وذلك من أعرب ما قيل في هذا المعنى ، فاعرفه .

ومن الأجساد آت في الكتب قول مؤلف الكتاب « الحمد لله واقع لواء الإيمان ، وقمع أولياء الشرك والبهتان ، الذي نصر الاسلام وأطلع نجومه ، وغفل الكفر وطمس رسومه » ، فإنه قد جى بالمعنى المقصود وهو البشرى بهزيمة الكفار من أول الكتاب ، ومعنى سمع الانسان

(١) هو معين الدين شرف الدولة أبو نصر أوثر وان بن خالد بن محمد الصبي الفاضل الوزير ، ولد بالري سنة ٥٠٩ هـ . وأما تعلقه بالكتاب ونظمت به الأحوال الى أن ولي الوزارة لسفطان بحيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في جمادى الآخرة سنة ٥١٢ هـ . ولقد معه بغداد واستوطنها وحزل عن الوزارة ثم أعيد إليها في رجب سنة ٥٢١ هـ . واستوزره الخليفة للمعهده باقية في أوستر رجب سنة ٥٢٦ هـ وعزله في شهر ربيع الأول سنة ٥٢٨ هـ . ثم استوزره السفطان مسعود أخو محمود المذكور ، ثم عزله سنة ٥٣٠ هـ فغاد الى بغداد وأقيم بسزولا تكراً في داره بالمريم العاصري بالجاب الحربي من بغداد الى أن توفي ثاني عشر صفر سنة ٥٣٦ هـ . وقيل في شهر رمضان قال ابن الجوزي « كان عالماً موهباً عظيم الملقبة دخلت عليه قرأتين من عهده ما أنعتني وهو كان الديب في جمع اللغات التي أنعمها أبو محمد الحري » وقال ابن الأثير « كان يستقل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يعطى بها فيجيب كرهاً » . وقال السعدي « وكان قد جمع الله فيه الفضل الوافر والعلل السكامل والتواضع والرعاية العذوق » . ولي المنى أن سلكته من الأذى والفعل في ذلك العصر لعل وجعنا على حسن سيرته وقبلة « وله كتاب « صور زمان الصعود وصعود زمان القصور » في تاريخ السلجوقيين ، بالفارسية ، أخذ منه الهاد الأمصهاني في كتابه « نظرة القبة » (تاليف معجم الألقاب) لابن القوطي . وللتلذذ لابن الجوزي « ج ١ ص ٢٢ » و « السكامل في سنة ٥٢٣ هـ وغيرها ، وألقاب السعدي في « التقي » و « نظرة القبة » وعصرة القبة « لالهة الأمصهاني » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٤٥ هـ والنجوم الزاهرة « ج ٢ ص ٢٦٦ » و « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٠٦ . و « خريدة القصر وجرمينة القصر » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٣٢٦ الورقة ٦٥ ، ٦٤ . و « التفرغ » ص ٢٢٥ . وكشف الخفون في « قور » .

هنا المطلع علم أنه يتضمن البشري بإدانة اللادين على الشركين من غير أن يحتاج إلى تعريف على حديث الرقعة . ومن ذلك قول بعض الكتاب في زمن المؤمن وقد نُصِبَتْ ناقةٌ شطحيّ آدمي ، فأمر أن يكتب بذلك إلى البلاد فقال « الحمد لله خالق الأنام في بطون الأنام » ، فعبر من المراد في أول كلامه . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها .

التعريف الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في قوة اللفظ لقوة المعنى

وهو نوع من علم البيان شريف المثل ، لطيف المآخذ ، وإنما يعمد إليه لضرب من البلاغة . اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد ^(١) أن يتضمن من المعنى أكثر مما كان يتضمنه أولاً ، والدليل على ذلك أن الألفاظ هي أداة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني بقدر ما زيد في الألفاظ . وهذا لا نزاع فيه ، لبيان ووضوحه . فمن ذلك « خشن » و « أخشوشن » فعلى « خشن » دون معنى « أخشوشن » لما فيه من تكرير العين وزيادة النوازل . ونحو « فعل » و « أفعول » وكذلك قولهم « أعشب السكان » فإذا أزدوا أكثره المشب قالوا « أعشوشب » ومثله « قيل » و « اقتعل » نحو « قدر » و « اقتدر » فاقترأ أقوى معنى من قولهم « قدر » قال الله — تعالى — « أخذ نيزق مقتدر ^(٢) » فتقدر هنا أبلغ من « قدر » من حيث كمال الوضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدور إلا عن وفور النضب ، وكثرة السخط ، وما يتعلم في هذه الأوزان من أسماء الفاعلين ، فإن بعضها أبلغ من بعض ، نحو « قاعل » و « قبيل » وما جرى مجراها .

واقصد سألني بعض الأخوان عن « قاعل » و « قبيل » وأبها أبلغ ؟ قلت في الجواب

(١) زيادة الواو ما هنا ليست من المصاحفة في شيء ، وهي تعد العبارة .

(٢) السورة « القمر » والآية « ١٤ » وهي « كتبوا بآياتنا فأخذتهم أخذ عزيز مقتدر » .

ما أذكره ههنا وهو إن كانت العرب قد قالت إن « فاعلاً » أبلغ من « فاعيل » أو إن « فاعلاً » أبلغ من « فاعل » بنير لغة أوجبت ذلك ولا سبب اقتضى تمييز أحدهما عن الآخر ، إلا تحكما محضاً ، فذلك مستلزم اليتم ، لأنه لئلا التردم وكلامهم ، وهم للتحكمون فيه ، وإن كانت العرب لم تميز « فاعلاً » على « فاعيل » ولا « فاعيلاً » على « فاعل » ولا قالت إن أحدهما أبلغ من الآخر فلنا نحن أن نبعد من ذلك ، قل وجهدنا لأحدهما منزلة على الآخر ذكرناها ، وإن لم نجد كل ذلك أسوة بياقي لغتهم ، التي لا تعرف لها لغة ، وإنما تأخذ عنهم بالنقل والتقليد ، ولما سألت ، أيها الأخ ، عن الفرق بين « فاعل » و « فاعيل » وأنها أبلغ ؟ أضمت النظر في ذلك مستعيناً بالله ، فسلح الفرق بينها بما أذكره ، والله الموفق ، فأقول : أما الحكم على أن أحدهما أبلغ من الآخر فهو أن « فاعلاً » أبلغ من « فاعيل » . وأما لغة الحكم فن « وجهين :

الأول : أن « فاعلاً » لم يرد في كلام العرب إلا اسماً لفاعل فقط نحو « ضارب » اسم فاعل من « ضرب » و « قاتل » اسم فاعل من قتل ، وهما مطرد في باب لم يأت غيره وأما « فاعيل » فإنه يكون اسماً لفاعل وبمعنى « للمفعول » فأما كونه اسماً لفاعل فتصو « طرف » اسم فاعل من « طرف » و « كريم » اسم فاعل من « كرم » وكذلك ما جرى هذا الجرى . وأما كونه بمعنى « للمفعول » فهو نحو « قاتل وكريم » اللذين هما بمعنى القاتل والمكرم . فلما كانت « فاعل » مختصاً باسم الفاعل لا يشاركه فيه غيره ، وفعال يشترك فيه اسم الفاعل والمفعول كل ما هو مختص بالفاعل وحده أبلغ مما يشترك فيسه الفاعل والمفعول ، وذلك لقوة الفاعل على المفعول وضعف المفعول عن الفاعل ، وما يختص بأمر قوي أبلغ مما يتردد بين أمرين قوي وضعيف . فإن قيل إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى المفعول كما جاء « فاعيل » بمعنى الفاعل في قوله تعالى « ما راقق » أي مدفوق للشيا : أما قوله إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى المفعول واستدل ذلك عليه الآية فإنه ضعيف شاذ ، لأن ذلك لم ينتقل جوازاً عن العرب ولم يذهب إليه أحد من العلماء ، غير أن بعض^(١) المفسرين قد ذكره وزيف قوله الجمهور ، وأجمعوا على مخالفته

(١) لم يذكره بنسبواحمد بن الصالح الجوهري « قلت له ، أذنته فلما أتى صوبه فوباء ، فاني أتى =

وقالوا إن معنى قوله تعالى « ماء دافق » أي عندفق وذلك أيضاً اسم « فاعل » . من « أَفْسَقَ » نحو « أَفْسَقَ فِهْرٌ مَطْلِقٌ » و « انكف فِهْرٌ منكف » وما جرى هذا الجرى ، ثم لو قل جواز هذا عن العرب وضح عنهم لما كان ناقصاً لمعنا نحن في « فَعِيلٌ » وأنه يجيء بمعنى « المفعول » شاملاً كثيراً في كلامهم ويصح عليه القياس . وما ذكرته أيها المتعرض شاذ قليل لا يعتد به ولا يقاس عليه ، لأنه لم يأت منه إلا لفظة واحدة أو لفظة أو لفظة أو لفظة كماء دافق وعيشة راضية « والشائع الكثير في كلام العرب وغيره أرجح جانباً من الشاذ القليل ، وما يقاس عليه أبلغ مما ليس تنس (عليه) . وأما الوجه الثاني في إثبات أن « فاعلاً » أبلغ من « فَعِيلٌ » فهو أن « فاعلاً » يكون اسماً للفاعل متدياً كان أو قاصراً فهو إذا يمتد جميعاً نحو « قالب وجالس » ، وأما « فَعِيلٌ » فإنه لا يكون اسماً إلا للفاعل فعله قاصر غير متدد نحو « شريف ونبيه وغليظ » وهو مطرد في هذا الباب لم يأت في كلام العرب غيره ، فلما كان « فاعلٌ » اسماً للفاعل التمددي فعله والقاصر مماً ، و « فَعِيلٌ » اسماً للفاعل القاصر فعله فقط كان « فاعلٌ » أبلغ من « فَعِيلٌ » التمددي فعل فاعله إلى مفعوله ، وقصور فعل « فَعِيلٌ » عن معموله فإن قيل إن « فَعِيلًا » جاء اسماً للفاعل التمددي فعله على غير وزن « فَعِيلٌ » نحو « خطباً فهو خطيبٌ » و « علم فهو عليمٌ » وهذا يدل على أن « فَعِيلًا » مساوٍ للفاعل في التمدي لأن « فاعلاً » قد جاء اسماً للفاعل متدياً كان فعله أو قاصراً ، وكذلك قد جاء « فَعِيلٌ » أيضاً كما رأينا .

فلما هنا الذي أشرت إليه من أن فَعِيلًا قد جاء اسماً للفاعل التمددي فعله على غير وزن « فَعِيلٌ » نحو « خطباً فهو خطيبٌ وعلم فهو عليمٌ » مسلم اليك إلا أن ذلك لا يكون ناقصاً لما ذكرناه ولا اعتراضاً

== مدفوق كما قالوا سر كلام أي مكثوم . لأنه من توكف : دقق الماء على ما لم يسسم فعله . ولا يقال : دقق الماء . وفي الصباح التبر « دقق الماء دققاً من باب قتل : اصعب بشدة ، ودققته أنا ، يصدى ولا يصدى فهو دافق مدفوق . والتكرر الأسمي استعماله لازماً . قال : وأما قوله - حال - « من ماء دافق » فهو على أسلوب أهل الخطباء وهو أنهم يقولون المفعول فاعلاً إذا كان في عمل لغت والمفعول من ماء مدفوق . قال ابن النوطية : ما يوافقه ، سر كلام أي مكثوم وعارف أي مدفوق و« دافق أي مدفوق » وقال الزجاج : « من ماء ذي دقق » ، فلما : والمصحيح قول الزجاج « وهو الذي أتتبه المحققون .

عليه ، لأن النتيأ وردته إما كما كان يصح لك الاعتراض به على ما أشرنا إليه أن لو كان « حطاب »
 وحده اسم فاعل من « حطب » ولا يجوز فيه « حاطب » أو كان « عليم » اسم فاعل من « علم » ولا يجوز
 فيه « عالم » وكذا الأصل في « حاطب » أن يكون اسم فاعله « حاطب » ولهذا لا ترى وزن « فاعل »
 أبداً وهو اسم فاعل من « قَسَلْ أو قَسِلْ » الا وهو دخيل على « فاعل » لأنه الأصل وعليه
 القياس . والدليل على ذلك الاطراد والغلبة ، لأن من شروط القياس الاطراد والقالب عليه أن
 يكون كذلك . وهنا موجود في « قَسَلْ » و « قَسِلْ » فهو « فاعل » وأما « فاعل » منها فهو شاذ
 نادر والشاذ النادر لا ينقض القياس ، والدليل على أن « فاعل » شاذ في « قَسَلْ وقَسِلْ » فإنه قد
 جاء فيها ألفاظ معدودة لا غير ، وأما اطراده وغلبته (في) « قَسَلْ » نحو « شَرَفَ فهو شريف »
 و « كَرَمَ فهو كريم » و « كَبَّهَ فهو نبيه » وكذلك ما جرى هذا الجرى ، على أنه قد شذته
 « فاعل » أيضاً نحو « طَهَّرَ » فهو طاهر ، ولا يقال فيه « طَهَّرَ » فاعله .

فإن قيل : إن « فاعل » هو اسم فاعل من الصفات الذوية ^(١) ، ولسنا نعي بذلك
 ما كان مقوماً للذات ، نحو الحياة التي لا تقوم الذات إلا بها ، وأما نعي بذلك ما كان ملازماً
 للذات نحو « عليم وقدير وجميع وبصير » و « فاعل » هو اسم فاعل من الصفات
 العرضية نحو « شارب وآكل وشارب » وما يكون مخصصاً بصفة الذوات أبلغ
 مما يكون مخصصاً بصفة الأعراس ، وأشرف محلاً ، الجواب عن ذلك : أننا نقول لو سلم لك
 يوماً للمرض ما ذكرته وأطرده في بابه لكان ناقصاً لما ذكرناه نحن ولدميلنا من أن « فاعلاً »
 أبلغ من « فاعل » وإنما قد جاء « فاعل » وهو أيضاً اسم الفاعل من صفات الذوات نحو « عالم
 وقدر وسامع » وأشياء ذلك ، فقد تم « فاعل » إذن صفات الذوات وصفات الأعراس . وما

(١) نسبة إلى « الذات » ، وفي الصحاح التيم . . . قال ابن بريان من العلماء : قول للتكلمين « ذات
 الله » جهل لأن أسماءه لا تعطى له ، الثابت فلا يقال علامة وإن كان أسم العالين . قال : ولو لم « صفات
 الثانية » خطأ أيضاً فإن النسبة إلى ذات « ذوي » لأن النسبة ورد الاسم إلى أصله . ثم نقل صاحب
 الصحاح : وقد صار استعمالها يعني نفس الشيء عرفاً متشعباً حتى قال الناصب « ذات متبصرة » و « ذاته
 محذرة » ونسبوا إليها على نظائرها من غير تغير فقالوا « عيب ذاتي » يعني جهلي وخطئي . .

كان عاماً للأمرين جميعاً كان أبلغ مما اختص بأحدهما دون الآخر .

فإن قيل قد قلت في كتابك : إن ما كان مختصاً بأمر قوي في بابه أبلغ مما تردد بين أمرين أحدهما قوي والآخر ضعيف ، وهذا الحكم قد وجدناه هنا في « كعيل وقاعل » فتدليل مختص باسم الفاعل من الصفات الذوقية ، واسم الفاعل من الصفات المرضية ، فإني يختص بالأشرف الأقوى وحده أبلغ من الذي يترد بينه وبين ضعفه ، وهو الأدنى الأضعف . الجواب عن ذلك : أنا نقول قد سلمنا إليك أن « قاعلاً » الذي هو اسم الفاعل لها هنا متردد بين صفات الذوات والأمراض والسكن من أين لك ، أيها المرض [الشاهد] بصفة ما ذكرته من أن « فاعلاً » الذي هو اسم الفاعل هاهنا يختص صفات الذوات دون صفات الأمراض ، فإن هنا شيء لم ينظم لك سلكه ، ولا رسماً لك أصله ، لأنه قد جاء « كعيل » أيضاً وهو « فاعل » من صفات الأمراض نحو « نيه ووجبه وبصير وفقير » وأشبهاء (ذلك) . قد استوى إنف « فاعل » و « فاعيل » في عمومها لصفات الذوات والأمراض ، ولم يسكن لأحدهما منزلة على الآخر في هذا المعنى ، وتفرّد « فاعل » بالذوقية على « كعيل » فيما أشرنا إليه قبل هذا للوضع في هذا الباب من إعدده إلى معموله واختصاصه باسم الفاعل دون معنى للقول ، وقد مرّ ذلك مستوفياً في مكانه ، فأعرفه .

هذا ما صح لنا في الفرق (بين) « فاعل وفاعيل » وأيهما أبلغ . والله الوفي^(١) . وما أشرنا إليه من ذلك كفاية لعارفي بهذه الصناعة ، فإنه يذم أن يكون خبيراً بقباس هذه الأشياء على نظائرها وأشبهائها .

الترجع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في اختلاف المخاطب

وهو الأمر بمسكن الزاد ، ويدل ذلك على الاستهانة بالأمر ، وقلة البالغة بأمره أي أي

(١) ذات اللغات الكلام على « فاعيل » اللحن من « فاعل فاعل » الرذائي وهو نحو « التريج » من قارعه و « المريك » من شاركة وهو لا يحصى كثرة .

مقابلتك على فعلك ومجازيك بحسبه ، فن ذلك قوله تعالى « واناس الانسانُ عُصْرًا وما رَبُّهُ مُنِيبًا اِلهِ ثُمَّ اِنَّا نَحْنُكَ نَمَّةٌ مِنْهُ كَسِيَّ مَا كَان يَدُو اِلهِ مِنْ قَبْلِ ، وَجَعَلَ اللهُ اَنْدَادًا لِيُغْنِيَكَ عَنْ سَيِّئِهِ ، قُلْ تَتَّبِعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا اِنَّكَ مِنْ اَصْحَابِ النَّارِ ^(١) » قوله « تَتَّبِعْ بِكُفْرِكَ » من باب الخذلان ، كأنه قال له : اذ قد آيت قبول ما أمرت به من الايمان والعلامة في حثك أن لا تؤمر به بعد ذلك ، وتؤمر بتركه ، وهذا مبالغة في خذلانك لأن الباتنة في الخذلان أشد من أن يُبعث على ضد ما أمر به .

ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله اُميدٌ غلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ^(٢) » .
 الآية ، فان المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير الباتنة في الخذلان ، على ما سبق ذكره ، وفي هذا الكلام معنيان لطيفان : الأول رأى أن عبادتكم لله وعبادتكم لتبره ، إما تنفع أو تضر لكم لا لسواكم ^(٣) والله — تعالى — لا يؤثر ذلك عنده شيئاً ، لأن مسعفين عن عبادتكم له .
 الثاني تؤمنده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير إصرار بالوعيد ، وذلك أبلغ من الإصرار به ،
 لوقوع الموعود في حيرة من أمره ، وتراخي وهمه عنده ، ذلك إلى كمال خطب عظيم من المجازاة والمقابلة ، كقولك لن مضي « أفضل ما شئت إني مقابلتك » وهذا نوع من علم البيان شريف ^(٤) .

الفرع السابع عشر من الباب الأول من الفهم الثاني

في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء هذه الصناعة يفتشون الاشتقاق على التجنيس ، وليس الأمر كما وقع لهم ، بل التجنيس أمر عام لفظين النوعين من الكلام ، وذلك لأن التجانس ^(٥) في أصل الوضع

(١) السورة : الزمر ، الآية : ٨ .

(٢) السورة : الزمر ، الآية : ١٤ — ١٥ ، ونحوها قل إن الماسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو المسران الذين .

(٣) التضييق ، لأن سواكم ، بإضافة ، من ، للوصول كقولهم ، من ، وم يد على من سواكم .

(٤) في الأصل ، التعريف ، وهو لا يتناسب بيان الكلام .

(٥) في القل السائر ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، التجنيس .

هو التماثل والتشابه ، يقال « تجانس الشيء » (الشيء^(١)) إذا ماثله وشابهه ، ولا كانت الحال كذلك ، ورأينا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبيانه علما أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » . وكذلك لا رأينا من اللغاتي ما يتماثل ويتشابه علما أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » ، أيضاً ، فالتجانس ينقسم قسمين أحدهما تجانس في اللفظ والآخر تجانس في المعنى ، فأما التجانس في اللفظ فهو على إياه تجانس لم يجعل له اسم آخر كما جعل للتجانس في المعنى فانه يسمى « الاشتقاق » أي أن أحد اللمعين مشتق من الآخر ، فهذا الوضع الذي كنا بسببه ذكره لا يلبق أن نورد فيه إلا ما يختص بالمعاني ، لأنه من باب الصناعة المعنوية ، ولذلك أفردنا « الاشتقاق » وذكرناه هاهنا . وأما التجانس في الألفاظ . فسيأتي ذكره في باب الصناعة اللفظية .

واعلم أن الاشتقاق على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير : أن يأخذ أسلا من الأصول فيجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته وبيانه ، كتفكيك « م ل م » فإك ، تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو « سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم » المديح : أطلق عليه ذلك تفلؤلاً بسلامته ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول كقولك « هشمتك هاشم » و « حاربك محارب » و « سالك سالم » و « أسباب الأرض صيب » لأن الصيب هو الطر الذي يشقده صوبه أي وقعته على الأرض ، وأمثال ذلك كثيرة ، وهذا الضرب من الكلام رقيق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة ، فها جاء منه قول بعضهم^(٢) :

« أبحرني تسلياً لكأطباة أسما »

وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية^(٣) :

(١) زيادة ضرورية من التل السائر .

(٢) هو الجعفي وهو مطلع المدينة له مدح يبرأ أحد وإبراهيم أبي القمير وكلمة البيت :

« وتعلسا أن القوي ما هجتنا »

انظر الديوان ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، طبعة مصر ، وانظر حاشية التل السائر ، ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٣) هذا البيت من كلة جرير يهجو بها الفرزدق أولها قوله :

وما ذات أرواك تصغي لجؤذر بحيث تسلي طرب بالأماس

وما زال معقولاً عقلاً عن الندى
وقال غيره (١) :

لقد علم القبائل أن قومي
وأمنال هذه كثيرة ، فأعرفها .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعده عليه وعلى تراصيه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك رد بعلف الصنعة والتأويل إليها ، كما يفعل الاشتقاقيون . وانضرب لذلك مثلاً فنقول : إن لفظة « ق ر م » من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي « ق ر م - م ر ق - م ق ر - م ر ق - م ق ر - م ر ق » فمفرد التراكيب الستة يجمعها معنى واحد . وهو القوة والشدة ، فالرّم شدة شموة اللحم وفر الرجل « إذا غلب من يقامه » و « الرّم » المأهية وهي الشدة التي تلحق الإنسان من أمره « وعيش مرمق » أي ضيق ، وذلك نوع من الشدة أيضاً « والقر » شبه العبر يقال « أقر الشيء - إذا أمره » وفي ذلك شدة على التائق وكراعة « ومرق اللحم » إذا غر من الرميّة ، وذلك لشدة مضاهة وقوته . واعلم أنه إذا أسقط من تراكيب الكلمة شيء ، جاز ذلك في الاشتقاق ، لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها ، من تقديم حروفها أو تأخيرها أدت إل معنى واحد يجمعها . فقال ما أسقط من تراصيب الثلاثي لفظه « و م ق » فإن لها خمسة تراكيب وهي : « و م ق - م ق و - م ق و - م ق و - م ق و » . وق و م - وسقط من جهة التراكيب قسم واحد وهو « م ق و » وجميع هذه الكلمات المذكورة تنال على القوة والشدة أيضاً ، فالوسق (٢) من قولهم « استوسق الأمر » أي اجتمع وقوي . والوكس : ابتداء الجرب ، وفي ذلك شدة على من يصيب وبلاء . والسوق :

(١) هذا البيت للجمال بن ربيعة الغطالي وهو من شعر الحماة . البرزنجي ج ١ ص ٢٧٩ . والسانيني لأنّ جلال ص ٢٥٦ . وعشيرة لثقل السائر ج ٢ ص ٣٢٩ . وفي رواية الحماة « لم يد » ويحضر البرزنجي أنه يروي « لم يد » .

(٢) كذا ورد في الأصل للصور ولله ص ٥٥ . لأن الجرب أمل التريّد وهذا من بابيات الاعتقال .

متابعة السيرة وفي هذا عناء وشدة للسائق والسوق - والتَّسْوِة : شدة القلب وخلفه .
 والقَوْسُ : معروف ، وفيه نوع من الشدة والقوة لوزعه السهم وإخراجه الى ذلك الرمي
 للبعاد .

واعلم أنا لا ندعي أن هذا يطرد في جميع اللغة بل قد جاء شيء منها كذلك ، وهذا مما يدل
 على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقلاب ، وهي مع ذلك دالة
 على معنى واحد - وهذا من أعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأمرها ، فاعرفه .

الشرح الثالث من الباب الأول من الفصح الثاني

في الحروف العاطفة والجلالة

وهو نوع يبني مؤلف الكلام مراعاةً والناية به ، لأن معانيه ودقائقه ، لا يتنبه لها إلا
 الفطن اللبيب ، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض له ولا ذكره ولا أقول إليهم لم
 يعرفوا ذلك أصلاً ، لأن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى ؛ لأنه مذكور في كتب
 العربية جميعها ، ولست أمني ببارئها هنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع
 العطف (العطف^(١)) عليه في الاعراب ، ولا أن الحروف الجليلة تخرج من تدخل عليه بل أمراً
 وراء ذلك ، وإن كان المرجع فيه الى الأصل الذي ذكره علماء العربية في كتبهم فأقول :

إن أكثر الناس يعلمون ما ينبغي أن يسطّف بالوار مطوّفاً بالقاء ، وما ينبغي أن يعطف
 بالقاء مطوّفاً بهم ، وكذلك يعلمون ما ينبغي أن يكون « بعل » « بني » في حروف الجر . وفي
 هذه الأشياء ، دقائق ، أذكرها لك أيها التأمل ، لتعلم السر فيها ، فأما حرف العطف فنحو قوله
 تعالى « قَبِيلَ الْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُوا » من أي شيء خلقته ، من عطفه خلقه فقدركه ، ثم
 السبيل يسره ، ثم أماته فاقبّره ، ثم إذا شاء أن يفسره^(٢) « ألا ترى أنه لما قال « من
 عطفه خلقه » كيف قال « فسره » ولم يقل « ثم قدره » لأن التقدير لما كان ثابتاً للخلق ،
 وملازماً لها ، عطفه عليها بالقاء ، وذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لأن بيت خلقته

(١) زيادة لضعاف البيان . (٢) التورية « عرس » الآية ١٧ - ٢٣ .

وتقديره في بطن أمه وبين إخراجها منها وتحويل سببه مهلة وزماناً ، فلذلك عطفه « بتم » وعلى هذا جاء قوله تعالى « ثم أماتته فقبره » وقوله « ثم إننا شاء أننبهه » لأن بين إخراجها من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحة ، وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ، ولهذا عطفها « بتم » . ولا لم يكن بين موت الإنسان وإجباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء ، وأمثال هذا كثيرة ، فبينني مؤلف الكلام تدبرها والالتيان بها في أمّا كتبها .

واعلم أنّ في حروف العطف موضعاً تلتبس فيه الفاء بالواو ، وهو موضع يحتاج الى قبضل تأمل لأنه شديد الاشتباه والالتباس ؛ وذلك أن فعل الطاعة لا يعطف عليه إلا بالفاء دون الواو ، وقد يحى من الأفعال ما يلبس بفعل الطاعة ويعطى غامراً أنه كذلك ، إلا أن معناه يكون مخالفاً لمنى فعل الطاعة ، فينعطف حيث قر بالواو لا بالفاء . وهذا موضع غامض يجب على المؤلف التحرز من الوقوع فيه ، فمن ذلك قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً^(١) » فقوله تعالى « أغفلنا قلبه » ها هنا بمعنى سادتهاه (غافلاً^(٢)) ، لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء وقيل^(٣) « فاتبع هواه » وذلك أنه يكون معطوفاً وفعل الطاعة إنما يكون معطوفاً بالفاء دون الواو كقولك « أعطيتك فأخذ ودعوتك فأجاب » ولا تقول « أعطيتك وأخذ ولدعوتك وأجاب » كما لا تقول « كسرتك وانكسرت » وكذلك لو كان معنى « أغفلنا » في الآية « سددنا » و « منعنا » لكان معطوفاً بالفاء ، وكان يقال « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه » [فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو ؛ فطريقه أنه لا قال : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه^(٤)] أن يكون معناه « وجدناه غافلاً » وإذا وجد غافلاً فقد غفل لا عملة ، وكأنه قال « ولا تطع من أغفلنا^(٥) قلبه عن ذكرنا

(١) السورة « السكوت » والآية « ٥٥ » .

(٢) زيادة ضرورية من اللسان « ج ٢ ص ٥٣ » وفي ذلك فيه « وأمس متولوا عن « غفل » حتى يكون معناه : سددناه » .

(٣) زيادة من اللسان .

(٤) في اللسان « ولا تطع من غفل قلبه » وهو اللواتي لغفام .

وأتبع هؤلاء « أي لا تطلع من قبل كذا وكذا . يُعدُّ أعماله ، التي توجب ترك طاعته ، فأمر
ذلك وقف عليه .

وأما حرف الجر فتحدو قوله تعالى : « قُلْ مَنْ يُرِزُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ
وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ عُدَّتِي ۗ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »^(٤١) ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى التصويدي بخلافه
حرفي الجر ها هنا فإنه إنما خولف بينها في الدخول على الحق والباطل لأنَّ صاحب الحق كأنه
مستعمل على فرس جواد بركض^(٤٢) حيث يشاء ، وصاحب الضلال كأنه منقسم في ضلاله
مرتبك فيه فلا يدري أين يتوجه ، وهذا من دفين قدامي في الكلام وكثيراً ما سمعت
إذا كان الرجل يلوم صديقه أو يُعتاب خليفه على أمر من الأمور فيقول له « أنت على ضلالك
التدريج كما أهدتك » وهذا وإن كان جائزاً في الكلام إلا أن استعمال « في » ها هنا أولى لا أشرفنا
إليه ، ومن هذا النوع قوله تعالى : « إِنَّا الصَّدَقَاتُ كَانَتْزَاءً وَالسَّائِكِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَاللَّوْظَةَ
قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّارِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ »^(٤٣) فإنه إنما عدل عن اللام إلى « في »
في الثلاثة الأخيرة للإيمان بأنهم أرسخ في الاستحقاق والتصدق عليهم من سبق ذكره ، لأن
« في » اللام فيه على أنهم أصدقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويُجملوا بمنزلة^(٤٤) لها وذلك لا في
فك الرقاب وفي الشُّوم من التخلص وتكرار « في » في قوله تعالى « وفي السبيل » فيه فضل
وترجيح له على الرقاب وعلى العارفين ، وأمثال هذا مما يوجب مراعاته والاعتناء به [كثيرة]
هاهنا .

(١) السورة « سبأ » الآية « ٢٤ » وانظر لفظ السائر « ج ٢ ص ٤٣ » فقد فهم لخصه الآية
ما يوضح الزاد من إيرادها .

(٢) في عتار الصحاح « الركض » تحريك الرجل ومنه قوله تعالى « ركضت برجليك » ، وبابه نصر
وركض الفرس برجله : استعنته ليدنو ثم كثر من قبل : ركض الفرس « إذا غدا وليس بالأصل والصواب :
ركض الفرس ، على ما لم يسم فاعله فهو مركوز » .

(٣) السورة « التوبة » والآية « ٦٠ » وأعلامها « فريضة من الله وإنه عليهم حكيم » .

(٤) في الأصل « ويجمل مطلقاً ، ولا يدل له والصحيح من لفظ السائر « ج ٢ ص ٤٤ » .

الفرع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التكرار

وهو فسان : أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى ، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ
فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لن تستدعيه « أسرع أسرع » ومنه قول
أبي الطيب التيمي :

ولم أزل مثل جنياني ومثلي لكل عند مثلهم مقام^(١)

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك « أظني ولا تعصي » فإن الأمر بالطاعة
نهي عن العصية . وكل من هذين التسميين ينقسم إلى مفيد وغير ذلك . فلفيد يأتي في الكلام
تأكيداً له وتشبيهاً من أمره ، وإنما يفعل ذلك للدلالة على عظم محل الشيء ، الذي كررت فيه
كلامك ، والإشعار بفضائله شأنه وعرفته ، أو الدلالة على حقارته والإعلام بهوانه والتماسه^(٢) .
وغير للفيد لا يأتي في الكلام إلا تحيئاً واختلاً ، من غير حاجة إليه .

فأما الأول وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى ويدل على معنى فهو شريان : مفيد وغير مفيد .
فالضرب الأول وهو الفيد فرعان : الأول إذا كان التكرار في اللفظ والمعنى يدل على معنى
واحد المقصود به فرضان مختلفان كقوله تعالى « وإذ يريدكم الله إيسى العاليتين أنها لكم ،
وتوّدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويُريد الله أن يُحيق الحق بكلماته ويُضطلع
داير الكافرين ، ليُحيق الحق ويُطيل الباطل ولو كره الجرمون »^(٣) هذا تكرر في
اللفظ والمعنى [وهو قوله]^(٤) « يحيق الحق ويحيق الباطل » وإنما جيء به هنا لاختلاف
المراد وبذلك أن الأول تمييز بين الأزدتين ، والثاني بيان لفرضه فيما قبل من اختيار ذات الشوكة
على غيرها لهم ، وتضريرهم عليها ، وأنه ما نعرض ولا خذل أولئك إلا لهذا الفرض .

(١) من كلمة يخرج بها القيد بي على المعنى ومثلها :

فؤاد ما نسليه للدمع ومصر مثل ما نهب الأمام

(٢) في الأصل « وإيضاحه » وهو من قلب التامخ ليدع عن المراد .

(٣) السورة « الأفعال » والآية « ٨٧ - ٨٤ » . (٤) زيادة واجبة من لفظ السائر .

ومن هذا الباب قوله تعالى ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ^(١) ... إني قوله ﴿ قاتلون ﴾ ألا ترى إلى هذا التكرير في قوله ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ وقوله ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ أو المراد به فرغتان مختلفتان وذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله عز وجل بإحداث العبادة له والإسلام في دينه . والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة ، مخلصاً له دينه ، ولذا لانه على ذلك قدم اليهود على فعل العبادة في الثاني وأخبره في الأول ؛ لأن الكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ، ولذلك رب عليه ﴿ فاعبدوا له شقماً من دونه ﴾ .

ومما أورد على نحو من ذلك قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ... ^(٢) ﴾ إلى آخرها بقوله ﴿ لا أعبد ﴾ يعني في المستقبل لا تعبدوا مني عبادة إليكم ، ولا أنتم فاعبدون فيه ما أطلب منكم من عبادة إليهم . ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أي ﴿ وما كنتُ قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه ، يعني أنه لم يُعبد في عبادة سلف في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى ذلك في الإسلام ؟ ولا أنتم عابدون في الماضي في وقت ما أنا على عبادته الآن ﴾ . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانٍ وَبِرِجْسٍ هَامِيمٍ ، بِذَلِكَ لَعَنَّا خَمُوداً أَغْرَمُوا نُوحًا الْأَنْتُونِ ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعوني ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على ربّ العالمين ، فاتقوا الله وأطيعوني ^(٣) ﴾ فإنه إنما كرر ^(٤) قوله ﴿ فاتقوا الله وأطيعوني ﴾ ليقوّضهم ويثبته في نفوسهم مع تعليق كل واحد منها بسنة ؛ فجعل على الأول كونه أمةً فيها بينهم ، وجعل على الثاني حسم طمعه عنهم وخلوته من الأفراس فيما يدعوهم إليه .

(١) السورة : الرمز : والآية : ١١ ، ١٢ . وانظروا ﴿ وأمرت أن أكون أول المسلمين قل إني أضاف إن عصيت ربّي عتاب يوم عظيم ، قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ ، قل لك الماسرين الذين خسروا أنفسهم وأولادهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو المدبران الذين ، لهم من فوائدهم كل من الدار ومن ومن نعمهم كل - ذلك يخوف الله به عباده ، يا عبادي اتقوني .

(٢) السورة : الكافرون . ومن ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ﴾ .

(٣) السورة : نوح . والآية : ١٠٤ - ١١٠ .

(٤) في الأصل : فرر . وليس يتناسب لفرار .

من هذا النحو قوله تعالى فكذب^(١) قبلم قوم نوح وادم وفرعون ذو الأوتاد ، وثمود^(٢) وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب^(٣) ، إن كل^(٤) إلا كذب الرسل خلق مقامي »
 وإنما كرر تكذيبهم ها هنا لأنه لم يأت به على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضموم من الصلوة
 فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ، ثم جاء به بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كل^(٥)
 واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي
 تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية
 ثانياً ، وما في الاستثناء من التوضيح على جهة التأكيد والتخصيص من البانة السجدة عليهم ،
 باستحقاق أشد العذاب في أبلته [من البيان ما لا يخفى فيه] .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى غامض ، وله يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين
 غيره ، فافهمه .

الفرع الثاني من الضرب الأول

ان كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والراد به فرض واحد كقوله تعالى :
 « والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسقطه في السماء كيف يشاء^(٦) » إلى قوله :
 « ... ليلين^(٧) » فقوله « من قبله » بعد قوله « من قبل » فيه الدلالة على أن صدم بالطر قد
 بعد وتطول فاستحكم بأسمهم ، وتنادى إبلاصهم ، فكان الاستبصار على قدر اهتمامهم .

ومثل هذا قوله تعالى : « فكان ما قبلها آتتها في النار خالدين فيها^(٨) » وكذلك قوله تعالى :
 « ولا تحسبن الذين يخرجون بنا أتوا^(٩) وأجيبون أن يجهنموا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبتهم

(١) السورة : س ، والآية : ٤٤ وما بعدها .

(٢) السورة : الروم ، والآية : ٤٨-٤٩ ، وبعد ذلك ، ويجعله كسفاً يرى الوقت يخرج من خلاله
 ذات أصاب به من بناء من عباده إذ لم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله ليلين .

(٣) في الأصل : يفتلين ، وهو تصعيف .

(٤) السورة : المصم ، والآية : ١٤ ، وأصلها : وذلك جزاء الظالمين .

بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ^(٤١) » ومن هذا الجنس قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم صراط الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وبئس الآخرة هي دار القرار ^(٤٢) » فإنه إنما كثر عداء قومه ها هنا لزيادة التنبيه لهم ، والابتذال ^(٤٣) من سنة النفاة ، ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيها بريقسهم من العزال ، وهو يعلم وجه سلامهم ، وأصبحسهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ، ويطلق بهم ، ويستعدي بذلك أن لا يتهموه ، قلت سرورهم سروره ، وهمهم فمه وإن لم يتزاول على نصيحته لهم . وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موقفاً من الاختصار ، فاعرفه .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر ^(٤٤) « فذوقوا عذابي ونذري » وقوله « ولقد يسرنا القرآن لذكرك فهل من مسخرك ^(٤٥) » فإنه تكرر ذلك في السورة كثيراً ، وفائدته أن يجددوا عند استماع كل بناء من أبناء الأولين أذكرا وامتعا ، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً ، إذا سمعوا الحديث على ذلك ، والبس إليه ^(٤٦) وأن يُتزعج لهم المصامرات ، لكلا ينلهم السهر ، وتستولي عليهم الغفلة .

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن - جل وعلا - « فسأى آلاء ربكنا تكليمان » وذلك عند ذكر كل نعمة عددها على عباده ، وأمثال هذا في القرآن الكريم كثيرة فاعرفها .

المضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى

وهو غير الفيد

وهو الذي يكون وجوده وعدده سواء لأنه لا يأتي (إلا) بمعنى واحد فقط ، فن ذلك

(١) السورة « آل عمران » والآية « ١٥٥ » .

(٢) السورة « غافر » والآية « ٣٥ - ٤٠ » .

(٣) في الأصل « عن سنة » وهو خلاف السومح . (٤) الآية « ١٦ » .

(٥) السورة « القمر » والآية « ١٧ » .

(٦) المشهور عند النحاة « ينه عليه » أي حمله عليه ، قال الزمخشري في أساس البلاغة « وينه على

الأمم ولو أسوا بالمير وجعلوا عليه » .

ما أوردناه في صدر هذا الباب قول أبي الطيب النبي :

ولم أرَ مثلَ جبراني ومثلي لمثلي عند مناهم مُقسام
إنه يقول : لم أرَ مثلَ جبراني في سوء الجوارِ وفلة الرعاة ، ولا مثلي في مسابرتهم ومقاي
عندهم ، إلا أنه قد كثر هذا المثل في البيت مرتين ، وعلى نحو ذلك جاء قوله :

هَلَّ قَلْبِي بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّ لِلْحَشَا قَلَّ لِي عَيْسٍ كَلْبِي قَلَّ لِي

قال صاحب السمعاني^(١) بن عباس أنكسر على أبي الطيب هذا البيت لأجل التكرار الذي
فيه^(٢) ورأيت الواحدي^(٣) ذكر في شرحه لشعر أبي الطيب أنه لا يترده من هذا عيب وأنه
قد جرت عادة الشعراء بمثل هذا كقول أبي منصور العمالي :

وإذا البَلَابُ أَطْرَبْتُ يَسْتَرِيهَا فَأَنْفِرَ الْبَلَابُ بِاحْتِسَابِ بَلَابِي

ولقد أصاب صاحب بن عباد في استنباح بيت أبي الطيب ، وأخطأ الواحدي في الاعتذار
عنه ، وتشبيل ذلك بقول العمالي ، ويبانه أن بيت أبي الطيب قد ورد فيه ذكر القلقة والتلاقل
أربع مرات ، وعن دلائل معني^(٤) واحداً لا غير^(٥) وهو الحركة بقول « وحركت بالهم الذي حرك

(١) من كلمة له قلنا في صباه أولها :

فما رويته في بيتها الخليل ولا تخفياً خلقاً لها أنا والي

(٢) هو الوزير الأديب المشهور « ٣٢٦ - ٣٨٥ » .

(٣) لم نجد هنا في الرسالة التي وصفا بالسكاف من مساوي شعر النبي . وقد طبعتها حسام الدين
القمي بصر سنة ١٣٤٩ هـ ووجدنا قول صاحب - ص ١٤ - وكان الناس يستشعرون قول مسلم « قلت
وجلت ثم مثل صاحبها » من جاء هذا المدح بقوله :

وأجح من قدسنا من وجدنا فيسبل العبد مخلوق للقدس

خاصية في الرائي أعظم منها في الرئي » . وقد نقل العمالي ذلك في البيتة « ج ١ ص ١٣٩ » طبعة
الساوي بصر سنة ١٩٤٤ - ونقل غير ذلك ولم يذكر معه بيت القائل - وقال عفيف الدين علي بن عدلان
الوسعي لطيف الألف في شرح ديوان النبي « النسوب خطأ لئ أبي البقاء الفكري » ج ١ ص ١٣٩ « من
طبعة الطبعة السرفية بصر سنة ١٣٠٨ هـ » وقال صاحب السمعاني بن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال :
« ما للقل لطف أعتاده وهذه القلقات الباردة ! ولا يترده من هذا عيب فقد جرت عادة بذلك » .

(٤) قال ابن عدلان في شرحه « ج ٢ ص ١٣٩ » : « وللقائل عيس جمع لقل وهي اللغة المتينة ، وإنما
لقل وقرس لقل : إن كانا سرهما الحركة والقائل الثانية : جمع قلقة وهي الحركة ، قال أبو الفتح بن جني :

المشاة نرفقاً سراع الحركة كأنهن متحركات » وهذا من أفتح ما يكون من التكرير ، وأما بيت
 الثمالي الذي مثله الواحدي بيت أبي الطيب فليس مثلاً لأن لفظة « الليل » قد وردت فيه
 ثلاث مرات ، وكل منها ذال على معنى ، واليلايل الأول جمع بليل ، وهو طائر حسن الصوت ،
 واليلايل الثانية جمع بيلة ، وهي وسواس الصدر ، واليلايل الثالثة جمع بيليلة وهي مخرج الماء
 من الأبريق ، فهو يقول : وإذا الأظفار من اليلايل هددتْ وغردتْ فانفِ اليلايل من قلبك
 باحشاء الحر من يلايل الأبريق ، وهذا من أخف ما يكون من التجنيس ، ومن هنا وقع
 الصهر الواحدي ، وهو أن « اليلايل » في شعر الثمالي تدل على معاني مختلفة و « التلايل » في
 شعر أبي الطيب تدل على معنى واحد ، فأعرف ذلك وقس عليه .

القسم الثاني من النوع المؤول في التكرير

وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ ، وهو شريان : مفيد وغير مفيد

النضرب المؤول المفيد وهو فرعاؤه -

الأول إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين كدلالة على الجنس والعدد ، وهو
 باب من التكرير مشكلى ؛ لأنه يسبق إلى التوهم أنه تكرير محض ، يدل على معنى واحد فقط ،
 وليس كذلك ، فما جاء منه قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا آلئيهن إئمهاتاً هو آلهٗ
 واحدٗ »^(١) ألا ترى أن العرب إنما جئت بين العدد والعدد فيها وراء الواحد والاثنتين فقالوا
 « عتدي رجال ثلاثة وأفراس أربعة » لأن العدد طر من الدلالة على العدد المخصوص ، فأما
 « رجل ورجلان وفرس وفرسان » فمدودان . فالقاعدة إذن في قوله تعالى : « آلئيهن اثنتين
 وآلهٗ واحد » وهو أن الاسم الحاصل للمعنى الأفراد والثنية [يدل] على الجنسية والعدد المخصوص ،

== الضرب في « كأنهن » ليس لا التلايل ، يقول « دلالى التلايل » كما تقول « سرع السروام وخطاف الخفاف
 وكفتوك » أفضل التلايل . ومع أبلغ في الوصف من أن يعود على التلايل . ثم ذكر بيت الثمالي وقال
 وفي هذا الذي ذكرناه ما يرد قول ابن عباد ، ويطلبه ما جاء عن رؤساء الشعراء .
 (١) السورة « النحل » الآية « ٥١ » . وتحتها « فإني فارهوي » .

فلذا أرادت الدلالة على أن المعنى به واحد منها وكان الذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكد ، فدل به على التصديق والمنايا به . ألا ترى أنك لو قلت « إنفا هو إله » ولم تؤكد به واحد لم يحسن ، وخيّل إنك ثبتت الإكتمالية لا الوحدانية . وهذا باب من تكرار المعاني وعر السلك دقيق القزى وبه تحمل مشكلات من التكرار فاعرفه .

ومن هذا النحو إذا كان التكرار في المعنى يدل على معنيين : أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى : « ولكن منكم أمةٌ يُبدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٦٦) » الآية . فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ، لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام . فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف ؛ لأن الخير أنواع كثيرة ، من جهتها الأمر بالمعروف ، ففائدة التكرار هنا أنه ذكر الخاص بعد ذكر العام ، للتبنيه على فضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ^(٦٧) » الآية . وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفها .

الفرع الثاني من الضرب الأول من القسم الثاني

إذا كان التكرار في المعنى يدل معنى واحد . وقد سبق مثاله ، في أول هذا الباب ، كقوله « أحسني ولا تعسني » لأن الأمر بالطاعة نهي عن العصية ، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب ، والتقرر لها في قلبه . والكلام في هذا الوضع من التكرار كالسلام في الوضع الذي قبله من تكرار اللفظ والمعنى ؛ إذ كان المراد به فرضاً واحداً .

الضرب الثاني من القسم الثاني

في تكرار المعنى دون اللفظ

وهو غير المفيد فمن ذلك قول ابن هاني القزويني :

سارت به ربيع القصائد شراً
فكأنما كانت تحباً ^(٦٨) وقولاً

- (١) السورة « آل عمران » الآية « ١٠٤ » . وأصلها « وأولئك هم المفلحون » .
 (٢) السورة « البقرة » الآية « ٢٣٥ » . وأصلها « ولربوا ذنابين » .
 (٣) في مختار الصحاح « العيبا : رجع وبهيبا التوبى أن تهب من قطع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلها التبور . وفيه أيضاً » والقبول أيضاً : العبا وهي رجع مقابل التبور .

فكانه قد قال « فكأنما كانت ميباً وميباً » لأن السبأ هي القبول ، وليس ذلك مثل التكرار في قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الواسعة » فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى . ولا مثل التكرير في قوله تعالى « واتكلم منكم أمة يدعوون الى الخير وبأمرين بالبروف » فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين تشتغل على معنيين ؛ خاص وعام ، وقول ابن هاني « ميباً وقبولاً » لا يعطى إلا معنى واحداً لا غير ، وهذا لا يخفى على العارفين بصناعة التأليف .

ومن هذا النحو قول الساببي في كتاب : « وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء » وانتظار له واستبطاء ، فإن التأخير والإبطاء بمعنى واحد ، وقد يكون لهما وجه في التجويد ، وهو التقرير في نفس المخاطب بعد الأمد ، وتطول اللفظة في انقطاع كتابه عنه ، وذلك مما لا بأس به في هذا الوضع ، وأمثال ذلك كثيرة ، فأمثلها .

الشرح العشرون من الباب الأول من الفصح الثاني

في تناسب المعاني وهو ثلاثة أشرب :

الأشرب الأول المطابقة وهي المقابلة :

اعلم أن جماعة العلماء من أرباب هذه الصناعة قد أجمعا على أن المطابقة في الكلام : هي الجمع بين الشيء وشداء ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب فقال : « المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى » . وهذا الذي ذكره قدامة هو (التجنيس) بعينه ، غير أن الأسماء لا مشاحة منها إلا إذا كانت مشتقة ، وانتظر نحن في مخالفة قدامة لجماعة العلماء في اسم المطابقة ليعلم الحق في أي الجهتين مقرر ، وذلك أننا ننظر الى أصل المطابقة في وضع اللفظة فإن كانت مناسبة لما أجمع عليه العلماء تحققنا أن الحق معهم ، وإن كانت مناسبة لما ذكره قدامة تحققنا أن الحق في يده فربأنا : أصل الطباقي في اللفظة من « طابن البعير في سيره » إذا وضع رجلاه موضع يده ، وهذا يقوي

ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والوضع الذي يقام منه واحد ، وكذلك الثنيتين يكونان تحير بين أي غنطين ، واللفظ الذي يجمعها واحد ، فقدمية شئ هذا النوع من الكلام الطائفة ، حيث كان الاسم مشتقاً عما صحى به ، وذلك مناسب وواقع (موقعه) إلا أنه قد جعل للتجنيس اسماً آخر هو اللطيفة ، ولا بأس به . وأما جماعية البداء ، فكأنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطاباً ، بنير لشتاق ، ولا مناسبة بينه وبين مشابه . كذا هو الظاهر لنا من هذا الأمر ، إلا أن يكونوا قد عدوا ذلك مناسبة لطيفة ، لم تطلع نحن عليها ، وانزعج نحن إلى هذا النوع من التأليف ونحقق الكلام فيه فنقول :

اعلم أن الأتيق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع « القابلة » لأنه لا يتخلو الحال في ذلك من ثلاثة أقسام : إما أن يقابل الشيء بضمه أو بنيره (أو يثله)^(١) وليس لنا قسم رابع . فإما القسم الأول وهو مقابلة الشيء بضمه ، كالسواد والبياض وما جرى مجراه فنكفوه تعالى « قَلْبًا ضَحْكُوا قَلِيلًا وَكَيْبُكُوا كَثِيرًا »^(٢) . ألا ترى إلى صحة هذه القابلة البدئية ، حيث قابل الضحك بالكاء والقليل بالكثير ؟ . وكذلك قوله تعالى : « لَسْكِيلاً تَأْسُرُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ »^(٣) . وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « خير المال عين ساهرة لعين تأتمة »^(٤) . ومن هذا قول بعضهم في السحاب :

وله بلا حزن ولا يسرة
تحك يرأوح بينه ويحكاه

(١) زيادة يؤيد ما جاء في تفصيل المؤلف للكلام .

(٢) البقرة ، الآية = ٨١ .

(٣) البقرة ، الحديد ، والآية = ٢٣ ، وآنها « وانه لا يجب كل حال طور » . وقد جاء في الأصل « لسكياً تحزنوا » وهو تعريف . وانما جاء في الآية ١٥٣ من آل عمران « لسكياً تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم وانه خير مما تعلمون » .

(٤) ورد في العجرات النبوية = ٧٦ ، والظاهر = ج ١ من ١٢٨ ، والنهاية = ج ٢ من ١٩٦ . قال الشريف الرضي « وهذه استعارة لأن نراه بذلك عين الله الجارية التي لا يتصلح جربها إلا كما لا يتصلح نهراً ، فباعتبارها ساهرة ، فلما لقيت ، لأنها في ليها دالية وعين سلميتها تأتمة ، ولفظ السحر في هذا الكلام أحسن ما حفل بهذا المعنى مناسياً ، وصب عليها نهياً » .

تقابل الضحك بالبكاء ، والمزج بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً ، من حيث ترتيب التصدير ، لا من حيث القابلة ، لأن ترتيب التصدير يقتضي أن كلن قال : « فله بلا حزن ولا بمسرة » ، بقاء يراوح بينه وضحك . وهذا لا كبير عيب فيه ، وإنما الأول والأخير ما أشرنا إليه ، فحرفه ، وسيأتي بيانه ، وقال آخر :

فلا الجودُ يُعفي النَّالَ والجُدُّ مُقْبِلٌ ولا البخلُ يُبْغِي اللالَ والجُدُّ مَدِيرٌ

ألا ترى إلى هذه القابلة البديعة التي قد أتى بها هذا الشاعر ؟ فانه قابل الجود بالبخل وبُغْيِي بُغْيِي ومُقْبِلٌ بِمَدِيرٌ ؟ وهذا الكلام هو السهل للمتع ، الذي هو كالنجم تراء قريباً على صفحات الماء وهو بأفق السماء . ومن هذا النوع أيضاً قول البحري :

وأمةٌ كانَ قُبُحُ الجُودِ يُسْخِطُهَا دهرًا فأصبح حُسْنُ العَدْلِ يُرْسِبُهَا^(١)

تقابل الحسن بالبح ، والجود بالعدل ، والسخط بالرضى ، وذلك بديع في آيه ، فحرفه . وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان أحدهما ما كان بين اللقائل والمقابل له مناسبة وتقابل ، كقول بعضهم :

يَجْزُونَ من ظلم أهل الظلمِ مَغْفِرَةً وحين يساءر أهل الشؤمِ إحساناً

تقابل الظلم بالمغفرة ، والظلم ليس ضد المغفرة ، وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت القابلة بينها وبين الظلم ، وأمثال هذه كثيرة .

الضرب الثاني من القسم الثاني :

في القابلة وهو أن يقابل الشيء بما بينه وبينه بعد ولا مناسبة (بينها) بحال من الأحوال وذلك مما لا يحسن استعمله في التأليف ، مما جاء منه قول بعضهم :

أَمْ حَقِّي طمانينٌ بالسَّيِّئِ راقِصَةً وإنْ تكامل فيها الذلُّ والشَّقْبُ

(١) الديوان ، ص ٢٩ ، طبعه رزق الله سركيس بيروت سنة ١٩١٩ ، وهذا البيت من قصيدة يصف فيها زيارة المؤمنون على الله العباسي بياضها أولها :

يولوا لك دار من ليل تحبها لهم وسألها من يرضي أهلها

فإن ذلك غير مناسب ، لأنه إما يكون يحسن المد مع الفتح والشب مع المَعَسِ ^(٦٧) أو ما يجري مجراه من أوصاف الثمر والقم .

وأما القسم الثالث من النوع العشرين فهو أن تقابل الشيء بثله ، وهو ضربان : أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى ، والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ ، فالضرب الأول كقوله تعالى : « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » ^(٦٨) . وكقوله تعالى « وَكَرُّوا تَكَرُّوا وَتَكَرُّوا تَمَكُّرًا ^(٦٩) » . وأمثال هذا كثيرة ، والضرب الثاني فهو أن تقابل الجملة بثلاثها : إن كانت مستقبلية (مستقبلية) ^(٧٠) وإن كانت ماضية قولت ماضية ، وربما قولت الماضي بالمستقبل ، والمستقبل بالماضي ، وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر : فن ذلك قوله تعالى « أَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكَ الْحَقُّ وَأَنَا أُضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اعْتَدتْ فِيهَا رِجْحًا لِيَّ رَبِّي » ^(٧١) فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال « وإن اعتدت فأنا اعتدي لها » . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما هو عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأمانة بالسوء ، وكل ما حولها مما ينفعها فهداية ربها وتوفيقه إياها . وهذا حكم عام لكل متكلف ، وإنا أئمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن ينددوا إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحتته مع علم بحمده وسداد طريقه كان غيره أولى به ، ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا الْإِبِلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُتْبِعاً لَإِيَّاتِ الْيَوْمِ يَظُنُّونَ » ^(٧٢) فإنه لم يراع التقابل في قوله « ليسكنوا فيه والنهار تبعاً » لأن القياس

(٦٧) يدعي المؤلف أن قوله ذي الرمة :

لياء في غلبتها حوة لعس ولي لثلاث ولي آياها شب

قال مؤلف جبهة أشجار العرب - ص ٣٥٢ - « اللس والمس والموة شيء واحد وهو سواد في الشفة . والشب : ردة الأسنان . وقيل : حرة الضرب إلى السواد » .

(٦٨) السورة : القوية ، والآية : ٦٧ . « وأظنها : إن المتكلمين هم العاصون » .

(٦٩) السورة : النمل ، والآية : ٥٠ . « وأظنها : ولم لا يتصرفون » .

(٧٠) زيادة كفضاعها السيل .

(٧١) السورة : سبأ ، والآية : ٥٠ . « وأظنها : إنه سميع قريب » .

(٧٢) السورة : النمل ، والآية : ٨٦ .

يقتضي أن يكون « والهار ليصروا فيه » وإنما هو صريح من جهة المعنى ، لا من حيث اللفظ ، وهكذا النظم الطبع غير التكلف ، لأن معنى قوله « مبرراً » ليصروا فيه طرقيّ القلب في الحاميات .

ومن مقابلة الشيء بـ « أنه إذا ذكر المؤلف ألقاظاً تقتضي جواباً فالرشي عندنا أن يأتي بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول منها إلى غيرها مما هو في معناها ، فن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئةً سيئةً مثلها »^(٤٥) . ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم « من افتري ذنباً طبعاً أو اكتسب جرماً فسدأ لزمه ما جناه وحق به ما نوحاه » . والأقرب أن كان قال « لزمه ما افترف وحق به ما اكتسب » ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث إن معناه سواب ، لكنه عدول عن الأقرب والأول في هذا الباب . وأمثال هذا كثيرة فأمرها .

واعلم أن في تقابل الثاني باباً يجيب الأمر يحتاج إلى فعل تأمل وزيادة نظر وتدير ، وهو تخليص بالقواسم من الكلام للثبور ، وبالألغاز من أبيات الشعر ، مما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم الفسادون ولكن لا يشعرون »^(٤٦) وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »^(٤٧) ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة « يتعمقون » والآية التي قبلها « يشعرون » وإنما فعل ذلك لأن أمر الهداية والوقوف على أن المؤمن على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك . وأما التفات وما فيه من البني للؤذي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دينوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصاً عند العرب ، وما كان فيهم من التجارب والتعود ، فهو كالمشهور عندهم فذلك قال فيه « يشعرون » وأيضاً فإنه لما ذكر السفة في الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً ، فقال « لا يعلمون » .

(٢) السورة « الثوري » والآية « ٣٨ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٣ » . (٤) السورة « البقرة » والآية « ١٢-١١ » .

وآيات القرآن الكريم جميعها فصلت هكذا ، كقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَوَّرْنَا بِهِ الْأَرْضَ فَأَخْضَرْنَا إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ » (١) . وكقوله « وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِزَّةُ الْعَظِيمَةُ » (٢) وكقوله « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ » (٣) إلى قوله « ... لِرُؤُوفٍ رَحِيمٍ » فإنه إنما قُصِدَتْ الآية الأولى « بلعليف خبير » لأنت ذلك في موضع الرحمة تلقيباً بإزال الثبوت ، وإخراج الثبوت من الأرض ، ولأنه خبير بمنفعتهم ومضررتهم ، في إزال الثبوت وغيره ، فأما الآية الثانية فإنما فصلت « بنبي حديد » لأنه قال « مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » يعرف الناس بأن جميع ما في السموات والأرض له لا حاجة بل هو غني عنها ، جواد بها ، لأنه ليس كل غني ناعماً بنتاه إلا إذا كان جواداً منها ، وإذا جاد وأتم حبيته التسم عليه ، واستحق عليه الحمد ، فذكر الحمد ليدل على أنه النبي التالغ بقاء خلقه . وأما الآية الثالثة فإنما فصلت « برؤوف رحيم » لأنه لا عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسيير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ، وأجمل السبا، فوقهم ، وإسراكها عن الوقوع حسناً أَنْ تَفْصِلَ ذلك بقوله « رُؤُوفٍ رَحِيمٍ » أي إن هذا الفعل فعل رؤوف رحيم .

واعلم أيها التامل لسكتائنا هذا أنه فيما توجد هذه للامامة والنسابة في كلام ناظم أو ناثر. وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نغماً منه ، ولا أمظم فائدة ، وهو مع ذلك دقيق السكت ضيق الذهب ، فليكن - معشر للتصحيح لهذه الصناعة - بتدبر مطاوبه ، وإمعان النظر في مشكلاته . وكفى بما أشرنا إليه مثالاً لمن له لب .
ومما جاء من هذا الباب في الشعر قول الثاني :

(١) السورة « الحج » الآية « ٦٣ » . (٢) السورة « الحج » الآية « ٦٤ » .

(٣) السورة « الحج » الآية « ٦٥ » وتلدها « وقد والله السماء أن تنح على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

وَقَفَّتْ وما في الموت شك لواقف كأنك في سبعين الردي وهو قائم^(١)

ترأ بك الأبطال كئلي^(٢) حزينة ووجهك وضاح وتفرحك باسم

وانت أخذ عليه ذلك ، وقيل : لو جعل آخر البيت الثاني آخر الأول لكان أولى ؛ وحكاية أخذته عليه أنه استنشد سيف النبوة وما قصيدته التي أولها :

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم » ، فلما بلغ إلى قوله : « وقتت وما في الموت شك لواقف »

البيحون قال له : وقد انتفعت عليك هذين البيحون كما أنتقد على أمرىء القيس قوله :

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتسبطن^(٣) كاهباً ذات خلخال

ولم أسبأ الرقي الردي^(٤) ولم أقل^(٥) لخيلى كئري كوة^(٦) بسند إيفال

فبيتك لم يلمهم شطراهما كما لم يلمهم بيتا أمرىء القيس ، وكان يبيّن أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى ...

ولم أسبأ الرقي الردي ...

وكذلك يبيّن أن يقول :

وقتت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وتفرحك باسم

ترأ بك الأبطال كئلي^(٧) حزينة كأنك في جفن الردي وهو قائم

قال المتنبي : إن صح أن الذي استندرك على أمرىء القيس هنا وهو أعلم بالشعر منه فقد

أخطأ أمرىء القيس وأخطأت ، ومولانا يعلم أن التوب لا يملأه البراز كما يملأه الحائك ؛ لأن البراز

يعلم جلته ، والحائك يعلم تقاصبه . وإنما قرن أمرىء القيس النساء ، بلذة الركوب للسيد وقرآن

السباحة يساء الخمر للاصناف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر

(١) من كلمة له في مدح سيف النبوة الحمداني وقد سار نحو قلعة المدحت سنة ٣١٤ هـ ، ويطعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكرم

« الفروان » طبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) كئلي : جم كليم وهو المبرح .

الرب الأول أتمته بذكر الردي في آخره ، ليكون أحسن طباقاً وتلازماً . ولما صكبان وجه
 الخريج التهيم يكون مبهوساً وميته بأكية قلت « وجهك وضاح وتذرك باسم » لأجمع بين
 الأنداد في المعنى . فأهبط سيف الدولة كلاسسه . وأمثال ذلك كثيرة إلا أنه يحتاج الناقد لها
 والعيز بين جيدها ورديتها إلى فكرة سالية ، وروية زائدة .

الضرب الثاني من النوع العشرين

في حصة الضمير وفساده

اعلم أننا لم نرد بالتقسيم هاهنا ما تقتضيه التسمية العقلية كما يذهب إليه المتكلمون ؛ فإن
 التسمية العقلية تقتضي أشياء مستحيلة ، كما قالوا « الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو
 مفترقة . أو لا مجتمعة ولا مفترقة . أو مجتمعة مفترقة معاً . أو بعضها مجتمعة ، وبعضها
 مفترقة » . ألا ترى أن هذه التسمية صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الأقسام جميعها ، وإن كان
 من جهتها ما يستحيل وجوده ، فإن الشيء لا يكون مجتمعاً مفترقاً في حالة واحدة ، وإنما نريد
 نحن بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه المعنى ، مما يمكن وجوده ؛ وهو أن يأتي الزائف إلى جميع أقسام
 الكلام المختصة فيستوفياها ، غير تارك منها شيئاً واحداً . فمن ذلك قوله تعالى « ثم أوردنا
 الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فلنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات »^(١)
 فإنه لا يحقر العالم من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما ماص ظالم لنفسه وإما مطيع مبائر إلى الطيريات
 وإما مقتصد بينهما ، وهذا من أصح النصيب ، وأكملها ، وأعمرفه .

ومن هذا النوع قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الجنة ما أصحاب الجنة ،
 وأصحاب الشام ما أصحاب الشام والسابقون السابقون »^(٢) الآية . واعلم أن هذه الآية مماثلة في

(١) السورة « طهر » والآية « ٣٢ » ونحوها « إن الله خلق عز أفضل الكبير » .
 (٢) السورة « الرعدة » والآية « ٩٦-٩٧ » والنظم « أولئك للربون ، في جنات الهم » .

الذي لما سبق ذكره ، فأصحاب الشامة هم الظالمون لأنفسهم . وأصحاب السبحة هم القاصدون
 والسابقون هم السابقون بالشرات . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذي يرزقكم البرق »
 خوفاً وطمعا^(١) . ألا ترى إلى بداعة هذه القصة ؟ فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف
 وطماع ، وليس لهم ثالث .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة للتصديق في صدرها يجيبون بقول بعض الأعراب في
 هذا المعنى ، ويقولون إن ذلك من أسبح التفسيرات وهو قوله « النعم ثلاث : نعمة في حال كونها
 نعمة ونعمة تُرجى مستقبلية ، ونعمة تأتي غير محتسبة . فأبى الله عليك ما أنت فيه ، وحقن
 ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحسبه » . فقالوا إنه ليس في أقسام النعم التي يقع
 الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الأعرابي . وهذا القول قاسد ؛ وهو أن في أقسام النعم
 التي قسمها هاهنا قسمًا لا بد منه ، وزيادة لا حاجة إليها ، فأما القسم فافتأله ذكر النعمة
 للاضية ، وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية : التي تأتي غير محتسبة ، وهذا خطأ لأن النعمة
 التي تأتي غير محتسبة هي داخلة في قسم المستقبل ، وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم إلى قسمين :
 أحدهما يرجى حصوله ويتوقع بلوغه ، والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده ، فقوله « ونعمة
 تأتي غير محتسبة » يوم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخِل في جملة ، ولو قال « ونعمة
 مستقبلية » من غير أن يقول « ونعمة تأتي غير محتسبة » لكان قوله كافياً ، إذ النعمة التي تُرجى
 والنعمة التي لا تحتسب تدخلان تحت قسم المستقبل . وكان ينبغي أن يقول « النعم ثلاث نعمة
 ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلية ، فأحسن الله آثار النعمة للاضية وأبى
 عليك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها » . ألا ترى لو قال ذلك
 لكان قد طبق به مفصل الصواب ، فأنهم ما ذكروه وقس عليه .

ووقف أعرابي على مجلس الحسن فقال : « رحم الله من أعطى من سعة أو ولى من
 كفاف أو آثر من قلة » . فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً ؛ فانصرف الأعرابي بخير كثير .

(١) السورة « الرعد » والآية « ١٢ » وأصلها « وتشرق السحاب العقال » .

ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه ^(١) وذلك أنه أخذ على جميل ^(٢) قوله :

لو أن في قلبي ككفر قلامةٍ أحباً وصلحتك أو أنتك رسائي

قال أبو هلال : إن إتيان الرسائي داخل في جملة الرسل - وليس الأمر كما وقع له ، فإن

« جيلاً » أراد به « وصلتك » أي أنتك زائراً أو قصداً أو « كنت راسلتك مراسلة » .

والواصل لا يخرج من هذين القسمين إما رسالة وإما زيارة .

ومن أوجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالثاني ، وهو

قول العباس بن الأحنف :

وسألكم هجرٌ وهجركم فليَ وعطفكم صدقٌ وسلطكم حربٌ

ثم روى المشار إليه من أبي القاسم الأحمدي - رحمه الله - أنه قال إن بعض قَدَداءِ

الكلام من البلغاء لما سمع هذا البيت قال : « والله هذا أحسن من تسميات إقليدس ^(٣) » .

(١) جي كتاب الصنائع .

(٢) قال جاسم خليفة في باب الفراء من كتاب « كشف القنون » : « إقليدس في أصول المختصة

والحساب وهو يشتم الفيزياء وكسر الدال والهمزة ، لفظ يوناني مركب من « ايلي » بمعنى المتاح و « ديس »

بمعنى القدر وقيل المختصة أي مفتاح القنينة . وفي القلموس « إقليدس اسم رجل وضع كتاباً في هذا العلم

وقول ابن عباد : إقليدس اسم كتابه غلط (انتهى) . وفي شرح الأشكالي للأفضل فاضل زاهد الرومي :

حكى أن ابن مارك اليوناني قال إن تحصل تلك الكتاب باسمي عليه حله فأخذ يتوسم أخبار الكتاب من

كل وارد عليه فأخبره بعضهم بأن في بلدة صور رجلاً يبرأ في علمي القنينة والحساب يقال له « إقليدس »

فطلبه وانتمى به تذييب الكتاب وترتيبه ترتيبه وهذه فاشتهر باسمه بحيث إذا قيل « كتاب إقليدس »

يعلم منه هذا الكتاب دون غيره من الكتب المشهورة إليه « (انتهى) إن صار هذا اللفظ حقيقة عربية

في الكتاب ... فقال : كبرت إقليدس وبالعصه ... » وجاء في معجم الأندلس ج ٢ ص ١٤ « طعة

سرهليوث تلامذ من كتاب « الوزيرين » لأبي حيان التوحيدي أن بعضهم قال « رأيت إقليدس » فقال له

أحمد بن توبة الكتاب « وما كان إقليدس ؟ ومن هو ؟ » قال : رجل من علماء الروم . نسى بهذا الاسم

وشرح كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة يدل على حقائق الأندلس للعلوم والكتابة ، يحفظ ذهن ويدقق الفهم ،

ويطلب المعرفة ويصفي الخاسة ويثبت الروية ومنه اخترع الخط ، وعرفت مبادئ حروف المعجم . وفي كشف

الظنون أن مؤلف الكتاب هو « أبلونيوس انجار » . وقد ترجم القسطنطين « إقليدس الهندس انجار الصوري »

في تاريخ المسكاه « ص ١٤ » طبعة مصر ، وأبلونيوس انجار « ص ٤٤ » .

ومن العجب كيف ذكر النسائي ذلك في كتابه وقائه النظر فيه مع تقدمه في هذه الصناعة .
 وأجيب من ذلك قول أبي القاسم الأصبهاني ، وأجيب منها جميعاً استحسان ناقد الكلام لمقتضى
 التقسيم ، ألا ترى أن هذا البيت قد بني عليه شيء آخر من جنسه فإنه لو أضيف له بيت غيره
 فقبل :

وإنيكمُ عَفْفاً وُقْرُيُكُمْ نَوَىٰ وإعطاءكم متعاً وصدقكم كذباً

لجاز ذلك وربما يحتمل أن يزداد على هذا البيت النسائي بيت ثالث ورابع ، ولو كان ذلك
 التقسيم في البيت الأول صحيحاً لما احتسب أن يضاف إليه شيء آخر البتة ، لأن من شرط صحة
 التقسيم أن لا يحتمل الزيادة .

ومما جاء على نحو من هذا قول بعضهم في حق مكسورين في الحرب ، « فبن بيت جريح
 مضرج بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » . فإن الجريح قد يصكون هارباً ، والهارب قد
 يكون جريحاً ، وثو قال « فبن بين قبيل ومأسور وناج » لصح له التقسيم لأن المكسورين في
 الحرب ، الذين دارت عليهم الدائرة ، لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة ، فإما قبيل أو مأسور
 أو ناج ، وأما الجريح فإنه يدخل في جملة الناجي ، والمأسور ، لأن كلاً منهما يجوز أن يكون
 جريحاً أو أن لا يكون ، فأهرف ذلك ، وقس عليه ^(١) .

المعرب الثالث من النوع العشرين

وترتيبه في التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد

اعلم أن صحة ترتيب التفسير هي أن يذكرك المؤلف في كلامه معاني مختلفة ، فلما عاد إليها
 بالذکر ليظهرها ، قدم القدم وأخر اللزخ ، وإذا لم يراع المؤلف ذلك كان مأخوذاً عليه ، لأنه
 يحل بشرط من الصناعة ، فمن ذلك قول بعضهم :

غيت وليث فغيت حين تمسأه عرفاً وليث لدى الوجوداء فرفنم
 تحيا الأنام به في الجذب إن فحتلوا جسوداً ويشقى به يوم القوي الهام

(١) كروها هنا شيئاً ما كتب لخطاه .

ومن هنا الباب قوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرة »^(١) ، وكذلك قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله »^(٢) . فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدر سبب الليل ، وهو السكون على سبب النهار ، وهو النضيق ، وذلك في غاية الحسن . ومن هذا النحو قول بعضهم :

يوم التَّيْمِ بِكَ حَوْلٌ كُلُّهُ بِمَقَابِ الْفَصْلَانِ فِيهِ إِذَا أُنِي
 مَا يَنْ حَرَّ جَرِيٍّ وَمَا مَدَامِعِ إِنْ عَن صَافٍ وَإِنْ يَكِي وَجِدًا شَنَا

وهذا من أسجع التفسير فاعرفه ، ومن ذلك قول الآخر وهو غاية في إياه :

سَكَّوْتُ^(٣) فَهَاتِ كُلُّهُ هَذَا تَبْرُؤُكُمْ^(٤) بِحُتِّي أَرَأَيْتَ اللَّهُ قَلْبَكَ مِنْ حُتِّي
 فَلَا كَصَفْتِ الْحَبِّ قَالَتْ كَشْدُ مَا تَسَبَّرَتْ وَمَا هَذَا بِفَطْرِ شَجِي الْقَلْبِ
 وَأَدْوَى قَتْمِي فَايْبُدُ طَالِبًا وَضَاهَا كَفَعْتَهُ النَّبَادُ مِنْ ذَنْبِي
 فَشَكَوِي تَوْنِيهَا وَسَبْرِي بِسَوْءِهَا وَتَجْرَحُ مِنْ بُعْدِي وَتَطْفِيرُ مِنْ قُرْبِي
 فَمَا قَوْمٌ هَلْ مِنْ حَيْلَةٍ تَعْرِفُونَهَا أَعْيَنُوا بِهَا^(٥) وَسُتْرُجُوا الْأَجْرَ مِنْ رَبِّي

فأترك هنا الشاعر شيئاً من المعاني التي ذكرها أولاً فيما يلاقيه من الحب واليأس إلا فسرها على هذا الترتيب ، فاعرف ذلك .

ومما أخذ على الفروزدق من هذا النحو قوله^(٦) :

(١) البقرة « الأضواء » والآية « ١٢ » وأصلها « اتبعوا فلاناً من ركبكم واعلموا عسجد الدين والحساب ، وكل قول فصفاه تفصيلاً » .

(٢) السورة « الشمس » والآية « ٢٣ » وأصلها « ولعلكم تشكرون » .

(٣) ذكر اليريد هذه الأبيات في السكائل لأحد الأعراب « ج ١ ص ٢٠٠ طبعة الدوقوي بالقاهرة » وقد غنتها الثانية مبررة للهدية المصرية .

(٤) رواية السكائل « كل هذا تبرأ » قال اليريد : قوله « كل هذا تبرأ » مرادوه على كذاهه كأنها قوله : أشكركم كل هذا تبرأ ، ولم يرفع « كلا » لسكان جيداً ، يكون « كل » هنا جيداً و « يوم » خبره .

(٥) في السكائل « أعينوا بها » .

(٦) من كذاه في مثل القطاع بن عوف التيمي أوها « لندوان ص ٢٤٩ » .

وقالته والرفع يحسن كلها لئس للمدى أجري إليه ابن ضمهم

لقد خنت^(١) يوماً لو لجأت إليهم طريداً دم أو حاملاً تحمل مغرم
لألفت منهم معلقاً أو مطاعناً وراكب شوزراً بالوشيح للقوم

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول في البيت
الأول ، تانياً في البيت الثاني ، وهو قوله : « طريداً دم » فقال : (أو مطاعناً) ، وكذلك أتى
بتفسير ما هو ثان في البيت الأول أولاً في البيت الثاني ، وهو قوله : (حاملاً تحمل مغرم) فقال :
(لألفت منهم معلقاً) والأول أن كان أتى بتفسير ذلك مرتباً ، ففسر ما هو أول في البيت
الأول بما هو ثان في البيت الثاني ، وما هو ثان في البيت الأول بما هو ثان في البيت الثاني ،
وذلك لم يسم له الوزن . إلا أن هذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأحسن ما أشرنا إليه .

واعلم أن الناظم إذ أتى بمثل ما أتى به الفرزدق لا يتكرر عليه ذلك ، كما يتكرر على الشاعر ، وذلك
أن الناظم يضطره الوزن والقافية إلى اعتماد غير الواجب في تأليفه ، وترك الأول في سناعته ،
كما انتظر الوزن والقافية الفرزدق ، فإنه لم ير أراد أن يأتي بمقتضى السنعة فقال :

لقد خنت يوماً لو لجأت إليهم طريداً دم أو حاملاً تحمل مغرم
« لألفت منهم طاعناً بالوشيح للقوم أو معلقاً »

وهذا ما يفسد به الوزن والقافية . وأما الشاعر فإنه لا يضطر إلى مثل ذلك لتصرفه كيف
شاء ، ولهذا كان الشاعر مؤاخفاً بأداء هذه السنعة أكثر مما يؤاخذ الشاعر ، فاحرف ذلك .
ومما أخذ على الفرزدق قوله أيضاً :

كيف أساو وأنت يحف وتحنن^(٢) وغزال حلقاً وردناً وقدأ

والأصل في هذا أن قال : ردناً وقدأ وحلقاً « وأمثال هذا كثيرة ، فاحرفها .
وأما فساد التفسير في هذا الباب فهو أن يأتي المؤلف بكلام يفسره تفسيراً لا يناسبه ، وذلك
عيب لا يسمع فيه بحال من الأحوال كقول بعضهم :

(١) في الأصل « جنت » وهو غير مستقيم والصحيح من الفرزدق .

(٢) لم نجده في ديوان شعر الفرزدق ، مع عهده لغة اسمعيل الصاوي وأثر التوليد طاهر عليه .

فيا أيها الخيران في ظلمة الدجى ومن خلف أن يلقاه يقضي من العيدا
تعال إليه نلق من نور وجهه ضياءً ومن كفيه بحرأ من اللدى

وكان يجب لهذا الشاعر أن يجعل إزاء « بني من العدا » ما يتناسب من النصرة أو الالفة أو الافة أو ما جرى هذا الجرى ، ليكون ذلك تفسيراً كما جعل إزاء الظلمة الضياء وفسرها به ، فأما أن وضع إزاء ما يتخوف منه « بحرأ من اللدى » [فانه] لا يكون تفسيراً له وأمثال هذا كثيرة ، فليجلب .

النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفقه الثاني

في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية المؤكدة بأن الشدة وتفضيل أحدها على الآخر .

وذلك كقولنا « قام زيدٌ » ، و « إن زيدا قائمٌ » قولنا : قام زيداً . معناه : الاخبار عن زيد بالقيام . وقولنا : إن زيدا قائمٌ ، معناه : الاخبار عن زيد بالقيام أيضاً . إلا أن في الثاني زيادة كَيْسَتْ في الاول ، وهو توكيده بإن الشدة التي من شأنها الالابات لما يأتي بعدها من الكلام ، فن هذا النحو قوله تعالى : (وإذا أقعدوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا تخلفوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنا نحن ^(١) مستهزون) . فأنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بإن الشدة ، قالوا : في خطاب المؤمنين (آمناً) ولأخوانهم (إنا معكم) لأنهم في مخالفة أخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعث من أن زالوا على صدق ورغبة ووقور نشاط ، وكان ذلك متقبلاً منهم ورائجاً عند إخوانهم . وما قاله للمؤمنين فأما قاله تكلفاً وإظهاراً للإيمان ، خوفاً ومماجة ، وكانوا يطؤون أنهم لو قاله بأوكده لفظ وأشدته لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باحشاً ، ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم ،

(١) السورة « البقرة » والآية « ١٤٠ » .

« إنا معكم » وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية (١) لا توجد في نوع من الكلام العربي إلا في القرآن الكريم ، وما أكثر ذلك وأمثاله في أمثاله وأولاده ! مودعاً في (٢) غرضه ، فأمره ، وقس عليه .

النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في ورود لام التأكيدي في الكلام

ولا يخفى ، ذلك إلا لضرب من المسألة ، وفائدتها في التأليف أنه إذا غير من أمر يميز وجوده ، أو يفعله بفظم إسنائه ووقوعه ، جيء بها محذوفة لذلك ، وشاعرة ، فن هنا الباب قوله عز وجل : « أفأرأيتم ما أنشئتمون ، أنتم تزدعون أم نحن الزاعجون ، لو نشاء لخلقنا عظاماً فلننلنهم فنكسبون » إنا أنشئتمون ، بل نحن محرومون ، أفأرأيتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنشئون ، لو نشاء لخلقنا عجاجاً فلولا تشكرون » (٣) . ألا ترى كيف أدخلت « اللام » في آية الطعوم دون آية للشروب ، وإنما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً ، والوجود من الماء المالح أكثر من الوجود من الماء العذب ، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي البعيدة التربة أحاطتها إلى اللوحة والمرارة ، فتم يخرج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيده ، فذلك لم تدخل عليه « لام التأكيدي » القيمة زيادةً لتحقيقه ، وأما الطعوم فإن جهده عظاماً لما كان خارجاً عن المعتاد أو هو غير مأروف ، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخط شديد وغضب زائد ، لذلك قرن (٤) بلام التأكيدي زيادةً في تحقيق أمره وتقرير إيجاده وكونه . وهكذا يفعل بكل أمر فيه خصوصية ، فأمره .

(١) في الأصل « خيفة » ومن أوهام السامع .

(٢) يقال « أودعه الشيء » بضم الهمزة ، وفي غير الصحاح « يقال : أودعه مالا أي دفعه إليه ليكون ودعة عنده ، وأودعه مالا أيضاً : جبهته ودعة وهو من الأضداد . وفي الصحاح للمع « أودعت زيدا مالا : دفعته إليه ليكون عنده ودعة ... أو أضفته منه ودعة ويكون الفعل من الأضداد لكن الفعل في الهمزة شبر . . . وقد استبرج « أودع » غير الودعة فاستعجاز الودعون استعماله في « و » مع « في » حقه ، كما استعملوا « ورد به » .

(٣) السورة « الواقعة » والآية « ٦٣-٦٠ » . (٤) « تلك » زائداً بدلالة « لا كان » .

الفرع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفقه الثاني

في الاقتصاد والافراط والتفريط

فإنما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى الضمّين في العبارة على حسب ما يقتضيه العبر عنه

في منزلة .

وأما التفريط * والافراط * فهو أن يكون المعنى للضمّين في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة

العبر عنه * فالأما انحطاطاً دونها وهو التفريط ، وإلما تجاوزاً عنها ^(١) ، وهو الافراط * لأن

أصل التفريط في وضع اللفظة من « فرط في الأمر إذا قصر فيه وشبهه * » وأصل الافراط في

وضع اللفظة من « أفرط في الأمر إذا تجاوز فيه الحد * » فالتفريط عيب في الكلام فاحش * وذلك

كقول الأعمش : -

وما تخيريد من حليج القرانِ كجوانِ غرابةٍ تلتطيمِ ^(٢)

بأجود منه بعامونه ^(٣) إذا ما سألوم لم أتيم

فإنه قد مدح مسلماً بأنه يجود بعامونه * والاعمون هو كل ما يستمر من قدوم أو قصم

أو قدّر أو ما أشبه ذلك . وليس للملوك في بذله مدح البتة ^(٤) * بل هو ال الذي أقرب منه الى

المدح * فهذا من أقبح التفريط .

(١) قال الجوهرى في الصحاح * وجاوزت الذي الى غيره وتجاوزته بمعنى أي جزته ، وتجاوز الله عنه

أي عفا * وكذلك ما في الصحاح كثير : * وجاوزت العزم * وتجاوزته : تعديته وتجاوزت عن الشيء :

غفوت عنه وصغفت * ، ومنه يعلم أن المؤلف استعمل * التجاوز * الذي هو بمنى علو والصفح بمنى

الجواز وليس ذلك بصحيح .

(٢) من قصيدة يمدح بها لؤي بن سعدى كربى حطفا :

أتهجر خالصة أم تم أم الخيل وله بها منجم ١٩

* ديوان الأعمش والأشعث الأقرن * ص ٢٨-٣٤ .

(٣) في الديوان * ص ٣١ * بأبيودته بما عنده * وفي الصرح * روى أبو عبيدة : بعامونه

وهذا الاعمون في الجملة : كل عطية * وهي رواية الديوان لا يصح الاستدلال على ذلك . وفي مختار الصحاح

* المليون : اسم يطلق على البيت كالفدر والعمس ونحوهما . والاعمون أيضاً : الماء ، والاعموت أيضاً :

العمامة ، وقوله تعالى * وقنعن الاعمون * قال أبو عبيدة : الاعمون في المعاطبة كل متعصبة ومطبة ، وفي

الاسلام : العمادة والركعة .

ومن هذا الباب قول أبي تمام :

ما زال يفتني بالسكرام والسلا حتى قلتنا أدبنا نهموم^(١)
فانه أراد أن يبالغ في ذكر المدوح بالهجو بالسكرام^(٢) والسلا ، فقال « ما زال يفتني »
ولا أهم ما كانت حال أبي تمام ، عند قوله هذا البيت ، ولا أعلم أي أمر اضطره اليه ، مع سعة
جمال العربية ، وأفضاح مدحاها ؟ ثم ما كفاه ذلك ، حتى قال : « قلتنا أدبنا نهموم » وعلى نحو
من ذلك ، قول بعضهم :

وتلغته عند السكرام هزة كما انقضت اليهود من أم يسلم^(٣)

ومن أفرح ما رأيت في هذا الفن ، قول أبي تمام :

أنت تلوّ وذا السباح أبو مسو من قلب ، وأنت دلو التليسير^(٤)

ومراد أبي تمام من ذلك ، أنه سبب إعطاء للشار إليه ، كما أن التوسيب في الشباح للماء من
القلب . فهذا وأمثاله ، مما لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً ، ولهذا كانت
لمدح ألفاظ ، لا يجوز استعمالها في التهم ، ولقدم ألفاظ لا يجوز استعمالها في المدح ، ألا ترى أن
من المعالي ما يعبر عنه بالألفاظ متعددة ، ويكون المعنى المندرج تحتها واحداً ، فمن الألفاظ
ما يحسن استعماله في المدح ، ومنها ما لا يحسن استعماله في التهم ، ولو كان هذا الأمر يرجع إلى
المعنى فقط لسكنت جميع الألفاظ المداة عليه كثيراً^(٥) . سواء أ في الاستعمال ، وإنما هنا تعود
فيه إلى العرف ، دون الأصل . ولنضرب لذلك مثالا ، فنقول : هل يجوز أن يحسب الربك ،

(١) من نسخة في مخرجها أبو الحسن محمد بن الحسين بن شبابة أولها :

أحلى طوفهم أجنح هنوم وفقدت عليهم خفرة وضع

الفيوان ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ، طبعة محمد علي صبيح ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، طبعة هيوز البرن الحياطة .

(٢) في الأصل ، بالهجو والسكرام ، وهو غير متفق . (٣) أم يسلم : الحزب .

(٤) لم نلق على هذا البيت في الفيوان والله استبدل به قوله :

لم أزله باره الجوانح مسد خف خضت دابري في ماء ذاك اللبيب

• الفيوان ص ٣٢ .

(٥) أي أمثالا وأمثالها .

فيقال له « وحق دماغك » . قياماً على أن يقال له « وحق رأسك » . فإن هذا مما لا يجيء أحد البتة . ألا ترى أن المؤلف « إذا أراد الملح » ذكر الرأس واليالة والكاهل وما جرى هذا الجرى « وإذا أراد العجو » ذكر الدماغ والقفا والقضال « وما جرى هذا الجرى » وإن كانت معاني الجميع متطابقة . ولا تجمل ذلك حسنت الكتابة في الموضع الذي يفسح فيه التصريح . وأمثال هذا الضرب من الكلام كثيرة « فاعرفه .

وأما الإفرام « فهو بمنزلة ما روي من النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن رجلاً جاءه « فساكنه فقال « ما شاء الله وحلت » . فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . « أجعلتني لله ريقاً » ؟ قل « ما شاء الله وحده » . ومن هنا الباب قول عنتره :

وأنا لنيةٌ في المواقين كلها والظلمين مني سابقُ الأجل
 فإن الظلم لا يسبق الأجل « إذا الأجل لا يتقدم ولا يتأخر . وقد قيل « سابق » أقرب
 أمراً من كونه تالياً ، غير أن كليهما إفرام في القول . ومما جاء على نحو من هنا قول بشار ^(١) .
 إذا ما قضيتنا ^(٢) قضيتنا ^(٣)

هتكتنا حجاب الشمس أو قطرت ^(٤) دما

وقال أبو نهران المصاحفي في كتاب الميوان ^(٥) « لم نعلم أحد أسرف ^(٦) في القول كانا بآفة

(١) في الأمان « ج ٣ ص ١١٢ » طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) قضيتنا (بكسر القين) مصدر حياة ، وهو على وزن « فعه » بكسر الفاء والسكون القين . وقد طبعت لجنة التصحيح في دار الكتب المصرية بفتح القين وذلك خطأ . وكذلك في « المختار من شعير بشار » ص ١١٣ .

(٣) في الأمان « أو قطرت دما » وفي المختار « أو قطرت دما » .

(٤) في « الميوان » ج ٦ ص ٣٣٥ من طبعة عبد السلام ماريون « ولا نعلم أحداً منهم (من الشعراء) أسرف في هذا القول وقال قولاً برغب عنه إلا النابغة فإنه قال :

جوانح عند أيقن أن فيه إذا ما تلقى الجمال أول غالب

وعنا لا يقته . وليس عند العليق والسباع في اباع الجروح إلا ما يسقط من دكايمهم ودوابهم وتوقع القتل إذا كانوا قد رأوا من تلك الجروح مربة أو ممراراً . فلما أن قصد بالأمل أو اليقين أحسد الجمون فهلم بالله أحد .

(٥) في الأصل « أسرف » والتصحيح من كتاب الميوان .

حيث يقول :

إذا ما غزا بالجهش حلتى فوقه مصائب تطير تهشقي بصعاب
جوانح قد أيقن أن قبيصة إذا ما التقى الجمان أول غالب

لأنه ليس عند الطيور في اتباع الجوع والساكر إلا ما يحقط من ركايبهم ودوابهم إذ كانوا قد رأوا ذلك من تلك الجوع ، والقوة (١) منها ، فأما أن يقصدوا بالأمل واليهن لأحد (٢) الجدين بالأدالة والنبله فهذا لم يقه أحد . وقيل إن بعض أفراد هذه الصناعة لما سمع قول قيس ابن الخطيم .

ملكك بها كفي فأنهبرت فتصبا يرى قائمٌ من دونها ما وراءها (٣)

قال : هذا لم يعننه وإنما فتح فيه باباً أو درياً .

واعلم أن علماء البيان في استعمال الألفاظ على ثلاثة أحزاب :

(١) فتم من يكرهه ولا يراه صواباً كأي عيان الجاحظ فيما روي عنه .

(٢) ومنهم من يحذره ويؤثر كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول :

« الفلو عندي كان أجود المذهبين فإن أحسن الشعر أ كذبه (٤) » .

(٣) ومنهم من يذهب إلى المتوسط بين التلو والتفريط ، وهو الاقتصاد ، وذلك أن

يحمل الفلو وهو الألفاظ مثلاً ثم يستلهم فيه ، (لو) أو بـ (كاد) أو ما جرى هذا الجرى ،

فيدرك مراده وإسليم من عيب طائب ، أو طعن طاعن ، وذلك كقول بعضهم :

يكاد يحسكه عرفان راحته ركنُ الخطيم إذا ما جاء يستقبلُ

(١) في الأصل ، والقوة ، والتصحيح من الحيوان .

(٢) في الأصل ، أبلج ، والتصحيح به .

(٣) في صحاح الجوهري ، وأنهرت الدم أي أسسكته وأنهرت العانة أي وسستها قال قيس بن الخطيم ملكك بها كفي فأنهبرت فتصبا . . . » .

(٤) قال ابن خلكان في ترجمة « أبي علي » ديبيل بن علي الخراسي ، إنه قال : « من مضى الشعر أنه لم يكذبه أحد قط إلا اجترأ الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقع بذلك من يقال له : أحسن وأتم ، فلا يشهد له شامة زور إلا ومعها بين يده تعال » . ج ١ ص ١٩٨ ، طبعة بلاد العجم .

وكتقول أبي عبيدة البحرى :

ولو أنَّ مشتاقاً تكَلَّفَ فوق ما
في وسعِ السمي اليك الذير^(١)
وهذا الذهب المتوسط ألين للذهب الثلاثة ، وأدخلها في الصنعة ، فأمرته .

التوج الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في المعاطلة

وهو توج من التأليف يجب اجتنابه ؛ لأنه عيب في الكلام فاحش . وأسئل المعاطلة في
اللغة ؛ من تعاطلت الجرادتان : إذا ركبت إحداهما الأخرى ، فسمى [تأليف] الكلام الذي
تعاطلت معانيه ، وركب بعضها فوق بعض ، المعاطلة مأخوذة من ذلك وهو اسم لائق بمسماه .
ووصف عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — زهير بن أبي سلمى فقال : « كان لا يتماثل بين
الكلام » .

واعلم أن هذا الباب يجب تدبره لاختلاف أهل هذه الصناعة فيه ؛ فقال قدامة :

التعاطل^(٢) : تداخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ؛ ولا أحرّف ذلك إلا فاحش
الاستمارة كتقول أوس^(٣) بن حجر :

وذلك يهدم ملامر نواشئها
نصمت بالآء نواكباً جديماً^(٤)

(١) الديوان ، ج ١ ص ١٤ ؛ طبعة رواقية مركبة بيروت .

(٢) أظن كتاب « عند الضرر » ص ٦٩ ؛ طبعة الطراب ، وعلنية لقل البائر ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٣) البيت من نصيحة الشاعر يرثي بها فضالة بن كعدة ، انظر ذيل الأملح ص ٣٤ طبعة دار الكتب
للمصرية . وأولها :

أهبنا النفس أهل جزعاً
إلى الذي تحبون قد ولعنا

والقدم : بكسر فسكون (الملقى من التراب . والنواشر : عروض طاهر السكب ، واصلت تسكت ،
والجذع يفتح الجيم وكسر اللام : السبي الضياء .

(٤) قال أبوهمري في الصيغاح « وصي جديع : سبي الضياء وقد جديع بالكسر جديعاً وأجدته أنا ؛
أسأت غذاءه قال أوس بن حجر » وذلك يوم دار نواشئها . . . » .

فسمى النبي ^(١) « توبياً » والتولب : ولد الحمار . هذا ما ذكره قدامة ، وهو خطأ ؛ لأنه لو كان ما ذهب إليه صحيحاً ، لكان أصل العاطلة ، في وضع اللفظة دخول التي فيها ليس من جنسها . وليس أصلها في وضع اللفظة كذلك ، بل هو التداخل والتراكيب .

وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا يتداخل في معانيه ولا تراكب ، وإنما هو استعارة قاحشة فقط ، فوجب حينئذ أن لا تسمى بمعاولة ، لأن حقيقة المعاولة ليست موجودة فيه .

وأما جماعة الأصحاب من علماء البيان ، فلهم خلفوا قدامة فيما ذهب إليه ، والحق في أيديهم ، لاتباعهم في ذلك حقيقة هذا الاسم ، الذي وضع له في أصل اللفظة .

وقد نقله النأسي بقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي يقاربه ^(٢)

وهذا مثال تحسن لوقوعه على ما مثل به ، ألا ترى أن يتداخل معاني هذا البيت بتقديم ما كان يجب تأخيره ، وتأخير ما كان يجب تقديمه ؟ لأن الأصل في معنى هذا البيت . « وما مثله في الناس حي يقاربه ، إلا مملكا ، أبو أمه أيوه » .

واعلم أن هذا الذي أشرنا إليه من المعالجة بأبه التقديم والتأخير ، وقد سبق ذكره في كتابنا هذا . إلا أن المعالجة ، قد جعل لها أهل هذه الصناعة ؛ باباً مفرداً في كتبهم ، فلم نرَ مخالفتهم في هذا القصر ، لكننا بيننا حقيقة ما فيها وأشرنا إليها بأوضح إشارة وألطفها ليعرف موضعها من التأليف .

(١) في الأصل : النبي ، والتصحيح من تراجم الأئمة .

(٢) من قصيدة لفرزدق مدح بها إبراهيم بن عثمان بن اسماعيل القزويني قال عثمان بن عبد الملك بن عمرو بن ، قال أبو العباس اليزدي في السكائل ١ : ٢٩ - ٣٠ : « حبة الدجوني » يعني بذلك عثماناً . أبو أم ذلك الثالث : أبو هذا المدوح . ولو كان الكلام على وجهه لكان فيجاً وكان يكون لهذا وضع الكلام في موضعه أن يقول « وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا ، أبو أم هذا الثالث أبو هذا المدوح » . قال على أنه قال بهذا اللفظ بعيد وجهته بما أوقع فيه من التقديم والتأخير . حتى كان هذا الشعر لم يمدح في صدر رجل واحد مع قوله :

تصرم مني ود بكر بن وائ
فوارس تأنسي فيحترقونيسا
وما حطاد من ودمع يصصرم
وقد يغل الغول الأواء بدمع

النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في التضمين

وهو مما يزاد به الكلامُ حلاوةً ، ويكتسب به روحاً وحلاوةً ، ولا سيما إذا كان التضمين بآيات من القرآن الكريم قالها لتكون في الكلام كالمساعدة له ، وللمداوية على سداذه .
واعلم أن التضمين على ضربين : أحدهما ، تضمين الاسماء وذلك يقع في بيتين من الشعر وفترتين من الكلام النثور ، على أن يكون الأول مدخلاً إلى الثاني ، فلا يقوم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني . فما جاء من ذلك قول بعضهم :

ومن البلى التي لي . . . من لها في الناس كفتة
أن من يعرف شيئاً يدعي أكثر ريشة
ألا ترى أن البيت الأول لم يتم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني ؟ ويجوز أن يكون البيت الثاني لتبر قائل البيت الأول كقول بعضهم :

ولسا أتاني من رحلت نحية
تضوع من أنفاتها السك والشد
وقفت فأعيتت الرسول تسالوا
وأشدته بيتاً له للتل القرد
« وحدتني يا سعدُ عنهم فزدني
جنوناً فزدني من حديثك يا سعدُ »
وأمثال هذا الضرب من الكلام كثيرة ، فاعرفها .

الضرب الآخر من التضمين : وهو أن يضمّن الشاعر شعره ، أو النثر نثره ، بكلام^(١) لغيره قصداً للاستعانة^(٢) على إتمام المراد ، وتأكيده لمعناه ، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى صحيحاً لا يحتاج إلى تمام . وربما ضمّن^(٣) الشاعر شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال

(١) في مدار الصحاح « وكل شيء جعله في بناء قصيد حخته إياه ، والضمّن من الشعر ما ضمته بيتاً والضمّن من البيت ما لا يتم معناه إلا بالشيء إليه » وهذا يتم أن المؤلف قد تجاوز الصحيح في تعديته « ضمّن » إلى مفعوله الثاني بإياه .

(٢) في الأصل « الاستعانة » والصحيح من اللؤلؤ النثر « ج ٢ ص ٢٤٤ » .

ثم فسقتها بأفلامٍ ولفني
 ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت :

.....
 ذهب الذين يمشون في أكفانهم

الكان للمنى صحيحاً لا يفتر إلى شيءٍ آخر يسمعه ؟ فإن قوله :

.....
 ثم فسقتها بأفلامٍ ولفني

فيه كفاية ، إذ لا حاجة إلى تعيين التناء أي شيء هو ؛ لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم
 لاطى الغرض التصويد . وقد استعمل هذا الضرب كثيراً المطيب عبد الرحيم بن نباتة
 كتوبه في بعض خطبه : « فيا أيها التفلة الطرقتون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون !؟ مالكم
 منه لا تُسْفِيتون ؟ قَرَّوبُ السماء والأرض إنه طلق مثل ما أنسكم تُسْفِيتون » (١) .

وكقوله في ذكر يوم القيامة : « فيومئذ نريدُ الظلمات على الله شيئاً ، فيحاسبهم على
 ما أحاط به علماً ، ويُفقد في كل عاملٍ بعده مُحكماً ؛ وَنَحَسَّتِ الوجوهُ الحسنى القيوم ، وقد غلب

(١) يدعى الجير وسكون الماء الهباء ويقع انطاء العجوة ويدها ماء ، وهي صفة من في عينه تود كثير ،
 وهو لقب أبي الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي النديم الأديب الطريف الشاعر للمجم
 الراوية الفخر الطبري ، له عدة كتب في عدة فنون ، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ أو ٣٢٦ هـ .
 تاريخ بغداد للمطيب ج ١ ص ٦٥ ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٣٨٣ ، طبعة مرفهات ، والوفيات
 ج ١ ص ٤٣ ، طبعة بلاد العجم .

(٢) أحد أبيات ثلاثة هي :

أصبحت بين ماضٍ هجر والندى	وتجلبوا الأضلال من أسلافهم
لنوم أمارون تولم فسكافاً	حاولت نكف الشعر من آفانهم
عانت أسفيتها بالكبير ولفني	ذهب الذين يمشون في أكفانهم

والشطر الثاني لمحمد بن ربيعة وهو صدر بيت له ، هو :

ذهب الذين يمشون في أكفانهم

.....
 والوفيات ١ : ٤٤٣ .

(٣) السورة : الداريات ، الآية : ٢٣ .

من حل ظناً^(١) . ألا ترى إلى براءة هذا التضمين ، الذي كأنه رُصِع^(٢) في هذا الوضع رصماً؟! وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة : « هناك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتاباً » وتكون الأعمال للشبهة بالتناقض سرايا . يوم يقوم الروح والللائكة صفاء . لا يشككون إلا من أذن له الرحمن وقال سمواً^(٣) .

وعلى نحو من ذلك جاء قوله : « أنسكتهم » والله « التي أنطقهم » وأهلهم الذي خلقهم ، وسيبجدهم كما خلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ، يوم يُعيد الله العالمين خلقاً جديداً ، ويعمل الظالمين لدار جهنم وقوداً ، يوم تكونون شهداء على الناس « ويكون الرسول عليكم شهيداً »^(٤) . يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير أخصراً ، وما عملت من سوء تود أن لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً^(٥) . وكقوله في صفة أهل الجنة : « قد أنسوا بجزوار الجبار » وكوشفوا بحفائقي الأسرار ، ونبؤوا بمسازل الشهوات والأبرار ، ولللائكة يدُ حُلتون^(٦) عليهم من كل باب ، سلامٌ عليكم بما صبرتم قسيسم^(٧) نفسي النار^(٨) .

وعلى هذا النهج ورد قوله في ذكر القيامة « هناك يرفع الحجاب » ويوضع الكتاب ، ويجمع من وجب له الثواب ، ومن حق عليه العتاب ، فحُصرت بينهم يسووره باباً باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه من قبله العذاب^(٩) .

وأما هذه التضمينات في الخطب التي للشيخ عبد الرحيم^(١٠) كثيرة ، فاهرقها ، فهي من

(١) السورة : طه ، والآية : ١١٦ .

(٢) في الأصل : وضع ، ولا يخفى الزيادة ، يقال : رصم بالشر ، كفرج ، رصماً كفرج أي لحن به .

(٣) السورة : التبا ، والآية : ٣٥ . (٤) السورة : البقرة ، والآية : ١٤٣ .

(٥) السورة : آل عمران ، والآية : ٣٠ .

(٦) في الأصل : يدخلونها ، وفي الآية : يدخلون .

(٧) السورة : الزمذ ، والآية : ٢٣ - ٢٤ .

(٨) السورة : الحديد ، والآية : ١٣ .

(٩) لحن اللين عبد الحميد بن أبي الحديد اللدائي كلام جيد في خطب ابن تيمية هذا العهد ، في : شرح

نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

الجب ما يجي . في هذا الباب .

الفرع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الاستدراج

وهو التوصل إلى وصول الترض من الخاطب ، والللاطفة له في بلوغ الذي المقصود ، من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك من الفرائب ، والمفاتيح ما يوفق السامع ، ويطره ^(١) ؛ لأن مبنى صناعة التأليف عليه ، ومنشأها منه ، فما جاء من هذا الباب ، قوله تعالى : ﴿ وَذَكَّرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا ﴾ ، إذ قال لأبيه : يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يُهْتَدِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ، فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخِفُ أَنْ يُصَلِّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ^(٢) . هذا الكلام ، يبرز أعطاف السامع ، ويهيج نفوس التاملين ، فليتك ، أيها للترشح لهذه الصناعة ، بالعمان النظر في مطابقه ، وترداد الفكر في أمثاله ، واتخاذة قدوةً ونهجاً تقتفيه ، ألا ترى حين أراد إبراهيم ، أن يوضح ^(٣) أباه ، ويظهده مما كان متورطاً فيه ، من الخلق العظيم ، الذي عمى به أمر العقل ، كيف وثب السكليم معه ، في أحسن انساني وانتظام ، مع استعمال العبادة ، والاعاف ، واللين ، والأدب الجليل ، والخلق الحسن ؟! مستصحباً في ذلك بصيغة ربه ؛ وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئته طلب منبته على تداريه ، مُوقظ (له) لانفراشه (في غفلة) وتناهيه ؛ لأن العبادة لو كان حياً ، متديراً ، حسيماً بصيراً ، مقتدرأ على التواب ، والعقاب ، إلا أنه بعض الخلق ، لا يستخف ^(٤) عقل من أهمله للعبادة ، ووصفه بالرؤية ، ولو كان أشرف الخلق ، كاللائكة ، والنبين فكيف لمن جعل العبادة جهاداً ، لا يسمع ، ولا يبصر ؟! ثم تسي ذلك بدعوة إلى الحق ، مترقفاً به ، متطلماً ، فلم يسم أباه بالجمل للخلق ، ولا نعتته بالعلم الفائق ، والسكته قال : ﴿ إِنَّ مَعِيَ

(١) كلما ورد بلياء ومنه الاطراب وليه بعد . (٢) السورة « مريم » الآية « ٤٦ - ٤٤ » .

(٣) في مختار الصحاح « صححه ووضح له يوضح بالفتح فيما نصباً ووضاحته بالفتح وهو باللام أنصح

قال الله تعالى : وَأَنْصَحْ لِكُلِّ . (٤) في اللقن السائر ج ٢ ص ٧٠ . « استخف » .

لطائف^(١) من العلم ، وشيئا منه . وذلك علم الدلالة على الطريق السوي . فلا تستنكف ، وهب
أني^(٢) وإياك في مسير ، وعندي معرفة بالهداية دونك ، فأبيني أجبك من أن تضل وتبني .
تم ثلثت ذلك بتبيطه ونبيه مما كان عليه ، بأن الشيطان الذي استسمى على ربك الرحمن ، الذي
تجميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك وعدو أريك آدم ، هو الذي وزعك في هذه
الوعدة ، وأثارتك في هذه الضلالة . إلا أن إبراهيم — عليه السلام — لامعنه في الاخلاص ،
لم يذكر من جناب الشيطان ، إلا التي تفتن منها بالله — عز وجل — : «صيانته»
واستكباره^(٣) . ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لأدم — عليه السلام — ونوحيته . ثم «رُبع»
ذلك بتخريفه سوء العاقبة وما يُنتج عليه من الزبال . ولم يغل هذا الكلام من حسن أدب ،
بحيث لم يصريح بأن العقاب لا يحق لأبيه ولكن قال «إني أخاف أن يمسك عذاب» فذكر
الظوف والسئ إظهارا لها ، ونكر العذاب^(٤) ، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة

(١) للتل السائر ج ٢ ص ٢٠ . «لطائف» والذي في النسخ الأولى أنه جمع «لطيفة» وهي
الذخيرة التي تصدر عن ذهن وفاد والمسكر مستجاد .
(٢) قال الحريري في «حرة الخوامس في أوامير الخوامس» .
«وبقولون : هب أني ثلثت ، وهب أنه فعل . والقوياب : هب فعلت وهبه فعل . كافي في قول عمرو
ابن أمية :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أنبت نحو سقاء القوم أبدي
هبي برمت يرد الماء طالعرا فن لار على الأشاء تصد ؟

وهب : فعل غير تصرف يعني عد واسب . قال شهاب الدين محمود أكلوس : «هبي» هي «ملا»
«عبدني واسبني» وفيه على ما قال ابن بري أنه إذا كان «هبي» «اسب» وهو مما يعنى أن يفعلون
كسائر أفعال باب «هلم» «جاز أن يستعمل على» أن «ومعولها فوجدان مسد فعوله كافي أفواه» على
أنه قد سمع ذلك كلاما مما استكرهه قبلا واستعملا ، وفي القوياب : هب يعني ظن ، الغالب عليه ال صرح
لفعلين كقوله :

قلت أجرني أيا غدا ولا فوسني امرأ هالكأ

ووقعه على «أن» وصلتها بامر عن زعم الحريري أن قول الخوامس «هب أن زبعا نام» لمن .
وهب عن قول الفائل أي لمر — رضى — في السأفة الشيورة بالسرعة والظارية وبالجمرة «هب أن
أبانا كان حارأ» وفي رواية «كان حجرأ» .

(٣) في التل السائر «وهي عصيانه»

(٤) في الأصل «العقاب» وهو من سبق فلم ينسخ .

أشباعه ، أكبر من العذاب ، وسدّ كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : « يا أبت »
 نوسلاً إليه واستصفاً ، فقال له في الجواب « قال أراغب أنت من آلهي يا إبراهيم : لئن لم
 تلتصق لأرؤمعتك وابهرني قليلاً ^(١) » .

ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بنظافة الكفر وعظيمة الغناء ، فساداً باسمه ولم يقابل
 قوله « يا أبت » بآبي ؟ وقدم الطير على البسداً في قوله : « أراغب أنت من آلهي يا إبراهيم »
 لأنه كان أهمّ عنده وفيه ضروب من التعجب والانكار ، رغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته
 لا ينبغي أن يرغب أحد عنها .

ومن هذا الباب ، قوله لئال : « قال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتمُ إيمانه : أتفتنون
 رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذابه ، وإن
 يك صادقاً يُصيِّبكم بعض الذي يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ^(٢) » ألا ترى
 ما أحسن ما أخذ هذا الكلام وألفظ مفزاه ؟ فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال :
 لا يتخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً ، فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه ، أو يكون صادقاً
 فيصيبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والاتصاف
 ما أذكركم لك ، أيها للتأمل ، فأقول : إنما قال « يُصيِّبكم بعض الذي يعدكم » وقد علم أنه نبي
 صادق وأن كل ما يعدكم به لا يبدأ من أن يصيبهم (كأنه لا يعضه ، لأنه احتاج في مقابلة خصوم
 موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف واللطف في النزول ، وبأنيابهم من جهة الناحية ، فجاء بما
 علم أنه أقرب إلى تسليطهم قوله ، وأدخل في تسديدهم له ، وقبولهم منه ، فقال « وإن يك
 صادقاً يصيِّبكم بعض الذي يعدكم » . وهو كلام للنسب في مقابلة غير الشتم فيهِ ، وذلك أنه حين
 فرغه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يُعدُّ به ، لكنه أردفه بقوله : « يصيِّبكم بعض
 الذي يعدكم » ليبيِّنَ منه بعض حقه في ظاهر الكلام ، فحُجِرَ بهم أنه ليس بكلام من أعطاه

(١) السورة : مريم ، وآية : ٤٦ .

(٢) السورة : طه ، وآية : ٢٥ .

حقه وأبياً ، فضلاً عن ^(١٥) أن يعصّب له . وتقديم الكاذب على الصادق من (هذا) القبيل ، وكذلك قوله تعالى : « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه للتبوء ولا هداه بالبيئات .

فتدبر أيها للتأمل لهذه الدقائق اللطيفة تضع يدك على النقط في صناعة التأليف .

النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفصح الثاني

في الإحصاء

وهو نوع من أنواع علم البيان ، لطيف للأخذ ، دقيق السنة ؛ وذلك أن يبيّن الشاعر البيت على غاية قدر أوسعها له أي أوسعها في نفسه ، فإذا أشد صدر البيت حرف ما يأتي به في قافيةه ؛ وذلك من مغازن التأليف ؛ لأن خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض . وفي هذه الصناعة يقول ابن نباتة :

عَظَمًا إِذَا أُتَيْدَتِ الْقَوْمُ مِنْ حَرْبٍ صَدُورُهَا عَمِرَتْ مِنْهَا قَوَائِمُهَا
يُنْسِي لَهَا الرَّأكِبُ الْمَجَلَّانَ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْمَلَأَدُ الْقَضْبَانَ يُعْطِرُهَا
فإن هذا الباب قول النايفة :

فداه لأمرى . صارت إليه بمسفرة زبها نهي^(١٦) ونحلي^(١٧)

(١٥) في الأصل « فضلاً من » والصحيح من مثل السائر ومن كلام العرب للأوف ، قال الفيومي في الصياح لغير « وتولم : لا يملك درهماً فضلاً من دينار وشبيهه ، معناه : لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكة الدينار أول بالاعتناء . وكأنه قال : لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً . واعتداده على الصدور ، والتقدير فقد ملك درهم قدماً يفضل عن نقد مائة دينار . قال طه بن الوليد التبريزي في شرح القفاص : اعلم أن فضلاً يحصل في موضع يستفيد فيه الأدنى ويراد به استعانة ما فوقه ولهذا يتم بين كل اثنين متضارفي الشيء أو أكثر استعماله أن يصير . بعد نفي . قال شيخنا أبو حيان الأندلسي تزييل مصر المحروسة — أيها ابن تعالى — : ولم أظفر بمن على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب . ويصط المولى في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم . «
(١٦) البيتان من كفاة لقافية يمدح بها التهان بن المنذر وأولها :

أمن علامة الفصح البوالي يمرض المحي لك وهال

« القروان من ٢٤ طبعه مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩١٠ » .

ولو كلفني الجين^(١) بنتك خوفاً لأفردت أجمع من الشمال
 ألا زى أنه يمدّ ، إذا عرفت الغافية في البيت الأول ، أن في البيت الثاني يكون ذكر
 الشمال .

وقال البحرني :

أحسنت ذي من غير مجرم وعرمت^(٢) بلا سبب يوم اللقاء كلاي
 فليس التي حسفتي بحطير وليس التي حرمتي بحرار
 فليس ينهب على السامع وقد عرف البيت الأول ، والصراع الأول من البيت الثاني منه
 [أن مجرم هو^(٣) ما] قاله البحرني ، فاعرف ذلك ، وقس عليه .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلقوا ، فلا كلمة
 تسبقت من ربك تقضي بينهم فيما فيه يختلفون^(٤) » . فإذا وقف السامع على قوله « فيما فيه »
 عرف أن بعده « يختلفون » لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « ومنهم من حسفنا به الأرض ، ومنهم من أفرقتنا ،
 وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون^(٥) » . وعلى نحو منه ورد قوله — عز
 من قائل — « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت كبيت
 العنكبوت^(٦) » . فإذا وقف السامع على قوله : (وإن أوهن البيوت) يعلم أن بعده « كبيت
 العنكبوت » .

(١) في الأصل « الجين » والصحيح من الروايات .

(٢) في الأصل « وحلت » وهو من حبل فلم التامخ .

(٣) زيادة من لكل السائر بتضيقها اليك .

(٤) السورة « يونس » والآية « ١٩ » .

(٥) السورة « العنكبوت » والآية « ٤٠ » .

(٦) السورة « العنكبوت » والآية « ٤١ » وهي : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت
 اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » .

وأمثال هذا كثيرة فاعرفها ؛ إلا أن أبا هلال^(١) المسكري قد سمى هذا النوع « التوشيح » ،
 وليس كذلك لأن تسميته ؛ « الارصاد » أولى ، وذلك حيث ناسب الإسم معناه ولأن به . وأما
 « التوشيح » فهو نوع آخر من التأليف وسأبي ذكره في بابهِ .

واعلم أنه قد اختلف أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان ، حتى إن أحدهم يضع
 نوع واحد اسمين ، اعتقاداً منه ان ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الأمر كما وقع له بل هما
 نوع واحد . فمن قبل ذلك « الثاني^(٢) » فإنه ذكر في كتابه باباً من أبواب علم البيان وسماه
 « التبليغ » وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماماً من غير أن يكون للتافية فيها ذكر صريح ،
 ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه ، فيبلغ بذلك التافية التصوي^(٣) [في الجودة] ،
 كقول امرئ القيس : -

كأن هيون الوحش حول خيائنا وأرحطنا الجزع الذي لم يُتَّسِر^(٤)

فإنه قد أتى بالبيت كاملاً^(٥) قبل التافية ثم لا جاء بها ، بلغ بهما الأمد الأقصى في
 التأكيد . ثم إنه ذكر بعد هذا السبب باباً آخر وسماه « الاشباع » فقال : هو أن يأتي الشاعر
 بالبيت مطلقاً بالتافية على آخر أجزائه ، ولا يسكاد بفعل ذلك إلا حذائق الشعراء ؛ وذلك أن
 الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه ووطنته إلى البيت ، وقد نمت معانيه واستغنى^(٦)
 عن الزيادة فيه ، فافية منسوبة لأطرافه ووزنه ، فجعلها نعتاً للذكور ، كقول ذي الرمة : -

قف العيس من أطلال مية فاسأل رسوماً كأخلاق الرءاء للسليل^(٧)

(١) أنظر مقدمة ص ٤ من هذا الكتاب . (٢) انظر مقدمة ص ٢ من هذا الكتاب .

(٣) زيادة إضاح من لئل السائر ص ٢ من ٣٥٠ .

(٤) الجزع : بفتح الجيم وسكون الزاي ؛ غرزعان فيه سواد ويران وتلبه به العيون .

(٥) في الأصل « كتماماً » وهو من وم التامع .

(٦) في الأصل « ويستغنى » والتصحيح من لئل السائر .

(٧) وفي كتاب الصناعاتين ص ٣٠٦ ، وفي « المدة » ج ٢ ص ٤٤ ، رسوماً ككثيره الجبان

هنا كلام الغامبي بعينه ، والبإبان المذكوران سواء ، لا فرق بينهما بحال من الأحوال ، والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل الإتيان بتأنيته . وكذلك بيت ذي الرمة . ألا ترى أن امرأ القيس لما قال :

كلن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلتنا الجزع »

أتى بالتشبيه قبل التاقية ! ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة وهو قوله : « لم يتقب » !! وهكذا ذو الرمة فإنه لما قال : -

قف العيس في أطلال مية فاسأل رسوماً كأخلاق الرءاء ...

أتى بالتشبيه أيضاً قبل الإتيان بالتاقية . ولما احتاج إليها أتى بزيادة حسنة : وهو قوله : « السطيل » .

واعلم أن أبا هلال السكري قد سمى هذين التسمين بعينها « الإتيال » ^(١) .

وقال : هو أن يسترني (الشاعر ^(٢)) معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر .

وأصل « الإتيال » من « أوغل في الأمر ، إذا أبعد في الذهاب فيه » .

ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة :

« قف العيس »

وهذا أقرب أسماء من الغامبي ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد ؛ ولم يذكره في باب آخر ، كما فعل الغامبي - رحمه الله - وليس الأخذ على الغامبي في ذلك مناقشة على الأسماء وإنما المناقشة له على أن ينتصب لا يرد علم البيان ، وتفصيل أربابه . ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخلًا في الآخر ، فيذهب عليه ذلك ، ويغنى عنه ، وهو أشهر من قلبي الصبح .

(١) انظر كتاب الصالحين - ج ٥ ص ٣٠٦ وانظر العمدة - ج ٢ ص ٥٤ وما بعدها . وحاشية لكل السائر - ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٢) زيادة من لكل السائر - ج ٢ ص ٣٠٢ .

الفرع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في التوشيح

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدة على بحر من غنطيين . فإذا وقف من البيت على القافية الأولى ، كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى ذلك ما بين عليه شعره من القافية الأخرى ، كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وسار ما يضاف إلى القافية الأولى كالوشاح ، فمن ذلك قول بعضهم :

أسلم ودمت على الحوادث مارسا وكُننا نغير أو هضلبُ يهراو
ونزل للراد ممكناً منه على رعم الدهور وفر بطول بقاء

وهذا من مائة صناعة التأليف المعروفة ، ألا ترى إلى هذين البيتين يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ، نهر قولنا :

أسلم ودمت على الملوأ دت مارسا وكُننا نغير
ونزل للراد ممكناً منه على رعم الدهور
وأشكال هذا كثيرة ، والمعروفة ، إلا أن فيه نوع إشكال ، وصورة .

الفرع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الأخذ والسرقة والإشارة إلى الجيد من ذلك الذي لا بأس به . والزوي الذي

لا تسحقه في استماعه . لأنه ميب في الكلام فاحش

اعلم أنه لا يخفى المؤلف السارق معني من العافي الصبور هو إليها من أحد قسمين . إما أن يذكر ذلك المعنى بلفظه من غير تغيير له ، وهذا يسمى « النسخ » مأخوذاً من « نسخ الكتاب » إذا نقله على هيئته وسورته . وإما أن يغير لفظه الأول ، ويبدله بغيره . وهو فرعان : أحدهما أن يخرج في مرض جبل وهيئة حسنة ، وذلك يسمى « السليخ » مأخوذاً من « سليخ جبل الشاة » : لأنه أخذ بعض الشيء السليخ . والآخر أن يخرج من مرض ردي ، وهيئة قبيحة ،

وذلك يسمى « النسخ » مأخوذاً من « نسخ الصورة صورة أخرى دونها » كما نسخ الله الآدميين قردة .

وأما القسم الأول وهو « النسخ » فإن أرباب هذه الصنعة يسمونه « وفروع الحافر على الحافر » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبي عليّ مطيهم يقولون لا نهيك أسىً وتعمل

وقول طرفة بن العبد البكري :

وقوفاً بها صبي عليّ مطيهم يقولون لا نهيك أسىً وتجد

والأخذ إذا كان كذلك كان معيياً وإن ادعى الآخر ، أنه لم يسمع قول الأول ، بل وقع له كما وقع لذلك ؛ فإن صفة ذلك لا يعلما^(١) إلا الله — عز وجل — والعيب لازم للآخر في الظاهر الأمر وإن كان فيها^(٢) ادعاء صادقاً .

ولعمري إن القوم إذا كانوا من قبيلة واحدة فإن خواطرم تقع متقاربة ، فكما أن أختلافهم ومخاطبهم تكون متقاربة ، إلا أن الظاهر ما قلناه فإنه ليس لنا ، إلا الظاهر ، والله يتولى السرائر . فاعرف ذلك .

واعلم أن من هذا القسم الذي هو « النسخ » ما يعتمد المؤلف الآخر فيما أخذ ما ذكره المؤلف الأول ، لفظاً ومعنى ، ولكنه يتغير هيئة ذلك ؛ بتقديم بعض الألفاظ التي كانت مقدمة في الأول . وذلك أيضاً من فيصح الأخذ وفاحشه . أو أن المؤلف الآخر يأخذ المعنى من المؤلف الأول ويأتي على أكثر ألفاظه ، غير تارك منها إلا القليل . وهذا مما يتبع ذكره . ولا يجوز استعماله .

وأما القسم الثاني وهو ضربان : الأول : « النسخ » ولا عيب فيه لأحد من أرباب التأليف [فليس للتأليف^(٣)] غنى عن تناول الثاني من نفسه . ولكن يجب عليه أنه إذا أخذها أن

(١) في الأصل « لا يعلما » وهو غير متفق . (٢) في الأصل « ما ادعاء » وهو غير مستقيم .

(٣) زيادة ضرورة اتصالها باليال .

يَكْسُوها أَلْفَاظًا جَمِيلَةً وَيُخْرِجُها فِي مَرَضٍ أُنْفِيقَ وَسُورَةٍ حَسَنَةٍ ، وَيَزِيدُ فِي بَدَاعَةِ تَرْكِيبِها وَجُودِها تَأْلِيقِها ، قَالَهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ صَارَ أَوَّلَها مِنْ تَقْدِمِها ، وَأَحْقَها بِها مِنْ بَدِيقِها . قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : « لَوْ لَأَنَّ السُّكُومَ بِمَادِ لَفْتَهُ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَلْفَانِيَّ مَشْرُوكَةً بَيْنَ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَإِذَا تَفَاعَلُونَ فِي تَرْكِيبِها وَاجْتِلَافِ صُورِها ، وَقَدْ قِيلَ : « إِنْ أَبْغَضَ الْكَلِمَةَ مِنْ سَبَبِكَ لَفِظَهُ عَلَى مَعْنَاهُ » . وَاللُّغِيُّ الْجَيِّدُ جَيِّدٌ وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَهْلَقَ لِلتَّقْدِيسِ وَالتَّأَخُّرِ عَلَى تَعَاوُلِ الْعَلْفَانِيِّ بِهِمْ ، وَلا يَسَى عَلَى أَحَدِهِمْ حَيْبٌ فِي ذَلِكَ إِلَّا إِذَا أَخَذَ لِلْمَنْ يَلْفِظُهُ [أَخَذَهُ] ^(١) وَاحِدَةً فَأَمْسَدَهُ ، وَتَقَصَّرَ فِيهِ مِنْ تَسْمِيئِهِ . وَأَمَّا إِذَا أَخَذَهُ فَأَبْرَزَهُ فِي لِيَاسِ جَمِيلٍ وَرَكِبَهُ تَرْكِيبًا أُنْفِيقًا وَأَخْرَجَهُ فِي مَرَضٍ جَمِيلٍ حَسَنٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَحَقُّ مِنْ مَبْتَدِئِهِ ، فَمَنْ ذَلِكَ فَوَلِّ بِشَارَ :

مَنْ رَاقِبَ الصَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ ^(٢) الْهَبِجِ
أَخَذَهُ سَمٌّ الطَّاسِرِ ^(٣) بَعْدَهُ قَتَالَ :

مَنْ رَاقِبَ الصَّاسَ مَا تَهِمَّ وَفَارَ بِاللِّسَةِ الْجَسُورِ

وَهَذَا الْبَيْتُ أَوْجَزُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَحْسَنُ ، وَلا يَسْمَعُ بِذَلِكَ بِشَارَ قَالَ : « ذَهَبَ بِهِ ابْنُ الْفَاعِقَةِ » وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ نَثْرًا « أَحَقُّ مِنْ أَنْبَتِ لَيْثِ الْعَذْرِ فِي حَالِ شَسَنِكَ مِنْ لَمْ يَحْتَلِ صَانَعَةٌ مِنْ بَرَكَةٍ وَقَدْ تَرَافَكَ » أَخَذَهُ آخِرُ بَعْدَهُ قَتَالَ « شَكَرَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِكَ شَاغِلٌ عَنْ اسْتِبْطَالِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ » قَاتَى بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَوَّلُ ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً مَعَ الِابْتِجَازِ وَالِاخْتِصَارِ : فَأَمَّا

(١) زِيَادَةُ الْفِعْلِ الْعَلْفَانِيِّ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قِسْمَةِ لَوْ مَطْلُوعًا -

خُتَابِهِ هَلْ لَظَّفَ عِنْدَكَ فَرَجٌ

أَوْ لَا فَوَالِي يَجْعَلُ الْوَتَّ مَطْلُوعًا

وَبِشَارِ ج ٢ ص ٢٥ طَبْعَةُ لَيْثَةِ التَّأْلِيفِ وَالرَّجْعَةِ وَالنَّصَرِ بِالْقَاعَةِ ، سَنَةِ ١٦٥٤ بِتَعْقِيقِ عَمَدِ رَضِي

بِحَمْدِ اللهِ وَعَمْدِ شَوْقِي أَمِينٍ .

(٣) هُوَ سَلَّمَ بْنِ مَعْرُوفِ بْنِ مَعَادٍ ، شَاعِرٌ بَصْرِيُّ الْأَسْلَمِ خَلِيجِ مَالِسِينَ ، لَهُ مَدَائِحُ فِي الْعَهْدِ وَالْفَاعِلِيِّ وَالرَّشِيدِ

الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْحَمْدُ بِالرَّيْفَانَةِ وَهُوَ الْفَتَاخُ فِي الْعَرُوضِ ، وَأَطْبَارُهُ مَعَ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ وَأَبِي الْعَلَاءِ مَشْهُورَةٌ . شِعْرُهُ

وَعَقِيقٌ رَضِيٌّ ، وَسَمِيُّهُ « الطَّاسِرُ » لِأَنَّهُ دَاعٍ مَسْعُوقٌ وَاسْتَدْرَى بِشِعْرِهِ خُبْرًا وَقِيلَ : « قَدَّمَ فِيهِ عَمْرٌ وَفِيهِ لِي » لِأَنَّهُ

أَفْهَقٌ مَا خَلَقَهُ لَهُ أَبُوهُ عَلَى الْأَدَبِ . تَوَلَّى سَنَةَ ١٤٦ هـ الْفَرَّ : الْأَمَانِيُّ ٢١٠ : ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ هـ

وَالرَّجَعُ بَعْدَهُ لِبَعْضِ طَبْعِي ٩ : ١٣٦ هـ وَبَعْضِ الْأَدْبَاءِ ١٠ : ٢٤٧ هـ طَبْعَةُ مَرْغَلِيُوتِ . وَبَيِّنَاتُ الْأَمْرِيَّانِ

ج ٢ ص ٩٥ طَبْعَةُ عَمَدِ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ ١٩١٨ وَالْأَعْلَامُ لِلرُّزْمَلِيِّ .

الزيادة فهي الذكر والشكر لما أولاه من الجميل وأسماه إليه من الأحسان ؛ وذلك واجب ذكره لأنه من فروض الأيمان على النعم عليه ، وأما الأيجاز فهو أن الكلام الثاني اثنتا عشرة كلمة ، والكلام الأول تسع عشرة كلمة . ولما جاء أبو نواس صالح هذا الذي سيلافة أخرى أكثر اختصاراً فقال : -

لا تُسدينَّ إلىَّ عارفةً حتى أقومَ ببعض ما سلفا^(١)

وذلك من يدعي هذا الباب .

وبما ورد من هذا الأسلوب قول العرب : « القتل أنفى للقتل » لجاء القرآن الكريم بهذا المعنى وزاد عليه أشياء مجيبة فقال تعالى : « ولستم في القصاص حياة » . فما زادت به الآية على قول العرب : أنه ليس كل قتل ينفي القتل ، وإنما القتل الذي ينفي القتل ما كان على وجه القصاص والعدل . ففي ذكر الطيابة من إيضاح المعنى المرغوب ما ليس في قول العرب : « القتل أنفى للقتل » . ومن ذلك أن قوله تعالى : « القصاص حياة » ظهير قولهم : القتل أنفى للقتل ، و « القصاص حياة » أوجز وأخصر لأن « القصاص حياة » عشرة أحرف ، و « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر حرفاً ، ومن ذلك أن في قولهم « القتل أنفى للقتل » تكريراً ينقل النطق به على اللسان : وليس في قوله تعالى : « القصاص حياة » تكرير^(٢) . فونه أربع زوائد تفصل بها الآية على قول العرب ؛ وكذلك أيضاً قول بعض الأعراب : -

غري ذوي الأمانات نسب مقولهم تحيةً ذكي الحسنى وقد يُرفع النفل^(٣)

وإن كاحسوا^(٤) بالقول قاعفُ نكرماً وإن كنتوا منكم الحديث فلا تسل

(١) في النيران :

حز أقوم بتشكر ما سلفا

وعذا البيت من قصيدة مطعما :

حلت حسنة وأعلىها صرفاً يوماً صدي وصحة فمقا

أطرس ١٣٤ من « ديوان أبي نواس » مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) راجع شرواح التقيص « ٣ » ص ١٥٤ ملهبة مطبعة المطبعة بمصر سنة ١٣٣٤ هـ .

(٣) القتل والقتل : ما يلقاه الإنسان مما لا يجب عليه (لسان العرب) .

(٤) حصن بينهم : أهدأ ، وهدن بالتر : منه من حيث لا يعلم .

فلن الذي يؤذيك منه سأمه وإن التي قالوا ورامك لم يُقَل
 فورد في القرآن الكريم هذا المعنى المذكور في كلمات مختصرات ، وهي قوله تعالى : « ولا ^(٦١)
 تسعوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم » .
 ألا ترى إلى هذه الآية (فهي) طوية المعنى المشار إليه في الأبيات مع الإيجاز ، فهو أن الشاعر
 ذكر هذه المعاني في ثلاثة أبيات فيها ثلاث وثلاثون كلمة ، والقرآن العزيز أن المعنى في آية
 واحدة فيها ثلاث عشرة كلمة . وأما حسن التركيب فلا يخفاء به ، ومن جملة القابلة بين الأنداد
 نحو ذكر السيء والحسن ، والعدو والصديق .

ومن هذا الباب قول التابذة : -

إذا ما عسرا بالجيش سَلَّطْتُ كَوْنَهُ
 عَصَابٌ سَلَّطَ تَهْتَدِي بِعَصَابِ ^(٦٢)
 جَوَانِحٍ قَدْ أَهِنَ أَنْ قَبِيلَهُ
 إنا ما اتقى الجمعان أوّل غالب
 أخذ هذا المعنى الأقرب ^(٦٣) فقال : -

وترى الطير على آكارنا رأيت بين نمة أن حَسْتَار

فذكر المعاني المشار إليها في بيت واحد ، طار فضيلة الإيجاز ، التي هي أعلى درجات الكلام
 وصار أحق بذلك المعنى من التابذة ، وإن سبقه إليه وتقدم فيه .

(٦١) السورة : فصلت ، الآية : ٣٤ .

(٦٢) عسان البطان من الصيدة يروح بها عمرو بن الملوث الأحمري مطلقا :

سَلَّطِي لَمْ بِالْمَيْسَةِ قاصب وأبل أبلية بطير الكواكب

أنظر ص ١٣ من ديوان التابذة طبعة مكتبة صادر بيروت .

(٦٣) الأتوه الأودية : سلف بن عمرو بن بن أود بن صب للنهبي ، والأتوه لقب ، من حكاية

الشعراء الجاهليين ، وكان سيد قومه ولائهم في حروبهم --- وعنده العرب من حكايتهم . « الشعر والشعراء »

ص ١٦٩ و ٥ شعراء الصرازية ، ص ٧٠ . وأنظر ديوان الأتوه الأودية في مجموعة الطرائف الألفية

لبيد العزيز اليمني .

وهذا البيت من قصيدة مطلقا :

إن ترى رأسي فرب فرج وشسواني خلق فيها دوار

أنظر ص ١٣ من كتاب « الطرائف الأدبية » مع عبد العزيز اليمني ، طبعة لجنة المؤلف والترجمة

والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .

وجاء جرى هذا الخبر قول أبي التياهي :-

كَمْ نعمة لا تستقل بشكرها لله في ملي السكارة كاتمه
أخذه أبو تمام فقال :

قد يُنعم الله بالبري وإن غفلت ويثقل الله ببعض التوسم بالنعم^(١)
فذكر النبي الذي ذكره أبو التياهي ، وعكسه . وهنا من فرائب ما يوجد في باب الأخذ ،
طائفة .

ومن هذا الباب قول أبي تمام أيضاً :-

فإن لم يجد في قصة العمر حيلة ويزل به الأخطاء من حسنة^(٢)
يلاد بها من غير شرك بره وأشركهم في صومه وصلاة
أخذه اللغوي فقال :

فقد يعمتهم في الحشر تجسدوا لأعطواك الذي تصأفوا وسأفوا^(٣)
فإن بالمعنى الذي ذكره أبو تمام ، وزاد عليه بقوله « في الحشر » لأن الإنسان يكون في
ذلك اليوم أشد احتياجاً إلى صلاته وسيامه ، وأعظم اعتقاراً . وأمثال هذا كثيرة فحرفها .
وقد يتساوى المؤلفان في إيراد المعنى باللفظ ، كقول بشر :

(١) هنا البيت من قصيدة قالها في صبر الياهي بن أسد ، مطلعها :
اليساس كن في غير الله والنعم ذا مهجة عن ملحات الرعي حرم
البروان من ٢٢٩ طبعة محمد علي صبيح بمصر سنة ١٣٦١ هـ ، سنة ١٩٤٢ م .
(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها مالك بن مولى ، مطلعها :
أقول لمرات الذي عند مالك نومة يمدوي مالك وصلاته
ورواية البروان :

ولو لم يجد في قصة العمر حيلة
يلاد بها من غير كفر لربه وواسم من صومه وصلاته
من ٢٠ من البروان نفسه ، والعلية نفسها .
(٣) هنا البيت من قصيدة يمدح بها البيت العجلي ، مطلعها :

طواد ما تسليبه اللام وممر مثل ما تهب اللام
ولي البروان : ٢٠ ولو يمتهم ٢٠ ج ١ من ٢٧ من شرح السكري ، طبعة المطبع سنة ١٩٣٦ والتياهي .

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
أخذاً تيرة فقال ، ولم يزد عليه شيئاً ؛
يزدحم الناس على بابيه
وعلى نحو من ذلك قول الآخر :
وإنَّ قومَ سودوكَ حاججةٌ
إلى سيدٍ لو يظفرونَ بسيد

المضرب الثاني من القسم الثاني

وهو « السخ » وذلك تيب في الكلام فحش ، فاجاء منه قول الشريف الرضي :
أحن إلى ما تضمنت الحمر والخلى وأسديفها في صين للآزر^(٢١)
وقال الثاني :

أني على شغفي بما في عُشرها لأعفُ عما في سرابلاتها^(٢٢)

الآنرى إلى هذا السخ ما أتبعه ، وذلك لو تأخر زمان للتبني من زمان الشريف الرضي .
ويمثل ذلك يعرف التفاضل بين الشاهرين ، وبين الكلامين ؛ يقول الشريف على ما تراه من
الاطاعة والحسن ، وقول أبي العلي على ما تراه من الزيادة والتجسس ، قال تعالى : « وفوق كلِّ
ذي علم علم^(٢٣) » واعلم أن ما كان من هذا الباب على سبيل « السخ » فإنه كان على نحو من
قول أبي العلي ، وفيما اثرا إليه كفاية التأمّل .

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عقبة بن سلم ، مطلعها :

حيا صاحبى أم اللام وأحتراف طرف عينها الموراء

ورواية البيت في الديوان :

يسقط الطير حيث ينثر الحب وتدعى منازل الكرماء

الديوان ج ١ ص ١١١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠ بالقاهرة .

(٢) البيت من قصيدة مطلعها :

خير شليخ تالي عفو القاتر الخو الجد لا مستصراً بالغاز

ورواية الديوان : يمن إلى ما ... البيت ص ٣١٣ مطبعة بيروت سنة ١٣٠٧ .

(٣) ديوان النبي ، شرح علي بن عثمان الواسلي المنسوب خطأ إلى الكندي ج ١ ص ٢٢٦ مطبعة الحلبي

سنة ١٩٣٦ بالقاهرة .

(٤) السورة « يوسف » والآية « ٧٦ » .

وهذا النوع غائبة الأرواح من باب الصناعة العنوية ، وذلك يبلغ ما عرفناه من علم البيان ،
 فيما يختص بالعاني - إلا أنني وأبت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر في كتابه نوعاً
 آخر فقال : « لا يستعمل في الشعر ^(١) النظم والكلام للنور ^(٢) ألفاظ للتكلمين والتجوين
 والمهندسين وما يهيم ، والألفاظ التي تختص بها بعض اللون والعلوم ، لأن الإنسان إذا غصق في
 علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ ذلك العلم . و (كلام) ^(٣) أصحاب تلك
 الصناعة » ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :

مودةٌ ذهبٌ آثارها تشبهُ وهمةٌ جوهرٌ معروفٌها عمرضٌ ^(٤)

ويقوله أيضاً :

خرقاء يلعب بالعقول كحبائها ككتفب الأفعال بالأسماء ^(٥)

هذا ما ذكره الخفاجي في كتابه . ولنا عليه اعتراض وهو أننا نقول له : ما للوجب لمصك
 هذا القسم مما يرفض ولا يستعمل ؟ وما السبب في اجتنابه ؟ فإن قال : إني إنما أنكرت استعماله
 وآتيت تركه واجتنابه ، لأنه غير مفهوم ، قلنا له في الجواب :

لا يتخلو الأمر في هذا من طالعين : إما أنه غير مفهوم للعامة أو للخاصة . فإن سكان غير
 مفهوم للعامة فقط ، فليس جهول العامة بهذا النوع من الكلام داعياً إلى اجتنابه . ولو كان فهم
 العامة معتبراً في اختيار الكلام لسكان ما يتقبله من ألفاظها مقدماً على غيره في الاختيار (لأنهم)

(١) انظر كتاب « سر القاصعة » ص ١٥٩ الفلحة الأولى بالقطعة الرخامية بصر سنة ١٩٣٢ .

(٢) في سر القاصعة « من الرسائل والمطب » .

(٣) زيادة من « سر القاصعة » بقضيتها البيات .

(٤) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

ذل السوأل خير لي الخلق معرض من دونه شروق من تحله جرس

ص ٣٤١ طبعة محمد علي صبيح بالأزهر سنة ١٩٤٢ بالقاهرة ، و ص ٤٠٠ من ديوانت طبعة محمد علي الدين
 الحياط ببيروت .

(٥) من قصيدة له في مدح خالد بن يزيد الشيباني ، مطلعها :

يا موضع القديرة الرجاء وسماخ الإندلاج والإسراء

الديوان ص ٣ طبعة محمد علي الدين الحياط ، ببيروت .

التي فهمه أقرب من فهم غيره؛ وذلك شيء مدفوع لا يلزم إليه أحد البتة. وإن قال: إن هذا النوع غير مفهوم للخاصة، قلنا له: فأتيت أيها الشيخ الإمام قد فهمته وعبرته، ولولا فهمك له ومعرفتك به (لما أنكرته) وإلا فكيف^(١) كنت تنكره وتبعت على اجتنابه؟! وهذا يدل على أنك لست من العامة ولا من الخاصة؛ لأنك قد فهمت ما لا يفهمه الفريقان، وذلك من أنجب الأشياء.

قال قال: إنني ما أنكرت هذا النوع إلا لأن سماعه التأليف من المنظوم والشعر لا يستعمل فيها ما ليس من جنسها، قلت له في الجواب: يتطوّل كحذيك ذلك استعمال الفقه من الأحكام السلطانية في الكتابات، واستعمال الحساب مما يحتاج إليه في الكتابة إلى العمال وأرباب الخراج، واستعمال النجوم في كبس سني الخراج بعضها على بعض، فيكون لا أنكرته أيها الشيخ الإمام من استعمال تلك العلوم أسوة بالفقه والحساب والنجوم. ثم عاذا تنكر من شيء يدل على فضل صاحبه ووزارة علمه؛ أليس من الواجب في سماعه التأليف أن الناظم والناثر ينبغي له أن يستعمل في كل معنى يقصده، ما يليق به ويتعطف في سلكه؛ فإن كان ذلك المعنى يحتاج إلى التصور استعمل فيه التصور، وإن كان شيئاً يحتاج إلى الحساب استعمل فيه الحساب، وكذلك باقي العلوم. فإنا أخذنا للؤايف معنى يحتاج فيه إلى ذكر أحد هذين العلوم المذكورة ولم يذكره، وكان ذلك المعنى ناقصاً مما يحتاج إليه، وهذا ليس بخافٍ على الذين للنصف، فأعرفه.

(١) في الأصل: «ولا كيف» وربط الجواب بالفاء واجب عاذاً.

الباب الثاني

من الفن الثاني من القلم الثاني

في الصناعة النقطية:

وينقسم إلى سبعة أنواع :

النوع الأول في : السبع والموارد والبيع

وهو تداخل الفواصل من الكلام للتشويق على حرف واحد

إعلم ان السجع قد ضمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة^(١) ، ولا أرى ذلك وجهاً سوى الخرم عن الأنيان به وقصوره عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموماً ، كما ذكر ، لما ورد في القرآن الكريم : فإنه قد أتى منه شيء كثير ، كقوله تعالى : « إن الله لمن السكافرين وأعد لهم سعيراً ، غالين فيها أبداً لا يمدون ولياً ولا نصيراً^(٢) » وكقوله تعالى في سورة « ق » : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مريج^(٣) أعلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف ينزلها وزيلها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها كل زوج هبيلج^(٤) . وكقوله تعالى : « والمعاديات ضبحاً ، فللوريات قدحاً^(٥) » إلى قوله : « ... جمعاً » . وأنثال هذا كثيرة فاحرفه .

وورد على هذا الأسلوب من كلام النبي — صلى الله عليه وسلم — شيء كثير أيضاً ؛ فن

(١) جاء في « سر القصة » لابن سنان المقاري : « ... فلما نوله الرائي إلى السجع غيب والقواصل

بلاغة على الأطلال فخط ... » ص ١٦٦ الطبعة الرجالية بمصر سنة ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣٢ م .

(٢) السورة : الأعراب ، والآية : ٦٤ . - (٣) الآية : ١٠٠ وما بعدها .

(٤) السورة : المعاديات ، والآية : ١٠٠ وما بعدها .

ذلك ما رواه عبد الله بن سلام قال : لما ورد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أنجفل الناس قبله ، وقيل : قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بئس في الناس لأنظر إليه ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس أنفسوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » فان قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرأ عليه ، وقد كلفه بكلام مسجوع^(١) : « أسجماً كسجج الكهفان » ولولا أن السجج مكره لا أنكروه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجواب عن ذلك أنا نقول : لو كره النبي - صلى الله عليه وسلم - السجج أصلاً لقال اسجماً !! ثم سكت ، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم يكن ، فلما قال « أسجماً كسجج الكهفان » سار المعنى سدياً على أمر آخر ، وهو إنكار الفعل لم يكن على هذا الوجه ، فلم أنه إنما ذم من السجج ما كان مثل سجج الكهفان ، لا غير ، وأنه لم يذم السجج على الاطلاق . وحال أن يذمه على الاطلاق ؛ لأن القرآن الكريم ، قد أتى به - وهو - صلى الله عليه وسلم - قد نطق به في كثير من كلامه ، حتى أنه تكرر الكلمة عن وجهها ، انبأها لها باختارها لأجل السجج ؛ فقال لاين^(٢) ابنته - عليها السلام - : « أميئة من الجماعة والسادة ، وكل عين لامة^(٣) » وإنما أراد لامة ، لأن الأصل فيها من « ألم فهو لم » ، وكذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : « ليرجمن مأزورات^(٤) غير مأجورات » طلباً للتوازن والسجج ، وهذا من أدل دليل على فضيلة السجج .

واعلم أن الأصل في هذا هو الاعتدال في مقاطع الكلام ، والطبع يتيل الى الاعتدال في

(١) جاء في لسان العرب في مادة « سجع » روى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كره السجج في الكلام والهاء لما كلفه كلام الكهنة وسجيم

(٢) في « سر القضاة » للقطعاين وحديث زيد بن علي بهذا الاسناد عن أبي عبيد القاسم بن سلام عن زيد بن أبي سفيان عن منصور بن لثال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يهوى الحسن والحسين عليهما السلام فيقول : « أيها كذا يسكتات الله العلية ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » . من كل عين لامة . ص ١٦٩ طبعة للطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦ .

(٣) في « سر القضاة » : « ترجمن مأزورات غير مأجورات » ص : ١٦٩ .

جميع الأشياء . وحيث انتهى بنا القول الى هذا الوضع ، فلتنبه بذكر أقسام السجع ، وما يحمده منه في الاستعمال ، وما يتم في القول :

اعلم أولاً : أن السجع لا يحمده على كل حال ، ولا في كل موضع ، حتى يتوخاه المؤلف في كتابه ، بحيث يذهب بفضيلة المعاني لأجله ، وذلك ، أنه اذا سور في نفسه معنى من المعاني ، ثم أراد أن يصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يؤاخذ ذلك إلا زيادة على ذلك المعنى ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما يضطر الى ذلك اضطراراً ، لأن المعنى الذي يكون قد قصد به يحتاج الى لفظ يدل عليه ، وإذا دل عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً ، إلا أن يضيف اليه شيئاً آخر ، وينقص لأجل الفقرة المطلوبة ، فإذا فعل ذلك ، فلا بد وأن يزداد الكلام الذي قصد به زيادة لا حاجة اليها ، أو ينقص نقصاً لا حاجة اليه ؛ وهذا الذي يتم من السجع ويستطيع ، لما فيه من التكلف والتكلف .

وأما اذا كان عمولاً على الطبع غير متكلف ، فانه يجري في غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام .

واعلم أن السجع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفعلان متساويين ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا الْبَنِمَ فَلَا تَهْمُرُ ، وَأَمَا السَّائِلَ فَلَا تُبْرِمُ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَعَادِيَتُ ضَيْحًا ، فَلَوْلِيَتُ قَدَمًا ، فَلَقَبِيَرَاتُ صَبِيحًا ، فَأَتَرْنَ بِهِ نَقْمًا ، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ﴾^(٢) . ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء ، حتى كأنها خرطت في قالب واحد ؟ وأمثال ذلك في القرآن الكريم (كثيرة) ، وهو أشرف السجع منزلةً ، وأعلاه درجة الاعتدال الذي فيه .

القسم الثاني : أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا عمولاً يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فانه يقع عند ذلك ويستكره ، ففإن جيد هذا القسم قوله تعالى^(٣) : ﴿ بِلِ

(١) السورة : الضحى ، الآية ٦ ، ٥ . (٢) السورة : المعاديات ، الآية ٦ ، ٥ وما بعدها .

(٣) السورة : ق ، الآية ٦ ، ٥ ، ٤ .

كذبوا والحق لما جاؤم فهم في أمر مرجح ، أفم ينظروا إلى السماء فوالهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأبتنا فيها من كل زوج بهيج .
 ألا ترى أن الفصل الأول تسع كلمات ، والفصل الثاني إثنتا عشرة لفظة ، والفصل الثالث إحدى عشرة لفظة ؟ ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة صريم : « وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا قَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْشَقَّرْنَ مِنْهُ وَشَقَّ الْأَرْضُ وَخُيِّرَ الْجِبَالُ هَذَا ، أَنْ دَعَوْا الرَّحْمَنَ وَلَدًا ، وَمَا بَيْنِي وَالرَّحْمَنَ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا ... » إلى قوله : « ... وَتُحَوَّرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا » وأمثالُ هذا في القرآن كثيرة ، فاهمها :

القسم الثالث : أن يكون الفصل الآخر أنصر من الأول وهو عيب عند أرباب هذه الصناعة فاحض . وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى مدة من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يمسى الفصل الثاني قصيراً عن الأول ، فيكون كالشيء البثور ، فيئس الإنسان عند سماعه ثم يريد التضي إلى غاية فيعثر دونها . وإن شك أحدنا فيما أشرنا إليه من هذا الحال ، فليصنع فصلين من الكلام وليكن الأول منها أطول من الثاني ، ثم يعرضها على نفسه ، فانه يجد صحة ما ذكرناه .

واعلم أن التصريح^(١) في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ، وقائده في الشعر أنه يفهم منه قبل كمال^(٢) البيت الأول من التصديده فليتها ، وشبه البيت المصريح باب له مصرعان متشاكلان ، وقد قبل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة ، وقصحة الجلال في أغانين الكلام .

فأما إذا كثرت التصريح في القصيدة فليست أوله مختاراً ، لأن هذه الاصناف من التصريح ،

(١) سورة « صريم » الآية ٨٩ وما بعدها ، ونكدة الآية : « ... إن كل من في السموات والأرض ، إلا ألقى الرحمن عبداً ، لقد أضلهم عندهم عتداً ، وكلام آية يوم القيامة فرداً ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سيجعل لهم الرحمن وداً ، وإنما يستمتع به الثمن وتحفر به يوماً فداً ... » .

(٢) في اللسان : « التصريح في الشعر : تلفية المصراع الأول ، مأخوذ من مصراع الباب .

(٣) في الأصل : « كأن » والتصريح من مثل الشعر : ج ٦ ص ٢٤٢ .

والترصيع ، والتجديس ، وغيرها ، إنما يحسن منها في الكلام ما قلَّ وجري مجرى اللمعة وكان كالطراز في الثوب ، فأما إذا تواتر وأكثر فإنه لا يكون مرحباً لما فيه من أمارات السكفة . وقد استعمل التصريح كثيراً امرق القيس ، فلما جاء منه في شعره قوله :

فما بك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط الأوى بين الدخول لمومل
ثم قال :

أفأظم مهلاً بعض هذا الندال وإن كنت قد أزممت هجري^(٦٦) فأجمل
ثم قال :

ألا يا أيها الميسل الطويل ألا أنجلي يصبح وما إلا صباح منك بأمثل
وقال حاتم بن عبيد الله الطائي :

أعرف أطلالاً وتوباً مهدماً كفضك في رقي كتاباً منمناً^(٦٧)
ألا لا تلمساني على ما تنمنا كفى بصروف الدهر للمرء عكماً

وهذا وأمثاله هو التصريح الحسن المشار إليه في هذا الباب ، لأنه بكلمتين غيرين ، وأما التصريح بكلمة واحدة غير لائق وإن كان جائزاً كقول بعضهم^(٦٨) :

فكل ذي غيبة يؤوب وغائب التوت لا يؤوب
وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

(٦٦) في اللغات السبع شرح الروزي : « وإن كنت قد أزممت هجري فأجمل » ص ١٣ طبعة حجازي بالهجر سنة ١٩٥٣ .

ولي لك السار » وإن كنت قد أزممت هجرأ فأجمل » .

(٦٧) ومع هذا البيت قوله :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شيوراً وأهلاً وحولاً جرماً
والنوى : المغير حول الماء ، أو الحية يتم السيل (القلموس) .

والنم : من نولم : نهم الشيء أي رفته وزخرته ، وتوب منتم أي موسى (غدار الصباح) .
ويت البيت الذي أوردهما ابن الأثير عشرة أبيات .

(٦٨) القائل هو عبيد بن الأرس - الشاعر الجاهلي المعروف ، وأحد أصحاب الغلات ، والبيت من معلقته التي أولها :

أخر من أهله ملعوب فالتطيلات بالمشروب

انظر شرح اللغات الشعرية ، لبيدزي ص ٣٩٤ طبعة عمدة على صحيح بالهجرة سنة ١٩٦٧ .

التوع الثاني من الباب الثاني

في التجنيس

إعلم أن التجنيس مرة شاذة في وجه الكلام ، وقد تصرف اللغاة من أرباب هذه الصناعة فيه فترّبوا وشرّقوا ، ولا سيما المحدثين ، منهم من صنّف للناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة ، واختلفوا في ذلك (وأدخّلوا بعض تلك الأبواب في بعض فئهم ^(١)) عبد الله بن العتر وأبو علي الهاشمي ^(٢) وأبو القاسم الأحمدي ^(٣) والقاضي أبو الحسن ^(٤) المرحاني ، وقدامة بن جعفر ^(٥) الكاتب وغيرهم ، واقتضوا فيه وأطّروا القول في شرحه .

وإنما سمي هذا النوع من الكلام بهائناً ، لأن الكلام يكون تركيبه من جنس واحد .
واعلم أن التجنيس ينقسم إلى سبعة أقسام :

الأول — وهو أن يقرأ وأمعناها قدراً ، وذلك إذا تساوت ألفاظ الكلام في تركيبها ووزنها ويسمى « التجنيس اللفظي » ، كقوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة ينسم الجرمون ما لبثوا غير ساعة ^(٦) » وليس في القرآن الكريم من هذا القسم من التجنيس سوى هذه الآية ، فاعرفها .
ومن ذلك أيضاً قول بعضهم :

(١) الزيادة من اللسان البائر ، ج ١ ص ٢٤٦ طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ .

(٢) الهاشمي : هو محمد بن الحسن بن المقرّ الهاشمي جاء في نية الزيادة عنه : « . . . كان من جناب أهل اللغة والأدب ، له من التصنيفات : « حلية الخاطبة في صناعة الشعر » و « الوضحة في مساويء الشئ » و « سر الصناعة في الشعر » و « الحلال والمائل » وغير ذلك من الكتب . انظر : « نية الزيادة » للسيوطي ، ص ٣٥ طبعة السامطية بمصر سنة ١٣٢٦ ، وانظر : « نيات الأعيان » و « إرشاد الأريب » .

(٣) انظر ص ٢ من هذا الكتاب .

(٤) أبو الحسن المرحاني : هو علي بن عبد العزيز المرحاني ، المشهور بالهافزي ، ولد بخرمان سنة ٢٩٠ هـ . ونبأ جاء ، واشتهر بالفقه وقد ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء . وله آثار في التفسير والتأريخ ، وهو شاعر كاتب ، وأشهر كتبه « الوجاهة بين الشئ وبصومه » .

(٥) انظر حاشية ص ٢٠٦ من هذا الكتاب .

(٦) السورة : الروم ، الآية : ٥٥ .

ومرى سوابق دمعها فتواكفت
وكذلك أيضاً قول أبي إسحاق بن عثمان اللخمي (٢٧) :

لم يبق غيرك إنسان بلاذاً به
فهدا هو التجانس البديع الذي هو أعلى الرائب وأسمى التناول .

وقال الآخر :

وإذا البلايل أطربت بهم بلها
وقال الآخر :

هل لنا قت من تلافٍ تلافٍ
وقال الآخر :

لتسوك يدي من الترنجيم
وأشال هذا كثيرة كقولهم :

قلت للقلب ما دهلك أجيبي
ناظراه فيما جسي ناظراه

(١) ورد هذا البيت في اللؤلؤ السائر ج ١ ص ٢٥٦ على هذه الصورة .

ومرى سوابق دمعها فتواكفت
وأضاف المؤلف بعده : قالواك : ساق الشجرة . والساق : القصرى من الطيور . وساق حر : هو ذكر القناري خاصة . كما في مختار الصحاح .

(٢) في اللؤلؤ السائر ج ١ ص ٢٥٦ « وهو الشاعر المعروف بالعري » ونرى الأسمم مصحفاً وأن الأصل هو « القري » وهو أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان وويلد له إبراهيم بن عثمان « راجع الولايات ج ١ ص ١٧ » وما يصحها من طبعة مكتبة النهضة بدمشق .

(٣) انظر ص ٣٠٥ من هذا الكتاب .

(٤) « تلاف » الأول مصدر تولد « تلتفت يتلف » بمن التفت و « تلافى » الثانية بمعنى التوارك و « شك » الأول من « الشكوى » و « شك » الثاني من « شاكى السلاح أي مستلهم » .

(٥) نسب اليزيدى صاحب بيتة الدهر إلى نسبه البصري وقال : « بلغنا في غلام يبيع القراني » ج ٣ ص ١١٥ « طبعة مجازي بالقاهرة » ولى حاشية أسرار البلاغة ص ١٢ : « نسبة في زهر الآداب إلى أبي الفتح البستي » طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٧ . والقراني : جمع قرنية أو قرنية ، وهو نوع من الطيور تحب في الأثران . (حاشية البيتة) .

وعلى هذا الإسلوب جاء قول بعضهم :

يا حنفي متى قدي أرى قدي أرقن دي

ورأيت الغائي^(١) - رحمه الله - قد ذكر في كتابه باباً وصماه « رد الأفعال على الصدور »
خارجاً عن باب التجسس ، وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بسنده ذكره
هنا . فإوردته الغائي من الأمثلة في ذلك قول بعضهم :

وتشري بحميل الصد... مع ذكراً طيب الشعر

وتقرى بسيف الحد... من أسرف في النفر^(٢)

وتجري في شرا الحد على شكاكة النجر^(٣)

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم في الشيب :

يا بيضاء أذرى دموعي حتى عادتها سوادٌ عيني بيضاء

وكذلك قول البحري :

وأمرٌ في الزمن البهم مُحجَّل

كالهيكَل^(٤) البهي إلا أنه في الحزن جاء كصدورة في هيكَل

وليس الأخذ على الغائي^(٥) في ذلك مناقشته^(٦) على الأسماء وإنما التناقضة له على أنه

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) كما في النسخة المطبوعة من النثر والي الأصل « قرى ... والقر » .

(٣) في الأصل « نجر » غير أنه ولام وهو غير واضح للعين . والنجر : الأصل . وفي النثر المطبوعة ص ١ من ٢٥٢ .

وتجري في شري الحد على شكاكة النجر

ولا تراها بينهم .

(٤) البيان من السيدة يفتح بها محمد بن علي بن موسى القمي ، مطبوعاً :

أعلا بذلكم الميال الهبل
ضل لقي نهبوا أو لم يفل

انظر « ديوان البحري » ص ٧٣٠ من طبعة الطبعة الأديبية بيروت ١٩٩٩ .

(٥) في الأصل « كالهيكَل » وهو من سين قلم الشاعر ، والتصويب من البرزاني .

(٦) في النثر المطبوع ص ١ من ٢٥٢ « مائة محمد بن القين عبد الحميد » ... وليس الأخذ على

الغائي ... ولا تراها بينهم .

(٧) في الأصل « مناقشة » وهي غير مستوفية .

ينتسب لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها^(١٥) داخلا في الآخر ؛ فيذهب عليه ذلك ويحذف عنه ، وهو أشهر من فلق الصباح .

القسم الثاني

من النوع الثاني في التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية التراكيب ، مختلفة الوزن ، وذلك دون الأول في الترتيب كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - « اللهم كما حسنت خلقتي حسن خلقتي » .
 ألا ترى إلى (أن) هاتين اللفظيتين متساويتان في التراكيب مختلفتان في الوزن ، لأنه تركيب « اطلق » و « اخلق » من ثلاثة أحرف هي الطاء واللام والقاف إلا أنها قد اختلفا في الوزن إذ وزن الأخلق ، « كفضل » ووزن الأخلق « كفضل » ، ومن هذا القسم قول بعض الكتاب في صفة كتاب وصلى إليه من سديق له : « فلزهره والزهر من نور بعامته ، ونور برامته يشرأق » .

وكذلك قول بعضهم : « لا أنتال مُررد^(١٦) للعالي إلا بركوب السرور واعتبال النيررد^(١٧) »

وقال ابن العميد :

قد ذُبت غير^(١٨) حشاشة وأمام^(١٩) ما بين بحر هوى وحر هسوان

وأشال هذا كثيرة ، فامرؤها .

(١٥) في اللسان السائر : « التي ذكرناها » وهي غير مستقيمة ، ج ١ ص ٢٤٢ « بلغة محمد علي الفين عبد الحميد .

(١٦) المررد : جمع المررة ، وهي من الشهر : ليلته استهلال القمر ومن ليلته طلعه ، ومن التوهم خريره ومن الرجل وجهه يؤمن كل شيء : أهله وأهله ، والمررد : التمرض بالهلاك . والمررد يكسر القوم جمع المررة ، وهم الجماعة الذين لا خيرة لهم .

(١٧) اعتبال العميد : احتال عليه ، واعتبال أهله : تنكسب .

(١٨) في الأصل ، وفي اللسان السائر ج ١ ص ٢٤٤ : « قد ذبت بين حشاشة ... » وفي اليقظة

ج ٣ ص ١٥٢ بلغة مكتبة المحدثين الجوزية قد ذبت غير حشاشة ... » .

(١٩) في الأصل : السماء « يضم التال وهو من سبق علم النسيان وفي الفاروس : السماء يتبع الحال :

بنية النفس » .

القسم الثالث

من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير . فإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وهذا القسم دون الذي مثله في النثرية . فمن ذلك قوله تعالى : « وجوه يومئذ باضرة ، إلى ربها باطرة »^(١) .

الآن ترى أن وزن هاتين المقتضين واحد ، وأما تركيبهما فانه مختلف ؛ لأن تركيب « باضرة » من الثوب والفضاء والزاء ، و تركيب « باطرة » من الثوب والفاء والراء ؛ وكذلك قوله تعالى : « ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون »^(٢) . وقال تعالى : « وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد »^(٣) .

وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو « انليل معقود بنواصبها الطير الى يوم القيامة »^(٤) . وقال أبو تمام :

بـسـدـون من أيد عواصم عواصم نصول بأسياف قواض قواضب^(٥)
وقال البحري :

من كل مساجي الطرف أعيـد أجيـد ومهـفـتـر الكـتـحـين أحوى أحوـر^(٦)

وقال بعضهم « لا نال السكرم إلا بالسكره » . وأشياء ذلك كثيرة لا نحصى .

(١) السورة : القلم ، الآية : ٢٢ . (٢) السورة : طه ، الآية : ٧٥ .

(٣) السورة : العاديات ، الآية : ٧ ، ٨ .

(٤) راجع هذا الحديث والوجه البلاغي فيه ، في كتاب « الحجازيات النبوية » للشيخ الرضي ص ١٩ . طبعه مصر .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها أبا ذلك الشاعر بن عيسى العملي ، مطلعها :

على مثلها من أربيع وملاعب أنزلت مصونات الصموع السواكب

ديوان أبي تمام طبعه بيروت ص ٤٢ .

(٦) البيت من قصيدة مطلعها :

إن القباء غسدت سلفج بحير هيجهن حر جوى وفرط تذكير

ديوان البحري ج ١ ص ٣٦ طبعه القامبة الأدبية بيروت سنة ١٩٩١ .

القسم الرابع

من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن ، مختلفة في التركيب بحرف واحد كقوله

قال : « والثقت الساق بالساق إلى ربك يوثق الساق^(١) » وقال — عز آتية — « وهم يحسبون أنهم يمحقون^(٢) » . ومن هذا القسم قول البحري :

نسيم الروض في ريح شمال وسوب المزن في راح شول^(٣)

وذم أعرابي رجلاً فقال : « كان إذا سأل أخف ، وإذا سئل سوت ، يحسد على الفضل ، ويزهق في الأفضال » .

وقال بعض الشعراء : —

تصاعرت هم الأملاك عن ملك	أضى البناء عليه وهو مقصور
فوفيه بين أبدي العرف منهب	وعرضه عن لسان القم موفور

وأمثال هذا كثيرة في التأليف .

القسم الخامس

من النوع الثاني من التجنيس وهو العكوس

وهو ضربان : أحدهما عكس الألفاظ ، والآخر عكس الحروف . فالأول كقول بعضهم :

« عادت السادات سادات السادات » . وكقول الآخر : « شيم الأحرار أحرار الشيم » وقيل

لحسن بن سليل : « لا خير في السرف » ، فقال : « لا مسرف في الخير^(٤) » فرد اللفظ واستوفى للمنى ، وفي هذا القسم قول عتاب بن وراق^(٥) :

(١) السورة : القياة ، الآية ، ٢٩ ، ٣٠ . (٢) السورة : الكهف ، الآية : ١٠٤ .

(٣) من تصديقه له يمدح بها القبح بن خالان ، مطلقاً :

أكنت معني يوم الرحيل وعقدت عيني في المول

(٤) في الأصل : لا خير في السرف ، وهو من سبق له السخ .

(٥) عتاب بن وراق ، اليراضي : من أبطال العرب ، وأحد قادة الأمراء ، ولده مصعب بن الزبير بإدارة

أصبهان ، وتديبه قتال الخوارج عليه في الري — تظلمهم ومهد الأمر . وعنه المصاحح لقتال شبيب بن زبير ، قتل في واحة له ، سنة ٧٣ هـ .

إِنْ الْبَيْتِ لِلأَنَامِ مَسَاعِلُ نُطَوِيْ وَنُنَشِّرُ دُونَهَا الأَحْمَارِ
 فَمَصَارِهِنَّ مَعَ الْمَمُومِ طَوْبَسَةً وَطَوَالِهَا مَعَ الشَّرُورِ قَصَارِ
 وَقَالَ الأَخْر :

كَم مِّنْ حِمَارٍ عَلَى أَجْرَادِ وَمِنْ جَبَّارٍ عَلَى حِمَارِ
 وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ التَّجَانُسِ لَهُ حِلَالَةٌ وَرَوْنِقٌ ، فَاعْرِضْهُ ، وَقَدْ صَدَّقَ قِدَائِسَةُ ^(١) بِنِجْفَرِ
 السَّكَّابِ « التَّيْدِيلُ » . وَذَلِكَ اسْمٌ مَّسَابٍ لِسَمَاءٍ لِأَنَّ اللُّؤْفَ بِأَنِّي بِمَا كَانَ مَقْدَمًا فِي جِزءِ كَلِمَتِهِ
 الأَوَّلِ مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي ، وَمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الأَوَّلِ مَقْدَمًا فِي الثَّانِي وَمِثْلُهُ قِدَائِمَةٌ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
 « أَشْكُرُ مِنْ أُنْعَمَ عَلَيْكَ وَأُنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ شُكْرِكَ » وَمِنْ هَذَا التَّسْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » ^(٢) وَقَوْلُهُ — تَعَالَى — « مَا يَنْتَعِقُ اللَّهُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا
 يَمْسُكُ لَهَا ، وَمَا يَمْسُكُ فَلَا مَرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ » ^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

تَكَ التَّيْمَانِ مِنْ رِقْدِهَا نُظْمَتْ أَمْ نَظْمُ الْعَيْقَمَةِ مِنْ مَحَالِهَا
 وَأَنْشِبَاهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَاعْرِضْهَا .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّسْمِ وَهُوَ « عَكْسُ » ^(٤) الْحُرُوفِ « فَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
 أَهْدَيْتَ نَيْبًا بِقَلِّ لَوْلَا أَحَدُوهُ الْقَسَالُ وَالْبِرْكُ
 كَرَسِي تَفَاعَلَتْ فِيهِ لَهَا رَأَيْتَ مَقْلُوبَهُ « بِرُكْ »
 وَكَذَلِكَ قَوْلُ الأَخْر :

كَيْفَ السَّرُورِ بِإِقْبَالِ وَآخِرُهُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ — مَقْلُوبٌ إِقْبَالٌ ^(٥)
 وَهَذَا الضَّرْبُ نَادِرُ الإِسْتِعْمَالِ ؛ لِأَنَّهُ قَلْبًا تَقَعُ كَلِمَةٌ تَقَلِّبُ حُرُوفَهَا فَيُجِئُهَا مِنْهَا عَصَوِيًّا ،
 فَاعْرِضْ ذَلِكَ .

(١) أَبْرَ حَاشِيَةً مِنْ ٢ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . (٢) السُّورَةُ : الرُّومُ ، آيَةٌ : ٤٤ .
 (٣) السُّورَةُ : طٰهٍ . آيَةٌ : ٢ . وَمَا بَعْدَهَا .
 (٤) فِي الأَصْلِ « كَعَسُ » . وَهُوَ مِنْ خَطِّ السَّخِّ .
 (٥) مَقْلُوبٌ إِقْبَالٌ « لِإِقْبَالِ » .

القسم السادس

من النوع الثاني في التجسس وهو التَّجَسُّب

وذلك أن يجمع المؤلف بين كلمتين ؛ أحدهما كالتبع للأخرى والجنبة ، كقول بعضهم :

أبا العباس لا تحسب لسانى لشيء من حلى الأشعار طري^(١)

فلي طبع كسلالٍ معينٍ زلال من ذوى الأحجار جدي
وهذا القسم له رونق وحلاوة ، فاعرفه .

القسم السابع

من النوع الثاني من التجسس

وهو ما تساوى وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر ، وذلك كقول أبي تمام :

يضى الصفائح لاسود الصفائحى كمنورين جلاء الشك والرئيس^(٢)

وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفه .

القسم الثالث من الباب الثاني في الترميع

وهو نوع من علم البيان وهو التسلك فلما يتخيل المؤلف بشرك فكره أو أبدأ ألفاظه ، وأصله من « ترميع العقد » وذلك أن يكون في إحدى جانبي العقد من اللآلئ والجواهر مثل ما في الجانب الآخر ، وذلك جعل هذا في الكلام ، وهو أن يكون كل لفظة من الفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية ، وهذا هو أهل درجات الترميع وأسماها مرصفاً . واعلم أن علماء هذه الصناعة قد جعلوا الترميع مقسماً إلى قسمين : أحدهما ما ذكرناه ، والآخر أن يكون أحد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لما يوازئه من الفاظ

(١) في المتن السابق ج ١ ص ٢٦٣ طبعة المطبع سنة ١٩٣٩ بمصر .

(٢) أبا العباس لا تحسب لسانى

(٣) من قصيدته له مدح فيها المنيعة العضم ويذكر فيها فتح عمورية ، معانيها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده المدنين الجد والعب

انظر ص ٧ من البرهان طبعة عمى لقرن الهياط .

فالتسم الأول كقول الحريري في مقسامته : « فهو يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بجواهر لفظه ، [ويترج الأَسْجَاعَ بزواجر وعطفه ، فانه جعل اللفاظ الفصل الأول ^(٦١)] « مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزناً ولفظية ، جعل « يطبع » بإزاء « يترج » و « الأسجاع » بإزاء « الأَسْجَاع » و « جواهر » بإزاء « زواجر » و « لفظه » بإزاء « وعطفه » ، وهذا هو التركيب السهل المتبع الذي تخاله قريباً وهو بعيد الدال ، صير الحصول . وقد ورد هذا التسم كثيراً في الخطب التي أنشأها الشيخ الططيب عبد الرحيم ^(٦٢) ابن نباتة ، فمن ذلك قوله في أول خطبة : « الحمد لله ، فانه أزمته الأمور بعزائم (أصمه) ^(٦٣) ، وحاسد أمة النور بوقاصم منكزه ، وموفق صبيده للنام ذكره ، وعحق مواعيده بلوازم شكره » . ومن ذلك قوله في ذكر الزمان وتقلبه بأهله : « أولئك الذين آمنوا فجمعتم ، وزحلوا ففقم ، وأهدم الوث ، وكما علمتم ، وأنتم الظالمون في البقاء بدمهم ، قبا ^(٦٤) زعمتم ، وكلا والله ما أشخصوا لفتروا ، ولا تبيصوا لتسبروا ، ولا أبد أن تمروا ^(٦٥) حيث صرنا ، فلا تكفوا بخدع الدنيا ، ولا تفتروا » . ومن ذلك ما جاءنا في بعض خطبه : « أيها الناس ، أسمعوا القلوب في رياض الحكم ، وأدبوا الحبيب على ايضاض التسم ، واحطبوا ^(٦٦) الاعتياز بانقراض النعم ، وأحيلوا الأفكار في اقراض الامم » . وأمثال هذا في كلامه كثير ، وأما ما ورد على نحو ذلك نظماً ، فنقول ذي الرمة :

كحلالة في برج صفراء في دمعج كأنها قضنة قد شابهها ذهب ^(٦٧)

(٦١) الزيادة من لسان المائر ج ١ ص ٢٦٤ من حزمة الحلي . وانظر « اللغة الصغانية » من مقالات الحريري ج ١ ص ١٥ من طبعة باريس سنة ١٨٤٧ .

(٦٢) انظر خطبة ص ١٩ من هذا الكتاب . (٦٣) زيادة من لسان المائر ج ١ ص ٢٦٥ .

(٦٤) في لسان المائر كما زعمت « ص ١٥٥ من ٢٦٥ . (٦٥) كنا في لسان المائر وفي الأصل « نمر » .

(٦٦) في لسان المائر « وأطبلوا » وهو أكثر مناسبة .

(٦٧) هذا البيت من قصيدته المتهورة :

« بأن عينك دنيا تلاء ينسكب كأنه من كحل منقبة سرب

ورواية الروان :

كحلالة في دمع صفراء في نبع كأنها لطفة قد سبها ذهب

وهذا القسم قليل الاستعمال في الشعر جداً ، فأعرفه إن شاء الله .

القسم الثاني

من النوع الثالث من الترميع

وهو أن يكون أحد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لا يوازيه من الفصل الثاني ، وذلك كقول
نأهب شراً^(١) :

حَال أويصة ، شهاد أندية فَوَال مُحْكَمَة جَوَاب آفاق^(٢)
ألا ترى أن « أوية » مثل « أندية » في الوزن والقافية ، ولكن حال لا يماثل « شهاد »
قافية وإنما يماثل وزناً ، وكذلك « فوال » موازن « لجواب » و « محكمة » لا يوازن « آفاق »
ومن هذا القسم أيضاً قول الخنساء :

حاي الحقيقة هود الخليفة م... دني الطريقة شفاع وطرار
وكذلك قول الآخر :

سود ذوابها بيض ترابها محض ضرابها صيفت من الكرم
وأشكال هذا كثيرة فاعرفها إن شاء الله تعالى .

النوع الرابع من الباب الثاني

في لزوم ما لا يزم

وهو نوع من أشق هذه الصناعات منجها ، وأروعها طريقاً ، لأن المؤلف يزم في تأليفه
ما لا يجب عليه ليدل به على قوته في الصنعة ، واتساع إلمامه فيها ، وانطلاق عنانه .

وقد جمع أبو العلاء (أحمد بن)^(٣) عبد الله بن سليمان في ذلك كتاباً ، وذكر فيه الجيد

(١) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر بن سليمان ، أحد الصوفاة العربيه القديرين ، وأحد دعاة القصورين
انظر لسان العرب ج ٧ ص ١٢٦ عنه .

(٢) في الأصل « قول هفة » والتصحيح من اللغات لفضي ص ٢٩ طبعة دار المعارف بمصر سنة
١٩١٢ . وقد نسر المحكمة بالمعنى القاصد .

(٣) الزيادة من الكل الشعر ، ج ١ ص ٢٦٢ طبعة المطبعي سنة ١٩٢٩ بمصر .

الذي لا مطلع فوجه ، وازدي الذي لا بهرى تحته ، وسنذكر من ذلك طرفاً .

واعلم أن حقيقة هذين النوع هي : أن تكون الحروف التي قبل روي الأليات من الشعر حرفاً واحداً ، وهذا أيضاً موجود في فواصل الكلام المتشود . ومن أرواد معرفة ذلك والاطلاع عليه ، فليطلبه من كتاب « الزوم » لأبي العلاء ، وغيره من الكتب الثاقبة في هذا الفن ، فإن كتابنا هذا ليس موضوعاً لشرح هذه الأسباب ، وإنما وضع لن معرفة الأصل فيها ، فبين له نحن الجيد منها والزيدي ، ونفرق بينها ، ليعلم أين يضع يده في استعمال ذلك وأخراجه .

فما جاء في هذا الباب قول في حصار قلعة : « فلما رأونا بساحتهم حاضرين ، ولهم في مقر دارهم حاضرين ، وهم من بأسنا حزينين ، نادوا : الأسماء صباح الثغرين » .

ألا ترى لك الثغرين الآخرين كيف قد لزمت فيها « الذال والراء » نحو « حذر ومفتن » ، وأما الثغرتان الأوثيان فليستتا من هذا القبيل ، لأنه يجب أن يكون بازاء « حاضر » كلمة أخرى في آخرها ضاد وراء ، إلا أن ذلك كأنه شبيه بما لا يلزم ، والسبب فيه ورود الياء والثون المختصة بالجمع بعد الراء ، ولو كان هذا مستهتراً في زوم ما لا يلزم ، لوجب أن يكون التأثير لياء والثون ، من غير نظر إلى ما قبلها . وعلى هذا التفسير قول القائل « فلما رأونا بساحتهم تازلين ، ولهم في مقر دارهم حاضرين » ، لسكان ذلك من باب زوم ما لا يلزم . وهذا مما لم يذهب إليه أحد . وإنما الأصل ما أشرنا إليه أولاً فاعرفه .

واعلم أنه متى ستمرت الكلمة الأخيرة من الشعر والكلام المتشود ، وجب أن يصغر الباقي اتباعاً للوزن . فن ذلك قولهم :

عز علي ليلي بندي ^(١) سدير
مقبضاً ^(٢) غصي في سدير
يهفو الي الزود ^(٣) من سديري
سوء تبيهي لية التميمي
تنهض الرعدة في علوي
خلجان في دبع وفي عطير

(١) في الأصل « بد سدير » والمصحح من القل السائر ج ١ ص ٢٦٦ وهو سدير قرية لبي العرب من جزيرة العرب والقديم عدة مواضع منها .

(٢) في الأصل « مقبضاً » ولا معنى له هنا وفي القل السائر « مقبضاً » ونرى أن الصواب ما ذكرناه وهو من خواصه المعنى .

وأزرقى ليس بالقصير^(١) من لُ ما ظهر لي صغير^(٢)
 حتى يندت لي جبهة القصير لأربع خلوف من شعور
 ألا ترى إلى هذا الشاعر ، كيف لزم التصدير في هذه الأبيات جميعها ؟ فإن ذلك من
 عمارن الصنعة فاعرفه .

واعلم أننا لا نبحث للزائف على استعمال هذا القسم من الكلام حتى ينجي به شككاً وحشياً
 فيكون قد قصد جودة الصنعة وإظهار القدرة عليها ، والقوة فيها ، فليقيه ذلك فيما يشكره من
 الألفاظ ، وتعاونه الأسماع . وما مثل المشكك لهذا الضرب من الكلام حتى يأتي به في صورة
 تبيحة ، إلا مثل الصانع الذي يأخذ مصوغاً ردياً فيجيد فيه عمله ، ويخرج فيه بديع صنعه
 فيكون منه ذلك قد راعى الفرع ، وأهل الأصل ، فنذهب جودة الصنعة في رداءة المصوغ .
 وأما إذا أتى للزائف بهذا الضرب من الكلام ، غير مشكك ولا وحشي كأن له رونق
 وحلاوة ، وقد استعمل ذلك أبو العلاء المرعي في كتابه فأتى منه بشيء ينبو عنه الطبع كقوله
 في قافية الناء مع الخاء :

ربتُ عن الدنيا ولا بنت لي	فيها ولا عرض ولا أختُ
وقد تحملتُ من الوزر ما	تعجز أن تحمله البُختُ
إن مدحوني ساءني مدحهم	وخلت أني في التري سُختُ ^(٣)

وقال في الخاء المضمومة مع الباء :

لا يفتقدن غيركم مجانسكم^(٤) ولا تكونوا كأنكم سبيحُ

(١) في الأصل و « أزرقى » - و « القصير » له تصغير بزخم آخر أي « خبير » -
 (٢) وفي شواهد العيني « من لُ من الظهور القصير - انظر حاشية لكل الشاعر ج ١ ص ٢٧٢ »
 وفي حاشية الألفية ، شرح ابن عثيق : « هذا التلاعب من الأبيات الجيولة استهتاً ، وكل ما قيل فيه إلا تراجم
 من ملر » - ج ٢ ص ٢٧ طبعة المطبعة السائدة سنة ١٣٦٧ بمصر .
 (٣) لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ١٧٣ طبعة المطبعة المحروسة بمصر سنة ١٨٩١ -
 (٤) في الأصل « مجانسكم » والصحيح من الروايات ج ١ ص ٢٢٨ -

ولا كقولهم حديث يومهم ما (أكلوا)^(١) أنهم وما طبعوا
 وأسأل هنا كثيرة في كتابه ، وله من ذلك البديع السارد الذي تنقاسر دوله الفصحاء
 كقوله :

يل بلا نور أجن^(٢) بهمه حبس الأداة ليس فيه منار
 وهي الحياة ؛ فضة أو فنتة ثم لبت فنتة أو نثار
 وقال :

يلتاك بإساء التبر القى وفي ضمير النفس غارٌ تَقيد
 يطيكك لفتلاً ليناً منه ومثل حسد السيف ما يعتقد^(٣)
 وقال أيضاً^(٤) :

تأزح في الدنيا سواك وماله ولا لك شيء في الحديقة فيها^(٥)
 وليكنها ملك لرب مقدر يعبر جنوب الأرض مرند فيها^(٦)
 ولم تحظ في ذلك الزرع بطائل من الأسم إلا أن تعد سفيها
 أيا نفس لا تنظم عليك حُطوبها فتفتقروها مثل مختلفها
 تناعوا إلى الأثر القليل جلدوا عليه وغلطوها لفتقها
 وما أمّ ريل أو حيلة ضيم بأعظم من دنياك فأعترفها
 تلاقى الوفود القادمها بفرحة وتبكي على أنسار منصرفها
 ولم يتوازن في القياس نعيمها وسيدة أودت بفتقها
 وما هي إلا شاككة ليس عندها وجدك أرطابٌ لفتقها

(١) الرابطة من الزويمات ص ٢٤٤ ج ١ (٢) في الأصل : « أبر » .
 (٣) في الأصل : « تعقد » والتصحيح من الزويمات ج ١ ص ٣٠٠ .
 (٤) في الزويمات : « بالحقيقة » ج ٢ ص ١١٠ .
 (٥) في الأصل : « يعبر جنوب الأرض » والتصحيح من الزويمات ج ٢ ص ١١٠ .

كما نبذت للطير والوحش رازم^(١)
تأمت من الانتصاب من شيم لم يجد
فأطبق فناً منها وكسفاً ومفلة
كلن التي في السكاس يطغو حياها
وله من جملة تصيفة :

فأقت شروراً^(٢) بين محتظفها
سبيلاً إلى غياك محتصفها
وقل لتوي الناس فاك لقيها
سجام^(٣) حباب عند حمرشفيها^(٤)

أرى الدنيا وما وصفت يرو
إذا خشيت لشر عجلتسه
حياة كصالحية ذات مكر
وأظن سبها قد أرسلته
فلا يُضدح بعليها أديب
أذاقته شهباً من جناها

إذا أنت فقيراً أوهنته
وإن رُحبت لخير عوقتسه
ونفس الزم سيداً أعتقه
إلى بنكبة أو فزقته
وإن هي سورته ومنطقته^(٥)
وسرت^(٦) فاه عما ذوقته

وأمثال هذه كثيرة في شعره ، فاهربها فأنها من محاسن لزوم ما لا يلزم .

وعليك أيها الشعب لاستعمال هذا النوع من الكلام أن تسلك هذا المذهب القويم
وتتبع هذا الأسلوب^(٧) الواضح ، غير متصيد له ولا مكثراً منه حتى تحل بالعمى المتدرج تحته ،
وتذهب بروثه وطلأوته . وقد ورد من هذا الباب قول طرفة بن العبد :

ألم تر أن السال بكسب أهبة
أرى كل مال لا محالة ذاهباً
أضوحاً إذا لم تُعط منه نواصبه
وأفضله ما ورت الحد كاسبه

(١) في النون : كما نبذت للوحش والطير رازم .. الروميات ج ٢ من ٥٦٩ .

(٢) في الأمل « شروراً » والصحيح من الروميات .

(٣) في الروميات : « بين محتظفها » .

(٤) رواية الروميات : « فلا يضح بعليها أديب » وإن هي سورته وأفضله » .

(٥) في الأمل « وسرت » وارى أنت السوابج « وسرت » وفي القاموس « وسر »

والنافة وبها يصرها صبراً ، شد ذرعها » .

(٦) القم « حركه » والكثرة : معظم الطريق أو وسفته (القاموس) .

ألا ترى ما أحسن هذا الأسلوب ، والطف مأخذه ، وعلى منته بيني أن يكون الاستعمال
طاعفة .

النوع الخامس من الباب الثاني

في الولاية

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام الثور متساوية في الوزن ، وذلك نوع من
التأليف شريف الحل ، لطيف الوقع ، وللكلام به طلاوة وروني ، وسبب ذلك الاعتدال ،
لأنه مطلوب في جميع الأشياء . وحيث كانت مقاطع الكلام متشبة في الوزن لذ بها الصمع ،
ووقعت من القلب مرفق الاستحسان ، وهذا لا مرأ فيه بحال من الأحوال لبيانه ووضوحه .
فما جاء من ذلك قوله تعالى : « وآياتها الكتاب المبين ، وهدىناها الصراط المستقيم ^(١) »
وكذلك قوله تعالى : « قال ^(٢) يا هرون ما منعك إذ رأيتهم شكروا ألا تبين ، أصبحت
أمرى قال بينوأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
ولم ترقّب قولي » . وعلى نحو منه ورد قوله تعالى : « من أعرض عنه فإنه يحبل يوم القيامة
برؤسأ ، خاطرين فيه وساء لهم يوم القيامة حبلأ ^(٣) » .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « يرشد يدعو المذمعي لا عوج له واخضعت الأسوات
لرحمن فلا تسمع إلا همساً يرشد لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولأ ، يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً ^(٤) » .

وعلى هذا النهج جاء قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه قرآنأ عربياً وحررنا فيه من الرصيد
عليهم يتلون أو يُحَدِّث لهم إذ كُسرأ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يُنزلى إليك وحياً ، وقول رب زمني علماً ^(٥) » . ومن ذلك قوله عز وجل : « فقلنا يا آدم

(١) السورة : الصافات الآية ١١٤ . (٢) السورة : طه الآية ٩٢ وما بعدها .

(٣) السورة : طه الآية ١٠٠ . (٤) السورة : طه الآية ١٠٧ وما بعدها .

(٥) السورة : طه الآية ١١٦ وما بعدها .

إن ههنا مسودّ لك وزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وأنتك لا تظلم فيها ولا تصحى^(١) . وأمثال هذا في القرآن كثيرة ، فإرفعه .

النوع السادس من الباب الثاني

في اختلاف صيغ الألفاظ

وهو من سناعة التأليف منزلة عليّة ومكانة شريفة

اعلم أنّ الألفاظ إذا شئت من أسلوب إلى أسلوب كتفها من الواحد إلى الجمع أو إلى
التثنية ، أو إلى التأنيث أو إلى غير ذلك انتقل حسبها وصار قبيحاً ، أو قبيحاً وصار حسناً . دليل
ذلك ؛ أن التاء التي تزداد في آخر الاسم للفرق في الصفة نحو : مقعد ومقعدة . ألا ترى إلى لفظة
« مقعد » الدالة على مكان الجلوس تجمع على مقاعد ، ولفظة « مقعدة » الدالة على العمل المنحوس
من الحيوان تجمع على « مقاعد » أيضاً ؛ فإذا وردت هذه اللفظة أُمي « مقاعد » في الكلام ،
والراد جمع « مقعد » استقيحت لثمتها لجمع « مقعدة » وذلك مما يكره ذكره ؛ وإذا وردت
متفردة برأسها لم تستطع ولا تستكبره ؛ قال الله تعالى : « في مقعد سبق عند مليك
مقتدر^(٢) . ولأجل ذلك لما جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم أضيفت إلى ما لا يحتل
معه الاستطباح ، فقال جلّ وعلا : « وإذا غدوت^(٣) من أمهلك تبويّ المؤمنين مقاعد للقتال »
ولولا إضافة مقاعد إلى القتال لاستطبح إيرادها ههنا . وهذا لا يخفى على من له أدنى معرفة
بهذه الصناعة ؛ إلا أن هذا المثال الذي مثناه لا يطرده فيها هذا سببه ، وإنما يقع في بعض الألفاظ
دون بعض ، وقد تبينا عليه في كتابنا ليعرف منه من التأليف .

ومن ذلك أيضاً ما أشرنا إليه في صدر الكتاب في باب الألفاظ للركبة^(٤) وهو أنك ترى

(١) السورة « طه » الآية : ١١٦ وما بعدها .

(٢) السورة « القمر » ، الآية : ٥٥ . (٣) السورة « آل عمران » ، الآية : ١٦٦ .

(٤) انظر ص ٦٤ وما بعدها من هذا الكتاب ، وانظر الحديث عن هذا في كتاب « دلائل الإيجاز »

للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣٥ وما بعدها من طبعة مطبعة دار السنة ١٣٣٦ هـ .

بعض الألفاظ لزومك في كلام ما ، وتزاد بها التجارياً واستحساناً ، ثم تراها في كلام آخر فتقول عليك وشكرها ؛ مثال ذلك : أن لفظه « الأخدع » قد وردت في بيتين من الشعر ، وهي في أحدهما لائفة حسنة ، وفي الآخر نقيبة مستكرهة ، كقول الصمة بن عبد ^(١) الله :

تلفت نحو الحلي حتى كأنني ^(٢) ورجعت من الاسماء (ليتاً) وأندما
وكقول أبي تمام :

يا دهر قوتم من أخذتكم فقد أسججت هذا الأنام من خرقكم
ألا ترى أنه قد وجد لفظه اللئيمة في بيت أبي تمام من التثني على النفس والشكرامة أضعاف
ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة والابتناس والبهجة !! وهذا ما لا يمكن
التزام فيه لظهوره ، وليس سبب ذلك إلا ما أشرنا إليه من اختلاف الصيغة : ألا ترى أن
لفظة « الأخدع » قد جاءت هاهنا موحدة ومثناة ، وهي حسنة في حالة الألفراد ، مستكرهة
في حالة التثنية .

وقد يكون ذلك لأمر يرجع إلى التركيب لا إلى الألفاظ ، وذلك أن يكون التركيب مختلف
النظام ، مضطرب الترتيب فتجنيء الفاظه عند ذلك مستكرهة ، مستثناة ، لكونها ولزومها في
غير أماكنها ، وإن كانت من حيث أفرادها حسنة لائفة . وقد تقدم الكلام على ذلك في باب
تركيب الألفاظ ، فاعرفه ^(٣) .

(١) هو الصمة بن عبد الرحمن العقيلي... شاعر بدوي مثل « من شعراء الدولة الأموية » هوى امرأة من قومه ، فأرى أروعها إلى زوجته إليها... وله فيها شعر دقيق بقره - انظر أخباره في « الأداني » الجزء الخامس من : ٦٢٤ وما بعدها من طبعة الناسي .

(٢) البيت من قصيدة أوردها أبو تمام في حاشيته في باب الفصيح من ١٢٦٥ القسم الثالث طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر والتعريب سنة ١٣٧٦ هـ ، ومطبعها :

حذت لي ربا وتسلت يا صفت منازك من ربا وشعبا كما بدأ
وفي ديوان الحماسة : « وجدتني » بدلا من كأنني - والبيت : صفحة العلق (القاموس) والأخدع : عرف في صفحة العلق .

(٣) انظر من ٦٤ : وما بعدها من هذا الكتاب .

التروع السابع من الباب الثاني

في تكرير الحروف

اعلم أن هذا التروع لا يتعلق بتكرير الألفاظ ولا تكرير المعاني مما سبق ذكره في باب التكرير ، لأن تكرار الحروف هو أن يأتي حرف واحد أو حرفان في كل لفظة من ألفاظ الكلام أو في أكثرها ، فيقتل على اللسان النطق بها ، فمن ذلك ما أشهدته الجاحظ :

وقبر حـسـوبـيـم بـكـان قـفـر . وليس قـسـرب قـفـر حـرب قـفـر^(١)

ألا ترى إلى هذه الآت ، والتقاطعات التي في هذا البيت من الشعر ؟ فأنها في تناسلها كالسلسلة ، ولا خفاء بما على الناطق بها من الكفاة ، وليس الكلام العساري من ذلك يعوز ولا يميز^(٢) ، ولا هو بالذي لا يستطيعه إلا الشاعر البرز أو الكاتب الفلق بل هو مما يصعب النطق به . ولذلك كان كلام الناس في مهاوراتهم ، ومكاتباتهم ، غلياً من هذا القبيل ، وذلك لأنه لا يحصل إلا بالكثاف والقصد للإتيان به ، فإنا إذا أرسل الإنسان نفسه على سجيبتها ، وخطب بينها وبين طبعها فإنه لا يمرض له ذلك . طبت شعري أي أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتي به مستكرهاً قليلاً على اللسان ، ويترك ما هو أسهل عليه .

ألم تعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرار الحروف في كثير من كلامهم ؟ وذلك أنه إذا تكررت الحروف عندهم أدغموها استحساناً ، فقالوا : في جعل لك .

« جعل لك » وفي نصر جوني « نصر جوني » . وكذلك « استمد فلان للأمر » إذا تأهب له والأصل فيه « استمد » ، « واستتب الأمر » إذا تهيأ وكل (وأصله استتب^(٣)) وأشبهه هذا كثيرة في كلام العرب ، حتى بهم لشدة كراهتهم لتكرار الحروف أبدلوا أحد الحرفين ، كما تكرر ، حرفاً آخر غيره فقالوا : أمليت الكتاب « والأصل من ذلك « أمليت » فبدلوا

(١) البيت مجهول الغالب . أظن البيان والشين ج ٩ ص ٦٥ طبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة

١٩٤٨ باللعنة . والفرد المجهول ج ٦ ص ٢٠٧ وساعد التنصيص ج ١ ص ٩٢ .

(٢) أظن دلائل الأعيان ص ٤٨ طبعه دار المعارف سنة ١٩٦٧ .

(٣) زيادة استوجبها السيل والانساق .

« السلام » بإدائها للتحفة على اللسان ، وفراراً من القتل والاستكراه .

واعلم أن ورود الألف في هذه اللقطة أقوى دليل على كراهة العرب لتكرار الحروف وفيها
أشرفنا إليه كفاية المتأمل ، فاعرفه .

وحيث انتهى بنا الكلام إلى هذا المقام ، وفرغنا من جميع الأنواع في علم البيان والأقسام ،
فلجئنا بحسنه حمد الله على توفيقه ، والهداية إلى أقوم طريقته ، وزغب إليه في العصمة من
الزلل ، والأرشاد في القول والعمل ، فإن عثر الناظر في كتابنا هذا على سقطه ، أو وقع في أمثاله
على هفوة أو غلطة ، فليُنصِرْ عنها إقضاء الصالح ، وليسترها - ستر التجاوز المسامح ، فإن
السكرام من ستر العورة ، وأقل العثرة .

تم الكتاب بحمد الله تعالى

وقد كتبت في آخره :

وكان الفراغ من تحرير هذا الكتاب ، عشرين (كذا) من شهر شوال

سنة ألف وثلاثمائة وأربعة عشر هجرية (كذا) ، على نبينا أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية

ونقل هذا الكتاب على فحة الكتبخانة المطبعية ، بخط الفقير الحقير محمود صالح ،

بقر الله له ولوالديه والمسلمين ، والحمد لله رب

العالمين ، آمين .

فهرس الكتاب

- ١ - فهرست إجمالي لموضوعات الكتاب
- ٢ - فهرست تفصيلي لموضوعات الكتاب
- ٣ - فهرست الأعلام
- ٤ - فهرست المدن والأماكن
- ٥ - فهرست الكتب
- ٦ - فهرست الأسماء الواردة في متن الكتاب
- ٧ - فهرست الأسماء الواردة في حواشي الكتاب
- ٨ - فهرست الكلمات الثبوتية الهامة الواردة في حواشي الكتاب
- ٩ - فهرست الخطأ والصواب

فهرست اجمالی لموضوعات الكتاب

الصفحة

١	مقدمة المؤلف
		القطب الأول « الفن الأول »
		الباب الأول من الفن الأول من القطب الأول
٦	آلات التأليف
٧	القسم الأول [يشترك فيه النظم والنثر]
٢٠	القسم الثاني [وهو ما يخص النظم دون النثر]
		الباب الثاني من الفن الأول من القطب الأول
٢١		في أدوات التأليف
		الباب الثالث من الفن الأول من القطب الأول
٢٦		في الطريق إلى صناعة النظم والنثر
		الباب الرابع من الفن الأول من القطب الأول
٢٨		في الحقيقة والمجاز
		التن الثاني من القطب الأول
٣٣		في الألفاظ والمعاني وتفصيل الكلام للشعر على النظم
		الباب الأول
٣٣	في الألفاظ المفردة
٢٧٧		

- ٣٤ النوع الأول : تباعد مخارج الحروف
- ٤٦ النوع الثاني : أن لا تكون الكلمة وحشية ولا مقومرة
- ٤٩ النوع الثالث : أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة
- ٥٢ النوع الرابع : أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره
- ٥٤ النوع الخامس : أن تكون الكلمة مصنفة
- ٥٧ النوع السادس : أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً
- ٥٩ النوع السابع : أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة
- القسم الثاني من الباب الأول
- ٦٤ في صناعة تركيب الألفاظ
- الباب الثاني من الفن الثاني من القطب الأول
- ٦٨ في الكلام على المعاني
- الباب الثالث من الفن الثاني من القطب الأول
- ٧٣ في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم
- القطب الثاني
- ٧٦ في الأشياء الطامسة وهو فنان
- ٧٦ الفن الأول في الفصاحة والبلاغة
- الفن الثاني من القطب الثاني
- ٨٢ في ذكر أسنان علم البيان وأقسامها
- الباب الأول
- في الصناعة للعبوية —
- ٨٢ النوع الأول في الاستعارة

٩٠	النوع الثاني من الفن الثاني : التشبيه
٩٢	١ - القسم الأول : تشبيه المفرد بالمفرد
٩٢	٢ - القسم الثاني : تشبيه المركب بالمركب
٩٦	٣ - القسم الثالث : تشبيه المفرد بالمركب
٩٨	النوع الثالث من الباب الأول : في شجاعة العربية
٩٨	القسم الأول : في الالتفات ...
١٠٢	القسم الثاني : في الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن المضارع بالماضي
١٠٥	القسم الثالث : في عكس الظاهر
١٠٦	القسم الرابع : في الحل على المعنى
١٠٨	القسم الخامس : في التقديم والتأخير
١١٨	القسم السادس : في الاعتراض
١٢٢	النوع الرابع في الأيجاز ...
١٢٤	القسم الأول : الأيجاز بالحذف الضرب الأول من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٤	الاكتفاء بالسبب عن المبتدئ وبالمتبئن عن السبب الضرب الثاني من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٥	الإخبار على شريطة التفسير الضرب الثالث من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٧	حذف الفعل وجوابه الضرب الخامس من القسم الأول من النوع الرابع :
١٣٠	حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر

- ١٣١ ... الضرب السادس من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف الوصف والصفة وإقامة كل منها مقام الآخر ...
- ١٣٢ ... الضرب السابع من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف الشرط وجوابه ...
- ١٣٣ ... الضرب الثامن من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف القسم وجوابه ...
- ١٣٤ ... الضرب التاسع من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف (لو) وجوابها ...
- ١٣٥ ... الضرب العاشر من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف جواب (أما) وجواب (إنما) ...
- ١٣٦ ... الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف (لا) من الكلام وهي مرادة ...
- ١٣٧ ... الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
 الاستثناء ...
- ١٣٨ ... الضرب الثالث عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
 حذف الواو وإبائها ...
- ١٣٩ ... الضرب الرابع عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
 الحذف الذي يوجب الاشتغال في الكلام ...
- ١٤٠ ... القسم الثاني من النوع الرابع : الأيجاز من غير حذف ...
- ١٤١ ... الضرب الأول من القسم الثاني من النوع الرابع :
 ما يساوي لفظه معناه ويسمى (التقدير) ...
- ١٤٢ ...

				الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع
١٤٣	فيما زاد معناه على لفظه
				النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني
١٤٦				الإطلاق
				النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني
١٥٢				في توكيد الضمير التصلب بالفتحة
				النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني
١٥٦				في الكناية والتعريض
١٥٧				الضرب الأول من الكناية (التي يحسن استعماله)
١٥٧	١ - القسم الأول : التمثيل
١٦٠	٢ - القسم الثاني من الكناية في الإرداف
١٦٠	الفرع الأول من الإرداف
١٦١	الفرع الثاني من الإرداف
١٦٢	الفرع الثالث من الإرداف
١٦٢	الفرع الرابع من الإرداف
١٦٣	الفرع الخامس من الإرداف
				النوع الثامن من الباب الأول من الصنف الثاني
١٦٦				في استعمال العام في الضمى والخاص في الأثبات
				النوع التاسع من الباب الأول من الفن الثاني
١٧٢				في التفسير بعد الأبهام
				النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني
١٧٥				في التقييد المصدرى

- النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٧٦ في التقديم والتأخير بما لا يتعلق بعلم النحو
- النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٧٩ في صلت الظاهر على ضميره والافصاح به بعده
- النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٨١ في التلخيص والاختصار
- النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٨٧ في للبادئ، والافتتاحيات
- النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٩٣ في قوة اللفظ لقوة المعنى
- النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٩٧ في خذلان الطالب
- النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ١٩٨ في الاستحقاق
- النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ٢٠١ في الحروف العاطفة والجارحة
- النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
 ٢٠٤ في التكرير
- ٢٠٤ القسم الأول : الذي يوجد في اللفظ والمعنى
- ٢٠٤ الضرب الأول : الفيد
- ٢٠٧ الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى (غير الفيد) ...

- ٢٠٩ القسم الثاني من النوع الأول في التكرير : (الذي يوجد في المعنى دون اللفظ)
- ٢٠٩ الضرب الأول المفيد
- ٢١٠ الضرب الثاني (غير المفيد)
- النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢١١ في تناسب العالي
- ٢١١ الضرب الأول : الطائفة وهي القابلة
- ٢١٨ الضرب الثاني من النوع العشرين : في صحة التضمين وفساده ...
- ٢٢١ الضرب الثالث من النوع العشرين : في التفسير وما يصح من ذلك مما يفسد
- النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٢٤ في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
- النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٢٥ في ورود لام التأكيد في الكلام
- النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٢٦ في الاتصاف والافراط والتفريط
- النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٣٠ في المعاطلة
- النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٣٢ في التضمين
- النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٣٥ في الاستعراج
- النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
- ٢٣٨ في الارصاد
- ٢٨٣

النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٤٢

في التوشيح

النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٤٢

في الأخذ والسرقة

٢٤٣

... .. القسم الأول : النسخ

القسم الثاني : وهو ضربان

٢٤٣

... .. الضرب الأول : الضلع

٢٤٨

... .. الضرب الثاني من القسم الثاني : المسخ

الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الثاني

— في الساعة الفظلية —

النوع الأول من الباب الثاني

٢٥١

في السجع والأزدواج

النوع الثاني من الباب الثاني

٢٥٦

في التجنيس

٢٥٦

... .. القسم الأول من النوع الثاني في التجنيس

٢٥٩

... .. القسم الثاني من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٠

... .. القسم الثالث من النوع الثاني في التجنيس

٢٦١

... .. القسم الرابع من النوع الثاني في التجنيس

٢٦١

... .. القسم الخامس من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٣

... .. القسم السادس من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٣	القسم السابع من النوع الثاني في التجنيس
			النوع الثالث من الباب الثاني
٢٦٣			في التوسيع
			النوع الرابع من الباب الثاني
٢٦٥			في لزوم ما لا يلزم
			النوع الخامس من الباب الثاني
٢٧٠			في الموازنة
			النوع السادس من الباب الثاني
٢٧٦			في اختلاف صيغ الألفاظ

فهرست تفصیلی لموضوعات الكتاب

۵ - ۶

مقدمة المؤلف :

منزلة علم البيان (۱) . البحث عن تصانيفه وكتبه (۱) . اختلاصه على معظم مصنفات
البيان (۱) . استخراجها من القرآن ثلاثين ضرباً من علم البيان (۳) . شرحه جميع أنواع
البيان (۴) . تسمية الكتاب (۴) . مدار الكتاب وأبوابه (۴) .

(القطب الأول)

« الفن الأول »

الباب الأول

من الفن الأول من القطب الأول

۲۰ - ۶

آلات التأليف

الحاجة الى وجود الطبع في الانسان (۶) . آلات التأليف تصنيفان (۶) . الأول يشترك
فيه النظم والنثر (۷) . علم النثر (۷) . معرفة اللفظ (۱۳) . معرفة أمثال العرب وأيامهم
(۱۵) . الاختلاص على كلام المتقدمين من النظم والنثر (۱۷) . معرفة الأحكام السلطانية
من الإمامة والإمارة (۱۷) . حفظ القرآن الكريم (۱۹) . حفظ أخبار الرسول (۱۹) .
القسم الثاني : وهو ما يخص النظم دون النثر (۲۰) . معرفة العروض والزخافات
(۲۰) . معرفة القوافي (۲۰) .

الباب الأول

۲۵ - ۲۱

من الفن الأول من القطب الأول

في أدوات التأليف

تحضيره من النثر (۲۱) . المعنى هو عباد اللفظ واللفظ هو زينة المعنى (۲۱) . محز

المبرد عن التعبير بما يرشده (٢٢) . تجويد الالفاظ (٢٣) . مخاطبة كل فريق من الناس على قدر طبقتهم (٢٤) . كتاب الرسول لوائل بن حجر (٢٤) .

الباب الثالث

من الفن الأول من القطب الأول

٢٦ - ٢٧

في الطريق الى صناعة النظم والنثر

ممارسة ابن الاثير لصناعة الكتابة (٢٦) . طريقة كتابة الرسائل (٢٦) (ممارسة الرسائل (٢٧) . وممارسة القصائد (٢٧) .

الباب الرابع

من الفن الأول من القطب الأول

٢٨ - ٣٢

في الحقيقة والمجاز

معنى الحقيقة (٢٨) . معنى المجاز (٢٨) . أقسام مجاز (٢٨) . كمال مجاز له حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز (٣٠) . يُستدل عن الحقيقة إلى المجاز بأمان ثلاثة : الانساع والتشبيه والتوكيد (٣٠) . المجاز إذا كثرت لحن بالحقيقة (٣١) .

الفن الثاني في القطب الأول

في الالفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم وهو ثلاثة أبواب

الباب الأول

٣٣ - ٦٨

القسم الأول : في الالفاظ المفردة

أوصاف اللفظة المفردة التي تتميز بها بميزة الحسن والجودة وهي سبعة أنواع (٣٣) .
النوع الأول : يُعاهد بخارج الحروف (٣٤) . ذكر الاسوات والحروف (٣٥) . خروج الصوت (٣٥) . تشبيه الحلق والقوم بالزمار (٣٥) . ترتيب الحروف على نسق الخارج (٣٦) .
الحروف الستة المستحسنة (٣٧) . الحروف الثمانية غير المستحسنة (٣٧) . بخارج الحروف (٣٧) . تعريف ابن سنان للحروف (٣٨) . اعتراض ابن الاثير عليه (٣٨) .

النوع الثاني : وهو أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوهرة (٤١) . معنى الوحشي (٤٩) . حديث طلحة بن أبي زهير (٤٢) . جواب الرسول له (٤٤) . كتاب الرسول إلى بني تميم (٤٥) . تعليق ابن الأثير عليه (٤٥) . الحفري يلام على استعمال الوحشي (٤٦) الإنكار على النافر في استعمال الوحشي من الكلام أكثر من الإنكار على الناظم (٤٨) .

النوع الثالث : وهو أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة (٤٩) . ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع في أصل اللغة فغيرته العامة (٤٩) . ما بكره ذكره (٤٩) . مما اجتذبه العامة (٥١) .

النوع الرابع : وهو أن لا تكون الكلمة قد أُعْتِمِرَ بها عن معنى يكره ذكره (٥٢) . النوع الخامس : وهو أن تكون الكلمة مُصَغَرَةً في موضع يُعْتِمِرُ بها عن شيء خفي أو لطيف أو ضعيف (٥٤) . معاني التصغير (٥٤) . أبنية التصغير (٥٥) .

النوع السادس : وهو أن تكون الكلمة مزلفة من أقل الأوزان تركيباً (٥٧) . سبب ذلك (٥٧) .

النوع السابع : وهو أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة (٥٩) . ابتكار له (٥٩) .

القسم الثاني من الباب الأول

٦٧ - ٦٤

في صناعة تركيب الألفاظ

حسن التأليف (٦٥) . القرآن يفوق جميع الكلام (٦٦) .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الأول

٦٨ - ٧٢

في الكلام على المعاني

ما يتقدمه صاحب الصناعة (٦٨) . ما يحتدبه على مثال تقديم (٦٨) . المعنى هو الذي

يستخرج بالفكرة دون اللفظ (٦٨) . شرف الذي ودلوه وسقومه واستفاله من شائع علم

الهمة وسقطها (٦٩) .

الباب الثالث

من الفن الثاني من القطب الأول

٧٣ - ٧٥

في تفضيل الكلام النثور على المنظوم

القرآن الكريم ورد ثراً (٧٣) . العرب كانوا أفصح الناس (٧٣) . جميع العرب كانوا يقولون النظم (٧٣) . النثر يتوب مناب النظم . ولا ينوب النظم مناب النثر (٧٥) . النثر لا ينال إلا بعد تحصيل آلائه (٧٥) . النثر تلو درجته حتى ينال الوزيرة وأما الشاعر فلا تلو درجته من رتبة المستعلمين (٧٥) .

(القطب الثاني)

في الأشياء الخاسرة وهو بيان

٧٦ - ٨١

..... الفن الأول في الفصاحة والبلاغة

موضوع هذا الباب (٧٦) . الفصاحة (٧٧) . البلاغة (٧٨) .

« الفن الثاني من القطب الأول »

..... في ذكر أصناف علم البيان وانقساماتها وهو بيان

« الباب الأول »

--- في الصناعة المنوية ---

النوع الأول : في الاستعارة :

معنى الاستعارة (٨٢) . الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما (٨٣) . الاستعارة تنقسم قسمين : (٨٤) . الاستعارة البعيدة (٨٩) .

٩٠ - ٩٨

النوع الثاني : التشبيه

حد التشبيه (٩٠) . قائمة التشبيه (٩٠) تشبيه المفرد بالمفرد (٩٢) . تشبيه المركب بالمركب (٩٢) . تشبيه المفرد بالمركب (٩٦) .

٩٨ - ١٢٢

النوع الثالث : في شجاعة العربية

وهو ستة أقسام :

القسم الأول : في الالتفات (٩٨ - ٩٨)

معنى الالتفات (٩٨) . الرجوع من الخطاب إلى الفية (١٠٠) الرجوع من الفعل

المستقبل إلى فعل الأخر (١٠١) . الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع (١٠١) .

القسم الثاني : في الاختيار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي ١٠٥-١٠٥

القسم الثالث : في تمكس الظاهر :

تفرّد ابن الأثير بذكره (١٠٥) .

القسم الرابع : في الحمل على المعنى :

دقة هذا النوع من التأليف (١٠٦) وروده في القرآن وفي فصيح الكلام (١٠٦) . تأييد

للمذكر (١٠٦) عند كبر الوقت (١٠٧) . حمل الواحد على الجماعة (١٠٧) . حمل الجماعة

على الواحد (١٠٨) .

القسم الخامس : في التقديم والتأخير ١١٨-١١٨

ما كان التقديم هو الأول به (١٠٩) . تقديم للفعل على الفعل (١٠٩) . تقديم خير

للبدأ (١٠٩) تقديم الظرف في الإنبات (١١٠) . تأخير الظرف وتقدمه في النحو (١١١)

تقديم الحال (١١٢) . تقديم ما الأول به التأخير (١١٢) باب الاستفهام (١١٤) .

القسم السادس : في الاعتراض : ١٢٢-١٢٢

ما يأتي في الكلام لفائدة (١١٨) . ما يأتي في الكلام لغير فائدة (١٢٠) .

النوع الرابع : في الأيجاز : ١٢٢-١٢٢

القسم الأول : الأيجاز بالحذف : وهو أربعة عشر باباً

الضرب الأول : الاكتفاء بالسبب عن السبب (١٢٤) .

الضرب الثاني : الإضمار على شريطة التفسير : (١٢٥) .

الضرب الثالث : حذف الفعل وجوابه : (١٢٧) . إقامة للسند مقام الفعل (١٢٨)

حذف جواب الفعل (١٣٩) .

الضرب الخامس : حذف الضائف والضاف اليه وإقامة كل منهما مقام الآخر : (١٣٠) .

الضرب السادس : حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر : (١٣١) .

الضرب السابع : حذف الشرط وجوابه (١٣٣) .

الضرب الثامن : في حذف التسم وجوابه : (١٣٤) .

الضرب التاسع : في حذف (لو) وجوابها : (١٣٥) .

الضرب العاشر : حذف جواب (لَأَ) وجواب (أَمَا) وجواب (إِنَّا) (١٣٦) .

الضرب الحادي عشر : في حذف (لا) من الكلام - (١٣٧) .

الضرب الثاني عشر : في الاستئناف : (١٣٧) . إعادة الأسماء والصفات (١٣٧) .

الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات (١٣٨) .

الضرب الثالث عشر : في حذف الواو وإبائها - (١٣٩) .

الضرب الرابع عشر : في الحذف الذي يوجب الإحلال في الكلام (١٤١) .

١٤٦ - ١٤٧

القسم الثاني : الإيجاز من غير حذف

الضرب الأول : ما يساوي لفظه معناه : ويسمى التندير . (١٤٢) .

الضرب الثاني : فيما زاد معناه على لفظه وهو الإيجاز بالتصريح (١٤٣) كقوله في القرآن

(١٤٣) . باب أفضل (١٤٥) .

النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني

١٤٦ - ١٤٧

في الإطناب

النوع هذا النوع (١٤٦) . قول أبي هلال العسكري فيه (١٤٧) . ردة أين الأخير

عليه (١٤٨) معنى الإطناب (١٥١) .

النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

١٥٦ - ١٥٧

في تركيز الضمير للتصل بالمتفصل

فوائد قوله تعالى : انك أنت الأهل (١٥٢) .

١٥٦ - ١٦٩

النوع السابع : في الكتابة والتعريض

خطا القدماء بين الكتابة والتعريض (١٥٦) . تعريف الكتابة (١٥٦) . تعريف

التعريض (١٥٧) .

الضرب الأول من الكتابة (الذي يحسن استعماله) (١٥٧) . وهو أربعة أقسام :

القسم الأول : التثنية (١٥٧) . القسم الثاني : في الأرداف (١٦٠) . والأرداف

خسة فروع :

الفرع الأول : فعل البادعة (١٦٠) . الفرع الثاني : وهو باب تمثيل (١٦١) .

الفرع الثالث من الأرداف : وهو ما يأتي في جواب الشرط (١٦٢) . الفرع الرابع من

الأرداف وهو الاستثناء من غير موجب (١٦٢) . الفرع الخامس من الأرداف : (١٦٣) .

القسم الثالث من الكتابة : وهو المجاورة (١٦٤) . القسم الرابع من الكتابة : ما ليس

بتمثيل ولا إرداف ولا مجاورة (١٦٥) .

التعريض : وجوازه في خطبة النساء (١٦٦) . من يدعي التعريض (١٦٧) من

مشكلات التعريض (١٦٧) . من أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة (١٦٩) .

النوع الثامن من الباب الأول من الفن الثاني :

١٦٩ - ١٧٢ في استعمال العلم في النفي والخاص في الإثبات

النوع التاسع : من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٢ - ١٧٥ في التفسير بعد الأبهام

الابتداء بذكر الضمير (١٧٣) . الأبهام من غير تفسير (١٧٤) . الاستثناء العنودي (١٧٤)

النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٥ - ١٧٦ في التعقيب للسدري

النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٦ - ١٧٩ في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو

تقديم السبب على السبب (١٧٦) . تقديم الأكثر على الأقل (١٧٧) .

النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٩ — ١٨١

في عطف الظهور على ضميره والأفصح به بعده

قائده (١٧٩) . ما يقصد به الهم (١٨٠) .

النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٨١ — ١٨٧

في التخلص والاقتراب

معنى التخلص (١٨١) معنى الاقتراب (١٨٦) .

النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٨٧ — ١٩٣

في الياء والافتتاحات :

فوائد هذا الباب (١٨٧) . إسحق بن إبراهيم ونصر العتصم (١٨٨) . الإبداعات في

القرآن (١٩١) الإبداء المسكرة (١٩١) . الإبداء البديع البارع (١٩١) .

النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٣ — ١٩٣

في قوة اللفظ وقوة المعنى

o فاعل o و o فعيل o وأبها أبلغ (١٩٣) .

النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٧ — ١٩٨

في خذلان المخاطب

النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٨ — ٢٠١

في الاشتقاق

تقسيل بعضهم الاشتقاق على التجنيس (١٩٨) . الاشتقاق الصغير (١٩٩) — الاشتقاق

الكبير (٢٠٠) .

النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٠١ — ٢٠٣

في الحروف العاطفة والجارّة

النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

٢١٩-٢٠٤

في التكرير

ما يوجد في اللفظ والمعنى (المبيد) (٢٠٤) . الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى
(غير المبيد) (٢٠٧) . التكرير الذي يوجد في المعنى دون اللفظ (٢٠٩) . الضرب الأول
(المبيد) (٢٠٩) . الضرب الثاني (غير المبيد) (٢١٠) .

النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٤-٢١٩

في تناسب المعاني : وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : الطابقة : وهي القابلة (٢١٩) . تسمية « قدامة » له بالجدوس (٢٢١) .
مقابلة الشيء بنفسه (٢١٢) . مقابلة الشيء بغيره (٢١٣) . وهو ضربان :
الضرب الأول : ما كان بين للتقابل والتقابل له متناسبة وتقابل (٢١٣) .
الضرب الثاني : أن يقابل الشيء بما بينه وبينه بعد (٢١٣) .
الضرب الثاني من النوع العشرين : في صفة التقسيم ونسبته (٢١٨) .
الضرب الثالث من النوع العشرين : في التقدير وما يصح من ذلك بنفسه (٢٢١) .
النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٥-٢٢٤

في الخطاب بإجالة الفعلية والخطاب بإجالة الاسمية

النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٥ -

في ورود (لام التأكيدي) في الكلام

النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٦-٢٣٠

في الاقتصاد والأفراط والتفريط

التفريط (٢٢٦) . الإفراط (٢٢٨) . الاقتصاد (٢٢٩) .

النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٣٠-٢٢٦

في العاطلة

قول « قدامة » فيه (٢٣٠) . مخالفة علماء البيان قدامة (٢٣٦) . العاطلة وإبها التضمير والتأخير (٢٣٦) .

النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٥ - ٢٣٥ في التضمين
تضمين الأستاذ (٢٣٢) .

النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٨ - ٢٣٥ في الاستدراج

النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٨ - ٢٤١ في الإرساء

النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٤٦ - في التوشيح

النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٤٢ - ٢٥٠ في الأخذ والسرقة

النسخ (٢٤٣) . السليخ (٢٤٣) . السليخ (٢٤٨) .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القالب الثاني

« في الصناعة المنطقية »

النوع الأول من الباب الثاني

٢٥١ - ٢٥٥ في السجع والازدواج

ضم جملة للسجع (٢٥١) . رد ابن الأثير عليهم (٢٥١) . أقسام السجع (٢٥٣) .

النوع الثاني من الباب الثاني

٢٥٦ - ٢٦٣ في التجنيس

تسميته بذلك (٢٥٩) . وهو سبعة أقسام :

القسم الأول من النوع الثاني من التجنيس (٢٥٩) وهو التجنيس اللطني .

القسم الثاني من النوع الثاني من التجنيس (٢٥٩) . وهو أن تكون الألفاظ متساوية التركيب مختلفة الوزن .

القسم الثالث من النوع الثاني من التجنيس (٢٦٠) أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة من التركيب .

القسم الرابع من النوع الثاني من التجنيس (٢٦١) أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد .

القسم الخامس من النوع الثاني من التجنيس (٢٦١) .

وهو المعكوس : وهو ضربان : الأول : عكس الألفاظ (٢٦١) . والضرب الثاني : عكس الحروف (٢٦٢) .

القسم السادس من النوع الثاني من التجنيس : وهو المنجسب (٢٦٣) .

القسم السابع من النوع الثاني من التجنيس : وهو ما تساوي وزنه وتركيبه (٢٦٣) .

النوع الثالث من الباب الثاني :

٢٦٣ - ٢٦٥

في التوسيع

أوله (٢٦٣) . أقسامه : القسم الأول : وهو أن تكون ألفاظ الفصل الأول مساوية

لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية (٢٦٤) . القسم الثاني : ما كان أحد الألفاظ الفصل الأول

خالفاً لآخره من الفصل الثاني (٢٦٥) .

النوع الرابع من الباب الثاني

٢٦٥ - ٢٦٧

في لزوم ما لا يلزم

جمع أبي العلاء كتاباً في ذلك (٢٦٥) . حقيقة هذا النوع (٢٦٦) .

٢٦٧

النوع الخامس من الباب الثاني :

في الموازنة

٢٧٠ - ٢٧٦

النوع السادس من الباب الثاني :

في اختلاف صيغ الألفاظ

٢٧٦ -

فهرست الأعلام

ابن جني - ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٩ و ٩٨ و ٢٠٨	حرف الألف
ابن الجوزي - ١٢٨	أبراهيم (السورة) ٥٧ و ١٠٨ و ١١٤
ابن الحاجب - ٩	و ١٣٦ و ١٦٧ و ١٧٣ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٧
ابن حاجب - ١١	أبراهيم النعمه - ١٨٥
ابن خريم بن عمرو - ١٢٧	أبراهيم بن الدبر - ٩٧
ابن خلصكان - ١٨٢	أبروز - ٢٤
ابن المنيعة - ١٥٩	ابن بويه - ٢٩
ابن رشيق - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨	ابن الأثير - ٤٤ و ٥٨ و ٩٨ و ١٥٣
ابن الرومي - ٤٧	و ١٦٥ و ١٦٨
ابن ربيعة الطائي - ٢٠٠	ابن أبي الحديد اللدائي - ١٤ و ١٥ و ٣٩
ابن الزمكدم - ١٨٥	و ٤٠ و ١٧٠
ابن العمراج - ٢٩	ابن أبي طالب (علي) - ٤٥
ابن سعد - ٢٤	ابن الأصبغ (عهرا م) - ٤٣
ابن سنان الخياصبي - ٣ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٤	ابن أبي عينية (عبد الله بن محمد الهليلي) -
و ٣٨ و ٣٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨	١١٦
و ٧٩ و ٨٢ و ١٥٦ و ١٥٧	ابن رهران - ١٩٦
ابن سينا - ٣٥	ابن بري - ٤٨
ابن شاذكر الكندي - ٣	ابن قنبري بردي - ١٨٩
	ابن جعفر - ١٦٠

أبو البقاء، الفكري - ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ١٦٦
أبو بكر الاصفراري - ٢
أبو تمام - ٢ و ٦٧ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥
و ١٦٨ و ١٨٧ و ١٩٠
أبو جابر - ١٨٥
أبو جعفر المدني - ١١
أبو الحارث (غيلان بن عقبة) - ٩٧
أبو الحسن (أبو القاسم) - ٤٦
أبو الحسن الأنخفي - ٢٩ و ٣٧ و ١٣٠
أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله
الرمالي - ٢
أبو الحسن الوراق - ٢
أبو الحسن علي بن الجهم - ١٨٢
أبو حيان التوميني - ٢٧
أبو دلف القاسم بن عيسى - ١٤٢
أبو دؤاد - ١٤١
أبو دؤاد الأدي - ١٤١
أبو زهير (حنيفة) - ٤٢
أبو زيد الأنصاري - ٨٩
أبو سعيد التنفري - ٨٩
أبو الطيب (الثنبي) - ١٩ و ٤٩ و ٥١
و ٥٨ و ٩٤ و ١٦٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩
أبو العباس البرد - ٣٩
أبو عامر - ٩٦
أبو العباس - ٢٢

أبن سميع الرندي - ١٦٨
أبن طباطبا - ٨٧
أبن الطائفة - ٧٠
أبن عباد - ٢٠٩
أبن عبد الحق - ١٦٧
أبن عدلان - ٢٠٨
أبن عصفور - ٤٨
أبن فارس - ١١ و ٢٦ و ١٦١ و ١٧٢
أبن قتيبة - ١٤٧ و ١٤٩ و ١٤٢
أبن القوطية - ١٩٥
أبن كثير - ٢٢
أبن كمال - ٢٦
أبن مسعود - ٣٦
أبن مطعون (صان) - ١٦٧
أبن المقر - ٢٢ و ٩٤ و ١٤٣ و ١٨٩
١٩٠
أبن نباتة - ١٨٢
أبن النديم الواسلي - ٢٩ و ١٨٦ و ١٩٠
أبن هسان، القرني - ٤٦ و ٥٢ و ١٢٠
و ٣١٠
أبن هاني، المسكني (أبو نواس) - ٤٦
أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرود
الصابي - ١٨ و ٥٣
أبو أيوب (أحمد بن عمران) - ١٦٦
أبو أيوب الموداني - ١٦٩

- أبو عبدالله محمد بن الحسن الفعيجي - ١٣
أبو مبيدة - ٤٤
أبو عثمان - ١٠
أبو عثمان اللادي - ١٠
أبو عثمان الجاحظ = الجاحظ
أبو العلاء - ١٨٢
أبو العلاء محمد بن غانم اللخروي والثاني - ٢
أبو علي الفارسي - ٢٩ و ٤٨
أبو جعفر بن علي الأندلسي - ٤٦
أبو العيثيل - ١٩٠
أبو الفتح بن جني = ابن جني
أبو الفرج (قدامة بن جعفر) - ٢١١
أبو الفرج الشيباني - ٥٢
أبو الفضل (عمرو بن مسعدة بن سعد بن
سول) - ١٦٩
أبو القاسم الأمدي - ٢ و ٤ و ٤٦ و ٤٧ و ٧٨
أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب - ٢٢
أبو الحسن مسعود بن محمد بن غانم - ١
أبو محمد بن سنان الخفاجي = ابن سنان
أبو محمد (إسحاق بن إبراهيم بن ماهان)
- ١٨٦
أبو منصور الجواليقي - ٥١ و ٥٠
أبو منصور الثعالبي - ٢٠٨
أبو نوح - ٤٦ و ١٥٩ و ١٨٨ و ١٩٠
أبو نهشل (حميد) - ١٩٢
- أبو هلال العسكري - ٢ و ٢٧ و ٨٢ و ١٥٥
و ٢٠٠
أبو الهيثم (بن حمارة بن ضريم) - ١٢٧
أبو الوليد (معن بن زائدة) - ٩٥
أبو يحيى عبد الرحيم - ١٩
أبو يعقوب إسحاق بن حسان - ١٢٧
أبي بن كعب - ٣٦ و ٢٨
أحمد - ٩٩
أحمد بن طاهر - ١٨٦ و ١٨٩
أحمد بن عمران - ١٦٦
أحمد بن اللدبر - ٩٧
أحمد بن هشام - ١٨٦
أحمد مصطفى الرازي - ٦٦
الأخطل - ١٩٠
الأحقش - ٢٩
الأرجاني - ١٨٦
الأزدي - ٩٥
الأزهري - ١٠٦
إسحاق - ١٨٦ و ١٨٧
إسحاق بن إبراهيم التوماني - ١٨٦ و ١٨٩
و ١٩٠
أسد - ١١٣
الأسدي (الحسين بن مطير) - ٩٥
إسماعيل - ١٩ و ٥٧ و ١٧٣ و ١٨٧
أشجع بن عمرو - ١٨٩

- الأصمعي - ١٠ و ١٣ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٩٥
- الأصحح - ١١
- أم جنيد - ١٤١
- الأمدي - ٣٤ و ١٦٩
- أم زرع - ٦٤
- اميرؤ القيس - ١٧ و ٨٧ و ٨٧ و ١٠٦
- و ١١٥ و ١١٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٥٦ و ١٥٧
- الامين - ٩٢ و ١٨٦ و ١٩٠
- الأندلسي (محمد بن هاني) - ٤٩
- أوس بن حجر - ١٠٦
- حرف الباء
- البايني (الجلي) - ٤٢ و ١٦٩
- البحسري - ٩٧ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٩٠
- و ١٩٩ و ٢١٣
- الباخرزي - ٢٠
- البرقيميدي - ١٨٥ و ١٨٦
- البرقي - ١٦٧
- البرانكة - ١٨٩
- البنفادي - ساعد بن الحسن - ٩٦
- بكر بن محمد البصري - ١١٠
- بكر بن التناطح - ٩٢
- بنت حكيم (خلوة) - ١٦٧
- بنو إسرائيل - ١١٩ و ١٣٤
- بنو نعيم - ١٨٠
- بنو العباس - ٩٥
- بنو ثعلبة بن سعد بن ثبابة - ١٥
- بنو الحارث بن كعب - ١٦٨
- بنو محارب بن حصفة - ١٤١
- بنو معقل - ١٨٥
- بنو سعد - ٤٥
- بنو نهد - ٤٥
- بنو النجار - ١٢٨
- حرف التاء
- تأبط شراً - ٥٤ و ١٣٠
- التبريزي - ٥٤ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥ و ١٢٧
- و ١٦٨ و ٢٠٠
- تميم - ١٤١
- حرف الثاء
- ثمود - ٢٠٦
- ثعلب - ٢٧ و ٢٩
- الثعالي - ٢٠٩
- حرف الجيم
- الجاحظ - ٢ و ٣٤ و ٨٢ و ١٦٦
- جارية بن الحجاج - ١٤١
- الجراني (عبد القاهر) - ٦٤ و ٧٠ و ٣٣
- جرير بن عطية - ٩٩
- الجزري - ٣٦
- جعفر - ٤٦
- جعفر بن سليمان الهاشمي - ٩٠

- جعفر بن علي الأندلسي - ٤٦
 الجبشيارى - ١٦٩
 الجوهري - ١ و ١٠ و ١١ و ٢٦ و ٤٧
 و ٦٢ و ٩٢ و ١٠٨ و ١٩٤
 حرف الحاء
 حاتم - ١٢٩
 الحارثي - ١٦٨
 حبيب التجار - ١٠٢
 حجاجي - ٤٣
 الحريري - ٤٨
 حسام الدين - ٢٠٨
 الحسن بن بشر الآمدي - ٨٧
 الحسن بن سهل - ١٤٢
 الحسن بن عبد الله العسكري - ٢٠
 حسن السندوي - ١٣٧
 الحسين بن إسحاق التتوني - ٤٩ و ٥٠
 الحسين بن مطير الأسدي - ٩٥
 الحلبي - ٥٠ و ٥٣ و ١٦٦
 هيد بن عبد الحميد الطوسي - ١٤٢
 حميد أبو نهبش - ٩٢
 حنظلة بن الشرقى - ١٤١
 الحيان - ٢٠٠
 حرف الخاء
 خالد - ١١٣ و ١١٦ و ١٢٩ و ١٦٩
 خالد بن عبد الله القسري - ١١٣
 خالد بن الوليد - ١١٣
 خالد بن يزيد بن مزينة القيرواني - ١١٦
 الخريزي - ١٢٧ و ١٧٩
 الخضر بن أحمد التلملي - ١٢٩
 الخطيب - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩
 الخطيب البغدادي - ١٤٣
 الخطيب البغريزي = البغريزي
 الخطيب القزويني - ٦٩
 الخفاجي - ٣
 الخليل بن أحمد - ١١ و ٢٨ و ٣٩
 خولة بنت حكيم - ١٦٧
 حرف الهاء
 داود - ١٢٨
 حرف الهاء
 ذو الرمة - ١ و ٩٧ و ١٠٧ و ١٨٨ و ٢١٤
 ذو السكفل - ١٨٧
 حرف الزاء
 زرق الله سركيسي - ٢١٣
 الرشيد - ١٣٣ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩
 الرضي - ٥٣ و ٥٦ و ١٦٩
 الرضي الأسترلابادي - ١١
 رقيي - ١٤٠

الزماني أبو الحسن علي - ٢

وفا - ٦٧

حرف الزاي

الزجاج ٢٩ و ١٩٥

الزركلي - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦ و ١٢٨

الزحشري - ٢٤ و ٦٥ و ٨٩ و ١٤٠ و ١٥٣

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٧

الزركشم - ١٨٥

زهير - ١٢٠

حرف السين

الأساسي - ١٢٧ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٨٩

سعاد - ١٩٠

سعد - ٧١

سعيد بن إلياس بن هاني - ١٩٠

السلمي - ١٨٩

سلمي - ٩٧

سليمان - ١٦٦

سليمان بن قهد الوصلي - ١٨٥

سليمان بن عبد الملك - ١٦٥

السمطاني - ٢

سويد بن صديق - ١٦٨

سيبويه - ٢٨ و ٢٩ و ٣٧ و ١٣١

سيف الدولة - ٢٩

سيف الدولة بن حمدان ٥١ و ٩٤

السيوطي - ٢٨ و ١٠

حرف الشين

الشافعي - ١٩

الشريف الرضي ٣٢ و ٥٣ و ٥٤ و ١٦٦

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

شكيب أرسلان - ٨٨

الشميفز الطارني - ١٦٨

شهاب الدين محمود الآكوشي - ٤٨

حرف الصاد

الصابي ١٨ و ١٩ و ٢١١

الصاحب - ٢٠٨

صاعد بن الحسن البغدادي - ٦٩

الصفدي - ١٤٣

الصمة بن عبد الله بن طفيل - ٦٦

حرف الطاء

الطائع - ١٨

طرفة بن العبد البكري - ١٧

طه - ٦٣ و ١٣٠ و ١٤٤ و ١٥٥

طرفة بن زهير ٤٢

حرف العين

عاد - ١٣٤ و ٢٠٦

العباس بن الأحنف - ١٣٣

عبد الرحيم بن نبال - ١٩

عبد العزيز بن مروان - ١٦٥

عبد القاهر الجرجاني - ٦٤ و ٧٦ و ٨٣

علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين
 العلوي - ١١٧
 علقمة - ١٤١
 علقمة بن عبدة - ١٤١
 علي بن أبي طالب - ٤٥ و ١٠٥
 عمارة بن عتيل بن بلال بن جرير - ١١٦
 عمر بن أبي ربيعة - ١٠٨
 عمر بن عبد العزيز - ١٦٧
 عمرو بن عثمان - ٦٨
 عمران - ٥٧ و ١٣٦
 عمرو بن مسعدة - ١٦٩
 هنترة - ١٦٤
 عيسى الباني - ٢٤ و ١٥٤
 حرف العين
 الثاني - ٨٢ و ١٥٦ و ١٨٢
 عدلان بن عقبة (أبو الحارث) - ٩٧
 حرف الفاء
 الفارسي - ٢٩
 نظري - ٢٢
 قردون - ١٣٤ و ١٤٤ و ١٧٣ و ٢٠٦
 الفرزدق - ١١٣ و ١١٤ و ١٩٩
 قريش كركنو - ١٩٠
 الفضل بن يحيى - ١٨٨
 قوز - ١٩٠
 الفيدي - ١١ و ١٠٦

عبد الله ٢٢
 عبد الله بن خليد - ١٩٠
 عبد الله بن طاهر - ١٢٠
 عبد الله بن مسعود - ٣٦ و ٥٥ و ١٢٨
 عبد الحميد اللات - ١٣٣
 عبد الله بن طاهر الخزازي - ١٩٠
 عبد الوهاب مزام - ٩٤
 عبد الله بن سليمان - ٢٢
 عثمان بن جني = ابن جني
 عثمان بن مضمون - ١٦٧
 عمار بن الأصبح - ٤٣
 عروة بن الورد - ٧٨
 مرة - ٧٠ و ١٦٤
 عز الدين بن أبي الحديد = ابن أبي الحديد
 عز الدين بن الأثير - ٢
 عز الدولة - ١٨
 سعد الدولة - ٢٩
 سيف الدين علي بن عدلان = ابن عدلان
 عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى - ٧٠
 العكبري = أبو البقاء العكبري
 علي الأرمي - ١٢٤
 علي بن حيلة - ١٤٢
 علي بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة
 ٩٤
 علي بن الجهم - ١٨٢

حرف القاف

- قسامة بن جعفر - ٢ و ٢٠ و ٣٤ و ٨٢
- و ٨٧ و ١٦٠ و ٢١١ و ٢١٢
- قدور - ١٩٠
- قرواش - ١٨٥
- قرواش بن القناد (امير بني عقيل) - ١٨٥
- القزويني (الطبيب) - ٦٩
- قس بن ساعدة - ٧٣

حرف الكاف

- كثير عزة - ٧٠ و ١٢٠ و ١٦٤
- الكسائي - ٢٨
- كستانف - ١٧٧
- كسرى - ٢٤

حرف اللام

- ليبد - ٢٧ و ١٤١
- لقان - ١١٩
- لوط - ٢٠٦

حرف الميم

- المأمون - ١٤٢ و ١٦٩ و ١٨٦
- المبارك (ابن الأثير) - ٤٣
- المبرد - ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٧ و ١١٦
- المتقي (أبو الطيب) - ٥٠ و ٥١ و ٥٨
- و ٩٤
- الموكل (على الله العياض) - ٢١٣

محمد بن عبد الله الخبزي - ٢٢

- محمد بن يزيد الأزدي (المبرد) - ٢٢
- محمد (رسول الله ص) - ٢٤ و ٤٥
- محمد عبيد المدين عبد الحميد - ١٣
- محمد بن هاني - ٤٦
- محمد بن الطيمم - ٦٧
- محمد علي صبيح - ٨٥
- محمد عبده عزام - ٨٥

محمد شكري الآلوسي - ٤٨ و ١٤١

- المروزي - ٣٣
- مصرم (سورة) - ٧٥ و ١٢٦ و ١٥٤
- المرزاني - ١٤٦ و ١٦٩ و ١٨٨
- مرفليوث - ١٦٩

مسلم - ٢٠٨

مسعدة - ١٦٩

مصطفى البساطي (الجبلي) - ٤٩ و ١٣٠

و ١٦٧

مصطفى جواد (المكتوب) - ١٨

الطيح - ١٨

معاوية - ٢٤

المعتمد (الطائفة العباسي) - ١٨٦ و ١٨٨

و ١٨٩ و ١٩٠

المعتمد - ٢٢

معن بن زائدة - ٩٥

حرف الهاء

الحادي - ١٨٦
 هارون الرشيد - ٩٢ و ١٠١ و ١٢٨ و ١٢٩
 هاملن - ١٧٣
 هود (السورة) - ٢٨ و ١٠٩ و ١٠٥
 و ١٣٦ و ١٣٩

حرف الواو

وائل بن حجر - ٢٤
 وائل بن حجر بن ربيعة - ٢٤
 الواحدي - ٢٠٨ و ٢٠٩
 الوليد بن المغيرة القرظي - ١٤٤
 حرف الياء

ياسين - ١٣٧ و ١٣٨

ياقوت - ١٨ و ٢٩

ياقوت الطوسي - ٢٢ و ٨٧ و ٩٦ و ١٣٢
 و ١٨٥ و ١٨٨

يحيى البرمكي - ٢٨

يحيى بن خالد بن برمك - ١٨٩

يحيى - ١٨٧

يعقوب - ١٨٧

يوسف - ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٧ و ١٧٠

يونس - ٩٣ و ١١٥ و ١٧٤

الغريبي (ابن هانئ) - ٤٦

الغيث بن علي المجلي - ٢٠٤

الفضل بن محمد - ١٥

الفضل الشيب (أبو عبد الرحمن) - ١٥

التصور (محمد بن أبي نصر) - ٨٦

التصور - ٤٧ و ٩٥ و ١٦٩

الورداني (أبو أيوب) - ١٦٩

موسى - ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٥ و ١٢٥

و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٤٣ و ١٥٥ و ١٥٩

و ١٧٣

موهوب بن أحمد ابن الجواليقي -

٥١

حرف النون

النايفة - ١٢٠

نافع بن أبي نعيم - ١٠

نافع - ١٩

نصر الله بن الأثير - ٣٩

نصيب بن رباح - ١٦٥

نظام الملك - ٢

نعمان - ٢

نعمان (الأعظمي) - ١٣٣

نوح - ١٧١ و ١٧٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦

فهرست المدن والأماكن

حرف الألف	حرف التاء
الأبنة - ١٣٢	تهامة - ٤٢
أبو الخصيب - ١٣٢	حرف الخاء
الأستانة - ١٥ ، ٤٧ ، ٤٨	حلب - ٢٩
إسطنبول - ١٥ ، ٤٧ ، ٤٨	حنين - ١٦٧ و ١٦٨ و
إشبيلية - ٤٦	حرف الغاء
أفريقية - ٤٦	خراسان - ٩٥ و ١٩٣ و ١٣٣ و ١٣٤
أنطس - ٩٦	و ١٨٩
الأهواز - ٨٢	حرف الفال
أوريا - ٢٢ و ١٤٢ و ١٦٧	دمشق - ٥١ و ١٨٢
حرف الياء	حرف الزاء
باريس - ١٨ و ١٩	الرقعة - ١٨٩
باشري - ١٨٥	الري - ١٩٠
البصرة - ٢٢ و ٢٨ و ٨٧ و ١٣٢ و ١٨٩	حرف الراء
بنداد - ٢٩ و ٤٧ و ٥٠ و ٥١ و ٨٢ و ٩٦	الزاب - ٤٦
و ١٦٧ و ١٨٩ و ١٨٩	زروب - ١٩٠
بلخ - ١٣٢	حرف السين
بيروت - ٤٦	ساحرا = سر من رأي
البيضاء - ٢٨	سبأ - ٢١٤

مجلستان — ٩٥

سر من رأى — ١٨٩

سليمن — ١٩٩

سلوفاة — ٥٢

حرف السين

الشم — ٩٨ و ٣٧

شيراز — ٢٨

حرف الطاء

الطائف — ١٦٧

طهران — ٣٥

حرف البين

العراق — ٥١ و ٥٢ و ٣٧

العقيق — ١٩٠

حرف النين

قوطة دمشق — ١٣٢

النوير — ١٩٠

حرف القاء

قارس — ٢٨ و ٢٩ و ١٥٠

حرف القاف

القاهرة — ١٨ و ٤٢ و ٩٨ و ١٣٠ و ١٣٧

و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٥٦ و ١٦٥ و ١٦٨

القسطنطينية — ١٥ ، ٤٧ ، ٤٢٠

حرف الطاء

كالكمة — ٩٧ و ١٩٩

الكوفة — ٢٤

حرف اللام

لندن — ١٩٠

لين — ١٢٧ و ١٤١

حرف اليم

الديانة — ٦٣

مصر — ٢٢ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٣

و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٦ و ٥١ و ٥٢

و ٦٧ و ٩٢ و ٩٤ و ١٠١ و ١١٤ و ١٤٠

و ١٤١ و ١٤٣ و ١٩٠ و ١٨٩ و ١٩٩

و ٢٠٨

منى — ٧٠ و ٧١

للموصل — ١٨٥

مياقرفين — ١٩

حرف النون

نجد — ١٤١

تصيين — ١٨٥

نيسابور — ٢٠

حرف الواو

وج — ١٦٧ و ١٦٨

وهران — ١٦٦

حرف الياء

الين — ٢٤ و ٥٠ و ٥٢

فهرست الكتب

- حرف الألف
- الآيات الساهرة - ١٩٠
- أخبار بغداد - ١٨٦
- أدب السكاتب - ٥١
- أساس البلاغة - ٢٦ و ٢٠٧
- أسباب حدوث الحروف - ٣٥
- أسد القابة - ٣٦
- أسرار البلاغة - ٧٠ و ٧٦
- أسماء بقايا الأشياء - ٨٢
- الاصابة - ٢٤ و ٣٦ و ٤٢
- إحجاز القرآن - ٢
- إعجاب القرآن - ٢٢
- الأعلام - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦
- الأغاني - ٢٢ و ٩٠٣ و ٩٢٧ و ٩٦٥ و ٩٦٦
- و ١٨٢ و ١٨٦ و ١٨٩ و ١٩٠
- الامتاع واللواصة - ٢٧
- الأمثال - ١٥
- الأنساب - ٢
- الأنواء - ٢٩ و ٣٧
- الأوائل - ٨٢
- الإيضاح - ٢٩ و ٦٩ و ١٠٦
- حرف الباء
- البداية والنهاية - ٢٢
- بنية الرماة - ٢ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٧ و ٥١ و ٨٢ و ٨٧
- حرف التاء
- تاج العروس - ١٨٩
- التاجي في أخبار بني بويه - ١٨
- تاريخ بغداد - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩
- تأريخ الخطيب البغدادي - ١٤٣ و ١٨٢
- تأريخ الطبري - ٢٤ و ١٥٠
- تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر - ٢
- التبويه والجمع - ٢٩ و ٣٧
- التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ٨٢
- تحفظ أخبار الرسل - ١٩
- تذكرة السكاتب - ١٨٨
- تراجم الصحابة - ٣٦
- التشابه - ١٩٠
- التصريف - ١٠

الرد على ابن المعتز - ٢	تفسير كتاب سيويه - ٢٩
الرد على سيويه - ٢٢	تفضيل شعر امرئ القيس على شعر الجاهليين - ٢
الروضة - ٢٢	التنبيه على غلط الجاهل والنبية - ٢٦
حرف ازاى	حرف الجيع
الزخري - ٤٤	جمهرة الأمثال - ٢ و ٨٢
زهر الآداب - ١٨٢	جمهرة أشعار العرب - ٢١٤
حرف الدين	حرف الحاء
سر صناعة الأعراب - ٣٦ و ٣٧	الحامسة - ٦٦ و ٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٠
سر القضاة - ٣ و ٢٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨	حرف الخاء
٥٣ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٧	الخاص والشارك في معاني الشعر - ٨٧
حرف الشين	المراج وصناعة الكتابة - ٤
الشافية - ٩	الخصائص - ٥٩ و ٩٨
شرح الحامسة - ٢٣ و ٥٤ و ١٢٧	حرف الدال
شرح سيويه - ٢٩	درة القوامس - ٤٨
الشعر والشعراء - ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٨٩	دلائل الانحياز - ٩٤ و ٩٦ و ٩٧ و ٧٠
شرح الكافية - ١٤٠	٧٣ و ٧٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧
حرف الصاد	و ١٢٤ و ١٣٣ و ١٦٦
الصحاح - ١ و ١٠ و ١٩٤ و ٦٢	السبية - ٢
و ١٠٨ و ٢٠٣	ديوان أبي تمام - ٨٥ و ٨٨ و ٨٩
صناعة الجدل - ٢	ديوان امرئ القيس - ١١٦
الصناعتين - ٢ و ٤٧ و ١٤٧ و ٢٠٠ و ٨٢	ديوان الحامسة - ١٦١
حرف الضاد	ديوان التنبيه - ٥٠
الضرائر - ١٤١	ديوان الماني - ٢ و ٨٢
حرف الطاء	حرف الزاء
طبقات الجزري - ٣٦ و ٨٧	

طبقات الشعراء - ٩٢ و ١٤٩ و ١٤٣ و ١٨٩

حرف العين

عيون الأخبار - ٣٦٨

العمدة - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨

حرف القين

غاية النهاية - ٣٦

غاية النهاية في طبقات القراء - ١٣٦، ١٣٨

غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر - ٨٧

حرف الفاء

القاموس - ٢٤ و ٢٥ و ٤٢ و ٤٥ و ١٠٥

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني

الشعر - ٢

قده المقتة - ١٦١

الفتاوى المأثور على أئمة الصائرين - ١٤ و ١٥

و ٣٩ و ٤٠ و ١٧٠

الفرهست - ٢٩ و ١٩٠

فهرس دار الكتب المصرية - ٨٢

فوات الوفيات - ٢ و ٣ و ٢٢ و ٩٥

حرف الخاء

القاموس - ٣ و ٨ و ٢٦ و ٣٢ و ٤٣ و ٤٧

و ٤٨ و ٦٢ و ٨٥ و ١٦٢ و ٢٥٥

قاموس الأعلام - ١٢٨

القرآن الكريم - ٣

حرف الكاف

الكمال - ٩ و ٢٢ و ١١٦ و ١٦٥ و ١٦٦

كتاب سبويه - ٣٧ و ٤٧ و ١٣١

الكتيب الأثوري عن ابن العنقل - ١٩٠

الكشاف - ١٥٣ و ١٦٥

كشف الطرة - ٤٨

الكشف عن مساوي شعر النبي - ٢٠٨

حرف اللام

اللباب - ٢

لسان العرب - ٩٠ و ٢٦ و ٣٥ و ٣٦ و ٤٩

حرف الميم

ما في عيار الشعر من الخطأ - ٢

المثل المأثور في أدب الكاتب والشاعر - ٣

و ٣ و ٧ و ٢٨ و ٣٥ و ٤٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٧

و ٥٨ و ٦٦ و ٧٠ و ٧٩ و ٧٢ و ٨٩ و ٩٥

و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٣ و ١١٣ و ١٢٣ و ١١٤

و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١

و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٣٩

و ١٤٠ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٥

و ١٦٦ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٨٣ و ١٨٠

و ١٨١ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٠٤

الجزازات القرآنية - ٣١

الجزازات النبوية - ١٦٧ و ٢١٢

المجموع اللغوي - ١٩٠

- مختار الصحاح - ٦ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣
و ٤٣ و ٥٥ و ١١٠
مختصر الأنايب - ٢
مراصد الاعتلاج - ١٦٧
مصارع المشاقق - ١٣
المصباح الثمر - ١٦ و ١٨ و ١٠٦ و ١٧٦
و ١٩٥ و ١٩٦
معاني الحروف - ٢
معاني شعر البحري - ٨٧
معاني الشعر - ١٩٠
معاني القرآن - ١١
معجم البلدان - ١٣٢ و ١٨٥ و ١٨٨
للمعجم - ١٨٥
للمعجم في بقية الأشياء - ٢
معجم الأدباء - ٢ و ١٨ و ٢٢ و ٣٧ و ٨٢
و ٧٧ و ٩٦ و ١٦٩
معجم في المئة - ٨٢
معجم الشعراء - ١٦٩
الفصل - ١٤٠
الفضليات - ١٥
مقاييس المئة - ١٠ و ٢٦
المقاييس - ١٧٢
مناهل الآداب - ٢
- الذهب - ٣٩ و ٣٧
للوازنة بين البحري وأبي تمام - ٣ و ٣٧ و ٨٧
المؤلف - ١٦٨
المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء - ٨٧
الموشح - ١٢١ و ١٨٨
حرف التون
نقطة المنظوم - ٨٧
التجويد الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -
١٨٦
زهرة الأبياء - ٢٩
نسب عدنان وقحطان - ٢٢
نقد الشعر - ٢ و ٨٧
نقد عيار الشعر - ٨٧
نكت المعبران في نكت المعبران - ١٤٣
النهاية - ٢١٢
النوادر - ١٤٣
نواذر الأعراب - ١٤٣
حرف التواو
الوزراء والكتاتب - ١٦٩
وفيات الأعيان - ١٨ و ١٩ و ٢٩ و ٥١
و ٨٦ و ٩٥ و ٩٧ و ١٢٣ و ١٨٢ و ١٩٠
حرف الياء
بتيمة الدهر - ٢٠٨

فهرست الأسماء

« الواردة في متن الكتاب »

الصفحة

« حرف الهجزة » - أ -

٢٩	وتر على رأس النخيل وما،	وما العيش الا نومة وتشرقى
٨٥	رايت كل دجينة ولفاء	ومعرس لغيت يخفق بينه
٨٦	فتملكت من حسن خلق الماء	صعبت فراض الماء حبيبه خلقها
٩٢	وكأنا فوق النون إثناء	وكأنا فوق الأكف بوارق
٢٩٢	تحكك راوح بينه وبكاه	وله بلا حزن ولا بحسرة
٢٤٢	ركنا نيبير أو عضاب حراء	إسلم ودمت على الحوادث عارضا
٢٤٨	وأنتهى منازل السكران	يسقط الطير حيث يلتقط الحب
٢٤٩	صكتلمب الأفعال بالأسماء	خرقاء يلعب بالعقول حيايها
٢٥٩	ما بين حر هوى وحر هواء	قد ذبت غير حشاشة وضاء

« حرف الهاء » - ب -

٥٦	غزبلاً صمّ على الركب	على ناشدلي بعقبن اللوى
٦٢	لكل دهر قد لبث أتوا
٨٤	لجنة الحسن مقابا	أثرت أغمسان راحته

- ٨٨ كسب اللوت راثياً أو حلياً
- ٩٠٦ به اشرف والأهداء من كل جانب
- ٩١٣ مرادقها المقاور والقبابا
- ٩٢٠ أهدي رأسي ومقرني شيئا
- ٩٤٦ فكأنما نذكي سنابكها الجبا
- ٩٦٥ ولو سكتوا أننت عليك الخفاف
- ٩٩٦ أجزنا ملاماً سلئت عليك سبابه
- ٩٩٦
- ٢١٣ وإن تكامل فيها الذكر والشب
- ٢٢٠ وعطفكم صدقاً وسلمكم حرب
- ٢٢٦ وإعطاءؤكم مع وعدكم كذب
- ٢٢٢ يحي أراج الله قلبك من حبي
- ٢٢٧ سي قلب وأنت ذو القلب
- ٢٢٩-٢٤٦ عصاب طير تهدي بعصاب
- ٢٣١ أبو أمسه حي أبوه بقاربه
- ٢٤٠ وأرحلتنا الجزع الذي لم يقب
- ٢٥٥ وعاب اللوت لا يؤوب
- ٢٦٠ تصول بأسياف قواصم عواصم
- ٢٦٣ متوهن جلاء الشك والرب
- ٢٦٤ كأنها فضة قد شابهها ذهب
- ٢٦٩ نشوحاً إذا لم تعط منه نوابه
- يوم فتح سقي أسود الضواحي
- أنهجر يفاً بالحجاز تلقت
- ملوك يفتنون نوارثوها
- صدودكم والذيار دانية
- بندوين جعل حائر جنوبها
- فماجوا فأنجروا بالتي أنت أهده
- إليك جردنا مقرب الشمس كلا
- أهن عوادي يوسف وسواجبه
- أم هل ضعائز بالعلياء رافعة
- وصالكم هزم وحيمكم فلي
- ولينكم عنف وقربكم نوى
- سكوت فقلت : كل هذا نبرم
- أنت ذو وذو السراج أبو مو
- إنا ما جزا بالجيش حلق فوقه
- وما مثله في الناس إلا مملوكاً
- كأن عيون الوحش : حول خيائنا
- فكل ذي فيض يذوب
- يمدون من أيد عواصم عواصم
- بيض الصقاع لا سود الصعاف في
- كحلاء في برج صفراء في دمع
- ألم تر أن المال يكسب أهده

« حرف التاء » - ت -

٢٢	به زينب في تدوير خفقات	تضوح مسكاً بطن فعان إذ مشت
٥٨	مثل لقلب بلا سويداواتها	إن الكرام بلا كرام منهم
٩٥	والحمد في عيباته	لم يكتب غير التنا
١٠٦	سائلني أسد ما هذه الصوت	يا أيها الزاكب للزجي مطيته
٢٤٨-١٦٦	لأف عفا في سراويلاتها	إني على شغفي بنا في خرما
٢٢٢	بتعاقب الفصلان فيه إذا أتى	يوم التبيح فيك حولاً ككامل
٢٤٧	وجاز له الإعطاء من حسناته	فإن لم يجد في قصة العرحية
٢٦٧	فيها ولا عرس ولا أخت	رنت من الدنيا ولا رنت لي

« حرف الكاء » - ث -

٤٦	يحف به أسد الإقاء الدلاعت	وماراجهم إلا سرادق جعفر
----	---------------------------	-------------------------

« حرف الجيم » - ج -

٩٤	عمران ينش في الدجى بسراجير	والصبح ينلو للشرى فكأنه
٢٤٤	وقاز بالطيبات المانك التهج	من راقب الناس لم ينظر بما حجه
٢٥٧	ويفتح باب الهوى المرتجا	لتألك أيدي من الرثيم

« حرف الحاء » - ح -

٦٠	ومن ذم الرجال بمتراجير	فأت من التوائل حيث ترمي
٧٠	ومسح بالأركان من هو ماسح	ولما قضينا من متى كل حاجق
٧٨	عشبة بنا عند ماوان رذح	وقلت لقوم في السكينف تروحوا

ملا حاجيتك الشعر حتى كانه
 طبا: جرت منها سديج وارج ١٧
 قد والشك بين لي عناه
 بوشك فراقهم مُمرده يصيح ١١٢-١٢٩

« حرف الطاء » - خ -

لا يفقدن خيركم مجالسكم
 ولا تصكونوا كلكنم سبيح ٢٦٧

« حرف اللام » - د -

وتوقفاً بها صمبي على مطيهم
 يتولون لا تهابك أمي وتجلبر ١٧-٢٤٣
 أعزز علي بأن أراك وقد خلا
 من جانبك مقاعد العوار ٥٣
 وحددني بأسمد عنها فزدني
 جنوناً فزدني من حديثك بأسمد ٧٦
 إن ملث في أبتة الهد لم يزل
 على كبد العروف من نيله برد ٨٩
 نسم وقطوب في غدي ووغى
 كالثيت والبرد تحت المارض البرد ٩٢
 لو عثت لم تُفسد صحابة حاتم
 كرمياً ولم تهيم مآثر ظك ١٢٦
 ولية كحلت بالنفس مقلتها
 ألت فناع الدجى في كل أجدود ١٨٢
 سلام على الدنيا إذا ما قدمت
 هي برمك من راجحين وغادي ١٨٨
 أربع البلى إن الغشوع يادي
 ١٨٨
 لقد علم القبايل أن طوي
 لهم سعد إذا كبس الحديد ٢٠٠
 كيف أسلو وأنت حقف وفسن
 ولغزال لحظاً وردفاً وقدأ ٢٢٣
 فيا أيها الخيران في طاعة الدجى
 ومن خف أن يلقاه بني من العدا ٢٢٤
 ولا أناني من حاك تحية
 لغشوع من أثمانها المسك والندأ ٢٣٢
 وإن يوم سودوك لحاجة
 لك سيد لو يظفرون بسيد ٢٤٨
 يلقاك بالله الخبير الفتى
 وفي ضمير النفس نار قويد ٢٦٨

٥٤	وطايي ويوي ضيق الجحر معور	أقول لحيان : وقد صفرت لهم
٥٦	يا بحر علم عمت في نياره	يا طُود حلم ظلت ممتصاً به
٩٤	فقرة في الفرع ذي القشير	يا طالباً بحجاب الأمور
١٠٧	تقد برئت من الإثم الصدور	قلنا أسلفوا إنما أخوكم
١١٣	أبره ولا كانت كليب تصاهره	ال ملك ما أمه من محارب
١١٣	بها أسد إذ كان سيفاً أميرها	ولست خراسان التي كتبت خالد
١١٦	أطلين أجنحة القلب يضيرُ	فدع الويد فما وجدك ضايري
١٢١	حذو الموت واني لفرور	واقصد أجمع رجلي بها
١٢٤	وما عليّ إذا لم تقم البقر	عليّ نحت القوافي من معانيها
٤٣	قدر وأبدها إذا لم تقدر	ما أقرب الأشياء حين يقودها
١٦٥	عزيز علينا أن تراك تسيرُ	تقول التي من بينها خف محلي
١٦٦ و ٢٤٧	وأسدف مما في ضبان اللآزر	أحن إلى ما أضمر الحزبُ والحلي
١٨٩	وساعدك النصارة والحبور	ألا يا ديار دام لك السمرور
١٩٢	ودونك أحوال القرام الخاص	وزارك أقوال الوشاة الفواجير
١١٣	ولا البخل يُبقي الأمل والجد مدير	فلا الجود يعني المال والجد مُقبل
٢٣٠	في وسعه لسمي إليك للبرُ	ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما
٢٤٢	دت مارصا ركنا نير	إسلم ودمت على الحوا
٢٤٤	وقاز بالذرة الجسور	من راقب الناس مات حمداً
١٤٦	رأى عين حقة أن سينار	وترى الطير على آتارنا
٢٥٨	ح ذكراً طيب الثمر	وتشري بمجيبيل الصند

٢٦٠	ومهيق الكشعين أحوى أحور	من كل ساجي الطرف أنيد أجيد
٢٦١	أضى التناء عليه وهو مقصور	تقاسرت هم الاملاك عن ملك
٢٦٢	تطوى وتشر دونها الأعمار	إن البالي ثلاثام متاهل
٢٦٣	ومن جوار على حار	ككم من حمار على جوار
٢٦٤	لشيء من حل الأشعار طاري	أبا البساس لا تحب لثاني
٢٦٥	ذي الطريقة تقاع وضرار	حاي الحقيقة عمود الخليفة مهـ
٢٦٦	سوء مبني لينة النجـ	مز على ليل يني سدر
٢٦٨	حبس الأداة ليس فيه منار	ليل بلا نور أجن بهمـ

« حرف الزاي » — ز —

٢٦١ وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجز قتل المسلم للحرز

« حرف السين » — س —

٢٦٧ ورمع كأوراك العذاري قطعه إذا ألبسه الظلمات الحفاس
٢٦٠ وما زال مقولاً عقاب عن المدى وما زال محبوباً عن الطير حابس

« حرف الصاد » — ص —

٢٤٩ مودة ذهب آثارها تشبه وحة جوهراً معروفها عرض
٢٥٨ يا يانحاً أذى دعوى حتى عاد منها سواد هني يانحاً

« حرف العين » — ع —

٤٨ متقطعت تحصب الوحوش مكأها تياره فالضب جار الضفدع

٢٧٢ و ٢٧٧	وَجِئْتُ مِنَ الْإِسْفَاءِ لَيْثًا وَأَخَذْنَا	تَأْتَتْ لَحْمَ الْحَيِّ حَتَّى وَجِدْتَنِي
٩٥	كَأَنَّكَ بَعْدَ السَّبِيلِ بِمَجْرَاهِ سَمْرَعَا	فَتَى رَيْشًا فِي مَعْرُوفَةٍ بَعْدَ مَوْتِهِ
١٢٠	لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلَانًا عَلَيَّ الْأَفْرُوعُ	لِعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيْبَتٍ
١٢٧	عَلَيْهِ وَلَسْكَنَ سَاحَةَ الصَّيْرِ أَوْسَعُ	وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَكِّيَ نَمًّا لَكَيْتَهُ
١٤٣	وَلَوْ حَمَلْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِغُ	وَمَا لِأَمْرِي، مَا لَوْلَهُ عِنْدَكَ مَهْرِبٌ
١٩٢	فَلَقَدْ سَيَّرْتَنِي عَلَى الْكُرَيْمِ الْأَرْوَعُ	فُخِّلْتُ مِنَ الْخِدْمَانِ أَحْسَنَ أَوْرَعِي
٢٣٠	تَصَمْتُ بِالْبَاءِ ثَوْبِيًا جَدِيدًا	وَذَاتَ هَسَمٍ عَارِ نَوَائِرِهَا

« حرف الفاء » — ف —

٦٩	مِنَ الصَّبْعِ يَبْدُو كَمَا فَدَقْتُ دَرَفَا	كَأَنَّ السُّهْمَا إِنْ سَارَتْ بَيْنَ غُرَيْفَةٍ
٢٤٥	حَتَّى أَقْوَمَ بِيَعْفُ مَا سَلَفَا	لَا تَسْمَعِينَ إِلَهِي عَارِفَةً

« حرف الزايف » — ق —

٥٠	وَعَنْ ذِي الْهَارِيِّ أَيْنَ مِنْهَا الْفَنَاقِقُ؟	سَلِي الْبَيْدَةَ أَيْنَ الْجَنُّ مِمَّا يَحْتَوِزُهَا
٥٩	يَصْبِحُ الْخَصَا فِيهَا سَبَاحَ الْفَنَاقِقِ	وَمَعْلُومَةٌ سَرِيغَةٌ رَيْبِيغَةٌ
٩٦	فَدَاحُ كَأَصْدَاقِ الطَّلِيَاءِ الْقَوْلَاقِ	كَسَاهَا رَطِيبُ الْعَيْشِ فَاغْتَدَلَتْ لَهَا
٢٥٧	سَاقٍ يَجَافِبُ فَوْقَ سَاقِي سَاقَا	وَمَرِيءٍ سَرَابِقٍ دَعَمَهَا فَنَوَاكَفَتْ
٢٦٥	قَوْلًا مَحْكَمَةً جَوَابَ آقِقِ	مَحَالِ أَوْبَةٍ شَهَادَ أُغْدِيغَةِ

« حرف الهمزة » — ك —

٦٧	أَمْضَجِبْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْكِ	بِأَدْرِ قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعِكَ فَتَدُ
١٥٩	فَأَفْرَجَ أُمَّ سَيْرَتِي فِي شَمْلِكِ	أَيُّيَ أَيُّيَ بِنِي بِعَيْكَ جَعَلْتِي

١٨٩	يا ليت شعري ما الذي أهلك ؟	يا دار غمِّك البلى وعماك
٢٥٧	أو لكثير من الصباية شاكي	هل لا فات من ثلاثٍ ثلاثي
٢٦٢	أحدوثه القائل والتبرك	أعديت شيئاً بقل لولا

« حرف اللام » — ل —

٢٤٣ و ٢٧	يقولون لا تهاك أسي ونجمل	وقوماً بها هي علي مطيهم
٢٠٨ و ٥١	فلاقل عيسى كأنهن فلاقل	فنتقلت إليهم الذي قلل الحشا
٨٧	وأردف أمعجازاً وناء بكسكل	فقلت له لا تمطى بسلبه
٩٤	ثياب شفقن على ناككل	كأن الجنون على مثلي
١٠٧	وسالفة وأحسنه قبالا	ومينة أجل التقلوب وجهاً
١١٦	ومسونة زرق كأنياب أحوال ؟	أبقتني والشرفي مضاجعي
١٢٠	وأوك قدوا منك الطلالا	لو أن الباخلين وأنت منهم
١٢٠	لعل زياداً لا أبا لك غائل	يقول رجال يجهلون خلقتي
١٢٩	إلى القرب حتى غلبه الشمس قد فعل	نظرت وشخصني مطلع الشمس غلبه
١٣٧	ولو قطعوا رأسي لديك وأوسالي	فقلت بين الله أيرج ظمناً
١٥٦	ورؤيت قدأت سبعة أي إلال	فصرنا إلى الحسن ورق ككلامها
١٩١	لقد قلل الرائي إليها فأعلا	أما وهواها مسفرة وتنسلا
٢٥٥ و ٢٠٨	فأنصر البلايل بأعتداء بلايل	وإذا البلايل أطربت يديها
٢١٠	فكأنما كانت سباً وقبولا	سارت به صيف القصدائد شرذا
٢١٧	ولم أيتطن كاعباً ذات خلخال	كأنني لم أركب جواداً للذة
٢٢٠	سباً وسلكك أو أنتك رسالي	لو أن في قلبي كقدر قلامه

٢٢٨	والعلم من سابق الأجل	وأنا النية في الواطن كتابا
٢٣٨	بعذرة ريسها هي وخالي	غدا لأمريء سارت إليه
٢٤٠	رسوماً كأخلاق الرداء السلسل	فقد العيس من أطلال مية فاسأل
٢٤٥	تعبية ذي المسنى وقد رفع النفل	عني ذوي الأضغان نسب مقوظم
٢٥٥	يسقط الهوى بين الدخول فحول	ففا نيك من ذكرى حبيب ومغرل
٢٥٨	قد رحت منه على أمر محجل	وأغر في الزمن القديم محجل
٢٦١	وصوب الحزن في راح شمول	نسيم الروض في ربح شمال
٢٦٢	— إنا تأملته — مقلوب إقبال	كيف السرور بإقبال وآخره

* حرف اليم * — م —

٢٩	وصف جزارهن عني بالصرم	أذاني التواني حسنه ما أذقني
٩٢	وتنيب فيه وهو سبيل أسحم	بيضاء تسحب من قيام فرمها
٩٧	كيفلاً ومن نور الأفاعي بسيا؟	أبنت النزال المستعير من النفا
١١٢	كلفت قفراً رسومها قلما	فأسبحت بعد خطأ يهجيتها
١١٦	زيارة إني بدأ كقيم ؟	أأترك أن قلت دراهم ضالك
١٢٠	تأليف حولاً لا أهلك يسأم	سعت تكاليف الحياة ومن بعش
١٢٠	ولو قطرت في ريق أرقط أرقم	فلا بهجة في الأرض منك متعبة
١٢١	مقدم بسيا التكتان ملتوم	كلن إبراهيم طلي على شرف
١٦٤	بها في ضمير الحاجبية عالم	وددت — وما تنى الودادة — أني
١٦٤	ليس الكريم على قلنا محرم	وشككت بالرمح الأعم ثيابه
١٦٥	عمرت بأزهر في الشمال مقدم	برجاعة صفراء ذات أسمرته
١٨٦	رهينة عام لي الزمان وعام	ومافية نقش العيون بتورها

١٨٩	نشرت عليه بحالها الأيام	فصر عليه تحية وسلام
١٩٠	لم يبق فيك بشاشة تستام	يا دار ما فعلت بك الأيام
١٩٩	أحسني سلمى بكاملها أسلا
٢٠٨ و ٢٠٤	لثقل غنمدهم مقام	ولم أر مثل جيرانني ومثلي
٢١٧	كأنك في جفن الردى وهو نائم	وقفت وما في الود شك لو أقصر
٢٢١	كمرقاً وليت لوى الميجاء ضرغام	لحيت وليت فغبت حين تسأله
٢٢٣	حريداً دم أو حاملاً نقل كعقروم	لقد خنت قوماً لو طأت إليهم
٢٢٦	تجوزت فواربه نلتعلم	وما كُفريد من خليج الفرات
٢٢٧	حتى طننا أنه محوم	ما زال يهني باللكارم والعلا
٢٢٧	كما انتفض اليهود من أم سلم	وتلحقه عند الككارم رهرة
٢٢٨	هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما	إذا ما غضبنا بغضبة مضربة
٢٢٩	زكن العظيم إذا ما جاء يستأتم	يكاد يسكك عمرهات واحته
٢٣٢	« ذهب الدين يدش في أكتافهم »	قم فاستنباها يا أعلام وغشني
٢٣٩	— بلا سيب — يوم الأنا، كلامي	أحلت دمي من غير جرم وحرمت
٢٤٧	ويشلي الله بعض القوم بالنعم	قد ينعم الله بالولى وإن عظمت
٢٤٧	لأنطورك الذي تسأروا وساموا	فلو يمتهم في الحشر تجددو
٢٤٨	والنهيل العذب كتبت الزحام	يزدحم الناس حل بابسه
٢٥٥	كخطك في ردي كتاباً مندينا	أنعرف أخللاً ونوباً مهدما
٢٥٨	أرى قدي أراق دمي	إلى حضي مشى قدي
٢٦٥	محض ضرائها ، صبغت من الكرم	سود ذوائها ، بيض ترائبها

حرف النون ٥ - ن -

١٢	أنت مني في ذمّة وأمانت	أذهبي في ككلامه الرحمن
٢٧	تجرباً في جهنم فلو أنه	إسقي الأسكر كذا الصبأ . . .
٥٦	يقلي أم دانت غير مُدان	وهل خشيف بالمعيق علاقة
١٠٣	بسبب كالحقيقة صحصان	فاني قد لقيت القول تهوي
١٢٠	قد أحوجت صمي إلى ترجان	إن التمايين - وبلذتها -
١٣٣	فقد جثا خراسانا
١٤١	درّس النسا يتالع فأبان
١٦٢	لسواهم منها سوى الحرمان	وتقرّوا بالكرامات فلم يكن
١٨٢	من النار في كل رأس لسانا	كأن الشموع وقد أطلعت
٢١٣	ومن إسامة أهل الصوء إحسانا	يجزون من ظم أهل الظلم منفرة
٢٤٧	لله في مني للكاره كلمته	كم نعمة لا استقل بشكرها
٢٥٧	فلا رحمت لعين الدهر إنسانا	لم يبق غيرك إنساناً بلاناً به
٢٥٧	قال لي يا مع الفرائي فرائي	قلت لقلب ما دهلك أجبني

حرف الهاء ٥ - ه -

٨٩	ودعت أنت برأيه وسلامه	ونفاس الناس للسخاء بجزاً
٩٦	نكأ النفوس بأغاسها ..	أنتك أبا حسن وردة
٩٨	ولفضيب نصيب من تلتها ..	في طلعة البدر شيء من ملاحها
١٨٥	ورد أغاليه وطول قرونه	وليل كوجه البرقيدي طلعة
٢١٤	دهراً فأصبح حسن العدل رضيا	وأمة كان قبح الجور يُسخطها

- ملكك بها كفى فأهوت فتوبها
 يرى قائمٌ من دونها ما ورائها ٢٢٩
- ومن الهوى التي لا
 من لها في الناس حكمة ٢٣٢
- خذها إذا أشمت لتوم من طرب
 صدورها عرفت منها فواقياً ٢٣٨
- تلك التبا من عتدها نزلت
 أم نُظيماً القدر من ثناياها ٢٤٢
- تأزع في الدنيا سواك وماله
 ولا لك شيء في الحقيقة فيها ٢٤٨
- أرى الدنيا وما وصلت به
 إذا أغلت ظهراً أومنته ٢٤٩

« حرف اليا » - ي -

- وقد يجمع الله الشئيين بعد ما
 يطعان كلُّ الطَّن أن لا تلتابا ٣٦
- من ليس يرغلُ إلا في سوابقه
 من تُبمِرُ مفاض أو ساقف ٥٢
- بني عما لا تذكروا الشعر بعد ما
 دفتم بسحراء التميمير القوابيا ١٦٨

فهرست الأسماء

الواردة في حواشي الكتاب

— حرف المعزة —

الصفحة

- ٢٤٨ حياء صاحبي أم السلام، واحذرا طرف محييا الجوراء
 ٢٤٨ يسقط الطير حيث ينتثر الخبث وتفتش منازل الصكرماء
 ٢٤٩ يا موضع الشذوية الوجناء ومصارع الإدلاج والأبراء

— حرف اليا، —

- ٨٨ من سجايا الطول أن لا نجيا قصوبا من معة أن نغشوا
 ١٦٦ أقول لركب ساحزون القهيم فقا ذك أوشال ومولاك قرب
 ٢٦٤ ليلاء في شفقتها حرة لس وقى اللاتر وفي أياها شب
 ٢٢٧ لم أزل برز الجوانح مذ خاضعت ذلوي في ماز ذاك القلب
 ٢٢٨ جوانح قد أيقن أنت فيه إنا ما التقى الجمال أول غالب
 ٢٢٣ ذهب الثين يماش في أكتافهم وبقيت في خاف كجود الأجرم
 ٢٤٦ حكيلى لهم يا أميرة ناصب وابل أفسيه بطوى الكواكب
 ٢٥٥ أفقر من أهل مطحوب فاقطيبيسسات فمالذوب
 ٢٦٠ عني مثابها من أربع وملاعب أدبكت عيونك للأمرج السواكب
 ٢٦٣ الصيف أصدق أبناء من الكتب في حده الحد بين الحد والعب

٢٦٤ ما زال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفرجة سرب

— حرف الناء —

٢٦٦ سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بيد موصوفاتها

٢٦٧ أقول لرتاد النبي عند مالك أعودُ بجدوى مالك وصلاته

— حرف التاء —

٢٦٨ فجدلهم من صهوة الطرف راكب وأظلمهم من جانب الطرد ماكب

— حرف الجيم —

٢٦٩ خشاب هل لخبه عندكم فرجٌ أو لا فإني بهيل الموت محتج

— حرف الطاء —

٢٧٠ ذكرتك أن حرثت بنا أم شادن أمام للطايا نثرابٌ وتسنج

— حرف الدال —

٢٧١ أعلنت من حملوا على الأهراد أرايت كيف خبا خبا، النادي

٢٧٢ من غير شيب ولا منل ولا غند إني تركت الصبا محمداً ولم أكيد

٢٧٣ عجباً لطيف خيالك التماهد ولوملك للتقارب التيساعد

٢٧٤ إذا وجدت أوار الذهب في كيدي أقيلت نحو سدقاء القوم أبقرد

— حرف الزاء —

٢٧٥ يا ما أميلج غزلاناً شرفت لنا من هؤلياتسكن الضال والدمر

٢٧٦ لا يفسح الأرتب أهوالها ولا ترى الضب بها بنجسر

٢٧٧ أعلي إنك جاهل مفرد لا ظلمة لك لا ولا لك نور

١٦٤	وبالغ منه لو لا أنه حجر	في الشيب زجره لو كان يتزجر
١٦٤ و ٢٤٨	وما على لحم أن تقوم اليقر	عليّ تحت القوافي من مقاطعها
١٦٦	أخو الجد لا مستقصراً بالمانر	بشير شفيح نال عفو القادر
١٦٦	وأصبي إلى أئم الحدود النواظر	ولله قلبي ما أرق على المسوى
٢٥٨	على شاحنة النجر	وتجسري في شسرى الحد
٢٦٠	هيجن حر جوي وفرط تذكر	إنّ القلباء لمداء سفع صجر

— حرف السين —

١٩٩	بميت ثلاثي عازب فالأوامس	وما ذات أرواق تصدّي لجؤذو
-----	--------------------------	---------------------------

— حرف الضاد —

٢٤٩	من دونه ثرق من تحته جرض	ذل السؤال شجبي في الخلق معترض
-----	-------------------------	-------------------------------

— حرف الهمزة —

٢٧٢ و ٢٧٧	مزارك من ربا وشعبا كما معا	حنفت الى ربا ونفسك باعدت
٩٥	سفتك النوادي مرربا ثم مرربا	ألباً على معشر وقولا لبره
١٢٨	وصانعت أمداثي عليك لوجع	ولابي وإن أظهرت صبراً وحسبة
١٢٧	وحل الذي لا يستطاع فيدفع	قضى وطراً منك المبيب للودع
٢٣٠	إن الذي تحذرين قد وقسا	أبها النفس أجهل جرماً

— حرف الفاء —

٢٤٥	حي أقوم بشحكر ما سلفا
٢٤٥	قرماً عدىّ ومخلة فذلاً	حلت سعاد وأهلها مرفا

— حرف القاف —

- هو البين حتى ماتأني المراتق وياقلب حتى أنت من أفارق ٥٠
تذكرت ما بين العذب وبارق هجره هوالينا وهجرى السوابق ٥١
وترى سوابق دمعها غلتوا كفت ساق تجاوب فوق ساق ساقا ٢٥٧

— حرف الكاف —

- خياء الشمس جزء من جيبك ونسبية الياالي في جيبك ١
قد ملت محل الزمان من فرقك وأكفر أهل الأندلس في ورقك ٦٧
قفي يا أميم القلب تقصر لباقة ونشك الهوى ثم أغلبي ما يداك ١٥٩
أيت كآني بين شقين من صا حذار الردى أو خيفة من زياك ١٥٩
فقلت أجري أبا غاد وإلا فهني امياً هالكاً ٢٣٦

— حرف اللام —

- لا نعر الدنيا فليد من الى البقاء بها سبيل ٢٠
فقا تريا ودقي فهانا الخيال ولا تحشبا حلقا لانا قائل ٢٠٨ و ٥١
الأم طامية المائل ولا رأني في الحب لعائل ٩٤
ألا عم صباحاً أيها الطفل الياالي

وهل يمين من كان في العصر الخالي ١١٦ و ١٣٧ و ١٥٦

- وألجج من فقدنا من وجدنا قبل الفقد مقنود الكال ٢٠٨
أمن علامة اليمن البوالي برفض الحبي إلى وعال ٢٣٨
أهلاً بذككم الخيال القبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل ٢٥٨
أكنت منتظي يوم الرحيل وقد بلت دعوي في العمول ٢٦١

— حرف اليم —

٢٧	أو يرتبط بعض النفوس علمها	تراك أمكفة إننا لم أرضها
٤٩	لعلّ بها مثل الذي بي من السقم	ملام النوى في ظلها غاية الظلم
٩٧	وتنظا أن الهوى ما جهنا	أعجني سلمي بكاطمة اسما
١٤١	أم حبيلها إذ فأنك اليوم مصروم	أما علت وما استودعت مكنوم
١٨٩	خلعت عليه جمالها الأيتم	فصر عليه نحية وسلام
٢٤٧ و ٢٠٤	وعمر مثل ما شيب اللثام	فؤاد ما تسليه الدام
٢١٧	وتأني على قدر الكرام المكلام	على قدر أهل العزم تأتي الزمام
٢٢٢	لبس الذي أجرى اليغان ضمضم	وقالة والمع يحدرك صكجها
٢٢٦	أم الحبل واد بها منجذم	أنهجر غائبة أم ندم
٢٢٧	وفدت عليهم لفضرة وديم	أسقى ملولهم أجنس هزيم
٢٣٢	وما كاذ متي ودمم بتصرم	تصرم متي ود بكر بن وائل
٢٣٣	وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم	أسبحت بين معاشر هجروا الندى
٢٤٧	فامهجة عن ملات الردى حرم	إلياس كني في خيان الله والدم
٢٥٥	شهوراً وأياماً وحولاً بهرماً	أضاعت به الأرواح بعد أنيسها

— حرف النون —

١٠٤	بما لا قوت عند رحي بطلان	ألا من مبلغ خبيان فهم
١٣٣	ثم القبول فقد جثنا خراسانا	قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا

— حرف الهاء —

١٨٥	أبر جابر في ضبطه وجنونه	على أولئك فيه الهباب كأنه
-----	-------------------------	---------------------------

- ٢٦٣ ميوا الى النار من ليل نحيها نعم ونسألها عن بعض أهلها
٢٦٩ فلا يمدح بعبادها أدب ولأن هي سوزة وضافته

— حرف الياء —

فولا لعقل الرمح الرديء والرندي بارداء الهندواني

فهرست الألفاظ اللغوية المرمزة

الواردة في حواشي الكتاب

<u>الصفحة</u>		<u>الصفحة</u> ^١	
١٧٦	عقيب (وأستعمله ظرفاً)	٧	تَحْفَظُ (ومعناه)
١١ - ١٠	العيش والعيشة	٦٢	مدوق ومدروف
٢٣٨	فضلاً عن (وأستعمله)	١٩٦	ذات وذاتي
١٧	ما للرسولة (وضميرها)	١٨٠	ذهب به وأذهب
٥٠	التفاني	٢٦	ارتبط (وتعديته)
٢٣٦	هب أنه (وأستعملها)	٢٣٢	ضمن (وتعديته)
٢٢٥ و ٢٣	أودع (وتعديته)	١٧٧	بالإضافة (ومعناه)
١٧٧	توفر وتوافر	٣٢	الشباع والشبوع
		٤٨	انضاف (وأستعمله)

فهرست الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٩	النظر الأخير من الخامس	(لم يكتب شيء)	(٣) الآية ٣٩ والصورة يوسف
٥١	٩	الفتاى	الفتاى (١٠)
٦٨	٩	ويكون فيه الى الل الدم أقرب	ويكون فيه الى الل دم أقرب
٨١	١٦	توني	توفي
٩٣	١٥	بكم	بكم
٩٦	٥	بدها	بدها
٩٧	١٨، ١٧	من الجهة	الى الجهة
٩٩	١٤	تحسناً	تحسناً
١٠٠	١٨	رني	ولي
١٠١	١	ويعد	ويبدأ
١٠١	١٤	القسم الثالث	القسم الثاني
١٠٤	٧	وبالمضارع من لاضي	وبالاضاعي عن المضارع
١٠٥	٣	آية	آية
١٠٨	١٦	عنوا	عنوا
١٠٨	١٧	عنو	عنوا
١٠٩	١٩	وأما تقدير خبر البعداً	وأما تقدير خبر البعداً
١٠٩	٣	الفائدة	لفائدة
١١٠	١٤	أنه	إن

صفحة	سطر	الطبع	الصواب
١١٠	١٦	وكلام	وكلا
١١٠	٢٠	وإن علينا	ثم إن علينا
	٨	لا يغيره	بغيره
١١٢	١٠	سواء كان بياناً أو نسقاً	سواء أ كان بياناً أم نسقاً
١١٣	١	كان	كان
١١٣	١	مهمتها	بهدفها
١١٤	١٠	عجيباً الأخذ	عجيب الأخذ
١١٤	١١	لؤلؤ الكلام	لؤلؤ الكلام
١١٥	١٥	تزيد	تزيد
١١٧	٥	أأخذ غير الله	أأخذ غير الله
١١٨	١٦	يأتي في الكلام فائدة	يأتي في الكلام لغير فائدة
١١٩	٢	السامع	السامع
١١٩	١٠	وفضاله	وفضاله
١٢٣	١٤	ومتناولها	ومتناولاً
١٣٠	٧	من كل حرب	من كل حرب
٢٣٢	١٥	لا صلاة	لا صلاة
١٣٦	٢	أنه	أن
١٣٦	١٥	وجرم	وجرمهم
١٣٧	١٥	التقود	التقذر .
١٤١	٧	الكنانة	الكنعان .
١٤١	١٨	وما يسوغ روى الفائر	وما يسوغ دون الفائر
١٤٢	١	وان كان كان جائزاً	وإن كان جائزاً
١٤٥	٥	اضاف للكاره	أضاف للكاره

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٥٠	١٥	البلاغة	بلاغة
١٥١	١٣	وإنما حقيقة	إنما حقيقة
١٥٢	٢٠	أن	إن
١٥٧	١٥	فتوضح	فتوضح
١٦٢	١١	ذو شك	ذو شك
١٦٥	١	برجاجة	برجاجة
١٦٩	١٠	في استعمال العام والخاص في	في استعمال العام في النفي
		الآيات	والخاص في الآيات
١٦٩	١٨	كان	كان
١٧١	٢١	مرفليون	مرفليون
١٧١	٢	وكان يلزم وصف	وكان يلزم من وصف
١٧٩	١٢	كأن	كأن
١٧٩	١	الآسي	اللاتي
١٨٢	١٢	بين	بينهما
١٨٥	٨	كنن	كأن
١٨٦	١٤	وجهه	وجه
١٨٦	١	حن	حتى
١٨٨	٨	عامي	عام
١٩٧	١١	بني بركت	بني بركت
١٩٨	٥	يزرد	يزرد
١٩٨	٣	تنتفع	تنتفع
٢٠١	١٠	لأن	لأن
٢٠٤	١٠	بمعاملة	بمعامته .

صفحة	سطر	انطباعاً	المصواب
٢٠٤	٢٠	الغيب بي علي العجلى	الغيب بن علي العجلى
٢٠٦	٧	النوع الثالث من الباب الأول	النوع الثاني عشر من الباب الأول
٢٠٥	٣	أجيداً	أجيداً
٢٠٥	٧	له شتم	ما شتم
٢٠٥	١٠	آلهين	آلهي
٢٠٨	١١	واحداً	واحد
٢٠١	١٢	يهدل معنى	يهدل على معنى
٢٢٠	٨	وهجركم	وحجكم
٢٢٤	٥	بَارَأَ	بَرَأَ
٢٢٧	١٤	ومنها ما لا يحسن	ومنها ما يحسن
٢٢٩	١٢	ويؤثر	ويؤثره
٢٢٩	٢٤	شادة	شهادة
٢٣٦	١٥	أذنية	أذنية
٢٤٦	٢	المدكور	المدكور
١٤٦	٣	بينك	بينك
٢٥٤	٩	مفة	أمفة